

كتاب

الرسالة الحميدية

في

حقيقة الديانة الاسلامية وحقيقة الشريعة الحميدية

تأليف

نادر زمايه وعلامة دهره واواه

حصرة اساذ العصر

مولانا السبع

حسين افندي الجسر

عفي عنه

بند وكرمه

—•••••—

صبع بنفقة السيد حسن افندي القرق

وحقوق طبعه راجعه اليه

وكان طبعه برحصة مجلس معارف ولاية بيروت لجليلة

فهرست الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة لاسلامية وحقية شريعة المحمدية

صحيفة

- ٢ { بيان ان سبب تأليف الرسالة ما حاوره بعض حبيب لانكيز
من تقريب الدين الاسلامي لدينهم
- ٤ { تسميتها بالحميدية نسبة لاسم حقيقة تدينه ما تعالى
- ٤ { اول الشروع في التصود بتعريب متن لدعوتهم برسول عليه السلام
برجل ادعى بين جماهير بلدة انه رسول ملكهم اليهم
- ٥ { طلبهم منه الدليل على صدقه واطهاره انه كتب ملك منتظمين
تصديقه
- ٧ { انقسامهم بشأن هذا الرجل في صوائف فضا فضا صدقوه فمعرضهم
خط منكم واخرى معرفتهم ختمه واخرى معرفتهم استاءة
- ٨ { وظائفة طلبوا منه احضار تحف لا توجد لامعد ملكهم فاحضرها
لهم فصدقوه
- ٨ { وطائفة استدلوها بما قاله رسل ملكهم السابقون ان ملك سيرسل
رسولا بقوانين صفتها كذ وفيه علامت كذا وكذا فوجدوا
ذلك فيه فصدقوه
- ٩ { وطائفة استدلوها بالنظر في قوانينه هل انها ذافعة ومرضية لملكهم
وبانه هل اوامره راجعة لاصالحه الخصوصي ام لاصالح العامة فظهر
لهم صدقه فصدقوه

وطائفة تهربوا الى ان يبلغ خبره الى الملك فان أقره صدقوه
والا فلا وحيت لم يجدوا شيئا من الملك ضد ذلك الرجل صدقوه

١٠

وطائفة استدلوا باتفاق الطوائف المتقدمة على تصديقه وان
ذلك لا يكون بوجه الصدفة ولا يتركون عوائدهم وبعض قوانين
الملك السابقة لدليل ضعيف او هو نفس

١١

وطائفة لا يعلمون ان الناس ملكاً فصلا عن العلم برسولهم لكن
استدلوا على صدقه باتفاق الطوائف عليه وشهادتهم بتحقيق
العلامات فيه وبما احضروا من التحف التي لا تجد الا عند من
له سلطة الملك فصدقوا بوجود الملك وبرسالة ذلك الرجل

١٢

ذكر بعض ممن اخذتهم عزة النفس عن الاقرار بصدق ذلك
الرجل وهم مصدقون له باطنا فاخذوا يؤولون ادلة صدقه بتأويلات
واهية والرد عليهم بأن اتفاق تلك الادلة يعطيها قوة تمنع
النأويل

١٦

ذكر طائفة يتمسكون بتكذيب ذلك الرجل تمسكاً اعمى بدون
حجة والاحتجاج على خطيئتهم وانهم يستحقون انتقام الملك ولا
يعذرون

١٨

مداومة ذلك الرجل على الاهتمام باقناع الفرق المكذبة له
وهدايتهم الى تصديقه

١٩

مناصيته لهم الحرب وقتله البعض واسترقاقه البعض واخضاعه
البعض لبعض قوانينه لأجل الأمن منهم وتقويضه امر البعض
انذين تحصنوا منه لحيي الملك وظهوره عليهم

٢٠

قبوله تصديق من صدقه - وهو - وكذا - مع شريش - هـ
 ٢١

ذكر من صدقه ضاهراته بعد سلامه على - هـ - وحول
 اتباعه صدقه بعد ايضا
 ٢٢

شروع في حكاية المسند وهو حول - هـ - سلامه في
 دعواه الرسالة و حول مصوتف مع
 ٢٣

شرح حله عليه السلام حين قدم في دعوى - هـ -
 صورة دعواه بين الامم وبيان ما دعاهم اليه
 ٢٣

متناع الامم اولاً من تصديقه ثم سببه - هـ -
 اتعجيز واحتجاجه عليه السلام بالقرآن وتحميده بقدر سورة منه
 ٢٤

الشروع في بيان تقسم الامم بسن دعواه و موقف حسب
 دلت عليه الاحبار وجوزاء الاممات العتية وذكر طائفة
 الاولى الفصحاء البغاة الذين قرر به هجر عن معارضة القرآن
 وصدقوه عليه السلام
 ٢٥

الطائفة الثانية الذين استسلموا بها الحق عليه لقرآن من الصفات
 الفاضلة التي لا يمكن جمع في متبداً لا ان يكون من عند الله
 تعالى فصدقوه
 ٢٦

الطائفة الثالثة الذين سندوا باقرار الفصحاء البغاة باحجر عن
 انعارضة وبشهادة اهل المعرفة باشتغال القرآن على الصفات
 الفاضلة وبظهور عجز طائفة اخرى من اهل الفصاحة والبلاغة
 عن المعارضة بتوكلهم اياها وانحيازهم الى المحاربة
 ٢٨

فد بالاستدلال على صدقه عليه السلام بعجز
ن معارضة القرآن والتجاثم الى الحرب وتعريض

الذين طلبوا منه عليه السلام حريق النواويس
بذلك فصدقوه

يديه عليه السلام من انتفاق القمير وكلام
انات ونبع الماء من بين اصابعه وتوجيه جواز ذلك

يات الخارقة للعادة التي ظهرت على يديه عليه
لحقيقي او للمعنوي

يا ادراك المعجزات الادبيه ويزعم ان المعجزات
واميس عقبة في طريق ايمانه

الدين استدلو على صدقه بانطباق العلامات
كتب الرسل المتقدمين عليه وعلى تربيته

دمت المذكورة في التوراة والانجيل والمزامير
يا عليه او على امته وهي اربع وسبعون علامة

هذه الطائفة على صدقه بانطباق العلامات
ان انتظار غيره يأتي بعده بهذه العلامات من

خرى ظهرت في ملك امته وبيان ما للأمة من
الحجج

- ٥٦ } استدلال آخر من كذب ما حورق على
 أ تربيته وحال أمه في هذا حين وهو حسن
 الطائفة السادسة الذين هم والاسرة خلاف استدلال
 ٥٩ } شأن تربيته وعدم غاية له ترجع عليه
 بالضمير
 ٥٩ } تقسيم الدلائل على أربعة في عقلية وحسية وديان من يطلب
 أو كلاً منها
 ٦٠ } ذكر جمال استدلال هذه الطائفة على حقيقة
 ٦٢ } استدلالهم بذكره صورة اعتدال
 ٦٣ } بعض الخصائص في إرسال نور
 ٦٥ } ذكر ما تأمر به الشريعة من الأخلاق الحسنة وما تنهى عنه من
 الأخلاق السيئة ومن آتت انسان ومن لا تأت القليلة بشعداد
 جميع ذلك اجمالاً
 ٧٢ } شروع في شأن العبادات التي في شريعة محمدية وجمال
 حكمها التي ظهرت لشدة الفائدة
 ٧٤ } شروع في حكم الصلاة وما يتبعها وذكر حكم الأذان والاقامة وتلاوة
 الفاتحة وما يجزئ السامعين
 ٧٧ } حكمة اشتراط الطهارة للصلاة
 ٧٨ } حكمة الغسل وغسل اعضاء الوضوء وترتيبها ومسح الممسوح منها
 والتيمم
 ٨٢ } حكمة ستر العورة في الصلاة وكون المرأة تستر غالب جسمها

حيفة

حكمة استقبال القبلة في الصلاة وبيان أن المقصود بالعبادة عند الاستقبال هو الحق سبحانه } ٨٢

حكمة الكبير في أول الصلاة ورفع الرجل يديه حذاء أذنيه والمرأة قبالة منكبيه } ٨٣

حكمة الاستفتاح الذي يقرأ في أول الصلاة وسر الاستعاذة ٨٤

تفصيل اشارات آيات الفاتحة ومعنى التامين ٨٥

حكمة ضم شيء من القرآن للفاتحة ٨٨

حكمة الركوع وتكبيره وتسبيحه والرفع منه والتسبيح والتحميد ٨٩

حكمة السجود وتكبيره وتسبيحه وتكريره ٨٩

حكمة القعود آخر الصلاة وتفصيل اشارات جل التحيات ورفع المنسجعة عند التشهد والصلوات الابرأهمية والدعاء والسلام } ٩٠

حكمة الصلوات الخمس والالتيان بها في اوقاتها ٩٢

حكمة السنن والتراويح ٩٤

حكمة صلاة الجماعة والاجتماع في عبادات اخرى كالجمعة والعيدين والحج وحكمة الخطب المستروعة وذكر جملة فوائد للصلاة } ٩٥

التنديد بمن يترك الصلاة ويحرم فوائدها ورد الاعذار الواهية التي يعتذر بها } ٩٦

حكمة اقتراض الزكاة وبيان ان التحيل في اسقاطها غير مقبول عند الله تعالى } ١٠٠

حكمه اقتراض الصوم وفوائده ووصف حال المسلمين باقتدارهم على اداء عبادة الصوم } ١٠٠

حكمة افتراض الحج وهو حكمة في ربه حتى يبين
 آدم وزوجته وسيد برهين وادب وأزوجه في حكمة
 والاقتداء به

بيان أن أعمال الحج موسومة في القلوب من حق تعالي لا فساد
 البشري في الفؤاد من لا ينجح أن دين مولا في حكمة
 المعائب وحكمة الحريم والخوف والسعي وغير ذلك من
 الأعمال الحج

معنى تسمية الكعبة بيت الله وتسمية حجر لا يسهل يات
 وحكمة محصورات الحريم وتبيل حجر

تسمية المعال الحج تعبدية ومعنى العبودية لله تعالى وشوهدا من
 اشرف واصاف الرسول

حكمة نزول الحجج في وادي نبي وتحميم من حرمهم وقصد
 أيام العيد هناك وبيان أن ذلك كغنيمة من جانب الله تعالى

حكمة مشروعية الجهاد وكونه دلا ووجوب محفظة المسلمين
 على دماء أهل الذمة وأموالهم وأعراضهم ونسبهم وأسمائهم
 علينا وبيان أن الجهاد في الشريعة المحمدية احتوى على تخفيفات
 لم تكن في الجهاد المشروع في التراجع قبلا

اطلاع تلك الطائفة على أن في الشريعة من الصواب ما فيه
 تأمين ذوي الحقوق على حقوقهم

احكام الزوجية وكونها على أكمل نظام وحكمة تجويز الطلاق
 لرفع اضرار كثيرة وكونه بيد الزوج

حكمة وجوب الحجاب على المرأة وكونه من اتعرف نعوتها وليس
طلما عليها بل هو صيانة وحفظ من انظار الفساق

١١٣

ذكر بعض القبايح التي نحدث من خروج المرأة بلا سترو ومخالطتها
الاحباب وخطئة بعض الاجانب السياسيين باباحتهم اتخاذ
اماكن الزواني ترددها الفساق ودحض حججهم بذلك

١١٤

بيان ان احكام المعاملات في الشريعة من نحو البيع والاجارة
واحكام الميراث موضوعة على طريق العدل بما يرفع المنازعات

١١٥

حكم القصاصات والحدود

١١٥

حكمة قصاص القاتل بالقتل ورد السارق بنطح اليد والزاني
المحصن بالرجم وغير المحصن بمائة جلدة

١١٦

حكمة حد شارب الخمر بثمانين جلدة وحد القذف بثمانين جلدة
ايضا

١١٧

بيان ان الشريعة المحمدية جمعت بين احكام ما قبلها من الترائع
وبيان انها ترحت آداب كل حالة اللسان

١١٨

احذ هؤلاء الطائفة في انتقاد سياسة الرسول عليه السلام
وابحث عن اذا كان يا مريتي يعود عليه او على ذريته بصالح
حسني ام لا

١١٩

بيان ما صبر لهم من حكمة اخذه الصفي من الغنيمة قبل قسمتها
وايترد الفقراء بالإنفاق عليهم وخروجه من الدنيا ولم يورث

عنه شيئا من حطامها ومساواته بينهم وبين بقية المسلمين
في النفقة من بيت المال وانه لم يوص بالخلافة عنه لأحد من

١١٩

ذريته وانما فوض ذلك لرأي المسلمين

حكمة واحدة تعدد الروايات في سائر الكتب من ربيع
وحكمة واحدة من العدد في ربيع واحد من ربيع واحد
التسري بالرقية وتذكر في ربيع واحد من ربيع واحد

١٢٠

حكم ربيع تحريم كحل ربيع واحد من ربيع واحد

١٢٣

الحكم استدلال هذه الحكمة من ربيع واحد من ربيع واحد
صاحبه التبرؤا في ذلك لا يمكن ان يكون ربيع واحد من ربيع واحد
على معرف لانه لا يكون ربيع واحد من ربيع واحد

١٢٢

من هذا الحكمة في ربيع واحد من ربيع واحد
ذلك باب في ربيع واحد من ربيع واحد
دوام احكامه في ربيع واحد من ربيع واحد

١٢٦

الرد على ما يهذي به بعض محدثي هذه الحكمة
في ربيع واحد من ربيع واحد
في هذه التريعة في ربيع واحد من ربيع واحد

١٢٧

عنه التريعة المحمدية في ربيع واحد من ربيع واحد
يكون مؤلفه في ربيع واحد من ربيع واحد

بيان ان من رد وضع قواعد الاحكام في ربيع واحد من ربيع واحد
العلماء باستنباطها من التريعة المحمدية في ربيع واحد من ربيع واحد

١٢٨

البيان رحمه الله تعالى في ربيع واحد من ربيع واحد
الاحكام في ربيع واحد من ربيع واحد

ايراد اشكال على ان التريعة المحمدية تصح في ربيع واحد من ربيع واحد
تذكر احوال من يكون منهم بطرد من ذلك وحوال من هذا
الاشكال

١٢٩

ايراد اشكال ايضا باحوال من يعده الناس من حملة علمائها
وهو سد الخال والحواب عن ذلك وبيان الفرق بين علماء
لاخر وعلاء السوء } ١٣٠

ا تخدير ممن تعلو بصفات العلماء وهم من اجمل الخيلاء ومن
ا بدسوس اعارف والاسرار يأتون بالالفاظ الكفرية تشبهها
ا بالعارفين الصوفية وبيان احوال العارفين والسبب في تعبيراتهم
ا السوءهم } ١٣٢

ا السائة السائة الذين استدلووا على صدقه عليه السلام باجماع
ا الصوائف المتقدمة عليه وهم عقلاء } ١٣٥

ا السائة السائة الطبيعيون الماديون الدهريون الذين يجري
ا كلام معهم على ابيات سدوت العالم وايات محدته تم ايات
ا دعوى الرسول عليه السلام والكلام معهم يطول لاقتضاء
ا احواله الرأ ان ذاك } ١٣٨

ا بين السبب الخامل لمؤلاء الطائفة على النحت عن دعوى
ا الرسول وعن سبب اتباع الطوائف له ورد اقوال باسباب
ا تصديقه هي خلاف الحق وتفصيل رد الاقوال بان السبب في
ا تصديقه هو العصبية او صمع الحماهير او الخوف او فصاحة لسانه
ا او تسليطه الوهم على المصحاء وبيان ان الوهم لا يكون له هذه
ا السلطة العامة المستمرة } ١٣٩

ا شروع هذه الطائفة في اقناع انفسهم بانهم لم يحيطوا علماً بجميع
ا الحقائق التي يتصورها العقل وتحذرهم من انهم لا يأمنون من
ا وجود حقائق لا اطلاع لهم عليها } ١٤٥

تدبرين ما انت بهر بيلهم من انهم لا يصدقون بشي حتى يسر كود
بمحاسنهم واعتراهم بتصورهم في سبيل المعرفة وان رد به رجرد
عنه وراء هذه الشيعيات ما هو لا صرب من الشارقة

١٢٦

تندبرهم من انهم لا يصدقون من كون دعوى رسول الله
في نفس الامر ولا علم ثم بذلك واتهمهم من سوء الفهم
واتفاقهم على الحكم بان يظهرهم في دعوى الرسول في صرب

١٤٨

ذكر جملة من معتقدات الشريعة المحمدية اضعوا عليه ونهبرهم
مخالفتها لعلومهم فكادوا ينفرون عن بحث لولا اتفاقهم على
الحكم به

١٥٠

اعتادهم على المذاكرة مع عالم محمدي في تلك المسائل رعية في
ظهور الحق وطلب ذلك العالم منهم تشرح ملخص مذهبهم

١٥٣

شرحهم مذهبهم في اصل العالم وحصل تنوعاته على طريقة النشر
وذكر تكون السماويات والارضيات ومذهبهم في الحياة والانداس
وغير ذلك

١٥٤

تبرع ذلك العالم انخسدي في اقامة البرهان على بطلان قدم المادة
وحركتها واثبات انها حادثة

١٥٩

اقامة البرهان على وجود المادة وصفاته التي تدل عليها آثاره
واثبات صفته الوجرد .. تعالى رحمة الله وانه يبرم من علمه
اما الدور واما التماس وبيان معنى الدور وتسلل واستتلاب

١٦٧

اثبات وجوب بقائه تعالى وازداده وقدرته وعلمه وظهره مثل
لذلك بتساهدة مصنوعاته

١٧١

بيان خطئ تلك الطائفة في احوالها تنوع الانواع على حركة اجزاء
 المادة وابطال قاعدتهم بانهم لا يلتجئون الا الى الحسن وبيان
 انهم لا بد ان يلتجئوا للدليل العقلي ١٧٥

بيان ان اتباع الرسول عليه السلام بعد ما ثبت عندهم وجود
 الاله سبحانه لا يحتاجون الى اثبات مصدر آخر لتنوعات العالم ١٧٦

الكلام على متعلقات علمه تعالى وارادته وقدرته والكلام على
 معنى القضاء والقدر وما يرد من اخبار الرسل والاولياء بالمغيبات ١٧٨

الاستدلال على تبوت الحياة له تعالى والمخالفة للحوادث والقيام
 بالنفس ١٨١

بيان ان دليل الوحداية له تعالى اثنا يلزم اقامته عند المسلمين
 لاجل الاعتقاد او في مقابلة من يعتقد باله العالم وان له شريكاً
 وقامة الدين تقلياً وعقلياً على وحدانيته تعالى ١٨٤

اثبات الصفات الكلية اللائقة به تعالى غير التي تقدمت وعليها
 مدار الاسوهية وبيان ان الشيء لا يوجد مثله فضلاً عن ان
 القدس يوجد، كمال والكمال اكل منه وبيان عجز الانسان
 عن صنع ما يقاربه من الاجسام الحيوية وان ما يوهم ذلك ليس
 به لا تسليط السواميس والتأثير بخلق الله تعالى وبيان الفرق ١٨٨

بين صفاته وصفات الحوادث وبيان ما ورد من النصوص الشرعية
 باثبات صفته تعالى وحكم النصوص المتشابهات وبيان ان الشريعة
 كما جاءت باثبات الصفات والاسماء له تعالى فقد جاءت
 بالدلائل برهانية واقناعية على اثبات ذلك وعلى عظمة صفاته

١٨٨

١٨٨

١٨٨

شروع من العالم المحسوس في الاستدلال بأدلة تعالى عن عظمته
وعظمة صفاته مع تقديم مقدمة تستل على ما يعتقد مسلمات
في الصفات العامة والخاصة ثمادة وبيان ما يوافقون الدين و
يخالفونهم فيها وانكلام على الجاذبية العامة وجاذبية الامتعة
والالتصاق في الاجسام وابداء احتمال في بين حقيقتيهما

١٩٤

بيان ان تأثير الاسباب في الكائنات ليس بطبعها وانما هو
بمحض خلق الله تعالى وان الزمان المشروط لتأثيرها هو عاين
ايضا كالاسباب والاستدلال على ذلك والتنبيه على ان خرق
العادة انما يكون نحو معجزة نبي او كرامة لولي

١٩٨

اول الشروع في الاستدلال على وجوده تعالى وصفاته وعظمته
والاستدلال على ذلك بعالم الكواكب وما اشتملت عليه من
للنظام الغريب

٢٠٤

الاستدلال بكائنات الجيوم من نحو الهواء والرياح والسحاب
والرعد والبرق والامطار والتلوج وذكر النور وما قيل في تفسيره
من جانب الطبيعيين وايراد اشكالات على ذلك تلجى الخصم
الى الاقرار بالفاعل المختار سبحانه

٢٠٦

الاستدلال بالبحار والجبال والاوودية والكهوف والسهول وما
اشتملت عليه من الغرائب والمنافع

٢١٠

الاستدلال بالمعادن وتكويناتها وخواصها ومنافعها وانما تعجز
العقول عن تعليقات صفاتها وانكلام على خواص المغناطيس
وبيان ان عقول الماديين تعجز عن تعليقاتها الشافية ولا يسعهم
الا احالتها على الفاعل المختار

٢١٣

الاستدلال باحوال النبات وغرائبه وذكر تمثيله لاجزاء الارض
واناء واحواء وادحائها في بنيتها وكيفية غذائه وتعرشه وذكر
النباتات اخوانية وصور ازهارها كصور الحيوانات وما تشاهده
جامع الكتاب من صورة زهرة كالطير والنحلة وذكر النبات
الحساس والمتحرك

شروع في تبينات النبات مما يدل على ان خالقه فاعل مختار
وذكر اكبر الاتجار واصغر النبات وذكر جملة من تبينات
اشكاله وازهاره واثماره

ذكر جملة من النبات هي من اغرب النعم كشجرة الخبز وشجرة
الحليب والقسدة والنارنجيل

خاتمة الكلام على عالم النبات وان احق الناس بالاستدلال
بشؤنه على الخالق تعالى هم العلماء النباتيون

شروع في الاستدلال بعالم الحيوان على وجود الخالق سبحانه
وتعالى وصفاته العظيمة وشرح كيفية تكونه بانقلابه من الجمادية
الى النباتية ثم الى الحيوانية

ذكر تبينات الحيوان واكبر ما يكون منه واصغر ما يكون وفيه
شرح الحيوانات المكروكية

ذكر تبيناته في الأعمار والمشي والطيران وعدد الأعضاء وتناول
الغذاء والتوالد وانتقيح وتربية الاولاد وعمارة الاعشاش واشكال
البيض وكسوة الجسد الى غير ذلك

(ذكر اختلاف الحيوان في سعيه على رزقه وفي تحمله الغوائل
الخارجية وذكر احيون استبي هيدر ادي ذا قطع ثلاث قطع
ع د كل منها حيونا مستقلا) ٢٣٨

(مذكرة ما تقدم ان اختلافات الحيوان تدل على ان الله
لا يحكم عليه ناموس .) ٢٣٩

(الكلام على تركيب العين ونواميس النور التي يتبها لا يفسد
وم دبوت الحكمة الالهية لتكميل هذه الوظيفة .) ٢٤٠

(الكلام على ما قالوا من ان النور يرسم الصورة على الشبكية مقلوبة
وما وجهه في ادراكها منتسبة وذكر احتمال يرفع هذا الاشكال) ٢٤٥

٢٤١ . بيان عجز المعلمين عن ايفساح كيفية ادراك الدماغ .

(الكلام على حكم انتظام خارج العين ووظائف الاجفان وحركتهما
والاهتداب واحواجب والدمع والقدة لدمعية) ٢٤٨

(بيان ان جميع ما اشترط لمحواس هي شروط عادية يحصل الاحساس
بخلق الله تعالى عندها لا بها وايراد حكاية في ذلك) ٢٥١

(ذكر اجمال ما اشتمل عليه الجسم الحيواني من الاعضاء ووظائفها
وما يدل على تدبير خالق ذلك ومحكمته وبيان ان العلماء الذين) ٢٥٣

(يطلعون على تفاصيل علم الحيوان والنبات وبقية العلوم الطبيعية هم
جديرون بان يكونوا من اقوى الناس ايمانا بوجود الله العالم سبحانه) .

(ايراد اشكال بان بعض التلامذة للذين يدخلون مدارس العلوم
الطبيعية يضعف ايمانهم او يفقد فكيف القول بان تلك العلوم) ٢٥٤

(تقوي الايمان ودفع هذا الاشكال ببيان ان سبب ضعف ايمانهم
من عدم تصحيح عقائدهم وفساد عقائد معلمهم . .)

عقائد اولئك الثلاثة من تعليمهم دينهم
مؤمنين ليكونوا من حيار المسلمين وينفعوا
نهم والرحاء من اهل الحل والعقد ملاحظة

مت الروح والحياة والعقل ونحو ذلك ما فيه
وجود الحالتى تعالى وبيان عجز البشر عن
رة الى سر هذا العجز

غائلة عقائدهم وذكر مثال لهم والمسلمين في
محكما وكفى منهما ابدى رأيه في مصدره

على ما تقدم من اثبات الاله وايجاده للعالم من
طلقه والحواب عن هذا الشبه والاستدلال
في سبيل المعرفة بكثرة ما يوجد في كتبهم
لم وبيان ان اللائق بالماديين بعد تصورهم
م الى قصورهم في معرفة الحقائق ان لا
حقيقته سبحانه وضرب مثال لذلك وبيان
معهم ان الايمان غير العلم وبيان ان الايمان

الشبه الثلاثة للماديين بان البشر بما اعطي لهم
اعظمة الاله وصفاته وحكمه كالحيوانات
الى عظمة الانسان واعماله واسرارها

ما قرره الماديون من مذهبهم للعالم المحمدي
م مباحث

{ تقديم مقدمتين الرد عليهما الاولى في بيان دلالة الاسلامي
 يعتمد فيه على النصوص الشرعية المستوترة والمستهدرة وتمسيدا
 ٢٨٣ { وبيان ما يجب اعتقده منها بدون تأويل ومما يجوز تأويله
 { لموافقة الدليل العقلي القاطع واتسبب بقوة تعنى فلا يخفى معرب
 { استحسن الآية

المقدمة الثانية في انت السرائع انما يقصد بها ارتداد الخلق الى
 الحق والى ما فيه صلاحهم واما بيان العلوم الطبيعية فليس من
 ٢٨٨ { مقاصدها وانما تذكر منها ما فيه الدلالة على الصانع

{ بيان النصوص الواردة في خلق الاكوان وما قال علماء الاسلام
 ٢٨٩ { في فهمها وما يكفي من الاعتقاد في ذلك

{ بيان ان ما قيل في تكون الاكوان في العلوم الطبيعية هو مبني
 على الظنون والمسلمون لا يقولون بها الا اذا قام الدليل القاطع
 ٢٩٢ { وحينئذ ان كن شيء منها مخالفا للنصوص الشرعية وفتوا بينه
 { وبينها بالتأويل

{ دلالة الطبيعيين اذا اعتنقوا الدين الحمدي على تطبيق مذهبهم
 بوجود الاكوان على الدين ولو على قول خلاف الجمهور وان
 ٢٩٤ { ذلك يكفي بنجائهم

{ بيان ان المسلمين كان يكفيهم الاعتقاد بوجود عوالم الارض
 على اي طريقة من الخلق او النشو ما دام الكل بخلق الله تعالى
 ٢٩٦ { لولا ان نصوص شريعتهم تدل ظواهرها على طريق الخلق وان
 { تلك النصوص لم يقد دليل قاطع يلجئ الى تأويلها

{ بيان انه يمكن للماديين اذا قام دليل قاطع على قوهم بالنشو واعتنقوا
 ٣٠١ { الدين ان يطبقوا تلك النصوص على ما قام عندهم

الكلام على ما ورد من النصوص الدالة على ان الانسان خلق
مستقلاً لا ناتئاً عن غيره وبيان ان المسلمين لا يلزمهم تأويل
هذه النصوص ما دام انه لم يقم دليل قاطع على خلافها

٣٠١

دلالة الطبيعيين بعد اعتقادهم بالدين الاسلامي على تطبيق
مذهبهم بنسوء الانسان على النصوص الشرعية اذا قامت عندهم
ادلة قطعية وبيان جواز اعتمادهم على قول بعض علماء الاسلام
في المخلوق الذي خلق فيه الانسان الاول والجنة التي اسكن فيها
وخلق زوجته منه

٣٠٥

بيان انه لا يعبر بالادلة الظنية في جانب النصوص الشرعية والآ
لاوجب ذلك اختباطاً في الاعتقاد

٣٠٧

بيان ان ادلة الماديين على النسوء ظنية وسرد اشهر ادلتهم على ذلك
بيان النواميس الاربعة التي اعتمدها الطبيعيون في توجيه
النسوء هي دموس الوراثة والنباينات وتنازع البقا والانتخاب
الطبيعي

٣١٠

٣١١

ابطال استدلال الطبيعيين على النسوء بالاعضاء الاثرية

٣١٣

ابطال استدلالهم عليه بالاكشافات الجياوجية

٣١٦

بيان ان النواميس الاربعة يمكن وجودها مع ان الله تعالى اوجد
العالم على طريق الخلق وبيان حكمة التباينات في المخلوقات

٣١٨

بيان ما يدل على ان الانسان لم يشتق هو والقرد من اصل واحد
بما يخلق عليه من الضعف والبلادة ثم يترقى الى القوة والفهم
الى درجة سامية بخلاف القرد وبقيّة الحيوانات

٣٢٥

تسرع في التوفيق بين ما ورد في الشريعة وقبره
 حقيقة الحياة وعقل الانسان وان عتد لا ينحرف عنه
 لا في كم } ٣٣٨

تسرع في الكلام على بقية المسائل التي ذكرها
 الشريعة المحمدية وبيان ان وجود السموات والارض
 والجنة والنار والارضين السبع لا ينافي
 الاكتسابات العقلية مع بيان حاشي للمسلسلين على } ٣٣٣

بيان ان وجود الالهة وجن وقته وهم على الله
 العنصرية مع الاحتجاب على الابصار وملئهم انهموا
 العقل وانه نظائر في عالم الطبيعيات } ٣٣٦

بيان ان وجود الروح وحصول البعث ودخول دار
 ينافي العقل } ٣٤١

الكلام على البعث وكيفية اعتقاده في الشريعة ودفع
 الواردة عليه من جانب الفلاسفة } ٣٤٣

الكلام على الاجزاء الاصلية والاجزاء الفضلية
 وتوجيه كيفية البعث عليهما } ٣٤٤

استدلال الرازي على ان الانسان غير تدك الب
 القلب } ٣٤٦

الكلام على تفسير آية اخذ العبد على ذرية آدم
 اخراجهم من ظهره وكيفيته } ٣٤٨

{ قول الامام ابي طاهر صاحب سراج العتول في رد شبهة البعث
 بان الذرة التي اخذ عليها العهد هي التي يرد اليها الروح ثم ينضم
 اليها سائر الاجزاء العقلية ونقرر هذا المقام على ما تقدم باحتمال
 ان الله تعالى كون الروح من اجزاء فردة وكون الذرات كذلك
 ووضعها في ظهر آدم الى نهاية التقرير بدفع الشبه والاستدلال
 على تقريب ذلك بعبارات فائولوجية

٣٥٠

{ بيان ان الدين الاسلامي لا يكلف اتباعه بذلك التفصيل المتقدم
 باعتماد حقيقة الروح والبعث وانما ذاك التفصيل لاقتناع الخصم
 بانه يمكن توجيه ذلك على قانون العقل ويكفي في الاعتقاد
 بالاجمال على وجه لا يستلزم محالاً

٣٦٠

ايراد ادلة عقلية على حصول البعث تطمين بها القلوب

٣٦٢

بيان ان مذهب المناديين بانكار البعث شر لا يماثله شر

٣٦٦

الكلام على مسألة نزول المطر من السماء وتطبيقها على العقل

٣٦٩

احالة لعالم المحمدي للطبيعيين في التوفيق بين الشرع والعقل

على سؤال العلماء اهل الذكر والمعرفة من المسلمين وتحذيرهم

٣٧١

من مذاكرة الجهلاء

{ حكاية ما سمع عن بعض الصغفاء من قول لا يجوز في الدين

الاسلامي الاعتقاد بوجود اميريكالان وجودها يستلزم اعتقاد

٣٧٢

كروية الارض وتنزيه الدين الاسلامي عن مثل هذه المكابرة

{ في المحسوس وانه يمكن القول بالكروية مع عدم مخالفة للدين

{ اقتناع الطائفة الطبيعية بالدين الاسلامي ودخولهم فيه والله على

٣٧٣

{ كل شيء قدير

- ذكر من اخذت به عزة النفس عن الاقرار بتصاديقه عليه السلام
واخذوا يوردون الشبه على طوائف الذين اتبعوه وردت
الطوائف لشبههم } ٣٧٤
- شبهتهم على المصدقين بسبب العجز عن معارضة قرآن ورد
الشبهة } ٣٧٦
- شبهتهم على المصدقين بسبب ما احتوى عليه قرآن من الحفـ
او بسبب انتظام حال الشريعة ورد شبهة وفيه اثبات اميته عليه
السلام ودفع تهمة تعلمه من غيره كجيرا او سلمان الفارسي
شبهتهم على المصدقين بسبب اعتبار احوال ثلاث طوائف ورد
الشبهة } ٣٨٥
- شبهتهم على المصدقين بسبب خوارق العادات ورد الشبهة ودفع
تهمة السحر عنه عليه السلام } ٣٨٨
- شبهتهم على المصدقين بسبب انطباق العلامات عليه ورد الشبهة
شبهتهم على المصدقين بسبب توفيق الادلة على صدقه ورد الشبهة
وفيه بيان ان المجموع حكما ليس لكل فرد } ٣٩٣
- شبهتهم على الذين كانوا ماديين ثم صدقوا باقتناع العامة المحمدي
ورد الشبهة } ٣٩٧
- ذكر طائفة كانت خامدة الافكار واحسرت على التكذيب وبيان
انهم لا يعذرون كي لا يعذر المتساهل في تركه تعلم الاحكام الدينية
بيان انه عليه السلام لم يترك الموعظة واقامة البرهان للمخالفين
حتى ايسر العقول من ايمانهم في ذلك فشرع الله تعالى الجهاد
وبيان ان الجهاد في شريعته عدل وانه احتوى على تخفيفات
كثيرة لم تكن في الشرائع المتقدمة } ٤٠٢

- ٤٠٤ { تشبهه من انكر مشروعية الجهاد ثم بمقابلته بينه وبين جهاد الشرائع
المتقدمة اقر باستحسانه وانه عادل ونقل نصوص الكتب المتقدمة
في الجهاد
- ٤٠٨ { بيان ان الله تعالى من عادته انه قد يعاقب الكفار والعصاة في
لدينا والاحرة فلا مانع من مشروعية الجهاد
- ٤١٠ { تشبه من ظن ان الدين الاسلامي لم يتم الا بالسيف وردھا
وبان كثرة من اسلم قبل مشروعية الجهاد
- ٤١٣ { تشبه من ذم الاسترقاق في الدين وردھا بانه مستحسن بل قد
يكون نافع للرقيق وبيان ما راعته الشريعة في تحقه
- ٤١٦ { وما يالشرية بالاحسان الى الرقيق ومساواته بالمعيشة وترغيبها
في تحريرہ وبيان ما شرعيه من الوسائل لتحريره وتقصير مدة
لاسترقاق وما جعلته من الوصلة بين الرقيق وسيدہ كوصلة النسب
- ٤٢٢ { بيان سلوك اهل الشريعة طرائق كثيرة في الاحسان الى الرقيق
و يقاب نعم اليه لولا الرق ما كان ينالها
- ٤٢٣ { دفع تشبه بوجود البعض ممن يعامل الرقيق بالقسوة وبيان ان
ذات الامر لا حكم له وان ما يوجد في بعض الممالك غير مملكة
الاسلام هو من النطاعة بكان
- ٤٢٤ { نقل نصوص من العهد العتيق والعهد الجديد على مشروعية
لاسترقاق وتقريره في الشرائع المتقدمة
- ٤٢٧ { كيفية معاملة اهل الذمة في الشريعة المحمدية وما يجب من
حمايتهم والحفاضة عليهم
- ٤٢٨ { حكم من بقي مصرًا على المخالفة وتحصنهم من المسلمين وحكم
مناقضين واقسامهم وعلامة النفاق

حكمة انتقاه عليه السلام اورد رالت عدم تم
فحسه الصديق رضي الله تعالى عنه من انتارة ا
وحروحه عليه السلام من لذياعلى ما ودع في قنو
الحمة والتعطى

٤٢٩

الحاتمة في بيان ان ما حد الدين المحمدي من القم
والاحراع والاحتاد وتروط الاجتهاد المنطلق

٤٣١

بيان احلاف مذاهب الاسلامية في امرى وان
وبقاء المذاهب الاربعة وبيان ناتباعهم لا يعتقد
الا الخير

٤٣٦

بيان قول علماء الحنفية بسد باب الاجتهاد من عد
ومحاطة الدوه العتريية ايدها الله تعالى على تنفيذ
ذلك عين الحكمة سدا لب الاحتياط في الدين

٤٣٨

الاستدلال على سد باب الاجتهاد ونقل كلام
المدخل تايعيد ذلك ويهد الكلام على مقتى القر
بتهادة الرسول عليه السلام

٤٣٨

دفع كلام بعض المتلبسين بمتعصب العلم ان الاوى
القرآن وترك الاحد بالاحديث ورد شبهتين له

٤٤٧

التنبية على ملاحظات يراعيها مطاع الرسالة وتم
بعقيدته التي يرجو من فصله تعالى ان يلقى الله تع

٤٥٤

تصحیح وجد بعض اغلاط جزئیہ لا تخلو عنها المطبوعات
امدرك ولكن تسهيلات الامروضع لها هذا الجدول في الخطأ
اب ومن اصل نسخته بحسبه فله من الله تعالى الاجر

صواب	خطاء	سطر	فہ
تتمت	تتمت	۱۸	
محمد	محمد	۵۰	
يخبر	يخبر	۱۳	
التصرف	تصرف	۳	
وتولية	ولوليته	۷	
اشارة الى تطهير الباطن	اشارة الباطن	۷	
زوجته	زوجه	۶	
الآمن من ضرر	الآمن ضرر	۶	
بازهاق	ياذهاق	۱۱	
واستغاثوا	واسيغاثوا	۰۸	
نكاحهن	نكاحهم	۰۱	
ها	هـ	۱۶	

صحيحة	سطر	خطاء	صواب
١٢٩	١٧	بعد	بعض
١٣٧	٠٦	مستقبالة	مستقلة
١٣٧	١٢	محمد	محمد
١٤٠	١٨	باعتقدون	يعتقدون
١٤٢	٠٧	خجة	حجة
١٥٧	٠٤	انوع	انواع
١٦١	٠٧	منها	منه
١٦٧	١١	ووجود	ووجوده
١٨٢	٠٨	لانه	لان
١٨٢	٠٨	يجوز على اخر	جاز على الاخر
١٨٤	٠٨	تدعو	تدعوا
١٨٦	٠٦	ثبت	تثبت
١٨٨	٠١	المتفرد	المنفرد
٢١٢	٠٤	كدرا	كدار
٢١٣	٠٢	جمد	خمد
٢١٤	٠٤	باش	باس
٢١٨	٠٧	جزوره	جذوره

صواب	خطاء	سطر
النبات	البنات	٠٧
الجزور	الجزور	٠٨
كلا	كن	٠١
المخرج	المخرج	١٣
الطبقات	الصبغات	٠٩
حجمها	خجمها	٠٥
عبرة	عبرة	٠٥
والفونغرافية	والفونغرافية	١٤
هذا وجميع	هذا جميع	١٠
تولد	توالد	٠٧٠
وما يكون	يكون	١٦
وعادت	وعادة	١٧
من ان الله	من الله	٠٥
على	اعلى	٠٩
العالم	العالم	١٦
ينشأ	يشأ	٠٩
ينشأ	ينشو	١٣

صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٣٦٨	١٠	مسلوع	ماسوع
٤٠١	٠٩	للبحر	البحر
٤٣٧	٠٧	بقت	بقيت
٤٣٨	٠٦	اركي	اذكي

بقي بعض اغلاط مثل نقص او زيادة في نقط او تحريف بعض
الحروف او نمو ذلك لا تخفى على فطنة القاري والله الهادي



طبع برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجامعة سنة ١٣٠٥ بتاريخ
تشرين ثاني سنة ١٣٠٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسول الله وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فيقول الفقير الى
عفو مولاه حسين بن محمد الجسر الطرابلسي انني في هذا الاثناء
وجدت في جرائد بلادنا الشامية بعض مقالات مترجمة عن جرائد
اورباوية منسوبة لبعض احبار الانكليز المدعوا سحاق طيار قد
حاول فيها التوفيق بين معتقد الاسلام ومعتقد المسيحيين واتامة
الدلائل على ثقتار بهما وتشابه كتبهما وان الاختلاف بين الطائفتين
ليس الا في امور غير جوهرية وذكر في احدى تلك المقالات
انه اتى البلاد المصرية لمخالطة الاسلام واستكشاف حقيقة دينهم
لباوغ هذه الغاية وكلامه وان كان صريحاً بهذا المقصد ولكنه
يشف عن استحسان الدين الاسلامي ويرنو الى دفع اعتراضات
يوردها بعض احبار بلاده على المسلمين فيعارضهم بورود امثالها
عليهم ويدعوهم للنصفة ولاعتبار الدين الاسلامي اول مساعد على
تمدن الامم المتوحشة التي يدعون حرصهم على تمدنها مستدلأ بانو

الذي شوهه في افرقيا ان تلك الامم هناك اسرع قبولاً للدين
الاسلامي من سواه وهو افعال في تهذيب اخلاقهم وتعزز انفسهم
من كل ما عداه وما ذاك الا لمطابقته اصريح العقول وسهولة فهمه
عليها وقد استمر هناك في هذه السنين انتشاراً غريباً مع عدم
المبشرين به والداعين اليه ومع ذلك كله فالناظر في كلام هذا
القس لا يقطع بحقيقة مقصده وان كان يقتل للفكران بحته في هذا
الشان للتوصل الى كشف الحقيقة لبني جلدته واقناعهم بالصواب
اعانه الله تعالى على عمله الذي يرضى الله تعالى وبأغله مقصده فيه
وبلغني ايضاً من بعضاً آخر من رجال الانكليز المتضامين في
اللغات والافرن قد سعى هذه الايام ببناء معبد للاسلام في البلاد
الانكليزية وانه يباشر هناك بنشر جريدة عربية ليكون جل
مقصدها البحث عن حقيقة الدين الاسلامي واشهار فضائله لدى
غير المعارفين بها وقد رغب هذا الرجل بواسطة احد اذكيا
المسيحيين اللبنانيين الموجود الآن في لندن من بعض فضلاء بلدتنا
ان تقدم بعض مقالات للجريدة المذكورة في هذا البحث الرفيع
وفقه الله لما فيه خير العالم الانساني وما يرضى مولانا جل وعلا
وقد خطر لي حيث وجدت مجالاً للكلام وسميماً للنداء ان احرر
رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامي وكيفية تحققه لمتبعيه

على اسلوب جديد سهل الفهم لا تله الا نفس ولا تستوعره الا ذكرا
يروق العقول الحرة ويعجب الاذهان المطابقة عن قيود التعصب
ان شاء الله تعالى وحيث ان الحامي الدين الاسلامي والمؤيد
لشعائره والمحافظ على اوامره هو حضرة مولانا امير المؤمنين
وخليفة رب العالمين حامي حى الاسلام ومسيد اركان شريعة
المصطفى عليه الصلاة والسلام السلطان الاعظم والحقان الافخم
السلطان بن السلطان السلطان (الغازي عبد الحميد خان) بن
السلطان الغازي عبد المجيد خان ادام الله ايامه ونصر اعلامه
وامده بالامدادات الالهية والتوفيقات الصمدانية فكان من كمال
حظ هذه الرسالة وطالع سعدا الاكبر ان تكون لاسمه الكريم
منسوبة وفي صحائف حسناته مكتوبة اذ هي حسنة من حسنات
عصره السعيد وقطرة من بحار تقدم رعاياه في منهج المعرفة
والتسديد فسميتها (الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية
بحقبة الشريعة المحمدية) فاسأل الله تعالى التوفيق لطرق
لصواب وهداية قلوب ذوى الالباب للنظر في عاقبة يوم المآب
نه قريب محيب وهذا اوان الشروع بالمقصود بهون الملك المعبود
فانقول قام رجل بين جماهير بلدة وهو من اول اشأته قد
عرف بينهم بالصدق والامانة ولم يعهد عليه تروير ولا احتيال

باطل كما انه معروف لهم بانه حي لا يقرأ ولا يكتب فضلاً عن
اقتدائه على تقليد خط سواه ولم يسبق له معاناة بوضع قوانين
الملوك ونظامات الامم المتكفلة بصالح الرعايا فنادى اعلی -وته
بين اولئك الجبابير وقال يا ايها الناس اني رسول ملككم اليكم
امرني من ابايكم رسالته وشرح لكم قوانينه التي سنها لكم الان وهو
يامركم بالسير على مقتضاها والعمل بفحواها وقد كان فيما مضى
من الزمان ارسل اليكم رسلاً غبري بلغوكم عنه قوانين كنت
مناسبة لذلك الزمان الماضي فالآن يامرکم بترك كثير من تلك
القوانين القديمة حيث ان الزمان الذي كان يناسبها وتناسبه قد
انقضى ويوجب عليكم اتباع هذه القوانين الجديدة التي ارسلني
بها كما يوجب عليكم ان تهجروا العوائد التي اخذتموها عن اسلافكم
او ابتدعتموها باهوائكم لم يكن امرکم بها وقتاً من الاوقات وانما هي
عادات قبيحة يا باها العقل ويمجها الطبع وترجع عليكم بالضرر
وكثير منها هول نعم الملك كفران وعلى ضعفاء رعيته عدوان فعليكم
بتصديقي وسلوك طريقي حتى ابين لكم ما يرضى الملك وما يغضبه
فاجابوه باجمعهم وقب الواله مهلاً ايها المدعي مقاماً عظيماً ومنصباً
جسيماً لقد كافتكم بدعواك هذه سلوك طريق يصعب علينا سلوكه
وتبفر منه نفوسنا وتشمأز عقولنا وتضطرب من تصور احتماله

افكارنا الا اذا تحققنا ان ما كننا المصدق علينا النعم والمنة أسر
ارواحنا بالكرم هو يأمرنا به ويرضاه لنا فاننا حينئذ لا نسمعنا الا
الانقياد والتسليم اليك والتصديق برسائك والافبال على
اطاعتك لما لم يكننا علينا من الامر النافذ والساطان القاهر واعلمنا
انه لا يختار لنا الا ما فيه صلاحنا حساً ومهني فمهل الصمعة دعواك
من برهان وهل معك دليل يصددنا الى الخضوع لك والايان
فقال ذلك الرجل نعم يا ذوي الالباب وهن ياتيكم باله قل
التصديق بدعوى الابدال المرشد الى ادواب ان هي كتاباً من
الملك بخطه وختمه وانشائه المداومة لديكم بقول فيه ان فلاناً وهو
انا حامل كتابي هذا المتخلي بالعلامات الفلانية الظاهرة فيه للاميان
هو صادق في كل ما يباغكم عني وهو رسولي اليكم اشرح لكم
القوانين التي سننتها لكم لتعود بالنفع عليكم فامتثلوا او امره واجتنبوا
نواهيها فقالوا له ابرز لنا هذا الكتاب الذي تدعيه حتى يتميز
الصدق من المين وتزاح الشبهة من البين فحيثئذ ابرز لهم كتاباً
والقاء بين ايديهم واجتمع للنظر فيه قاصيم ودائهم فنظروا
باجمعهم فيه وقرأوه وفهموا معانيه فاذا هو طبق ما الرجل يدعيه
مشمتم على خطاب الملك لاولئك الجماهير بان هذا الرجل
الحامل كتابي المتخلي بالعلامات الفلانية الظاهرة فيه هو رسولي

اليكم وهو صادق فيما يبالغكم عني من دقيق وجليل فامثلوا اوامره
واجتنبوا نراهيه وخدموا عنه التواين التي سننتها لكم الى آخر ما
ادعى ذلك الرجل من طوائفه التي فوضها الملك اليه وقد كان
اولئك الجمماهير في قوة المدارك ومعرفة طرق الاستدلال متفارتين
ومتارقين عدة طوائف اذ من المعلوم ان العلم لا يوجد جميعه عند
واحد ولكنه يوجد عند الجميع

(طوائفة) منهم كانوا يعرفون خط الملك حق المعرفة ولا
يشتهبون فيه ويعلمون انه لا يتلد فعند ما نظروا ذلك الكتاب
قالوا هذا خط ملكنا فهذا كتابه بلا ارباب ففمن قد اذعنا لما فيه
وصدقنا هذا الرجل فيما يدعيه

وطائفة منهم كانوا يعرفون ختم الملك اتم المعرفة ويعلمون
انه لا يقلد ايضاً فحينما نظروا اليه قالوا هذا ختم ملكنا الذي
لا يقبل التزوير ففمن ايضاً قد صدقنا هذا الرجل بلا تكبر
وطائفة منهم كانوا يعرفون انشاء الملك واساليبه الماوية
وخطاباته السطانية التي يقصر عن بلاغتها سواء فقالوا نعم ان
انشاء هذا الكتاب هو انشاء ماكننا المعلوم لنا اختصاصه به وهذا
الخطاب خطابه الذي نعهد منه في مخاطباته رعاياه ففمن ايضاً قد
صدقنا هذا الرجل فيما ادعاه

وطائفة منهم لم يكونوا يسرفون شيئاً من الأقدم ولكن كثيراً
يعرفون ان عند الملك انواعاً من التحف والذخائر التي لا يرجع
عند سواه من اكبر الاغنياء واعظم الملوك فتداولوا ذلك الرجل
ان برهان صدقك عندنا ان تحضرنا من عند الملك الخليفة
الفلانية والخليفة الفلانية من تلك التحف الخفية ليقرب منه فعمل منهم
افعل ان شاء الله تعالى وبعد مدة وجرزة احضر طائفة من
ونظروا اليه وتحققوه وهم يعلمون انه لا يمكن حضاره الا بذن
الملك وارادته اذ هو محصن بمنزلة شايبة المحصنين فعند ذلك
صدقوا ذلك الرجل في دعواه على اكل وجهه .

وطائفة منهم قالوا ان ما كنا كان فيما مضى من زمن قد ارسل
لنا رسالاً واصحابهم بقوانين تناسب ذلك الوقت وتكوني احنياجاته
وقد برهنوا على ارسال الملك اياهم بما ثبت دعواهم وكانوا يقولون
لنا ان الملك مزمع على ارسال رسول اليكم ياتي بعد زمان من
ايامنا هذه ويصحبه بقوانين تنكفل باصلاح شؤنكم وتناسب
الزمان الذي يرسله فيه وتقوم باحنياجاته وان ذلك الرسول
توجد فيه علامات هي كذا وكذا وذكرنا لنا علامات كثيرة
لا يصدق العقل بوجودها باجمعها في شخصين فمن الناس من
فيما جاء به هذا الرجل وادعى انه من عند الملك فمن كان

موافقا لما قاله اولئك الرسل ووجد فيه تلك العلامات التي
ذكروها لنا نعلم انه صادق فيما يدعيه وان كان الامر بخلاف ذلك
رغضنا دعواه بلا ارتياب فعندما اتوا قوانينه التي يدعي انه
مرسل بنا وجدوها طبق ما اخبرتهم به الرسل المتقدمون وبحثوا
عن العلامات التي قالوا انها توجد فيه فوجدوها موجودة ظاهرة
فيه بلا تمويه فعند ذلك صدقوه بدعواه ايضا واتبعوه اكمل
الاتباع

وطائفة منهم قالوا الاحوط ان تروى وننظر فيما يامرنا
به ذلك الرجل وما ينهنا عنه وفي تلك القوانين التي يدعي انها
من عند الملك فان كان يامرنا بما نعهده مطابقا لرضى ما كنا ويناها
عما نعهده خلاف رضاه وراينا القوانين التي جاء بها هي طبق
ما نعهده ايضا من قوانين الملك متكفله بخير الوطن رافعة عن
الناس شرور المحن لاسيما اذا رأينا ذلك الرجل لا يامر بشيء يعود
عليه بعالم خاص به بل مطالبه عائدة بالنفع العام لجميع الشعب
نعلم انه صادق في دعواه وان كان الامر خلاف ذلك كله نعلم انه
كاذب بمدهاه فعندما نظروا الى اوامره وجدوها طبق ما
يعهدونه مرضيا لملكهم وراوا قوانينه كذلك متكفلة بخير البلاد
ونجاح العباد ورفع الفساد ولاصالح له خصوصي في كل ما يامر به

وينهى بل هو مشتمل على ما يجلب الخير ويدفع الضرر مجموعا على
تعليمهم شكر الملك على انعاماته عليهم وبالحقيقة ذلك لشكر
عائد بالمنافع اليهم فعند ذلك جزموا بصدق ذلك الرجل بما
يدعيه وخضعوا له اتم الخضوع

وطائفة منهم قالوا لاشك ان جميع ما يدعيه هذا الرجل
بيننا وما يشره من القوانين وما هو عازم على اجرائه من التصرف
باحوال من يتبعونه من رعية ملكنا لا بد ان يعلم به ما كنا ومن
الحال ان لا يعلمه لظهوره علنا بين الخاص والعام ومثل ذلك لا يتم
كتماننا واء عن اقصى البلاد فان كنت دعواه صحيحة اقره
الملك على اعماله ولم يرسل اليه من يكذبه ويقبض عليه وعلى
من يتبعه ويعاقبهم اشد العقاب وان كان كاذبا في دعواه ضرورا على
الملك خطه وخنمه ومتلعبا في رعيته حسب هواه فلا شك ان
الملك في اسرع وقت بعد ما يعلم خبره يرسل من يكذبه بمدعاه
ويقبض عليه وعلى اتباعه وينزل بهم النكال الشديد لان هذا
الاقترا لا يكون حقيرا عند ملكنا الحكيم الحازم بل هو امر من
اعظم الامور يستحيل ان يعفو عنه او يتساهل فيه فصبر اولئك
القوم مدة من الزمان كافية لان يعلم الملك خبر ذلك الرجل
ومضت الليالي والايام التي لا يصدق العقل معها انه يخفى على

الملك خبره ومع ذلك لم يرد من جانب الملك من يكذب ذلك الرجل ويقبض عليه وعلى من يتبعه وينزل بهم النكل وينع الناس عن العمل بقوانينه التي شرها بينهم في جميع الشؤون والاحوال بل لم يزل ذلك الرجل يزداد اتباعاً يوماً ف يوماً ويعلو شأنه حيناً فحيناً فعند ذلك جزم أولئك الطائفة بصدق ذلك الرجل واتبعوه أكمل الاتباع

وطائفة منهم لم تسبق افكارهم الى تلك الأدلة التي وصات اليها افكار أولئك الطوائف السابقة وإنما ناملوا في شأن هذا الرجل وفي متابعة أولئك الطوائف له وفي الرجوع والدلائل التي حماهم على تصديقه والتسليم اليه فقالوا أن هؤلاء الاقوام الذين اتبعوا هذا الرجل لأشك انهم عقلاء واصحاب اراء سديدة ومستعدون للاستدلال على الحقائق والتوصل للصواب ونراهم قد تركوا عوائدهم المألوفة لهم والموروثة عن آبائهم وهجروا أكثر قوانين ملكهم التي كان قد سنّها في الزمان الماضي كل ذلك بسبب تصديقهم هذا الرجل ولا شك ان هجر مثل تلك العوائد المذكورة يصعب عليهم جداً وانهم يعلمون قطعاً ان تركهم لكثير من القوانين التي كن سنّها لهم الملك ان لم يكن باعره ورضاه يستحقون انتقامه الشديد فتصدقهم هذا الرجل لابد ان يكون ناشئاً عن

تحرير ادلتهم التي اعتمدوها في تصديقه ولولا انها اداة ناطقة
اوصلتهم الى الصواب لما كانوا جروا بمقتضاها ولما شجروا مألوسهم
وتعرضوا للانتقام ملكهم ولما كانت عقولهم السليمة تمنعهم ان
يقدموا هذا الاقدام ويخاطروا هذه المخاطرة اعتماداً على دليل
ضعيف او هوى نفس وخيم العاقبة فاتفقوا جميعاً على تصديق هذا
الرجل مع تنوع ادلتهم لاشك انه حجة اخرى مستقلة تثبت دعواه
اذ ان من المحل الذي لا يصدق العقل ان يكون ذلك الاتفاق
من اولئك القوم العقلاء وتوفر تلك الادلة التي وضعت لهم
حاصلاً بوجه الصدفة ولا يقول بالصدفة في ذلك الا مكابر ففحن
اعتماداً على جميع ما تقرر لدينا على هذا الوجه المشروح وهو اتفاق
هؤلاء الجماهير بهذه الكيفية التي لا تكون بوجه الصدفة ولا تأساً
الا عن تثبت وتحقيق تام من اولئك العقلاء قد صدقنا هذا
الرجل فيما يدعيه وامثلنا جميع ما يامرنا به مقرين بابه رسول
ملكنا بلا اشتباه

وطائفة منهم كانوا ممن اغفلهم امر معاشهم واستغراقهم في
لذاتهم فهم لا يعلمون ان للناس ملكاً متولياً عليهم وان حقيقة
انه كبير له السلطة التامة على شؤون جميع الناس بحيث يتصرف
في احوالهم بموجب العدل حتى يمكنه ان يجمع الاموال الكثيرة

منهم اني لايتوفر جمعها لغيره وانه يمكنه ان يقتنى التحف الفاخرة
التي يمتنع على سواه ان يقتنيها لانفراده بانقياد الناس اليه مادة
وادباً فيمكنه جمع قواهم الحسية والمعنوية الى قوته فيبلغ بذلك
مالا يبلغه غيره وكانوا ايضا من غفاتهم يظنون ايضا ان امور
الناس ومجربى احوالهم ومعاملاتهم تقتضى القوانين التي بين
ايديهم كل ذلك ليس بتدبير ملك واختيار متصرف متسلط
بل يتوهمون ان ذلك جميعه جار على طريق الاعتياد ومقتضى
تقلبات الزمان وطوارق الحدثان حتى صار ذلك ناموساً مألوفاً
جارياً بلا تخاف الفتنة الطباع وخلافه عندها لا يستطيع فهم
بالاخرى ان لا يعرفوا رسالاً للملك وكيفية ارسالهم ووضع القوانين
من جانب الملك وانها باختياريه وان امة تبديها بسيواها فهو لاء القوم
لما سمعوا دعوى ذلك الرجل التي ادعاهها في بلدتهم على رؤس
الاشهاد ونظروا الى شرئ اولئك الطوائف معه وانهم كذبوه
اولاً وحاوروه ثم انقادوا اليه وصدقوه تنبئت افكارهم
واستيقظت البائهم ومن يسمع يخل فقال بعضهم لبعض ان
هذا الامر مهم جداً فان كان يوجد للناس ملك متسلط عليهم
غاية التسلط وشأنه في تلك السلطة ان يتصرف في احوالهم وان
يجمع اليه قواهم ويتحلى بغناهم وهو الان مرسل هذا الرجل ويامرنا

باتباعه وبقينا نحن في غفلتنا هذه لا نمتثل له امرًا ولا رفعًا
ذكرًا فلا شك ان عاقبتنا تكون وحيمة علينا اد لا بد ان هذا
الرجل يبالغه حقيقة حالنا وعدم التفاتنا اليه فيتم ما استدالا تقام
ولا يعذرنا بجهلنا وغفلتنا عن ساطع الصواب لنا ان نامل في
كلام هذا الرجل ودعواه وفي شؤون هؤلاء الجماهير الذين
خالفوه ثم اتبعوه حتى نتوصل الى حقيقة الحال أهو صادق فستبعه
ام كاذب وبالكذب نصده فآخذوا يتأملون في ذلك مع كمال
التحري واتم البحت فبعد تأملهم الصحيح وتحريهم الكامل وبمجرد
التام عن حقيقة الصواب نتج لهم ما ملئناه اننا وان كنا لا نرب ان
في الكون ملكا ولا نعرف خطه ولا ختمه ولا انشاء ولا تدمير
قوانينه حتى نقابل بها ما جاء به هذا الرجل ولا نعرف احصاء
الرسائل المتقدمين في شأنه ولا العلامات التي علموه بها فلا اتل من اننا
نعتبر شهادة هؤلاء الجماهير الكثيرة الذين قالوا انهم يعرفون تلك
الامور جميعها ويتحققونها وقد اتخذوها عمدتهم في تصديق هذا الرجل
وسلوكم في سبيل يصعب عليهم سلوكه لولا تيقنهم بصدقه
فاتفاقهم على ذلك وهم عقلاء وتصريحهم بشهادتهم انهم يعرفون
تلك الادلة ولا يرتابون فيها وانها كافية للتصديق وسلوك هذا
الطريق الذي فارقوا فيه ما ألوفاتهم وبعض ما امرهم به الكبير

الذي دعوه باسم الملك هو دليل لنا كاف على صدق هذا الرجل
فيما يدعيه فان ذلك كله لا يكون استثناء بطريق الصدفة او عن
عبث او هوى نفس او مداينة تحمل اوائك الاقوام على الامر
الخطير واذا اهملنا هذا الاستدلال وقطعنا النظر عن تهادة
هؤلاء الاقوام في شان هذا الرجل وعن جميع ما اجره معه فلا
يمكننا ان نهمل النظر فيما احضره من التحف الماخرة التي طلبت
منه وشهد له طلابها بانها من عند الملك ولا توجد عند سواه ولا
يمكن احضارها الا باده ونحن كذلك نرى انه ليس من شأن هذا
الرجل قطعياً ان يوجد عنده مثل هذه التحف بل بمقتضى شأنه
وعزته وقلة امثاله تجزم عقولنا بانها لا توجد الا عند من له الساطعة
القائمة والتصرف المطلق في اموال الناس قادر على جمع قواهم الحسية
والمعنوية الى قوته حتى تبلغ درجة يمكنه معها ان يقتني مثل هذه
التحف النفيسة فاحضار هذا الرجل لها عندما طلبت منه هو
دليل كاف على وجود كبير متصف بتلك الصفات السامية
يسمى ملكاً وانه هو الذي ارسل ذلك الرجل الينا وصدقه في
دعواه بتسليمه له تلك التحف عندما طلبت منه فاعتماداً على
ذلك كله قد جزمنا نحن بوجود ملك للناس وبارساله هذا الرجل
الينا وخضعنا له اتم الخضوع وانقدنا اليه كامل الانقياد

هذا وقد كان يوجد بين اهل تلك البلدة من كل طائفة من الطوائف المتقدمة اساس اخذتهم عزة النفس وعثر الالفه ولت هالك على ما اعتادوا عليه موروثة عن ابايهم فتصوروا ان هذا الرجل اذا سلمنا له دعواه فلا بد ان يصير هو الامر علينا ونحن الامرين له وكثير منهم قد كانوا امراء بين اقوامهم متميزين على اقربائهم فصعب عليهم تصديقه والخضوع له بسبب تلك اوسوس واصرروا على تكذيبه ظاهراً وقلوبهم مملوءة بتصديقه واكنما غلب هواهم العاجل على عقولهم وهان عليهم انتقام الملك الآجل بما سكنت اليه نفوسهم من اختيارها الباطل وهكذا يوجد من الحمقة من تراه عند انفعالاته النفسية من نحو عزة النفس او الغضب او الغيرة او التعصب الباطل يغمص الحق وينصر البطل ويهون عليه الخطر العظيم ثم يندم بعد ذلك حين لا ينفعه المدد ثم اخذ اولئك المعاندون يؤولون كل دليل من الادلة التي اعتمد عليها سواهم من اولئك الجماهير بتاويلات واهية وتمحلات سافطة ويصرفون كلا منها عن دلالة بطرائق فاسدة لا يقبلها صريح العقل ولا يشهد بها الضمير الحر وتارة يغلطون اولئك الاقوام في استدلالهم بغير سند يعتمد عليه وغفلوا عن اسر لا يغفل عنه الا البليد الجاهل بطرق الاستدلال ولا ينكره الا متجاهل مكابر

يدعى جواز وقوع المحال وهو انه لو سلم لهم بالفرض ومجارة
الخصم تأويل كل دليل على حدته لا يسلم العقل السليم والضمير
الحرة بطريق الصدفة قد توفرت تلك الدلائل لتصدق ذلك
الرجل ونيسر له ان يصورها مع فسادها بصور الادلة الصحيحة
ويموهها على اوائك الجماهير حتى اقنع افكارهم بتصدية واخرجهم
عما افوه الى غير ما افوه على ان بعض تلك الدلائل لم يكن ذلك
الرجل مقيماً لها عليهم ولا ساعياً بتدوينها لديهم وانما اوصاتهم اليها
عقولهم بعد التأمل والاستبصار ولا صنع له فيها البتة ووجود
العلامات التي قالت الرسل قبله انها توجد فيه لا يصدق العقل
ايضاً ان يكون في قدرته احداثها في نفسه واحواله وقد جهل
هؤلاء المولون ان الاشياء المجتمعة لها حكم غير حكم كل فرد منها
على انفراده فابا من القوة ما ليس له وهذا بمسلم في المحسوسات
والمعقولات فشهادة الفرد غير شهادة الافراد الكثيرة المجتمعة
وهذه تفيد ما لا تفيده الاولى وتعطى من القوة ما لا تعطيه
وكذلك الادلة الكثيرة المجتمعة على نتيجة واحدة تقنع الضمير
وتبعده عن الركون للتاويل ما لا يفعله الدليل الواحد والدليلان
فاذا سلمنا ان ذلك الرجل تيسر له تقليد خط الملك فكيف
يصدق العقل انه مع ذلك تيسر له تقليد ختمه واشائه وموافقة

القوانين التي سنها الملك سابقاً واحضاره التيف التي لا توجد الا
عند الملك ولا يمكن احضارها الا ارادته وكيف اتفق مع ذلك
ان توجد فيه العلامات التي كانت الرسل المتقدمون ذكرها
توجد في الرسول الذي في عزم الملك ان يرسله بعبد حبن وكيف
خفي ايضاً امر دعواه على الملك بعد اتاعته في البلدة ومريه مائة
كافية لبلوغ خبره للملك ولم يرسل اليه من يكذبه وقد
وبالحق انه لا يصر على القول بتلك التأويلات راحة الصادق
بتلك الموافقات الا كما برجاءه على هو وتسميه الا عني يستحق
اهمال كلامه وعدم الالتفات اليه

وقد وجد من كذب ذلك الرجل فرقة من الناس في
الاستدلال على صدقه او كذبه فغاية ما كانت منهم هذه بقوا
متمسكين بما الفوه من قديم الزمان موروثاً عن اسلافهم وتوارثاً
لا تترك ما نحن عليه ولا نفارقه الى سواء تمسكاً اعمى وتصيباً عتى
وهؤلاء القوم لوقيل لهم ان هذا الرجل اذا كان صادقاً في دعواه
يخشى عليكم من انتقام الملك بسبب عدم اتباعه له يكن له من
الجواب الا قولهم انه كذاب ونحن لا نصدق فيما يدعيه وهذا غاية
ما عندهم من الجواب الناشئ عن الجمود البارد وتفكر الخاملين
فهؤلاء الخاملون هل يظلمهم الملك بانزال انتقامه بهم لا والله لانه

او قيل له عند ارادته عقاب من كذب رسوله ان هؤلاء مذورون
 في تكذيبهم اياه لعدم طهر دليلهم على صدقه كان له ان يقول
 لركبت اراهم عديني النقول فاقدي "لادراك" - فم اسر ساشهم
 لكنت عذرتهم وعفوت عنهم ولكي اراهم سيفي اذور معاههم
 وصوالهم الخاصة بهم ذوي عقول وتنبيه تام وتيقظ كامل كاف
 لبلوغهم هآربهم فكأنه عليهم ان يرجعوا هذه القوى التي
 يستندون بها في تعيشتهم وصوالهم الى التامل في دعوى ذلك
 الرجل والاستدلال براسطتها على صدقه او كذبه كما يستمرأنا
 في استدلالهم على اخصامهم عند منازعتهم في اغراضهم فادن
 هم عندي خير مذورين بل تهاونهم في الالتمات الى كلام رسولي
 والتامل في دعواه هو الذي اعني عين بصيرتهم وواقعهم في خطأ
 تكذيبهم اياه وبذلك يستحقون انتقامي وسلب انعامي فاما انتقم
 منهم بهذا الوجه الظاهر الجاري على موجب العدل

ثم ان ذلك الرجل المدعي ارسال الملك اياه بعد اتباع اوائك
 الجماهير له لم يزل مهتساً باقتناع الذين لم يصدقوه وهم الفرقة
 المكابرة المتمثلة عليه بالتأويلات الواهية والفرقة المكذبة له ببدون
 التفات الى الدلائل فجعل دائماً يقدمهم النصائح ويوضح لهم الادلة
 ويوقظ افكارهم لما فيه صلاحهم وهم مع ذلك لا يزدادون الا

نفورا ومكابرة وجمودا فلما اعياه امرهم وتحقق انه لا ينجم فيه عمل
البرهان وراهم قد انتصبوا له ولا تباعه اعداء الداء يترفبون الفرص
للأضرار والاذى جرد لهم السيف وناصبهم الحرب بأمر الملك
الذي ارسله

اذا المرء لم ينجم به النصيح لم يكن له رادعا الا العصا فوق راسه
فاستعان بمن اطاعه على من عصاه وقامت بين الفريقين الحرب
على قدم وساق وحاصل الامر بعد ما استمرت الحرب بينهما سجلا
سنة الله في خلقه اذ جعل الامر دولا انه انتصر ذلك لرجل
على مخالفه والعاقبة للمتقين فقتل بعضهم اذ لا دافع لاداهم الا
القتل واتلاف المؤذى امر معقول مقبول وبقتلهم سلامة المدينة
من الدمار

(وقطعك العضو المريض ان يكن به حياة المرء عين الواجب)
واستأسر بعضهم كسر الشوكة اذاهم بضرب الاسترقاق عليهم
وجزاء لمخافتهم رضاء ملكهم واخضع بعضهم لامتثال بعض اوامره
التي تكف بأسهم عن الاضرار به وباتباعه وشرط عليهم ان
لا يجاهروا بتكذيبه وان كانوا باطنا مكذبين حفظا لايته وحذرا
من انصداع افكار متبعيه وان يدفعوا اليه من مكاسبهم ما يكون
عونا على تدبير شؤون البلدة وابقى مجازاة تكذيبهم له الى حضور

الملك يفعل بهم ما تقتضيه حكمته والبعض منهم خرج من البلدة
والتجأ الى المناقل والجبال وهؤلاء ايضا لم يهمل محاربتهم كما
امكنته الفرصة املاً في رجوعهم الى تصديقه وحذراً من كرم
عليه وعلى اتباعه بالاذى عند قدرتهم عليه وقد انذرهم بانه وان
خلصوا من انتقامه يخلصهم فلا يخلصون من انتقام الملك متى
حضر وظهر عليهم فانه يفعل بهم حينئذ ما يستحقونه بمقتضى
العدل والحكمة

وبالبعض منهم الجأهم الخوف او الطمع الى التصديق ظاهراً
واضربوا في قلوبهم التكذيب فالحقهم ذلك الرجل باتباعه
وعامامهم معاملة اشياعه لانه كان يقول اني مأمور من الملك ان
اعبر ظاهراً من يتبعني لان البحث عن بواطنهم ربما افسد على
كثيراً منهم بعد ان يكون صادقاً ويفتح لاعدائي باباً ان يقولوا
عني اني مرتاب في اتباعي وغير مطمئن لهم وهؤلاء القوم المتلبسون
متى انكشف حالهم للملك فيما بعد واطلع على بواطنهم وانهم لم
يتبعوا رسوله الا خوفاً او طمعاً وهم يبغضونه اشد البغض ويتربصون
الفرص لاذيته واذية اتباعه الصادقين فلا شك انه ينزل بهم اشد
النكال ويذيقهم الاهوال اذ هم اعظم ضرراً من سواهم ولا يؤمن
في جميع الاحوال اذاهم

والبعض منهم الجاهل الخوف أو الطمع بما في ايدي ذاك الرسول
وادمي اتباعه من لامل التي تجمعا لاصار ثن المدينة ان
التصديق والخضوع ظاهراً وهم في البطن مكذرون راكضهم بعد ما
خاطبوا ذلك الرجل وامذنبوا احواله رفيسا حقيقة القوانين التي
ادعى ان المالك ارسل بها وشاهدوا مما لم يسمع قديماً كمن امة مدعة
وانه لا يامر الا بالخير ولا ينهي الا عن الشر انما رحمت سائرهم
لتصديقه ظاهراً وباللنا تصدقوه كذلك وصاروا من خيار تبارك
واكرم انصاره

اذا احطت بنبراب جميع سررناه وفهمت رهوفه وخفاياه وشر
لك في شان هذا الرجل ان العقل الحر المليم طالي عن ذوي
والتعصب الاعمي المطاق من قيود التقاليد وخيل الخروج عن
الخطأ الذي اعتاد عليه يحكم بصحة دعواه وانه رسول الله
اشتباه لان اتفاق تلك الدلائل لا يكون بوجه اصدقة عند كل
ليدب عاقل فاعلم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه
الصلاة والسلام قد نقل لنا بالتواتر في نقل انا الجماهير الكثرة
الذين لا يحصى عددهم ويميل العقل تواطئهم على الكذب
كاحالته مثلاً تواطئ الناس جميعاً على الاخبار بوجود مكة
وهي غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهم جراً عن

الجماعة الكثيرة كذلك الذين سادوه ونظروا رأي العين
واحاطوا باحواله وبما جرى له في مدة حياته مع الامر حتى تم له
نصيديق الاوفى من اتباعه بكل ما جاء به بهد ما مضى له من
الامر اربعين سنة بين قومه وقد مرزوه بالصدق والالاء حتى
دعوه بعد الامس ولم يبرأ في تلك المدة تعلم القراءة - الكتابة
ولم يجتمع مع اهل هاتين الخطتين متعاضداً يمكنه به ان يتعلمها
منهم ويؤنها. ذاك الكتاب به جات من عارف الامر شرايع
الا قدمين وقوانين لما لك ولم يثر عليه في تلك المدة بمائة شيء
من ذلك قام بين جماهير العالم من اربب والنجار مع قلة ذات يده
رفاة انصاره واعوانه وعدم سبقه بلطنة في اجداده قد زالت
فيظن به انه يريد استردادها بالتعجيل على الرئاسة فادعى ان الله
سبحانه وتعالى اله العالم ارسله الى الناس كافة لاجل ان يباشروا شرعه
الذي شرعه له ليتكفل بنجاحهم في الدنيا والاخرة وان هذا
الامر يناسب زمانه الذي به شئ فيه في انقضاء هذا العالم وانه
ينسخ به كثيراً من احكام شرايع الرسل الذين بعثهم الله تعالى
قبله فيما مضى من الزمان الذي كان هذا المذبح ياسبه وانه
ينهاهم عن عوائد واخلاق قبيحة مضره بصوالحهم ورثوها عن
ابائهم او زينها لهم الشيطان واقبح شيء منها عبادة الاوثان والنيران

والاحجار والاشجار وانه يامرهم بتوحيد الله تعالى وحسن
اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وانه يامرهم
بكيفية شكرهم لحالهم على نعمه التي انعمها عليهم وبالحقيقة تلك
الشكر عائد بالمنافع اليهم الى غير ذلك من كل ما يجلب لهم الخير
ويدفع عنهم الضرر مما حوته شريعته المرسل بها فعند ما سمى منه
اولئك الجماهير عاليهم وداينهم وسلاطينهم وجبابرتهم بهذه
الدعوى العظيمة نفروا من قبول دعواه وعادوه استعداءه وهجروه
منهم الاهل والخلان وكذبه الشيوخ والشبان وتحول له الاعداء
الى اعداء والموافقون اخصاما الداء ثم اخذوا في مجادته ومجادلته
وجرحه منهج المجادلة الى طلب حجته وصار كل سهم يطالب برهانا
على صدق دعواه ويتمتع له التعجيز في كل ما يراه وهو عليه
السلام ينصب لهم الدلائل ويحجب في المقترحات كل ما اثاره من
اعظم الحجج التي استند في اثبات دعواه اليها وجعل معظم
اعتماده عليها ما تلاه عليهم من مجموع كلام عربي يسميه قرآنا
ويقول انه من عند الله تعالى ارسله به اليهم وهو مشتد على
التصريح بانه رسول الله تعالى الى الناس كافة وانه صادق في كل
ما يبلغ عنه سبحانه وهو متكفل ببيان الشريعة التي شرعها الله
تعالى لهم وقد جعل عليه السلام يتعداهم باقصر جملة منه يسميها

سورة بمعنى انه يستدل على انه من عند الله تعالى بتجز فصحاء
الاسن العربي منهم وبالله باجمهم عن الاتيان بما يساوي اقصر
سورة منه في فصاحتها وبلاغتها واهل ذلك اللسان هم امر
هاتين الخطتين وفتاحل هاتين الصنعتين وفيهم من بلغ فيهما اعلى
المراتب التي ينجز عن بلوغها كل من سواهم من البشر ولا توجد
فوقها مرتبة يمكن استيلاء القوة البشرية عليها ووصول العقل
الاساسي اليها ثم بعد الاخذ والرد والاقبال والصد اخذ اولئك
الجماهير ينضمون الى محمد عليه الصلاة والسلام وينضمون
لديه ويدخلون في دينه افواجا ويمثلون اواصره افراداً وازواجا
مسدين له بالرسالة من عند الله الامن لم يرد الله تعالى ان يتولاه
واذا اردنا ان نمثل احوال اولئك الاقوام وشؤونهم معه عليه السلام
حسب ما تدل عليه الاخبار الصحيحة والآثار الثابتة وحسب
الامكانات العقلية التي لو فرض وقوعها تكون نتيجتها كما سنقره
في هذه الرسالة ارسلنا التامل الصادق الى تمثيل شؤونهم معه
عليه اسلام بانهم كانوا في شانه على طرائق مختلفة ومناهج متنوعة
سلكوها حسب استعدادهم وسموا افكارهم وخمودها فطائفة
منهم وهم اهل الفضاحة والبلاغة العربيين الراجح في ذلك الزمان
بين الامة العربية سوقها فكانتا اشرف علومهم واكرم مفاخرهم وهم

أمر أوعها العالمين. باسم الله العالمين أعلاء ما والمحيدين
بأسرارها وما هو في طوق البشر من مراتبها وما هو
في طوقهم من ذلك أصحاب المنطق الحكيم والقلم الحكيم
لما تمدهم عليه السلام بقصر سورة من القرآن الذي جاء
به وادعى عجزهم عن معارضته ورفضه بالقدرة
والقصور عن بلوغ تلك النقبة بأكبر من قدر البشر
من ذلك في كل من مشيراً إلى كل حجر من ذلك
يشبه أحلامهم في عاداتهم وعباداتهم وطعن في معبوداتهم
عبدوها بضلالتهم اغدوا بتأديرون في ذلك القرآن سر
بمسبار التبيان وتلقبونه ظهراً لبطن ويتدبرونه تدبراً لا تدرك
فظهر لهم أن هذا القرآن بلغ مرتبة في الفصاحة والبلاغة لا يدركها
القوى البشرية وإن بعضهم كبر وعارضه طائفة من الجاهل
وأصبح سخرية عند العاقل والوارد لأن كل امرئ طويل نازلة
ويفضله بدرجات سامية تظهر العقول ذممه وتتضح الحكمة
خساسته وتنحط في الأتس منزله ولو كان في ذلك شيء فيحقق
عندهم عجزهم عن معارضته ولو باقصر سورة منه وأقروا بعجزهم
بعجز البشر وإن ذلك دليل على أنه من عند خالق القوى والتدبر
فصدقوا جميعاً دعوى محمد عليه السلام بالرسالة واتبعوه نعيم جاء

به من عند الله على ما يرام

والأغنى منهم كانوا من أهل الخبرة في نقد الكلام ومعرفة
الغرائب الفاضلة فيه وتدبر آيات نروق ذوى الالباب
ومشتدلاته التي تأتي بالهجب العجائب فظهر لهم بعد التأمل الصادق
في ذلك القرآن انه وجدت فيه خواص كاملة لا يمكن في العقل
اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنت فيه واضحا واتسع اطلاعا على
الماضي والحاضر والمستقبل واحتال الأمم في شرونها اجتماع والأحاطة
في جميع الفنون والآداب والحكم والسياسات وتتميز فيه عدم
المضاربة والتناقض وبعين الأسلوب مع الأفراد عن الأساليب
المهودة عند العرب الا ان يكون العقل هو الله تعالى القادر على
ذلك كله وعلى جمعه في كلام يريد جمعه فيه وذلك انهم وجدوا
هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبله تأتي طبق اخباره كوعده
اتباع محمد عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء الأمر كذلك
ويخبر عن قصص الأولين وسير المتقدمين كما هي حكاية من
شاهدوها وحضرها ويخبر عن الضمائر من خير ان يظهر ذلك من
اصحابها بقول او فعل كما يعلم من حوادث حدثت لبعض اتباع
محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام وبعض أعدائه (كما في
التفاسير وكتب الحديث) وهو مع اتساع مجاله في كل فن من

اخبار واحكام ومواعظ وامثال واخلاق واداب وتغيب
وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار ونحو ذلك من قبائح السجائر ومواعظ
الدنيا وتدبير السياسات ومراعاة الوداء ومدافعة الاعداء ومجادة
الاصنام وتبكيك الطعام واقامة الدلائل على وجود الباري تعالى
وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة ريب يوصف
دار النعيم واحوال سكانها ودار الجحيم واهوالها ووصف سائر
السموات وما في العالم العلوي من الايات من كواكب وانهار
وسحاب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبه لها سورها
وبحارها ونباتاتها وانهارها وما اشتملت عليه من نباتات رحير
ومعادن وازهار واثمار واشجار واطيار وظلمات وانوار حتى يصح ان
يقال انه لم يبق علما من علوم الاوائل والاواخر الا صرح به او اشار
اليه على اساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم
يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن
مشابهة كل اسلوب ليس له مثال يحتذى عليه ولا امام يقتدى
به فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الارجيز البدويه ولا
من الخطب القسية ومع ذلك فهو في العقول مستحسن وفي
النفوس مستملح وفي الاذواق مستعذب وفي القلوب محبوب
وللاسماع مألوف كلما تكرر حلا ومن اي الافواه سمعته علا وغلا

ولا يصح بصرّك الله تعالى في العقل السليم ان تجتمع كل تلك
الصفات فيه اتفاقا ولا يصدق بالصدفة في ذلك الضمير الحر
فقالوا ان الذي ظهرانا وتحققناه من اجتماع تلك الصفات في هذا
الكلام البديع انه كلام تعجز عنه قوى البشر ولو كانت بعضهم
ابعض ظهيرا فatian محمد عليه السلام به وهو احيى ومن المحال عادة
ان ياتي به اكبر العلماء واحذق الفلاسفة واعظم المؤرخين واكبر
السياسيين دليل واضح على انه من عند الله تعالى ارسل محمدا به
ليكون معجزة له تدل على تصديقه اياه فحين قد صدقنا دعوى محمد
عليه السلام بالرسالة من عند الله وآمنا بجميع ما جاء به فاصبحوا
من اتباعه واكرم اشياعه

وطائفة منهم لم يكونوا من اصحاب الفصاحة والبلاغة ولم يكن
عندهم قوة النظر والاحاطة بالصفات التي اشتمل عليها القرآن
الدال اجتماعها فيه على انه ليس من مصنوعات البشر ولكنهم
راوا محمدا عليه السلام ادعى الرسالة من عند الله وادعى ان
هذا القرآن من عند ربه وانه يتحدى اهل الفصاحة والبلاغة
بقصر سورة منه ويدعى عجزهم عن معارضته ويشافهم بذلك في
كل مجمع ويقرعهم بقصورهم عنه على مرأى من عموم الناس
وسمع دراوا ان البعض من اهل الفصاحة والبلاغة الحائزين قصب

السبق في ميادينهما قد اقرروا بالعجز عن معارضته وذاقوا دس
ابائهم وقديم عاداتهم واتبعوا محمدا عليه السلام في دمه وسلوك
معه سبيلا يصيب عليهم ساوكة لولا تيقنهم بانه عليه السلام رسول
الله تعالى يامرهم بسلوك هذا الطريق وراوا ان هذا اخر من اهل
الانتقاد والبصيرة ومعرفة الصفات الفاضلة للكلام قد شيدوا
باجتماع صفات فاضلة شريفة في ذلك القرآن لا يمكن استواء
في كلام الا ان يكون من عند الله تعالى فصدتوا به دس الاجال فان
ايضا وفارقوا ما هم عليه راتبعوا سبيله وراوا ايضا اخر من اهل
الفصاحة والبلاغة المشهود لهم بالسبق في هذين النين من
جمهور اهلها قد اجمعا عن المعارضة لذلك القرآن مع محمد
عليه السلام باقصر سورة منه ومناداته بين الملائكة بالعبادة
معارضته وتقريعهم في كل ناد بذلك العجز ومع ذلك لم يظهر منهم
الا الاصرار على ما هم عليه والاتجاء الى مكافحته عليه السلام
بالحرب فتعرضوا لسفك دماهم ونهب اموالهم وسبي ذريتهم
وتخريب ديارهم وهجر اوطانهم فلو كان في قدرتهم معارضة ذلك
القرآن ولو بمقدار اقصر سورة منه كما تحداهم به لما كانوا اجمعا
عن المعارضة وتعرضوا للبلاء العظيم فكان يمكنهم ان يوافوا
مقدارا من الكلام الفصيح البليغ مساويا في الفصاحة والبلاغة

لا فسر سورة من القرآن ويقولوا الحمد عليه السلام هانئ قد
عارضنا قرآنك، وإبطالنا برهانك فسقطت دعواك بعجزنا عن
المعارضة وتبين أن الآيات بمثل هذا القرآن في استطاعة الإنسان فلا
وابيك ما سلوا ذلك ولو فاداره وجاءوا بما يقارب المساوى لنقل
اليك لتوفر دواعيه كما نقل اليك جميع شؤنهم معه عليه السلام من
هجرته وقذف رسنه عليه وعنفه ومعارضة شعراء أمته وخطبائهم
وأننا لتبوا إلى ذلك الجلاء العظيم ونظر الخسيس وهم بلا شك
أصعب عتول تنهم أن تركوا السبيل السهل المستطاع ويختاروا
أرعر المسالك وأصعب الماشي في عاقل يفعل ذلك ويستفي في
اتلاف نفسه وماله وولده وتزريب دينه وهجران أوطانه بالضرورة
تلقته إلى اختيار الأشق وأرتكاب الصعب نعم.

إذا لم تكن إلا الاسنة مركبا فما حيلة المضطر الأركوبها
وحيت لا اضطرار فاي شي حماهم على تجنبهم الأخطار مما حماهم إلا
عجزهم عن المعارضة والتعصب الأعمى الذي اشقاهم فأولئك انقوم
لما تأملوا في أحوال هؤلاء النرق الثلاث وتبصروا فيها تبصر
الناقد البصير قالوا أن شؤن هؤلاء الفرق من أقرار الفصحاء البلغاء
منهم بالمعجز عن المعارضة غير متهمين بالمداهنة وانيادهم إلى
التصديق وأقرار أهل المعرفة منهم ببلوغ القرآن الدرجة التي لا تنال

في الصفات الكيالية واذعانهم ايضا بصدق محمد عليه سلام
وظهور عجز بعضهم من اهل الفصاحة والبلاغة عن المعارضة
احجامهم عنها والتجأهم الى الصعب الاثق هو دليل كاف لنا
على صدق محمد عليه السلام في دعواه الرسالة فمن آمن به
وصدقناه

اقول كأن هؤلاء الطائفة قد كوشفوا باستدلال الجاحظ رحمه
الله تعالى في بعض كتبه على صحة دعوى محمد عليه سلام
الرسالة من عند الله بعجز العرب عن معارضته في القرآن الكريم
ولننقل هنا كلامه في ذلك كلاما ياخذ بمجامع القلوب ويردفع
الريب عن كل محبوب قال رحمه الله تعالى بعث الله تعالى محمدا
عليه السلام اكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا واحكم ما كانت
لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله تعالى
وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبهة صار
الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة حسنة
على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم
واعلامهم واعمامهم وبنى اعمامهم وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن
ويدعوهم صباح مساء الى ان يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة
او بآيات يسيرة فكما اراد تعذيبهم بها ونقر بها لعجزهم عنها تكشف

حيلة ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف
فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فهااتوها مفتريات فلم يرم ذلك
خطيب ولا طمع فيه شاعر ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه اظهر
ذلك واوظهر لو وجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم
انه قد مارض وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع
كثرة كلامهم واستفعال لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم
وكثرة من هجاء منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته لان
سورة واحدة وايات يسيرة كانت انقض لقوله وافسد لامره وابلغ
في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن
الايوطان وانفاق الاموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على
من هودون قریش والعرب في الراي والعقل بطبقات ولهم القصيد
العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة
ولهم الاسماع والمزدوج واللفظ المشور ثم يتعدى به اقصاهم بمد ان
اظهر عجز ادناهم فمحال اكرمك الله ان تجتمع هولاء كما هم في الامر
الظاهر والخطاب المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف
على العجز ومن اشد الخلق انفة واكثرهم مفاخرة والكلام سيد عمامهم
وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض
فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين

سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة فكذلك محال ان يتركوه وهم
يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه انتهى
وطائفة منهم وهم غالبا الذين لاسبق لهم في الفصاحة والبلاغة وهم
تسم افكارهم الى الاحاطة بما حواه القرآن من الصفات الفخمة
التي لا يمكن جمعها فيه لاحد من البشر ولم يلتفتوا الى عجز من عجز
عن معارضته من اهل تينك الخطتين واقراهم بذلك ولا الى حال
من حملهم العجز على الاتجاء الى المقارنة كانت نظارهم منصرفة
الى عالم الطبيعيات والى النواميس التي تجري على موجبها حوادث
الكون ويعلمون انه ليس في قدرة البشر تغيير شي منها قاروا نحن
نطلب من محمد (عليه السلام) الاتيان بامور تكون خارقة لتلك
البنواميس اي خارقة للعادة المطردة في هذا الكون فان جاء بذلك
يكون صادقا لانه اذا خرقت العادة في ذلك على يديه عند طائفة
ذلك منه يبين لنا ان الله تعالى خرقتها له تصديقا لدعواه رسالة من
عنده ويكون اجراء ذلك بمنزلة قوله تعالى صدق محمد فيما يبلغ
عني الامرى انه لو قام رجل في حضرة ملك وخاطب الخاضعين
قائلاً ان هذا الملك يا مكرم ان تطيعوني فيما آمركم به فقالوا نحن
لا نصدقك في هذه الدعوى حتى يقوم هذا الملك الآن من مكانه
ويجلس في المكان الفلاني من هذا المجلس فلما سمع الملك كلامهم قام

من مكانه في الحال وجلس في ذلك المكان الذي ذكره ثم اذا طلبوا منه حركة اخرى تصدر من الملك تكون تصديقا له كنزع الملك التاج عن رأسه ووضعه على رأس اخر ففعلها الملك في الحال وهكذا حركة اخرى كمشييه سبع خطوات في المجلس ورجوعه لمكانه ففعلها ايضا فلا شك ولا ريب حينئذ ان تلك الافعال التي صدرت من ذلك الملك على خلاف عادته بمجرد سماع كلامهم لا تكون بوجه الصدفة وانما هي بمنزلة قوله صدق هذا الرجل فيما يدعيه لديكم من اني امركم باطاعته ومن يتل خلاف ذلك ويدعي الصدفة في وقوع ذلك يعد من الحمقاء وان عجز محمد عن الاتيان بما نطلبه منه من خوارق العادات كان ذلك دليلاً على كذبه وتكذيب الله له فاخذوا يطلبون منه عليه السلام اجراء خوارق للعادات الجارية في هذا العالم باطراد فبعضهم طلب منه انشقاق القمر فاتي به طبق ما طلبوه وراه رأي العين حاضرهم وغائبهم من ورد من امكنة بعيدة متحدة الافق مع مكان الحاضرين فاخبرانه رأي انشقاقه مثل ما رأى الحاضرون

وانشقاق القمر ليس الا من قبيل ما يحصل عند الزلازل من انصداع الجبال العظيمة وانقلاب عاليها سافلها ومن قبيل ما يزعمه

بعض متأخري الطبيعيين من ان الارض وكواكب اخر منفصالات
عن الشمس وسيعدن اليها يوما ما وكل ذلك من الجأز عقلا
الداخل تحت تصرف الآله القادر وان كان غير معتد سواء جعل
له سبب ام لا وطول الزمان الذي يارم ان يكون عرضا عن زيادة
القوة في احداث الاعمال انما هو شرط في جانب القوة من قصة
اي قوة المخلوقات لا في جانب قدرة الآله انه مة وانما جعل سبحانه
تلك الازمنة والاسباب في اعماله ذات الاعجاب اتلاء لاولى
الالباب يفضل بذلك من يفضل ويهتدى اخرون الى انصواب
وبعضهم طلب منه ان تسعى اليه شجرة وتكلمه وتشهد له بالرسالة
فجاء بذلك طبق ما طلب منه

وبعضهم طلب ان يكلمه الضب ويشهد له بالرسالة ايضا فنعمل على
وفق ما طلب منه (وكلام ما ذكر يكون يخلق الله الكلام وصدوره
من ذلك وهو من الجأز عقلا الداخل تحت تصرف القدرة الالهية
بناء على المعتمد ان نحو الحياة والادراك والآت للنطق يستلزم
شروطا للنطق عادية يمكن حتموله بدونها او يكون بمثابة ثم سدور
النطق عما ذكر بناء على انها شروط لازمة للنطق على ما قيل وهو
ايضا تحت تصرف القادر سبحانه وتعالى)

وبعضهم شهد اتباعه عليه السلام حينما اعوزهم الماء في السفر فطلبوا

منه السقيا فوضع كفه في قليل من الماء فجعل الماء ينبع من بين
اصابعه وهم يستقون منه حتى اكتفوا وهم كثيرون (وهذا يكون بخالق
الله تعالى مقدارا من الماء ينضم الى ذلك القليل منه ويظهر
للرائين انه خارج من بين اصابعه حيث يخلق هناك والله الخالق
لا خالق سواه وايضا اذا كان انقلاب الهواء ماء هو داخل تحت
تصرف قدرة الكيماويين فما بالك بقدرة خالق العناصر والكيميا
والكيماويين) وهكذا من خوارق العادات التي جرت على يديه
عليه السلام عند ما طلبت منه وقد نقل لنا ذلك بالاخبار الصحيحة
التي جاء بها العدول وان يكن بعض منها على انفراده لم يبلغ حد
التواتر فلا شك ان مجموعها بلغ ذلك الحد فانه بلا ارتياب صح
متواترا اجمالا انه عليه السلام اتى بخوارق العادات عند ما
طلبت منه وهذا هو التواتر المعنوي المعتبر عند المحققين من العقلاء
ولا ينكر تواتر ذلك الا مكابر لا ينجل من انكار الضروريات
فهؤلاء القوم حين وجدوا انه عليه السلام قد جاء بما طلب منه
من خوارق العادات وخلاف النواميس الكونية التي لا يقدر على
خرقها الا الله تعالى ايقنوا بتصديق الله له باجرائها على يديه عند
طلبها منه فآمنوا به وصدقوه واعتقدوا رسالته عليه السلام (اقول
وليعلم ان امثال هذه المعجزات ما كانت الا لقناع عقول من

قصرت افهامهم عن ادراك المعجزات الادبية كما حرفني تن قرآن
وسياتي في شان انتظام الشريعة المحمدية وانتماد على ما يدب اياها
من عند الله تعالى وفي نطباق الالامات المذكورة في كتب
المتقدمين على محمد عليه السلام ونرجو من يدعون ادراكهم
للمعجزات الادبية ان لا تكون تلك المعجزات الحسية عقبة في
طريق ايمانهم زعما انها تخالف علومهم التي درسوها في مدرستهم
وترفضها عقولهم بل الصواب في تأنيدهم والحزم والاحتباس في سعيهم
ان يعلموا ان هذه الخوارق ما جاءت الا لقناع من قصر عن
ادراك تلك الادبيات وان عليهم ان يقتنعوا بما قبله عقودهم ثم
لا تقبله ويرفضه البرهان العقلي القاطع يرجعون فيه الى تناول
الجامعين بين النقل والعقل كما سيأتي ان ذلك هو قاعدة في
الشريعة المحمدية فيما ورد نقله وضاهاه مخالف برهان ولا فيصحبون
كمن يرى الشمس في كبد السماء ويزعم ان نوقت ايل لانه
تخيل له رؤية نجم طالع فيترك الدليل الواضح على وجوده خمار
ويتشبت بما تخيله من ذلك النجم الذي لم يتحقق وجوده كما يتحقق
وجود الشمس ثم لقصور تحققة ربما يكون مخطئا في رؤيته واعتداد
وجوده لسبب من اسباب الغلط فكان عليه ان يكون رؤيته
لذلك النجم ان لم يتحقق عدمه ولا يمل الدليل الواضح على

وجود النهار وهو تلك الشمس المشرقة والله يهدي من يشأ الى صراط مستقيم

وطائفة منهم قالوا ان الله تعالى قد ارسل الينا رسلا فيما مضى من الزمان مصيويين بشرائع شرعها لنا تنكفل باصلاح شؤوننا وتناسب الزمان الذي ارسلوا فيه وقد كان اولئك الرسل يقولون ويشيرون الى انه سوف يرسل الله الى الناس كافة رسولا بحد حين بشريعة تنكفل باصلاح شؤونهم وتناسب الزمان الذي يرسل فيه ويوجد في ذلك الرسول علامات هي كذا وكذا ولم يزل كثير من تلك العلامات المذكور في الكتب التي بين ايدينا المنسوبة لاولئك الرسل فنحن ننظر في حال محمد (عليه السلام) فان كان ما جاء به من الشريعة طبق ما اخبر به الرسل المتقدمون ووجدنا فيه تلك العلامات التي قالوا انها تكون فيه نعم يقينا انه صادق في دعواه وان كان الامر بخلاف ذلك كانت دعواه ساقطة ولا يعاب بكلامه فلما تأملوا في حاله عليه السلام وجميع شؤونه وجدوا ان شريعته متكفلة باصلاح شؤون الناس على اكمل ما يرام (كما سيأتي شرحه في كلام الطائفة التالية لهذه الطائفة) ووجدوا فيه العلامات التي ذكرها الرسل على اظهر ما يكون عند من يرفع التعصب الاعمي والتأويلات الواهية ويروم الوقوف على الحق والخلاص من سوء

العاقبة والنصيحة لنفسه وأولاده قومه وعدله، بسود ذلك هؤلاء
لم تزل مسطرة في تلك الكتب إلى الآن وتنفصيل ذلك لهم وجدوا
أنه يصدق على محمد عليه السلام كناية أشيا بقوله (١) أن رب
استعلن من جبال فاران ومعه الوف الاطمار وفي عينة سنة
كما أن مجيء الرب من سينافي قول اشعيا كناية من موسى ومراقبه في
ساعير كناية عن عيسى عليهما السلام لأن جبال فاران هي مكة
كما جاء في سفر التكوين عن اسماعيل عليه السلام به سكن
فاران (٢) وقوله معه الوف الاطمار كناية عن اتباع محمد عليه
السلام الطاهرين من كل التوائب كما هو مشاهد فيهم اسبق وقوله
في عينه سنة النار كناية عن مشروعية الجهاد في شريعته وصدق
عليه ما في التثنية (٣) انه يقيمه الرب نبيا من وسط اخوتهم ولبس
اخوة اسراييل الابني اسماعيل (٤) وانه مثل موسى يعني في
شريعته ومشروعية الاحكام والجهاد فيها (٥) وجعل كلاء الرب
في فهمه هو ذلك القرآن الذي اتى به في غاية الكمال ويصدق عليه
ما في يوحنا (٦) من انه الفارق ليط والمعزى الذي يعلم كل شي يعني
من الحقائق والمعارف التي نراه يعلمها اتباعه (٨) وانه هو المذكور
بما قاله عيسى عليه السلام يعني من التوحيد والائمان والتزهد في الدنيا
والتوغيب في الآخرة (٩) وانه الذي يشهد لاجل عيسى عليهما

السلام يعني بالنبوة والرسالة وبرآته مما قيل فيه (١٠) وانه لم ينجى
حتى يذهب عيسى عليه السلام وكان الامر كذلك (١١) وانه يوجب
الالم على الخطيئة فانا نراه يوجب كل ذي معصية واثم رينسحق عليه
ما في المزامير وهو (١٢) كونه حسنا فانه في اعلى طبقات الحسن
(١٣) وكون الحكمة منسكبة على شفته وذلك ظاهر في ذلك
القرآن الذي يتلوه والحكم التي يجلوها والمعارف التي
يبرزها (١٤) وكونه متقلدا سيفا فهو ملتزم محاربة اعداء دينة
(١٥) وكونه قويا فهو قوي الحجة متين السياسة قوي الجسم فقد
صرع اشداء الحرب (١٦) وكونه ذا حق (١٧) وكونه ذا دعة
(١٨) وكونه ذا صدق فهذه الصفات الثلاث ظاهرة عيه (١٩) وكون
نبلة مسنونة فاستعداده هو واتباعه للاعداء في أدوات الرمي امر
معلوم وهم مأمورون في شريعته بتعلمه ومن نسيه منهم بعد ان
تعلمه يحكم عليهم بالاثم (٢٠) وكون الشعب تحته فهو قد استولى على
الشعب العربي تقريبا (٢١) وكونه محبا للبر (٢٢) وكونه مبغضا
للاثم فكلا الامرين محقق فيه يشهد له بهما اعدى اعدائه
(٢٣) وكون بنات الملوك تخدمه فهذه بنات امراء العرب يجلبن
اسيرات اليه وهذه صفية بنت احطب صارت زوجته وهي بنت
ملك من ملوك اليهود (٢٤) وكون الهدايا ترد اليه من الملوك فهذا

النجاشي ملك الحبشة والمقوفة ملك مصر وغيرها يقام مرتين له
الهدايا (٢٥) وكون الاغنيا تقادله فيؤلا غنياء اتباعه يدفعون
زكاة اموالهم للفقراء بمقتضى اوامره ويصدق ما في اتبعه ايضا (٢٦)
على صلاته التي فرضت في شريعته من انها تسبحة جديدة لانه
لم يهد في الشرائع المماثلة عبادة تشاكاه (٢٧) وه يعسها على
سكان اقاصي الارض واهل الجزائر والبراري فهي اول عبادة في
دينه بعد الايمان لا يستثنى منها مكلف (٢٨) وان البرية ترفع
صوتها بذكره وهي الديار التي يسكنها قباد وهو احد جداده في
سلسلة النسب الذي بينه وبين اسراييل عليهما السلام وهي الالة
العرب وقد طبق ذكره تلك البلاد بل ملاء المسكونة من عوار
وانجاد (٢٩) وانه به يترغم سالع وهو سلع من رؤوس الجبال فيؤلا
اتباعه يتفون بذكره في رؤس الجبال وقم الاك في الاذان والصلاة
عليه والتسليم في كل آن (٣٠) وانه يخبر بمحمد وهو لاذن في
خمسة اوقات في اليوم والليلة يذكر فيه اسمه ويشهد له برسالة
(٣١) وخروج الرب كجبار هو كناية عن الجهاد المشروع في شريعته
ولما كان الاخلاص في الجهاد مؤكدا عليه غاية التاكيد حتى اخذ
بتعريفه فقل ان الجهاد هو مقاتلة العدو لاعلاء كلمة الله تعالى
صح ان يكنى عنه بخروج الرب تعالى كجبار (٣٢) وهو يسير العمى

في طريق لم يعرفوها وهم العرب اجهل خلق الله في الاديان
وقد سيرهم في طريق دينه الذي لم يعرفوه (٣٣) وهو يخزي عباد
الايوتان والمنحوتة فهو اشد خلق الله عليهم وقرآنه مملوء بتسفيه
احلامهم والطمع في اصنامهم (٣٤) وهو القتل الذي خاق
لاهلاك من اشرك بالله تعالى ويصدق عليه ما في متى (٣٥) من
انه الحجر الذي رفضه البناؤون صار راس الزاوية لانه من نسل
هاجر الذين كان بنو اسرائيل يحقرونهم ويقولون عنهم ابناء
الحجارة ويصدق عليه ما في المشاهدات (٣٦) من انه الذي اعطى
ساطانا على الاعم وهو يرعاهم بقضيب من حديد لانا نراه قد اعطى
ذلك السلطان كما هو مشاهد فيه فقد خضعت له اعظم القبائل
اصحاب الانفة وقضيبه الحديد هو سيفه الذي زجروساق به
من عصاه (٣٧) وهذا القرآن الذي جاء به اذا تاملنا هدايته
لنخرج الخيرات فهو كوكب الصبح الذي يعطاه ويصدق عليه
ما في الملزامير (٣٨) ان الحبشة تجثو له فهذا نباشيا قد آمن به (٣٩)
وهذه ملوك اليمن تأتيه بالقرايين (٤٠) وهذه الاعم تخضع وتدين له
بالطاعة (٤١) وهو مخلص المضطهد البائس من هو اقوى منه لانا
نراه يخرج على ظلم الاقويا للضعفاء وينهى عنه اشد النهي ويكف
الظالم عن ظلمه مادة وادبا (٤٢) وهو ينقذ الضعيف الذي لا ناصر

له فانا نرى هذا شأنه كما هو مشاهد فيه (٤٣) وهو رؤف لضعفه
والمساكين كما هو معلوم من حاله ولا يزال يردد اليهم حتى يجد
نفسه منهم ويدعور به بذلك فهو يقول يا ايها احبني مسكينا وامتي
مسكينا واحشرفني في زمرة المساكين (٤٤) وهو ينقذهم من
الربا فقد شدد على منع الربا سفقة على المساكين الذين يحتاجون
للاستقراض وحضا للاغنياء على عمل المعروف بلا قرض وقد
قال في بعض خطبه كل ربا تحت قدمي (٤٥) وهو يعني من
ذهب سبا وهي من احدى جهات اليمن فهذا خرجها يجي اليه
(٤٦) وهو يبارك عليه في كل يوم كما هي عبادة اتبه فهم في
كل يوم في صلواتهم يقولون ما ينوف عن العشرين مرة اسلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويقولون ما ينوف عن عشر
مرات وبارك على محمد وعلى آل محمد (٤٧) ونراه هو واتباعه
مثل الزرع الكثير على وجه الارض في الاخذ في النمو من يوم
قام بدعواه الى الان ويصدق عليه ما في اشعيا (٤٨) انه معضد
مختار وهذا ظاهر فيه من تقدم امره يوما فيوما (٤٩) وهو يسعى
في اظهار الدين الذي ادعاه دين الله من غير ملال ولا كلال
واظهر العلامات الجسدية فيه ما في اشعيا ايضا (٥٠) من وجود
علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام وهو يسميه خاتم النبوة

(٥١) وانه يدعى اسمه عجيبا فانه اسمه محمد لم يسبق التسمية به
لاحد من اجداده واسمه احمد لم يسم به احد قبله (٥٢) وهو
مشاور الله تعالى لان دعواه انه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحي (٥٣) وانه ابو العالم لان اتباعه كالابناء له في الطاعة وهو لم
كلا ب في الشفقة والتربية (٥٤) وانه رئيس السلام لانه منع
الحروب الجاهلية التي كانت بين العرب لاثرة لها الا اتلاف
النفوس وجهاده لاعدائه انما كان لتثبيت الدين الذي يدعى انه
دين الله تعالى ولتقرير السلام بين العالم فهو من قبيل القتل انفي
للقتل (٥٥) وان سلطانه يكثر يوما فيوما كما هو متاهد (٥٦)
وانه يكثر سلامه لانه كلما ازدادت اتباعه رقت الاحوال وزالت
الفتن الجاهلية (٥٧) وهو راكب الجمل اذ هو من العرب راكب
الجمال كما ان راكب الحمار هو عيسى عليه السلام (٥٨) وانه بعد
ظهوره تكسرت الاصنام والقيت الى الارض كما فعله (عليه السلام)
بها عند فتح مكة ودخوله الكعبة فصار يلقي الاصنام عنها فتكسر
ويصدق عليه ما في رؤيا يوحنا (٥٩) انه يدعي اسينا وهذا الاسم
قد استهر به حتى من قبل ان يدعى الرسالة فكان يقال له محمد
الامين (٦٠) وانه يحكم بالعدل ويحارب وهكذا نرى حاله حتى
انه يفرض على امته الحكم بالعدل ولو كان المرء يحكم على نفسه او

ولده ومحاربه كذلك بالعدل لا يغدر اذا عاهد ولا يقتل في جهاد
صبياً ولا امرأة ولا عاجزاً عن مباشرة الحرب وتديرها ولا
منعزلاً لما يعتقده من العبادة (٦١) والاجناد الذين يتبعونه
يلبسون بزاً ابيض نقياً وهكذا نرى احب الملابس اليه البياض وامنه
على اختياره ويحب في شريعته لبس البياض في يوم الجمعة الذي
هو العيد الاسبوعي عندهم (٦٢) ومن فمه يخرج سيف ماض
لكي يضرب به الامم ينطبق هذا على القرآن الذي جاء به فان انراه
قد ضرب به الامم العربية واعجزهم عن معارضته (٦٣) وهذه الطيور
تأكل لحوم الملوك الذين يحاربونه ويقتلهم وهو امر مشاهد فكم
جندل من ملك اصبح طعمة للظير (٦٤) وقد اجتمعت عليه
ملوك الارض واجنادهم ليصنعوا معه حرباً وكفانا شاهداً لذلك من
تجمع عليه من الاحزاب من ملوك خيبر والاعراب ويصدق على
اتباعه ما في المزامير (٦٥) ان معهم السيوف ذات الحدين وانهم
المنتقمون من الجبابرة (٦٦) وانهم يقودون الملوك ويسوقونهم
بالسلاسل والاغلال فقد فعلوا هذين الامرين بلا ارتياب (٦٧)
وانهم يتهجون على مضاجعهم اذ من ستمهم ان يتهجوا بذكر الله
تعالى عند ارادة المنام حتى يناموا (٦٨) وانهم يكبرون في كل
وقت فهذه صلاتهم لا يجوز لهم الدخول فيها الا بتكبير الله تعالى

مع تكرار التكبير في انتقالاتها وتكبيرهم في الاذان للصلوات وفي عيد الاصحى امر معلوم ويصدق عليهم ما في التثنية (٦٩) ان الله اغار بهم شعب اسرائيل اغارهم واغضبهم بشعب جاهل اذ العرب اجيل الشعوب قبلما اهدوا بمحمد عليه السلام لا يعرفون من الاديان سوى عبادة الاوثان (٧٠) وانهم هم الذين اعطوا ولم يسالوا اذ هم لم يطلبوا شيئا من الشرائع ويصدق على بلد محمد وهي مكة ما في اشعيا (٧١) انها العاقر لانه لم يظهر منها نبي بعد اسماعيل عليه السلام (٧٢) وبنو الوحشة هم العرب اولاد هاجر التي هي بمنزلة المطابقة وقد وقع في حق اسماعيل كما في سفر التكوين انه سيكون وحشا وبنو ذات رجل هم اولاد سارا فقد ظهر سر الخطاب لمكة المدعوة عاقرا بان تسبح وتهلل وتنشئ الشكر لان كثيرا من اولاد هاجر الوحشة التي هي بمنزلة المطابقة افضل من اولاد سارا التي هي ذات رجل (٧٣) وقد حصل لمكة من الفسحة بواسطة محمد عليه السلام ما لم يحصل لغيرها من المعابد (٧٤) وحصل لها التعظيم بتقديم القرابين في كل سنة ما لم يحصل لغيرها ايضا من المعابد الا نادرا فلما تم هؤلاء الطائفة المقابلة بين ما جاء في الكتب المنسوبة للرسال المتقدمين من العلامات التي ذكروا انها تكون في الرسول الذي وعد الله تعالى

بارساله وبين شؤن محمد واتباعه ووجدوا انها باجماع منطبعة
عليها لم يشذ عنها شيء مع بلوغ العلامات ما ينفرد عن سببين
وهذا العدد من الكثرة بمكان حتى شاع ذكره عند اردة المبتدعة
قال بعضهم ابعض ان اجتماع تلك العلامات لمحمد عليه السلام
ثم يكن حاصله لسواه من الرسل الذين جاؤا بعده ووردت في
العلامات في تلك الكتب الى زمن ظهوره وان وجد بعد في
بعض الرسل الذين جاؤا قباه لكن لم يوجد فيه ابعض الآخر
منها ولا يصح ان يقال انه وجد فيه لظهور ان صفته تتخالف ذلك
وتنافيه مثلاً من وجد منهم انه يحب البر ويبغض الاثم لم يوجد
فيه ان تخضع له الماوك ويسوق العالم بقضيب من حديد او يثو
قتول للاعداء ونحو ذلك ثم ان اجتماع تلك العلامات فيه عليه
السلام الا يصح في العقل ان يكون بوجه الصدقة مع كثرته وتوعده
ولا يقول بالصدقة الامكار متعنت ومن المبتدع والعند وعده
التحرز من سوء المعاد انما بعد ان وجد ان السباق هذه العلامات
الكثيرة على شؤن محمد (عليه السلام) ولا مانع يمنع من كبره
هو المعلم بها لا عقلاً ولا عرفاً ولا عادة ولا مترعاً ان نقول المعلم
بالمعلم بتلك العلامات هو غيره وان ذلك غير سنياتي بعد زمن
آخر ونترك اتباع هذا الشخص الذي تحققت العلامات فيه وننتظر

فخصا اخر موهوما مشكوكا في مجيئه فلوان خادما اعطاه سيده
كتابا وقال له ادفعه الى رجل يأتيك بعد حين ويقول لك انا
رجل الذي امرك سيدك بدفع الكتاب اليه وعلامة ذلك
رجل هي كذا وكذا وذكر جملة علامات يستبعد العقل اجتماعها
بـ اثنين ثم لما جاء ذلك الرجل عند الخادم وطلب منه الكتاب كما
ال سيده ورأى الخادم فيه تلك العلامات امتنع عن دفع الكتاب
ليه واحتج على امتناعه بانه لعل مراد سيدي غيرك أفلا يجزم كل
ما قل ان ذلك الخادم قد خالف سيده واستحق عقابه وترك الامر
لحقق وانتظر الامر الموهوم بلا داع يدعو الى ذلك سوى
وسواس او شي اخر قريب منه ففطن ان تركنا اتباع محمد (عليه
سلام) بعد انطباق تلك العلامات عليه واقمنا ننتظر غيره (لا سيما
ن حرت الميئات من السنين ولم يجي ذلك الغير) يحكم علينا
مقل السليم بما يحكم على ذلك الخادم من انحرافه عن منهج
صواب بلا ارتياب فاذا كان محمد صادقا في دعواه ووجدنا
به تلك العلامات وبعد ذلك لم نصدق واقمنا ننتظر غيره فاذا
كون جوامنا لربنا أن نكذب ونقول له لم تنطبق عليه العلامات
تي علمته بها وهو سبحانه لا يخفى عليه شي ام نقول له اننا لم
صدق له لاننا انتظرنا شخصا غيره يجيء فيما بعد فاذا سالنا وقال

ما الذي حملكم على ذلك ولاي دليل انتم في ترك تصديقه
وانتظار سواه فما جوابنا سوى ان نقول هكذا بعد تركه لانه حق
وانتظرنا الامر الموهوم ان يكون هذا جوابا منجيا لعدم دونه
فالصواب في حقنا ان نتمسك بما وصدق به دعواه واذا فرض
(وقد يفرض المحال للتوصل الى الحق في الاستدلال انه غير
المراد لله ولرسله بتلك العلامات واخطأنا بتدعيه مع جتماع
تلك العلامات فيه كان لنا عذر وحجة عند ربنا ان نقول
حينئذ ياربنا انت اعلم بكل شي وتعلم رسل الله ذوق
والمدعين الرسالة كذبا ولا يخفى عليك شي من حوادث المستقبل
البتة فحيث انك تعلم انه سيأتي رجل كذاب يدعي دعوى ربنا
وتوجد فيه جميع العلامات التي ذكرتها رسلك انها توجد في
الرسول الصادق الذي ترسله لنا افلا يكون من موجب حكمتك
التامة ورافتك ورحمتك علينا ان تنبهنا على لسان رسلك عن ذلك
الكاذب وتحذرننا منه ولو بعلامة واحدة تميزه عن رسول
الصادق المراد بتلك العلامات ولا اقل ان نقول لرسول الله ياتي
كاذب متصف بتلك العلامات قبل الرسول لصادق فاسد روه
فحيث ياربنا لم يحصل لنا شي من ذلك فحكمتك تقتضي اعتذارنا
من المواخذة والعقاب على اتباعنا غير مرادك لان عذرنا طاهر

ولكن حاشا ربنا من تلبس الامر على عباده لان التلبس نقص
في الحكمة وكل نقص في الحكمة محال على الله تعالى فالتلبس
على الله تعالى محال فلو كان المراد بتلك العلامات غير محمد
لحصل علينا التلبس منه تعالى لكن التلبس لا يحصل منه لانه
محال فلا يكون المراد غير محمد (عليه السلام) فهو المراد بها من غير
شك ولا تردد فنحن اعتماداً على جميع ما قام لدينا من هذه الادلة
بكل اطمئنان قد صدقنا محمداً عليه السلام واتبعناه لان صريح
عقولنا قد حكم بصدقه بمقتضى هذه الدلائل التي ظهرت لنا
اقول لو ان هؤلاء الطائفة حصلت مشاهدتهم لبقية العلامات
المذكورة له عليه السلام في تلك الكتب وظهرت في ملك امته
بعد زمنه بقليل او بكثير الى وقتنا هذا لزاد ابتهاجهم بتمام
علاماته وتوفرت قوة حجتهم على مخالفيهم وبيان ذلك انه صدق
عليه ما في المزامير (٧٥) ان الشعوب سقطت تحته فقد اخضعت
امته فارس والروم والبربر وسواهم واستولت على ممالكهم ولا يقار
ان السقوط تحت امته لا تحته لان هذا التعبير مجاز معهود استعمال
نظيره في كتب الرسل الا ترى ان الله وعد بني اسرائيل حين
اخرجهم من مصر ان يملكهم الارض المقدسة وانما ملكها ابناؤهم لان
نفس الذين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام قد ماتوا في

زمن التيه كما هو معلوم من تلك الكتب ونظائر هذا الحجاز كبير
(٧٦) وانه قامت بيده عوضا عن الانحرار في ارض فكم من
ذريته عليه السلام امراء في اليمن والحجاز وغرب وغيرها يقرم
ابناؤهم مقامهم (٧٧) وانه يذكر اسمه دورا فدور فهو يذكر اسمه على
ممر الايام بين امته في الاذان والصلوات وفتحة كل خطبة وختمه
كل دعاء (٧٨) وانه تحمده الشعوب فهذا حمده في الس شعوب
من امته من عرب وترك وفرنس وهنود وداغستان وبنغل وبنار
وبربر وسودان وغير ذلك (٧٩) وانه لم يزل يبارك وهو كذلك
الى هذا الدهر كيفما فسرنا المباركة باحد معانيه وصدق عليه تفسير
دانيال لرؤيا بخت نصر (٨٠) من انه عليه السلام اعطى سلطنة
له ولا تباعه فقد تسلطوا في مدة قليلة شرقا وغربا وعلى بلاد
فارس التي كانت هذه الرؤيا في شأنها (٨١) وانه الحجير الذي
انقطع من جبل وسحق الخنزف والحديد والنحاس وفضة وذهب
اي دول فارس المعلومة من كتب التاريخ و... سمحت من
امته ولم يبق لها باقية (٨٢) وان ذلك الحجير من رجلا وملا
الارض وعظيم سلطان امته كان كذلك ويصدق على تربعته
ما في متى من قوله (٨٣) يشبه ملكوت الله نجمة خردل خذ
اسان وزرعها في حقل فنمت وصارت شجرة كبيرة فكان

امر شريعته كذلك لان ابتداءها كان في غاية الضعف لانه قام
بها منفرداً مضاد القبائل والملوك فلم يال جهدا في رفع شأنها حتى
نصر دينه وانتشرت شريعته ونمت نمواً عظيماً لاسيما بعد ما
شرحها علماء امته واستنبطت احكامها واوضحت حلالها وحرامها
(٨٤) وان الملكوت نزع من غير امته وعطى لامته الذين يعملون
اتماره فهذه شريعته لاتضاهيها شريعة من الشرائع احكاماً وعدلاً
واداباً وهؤلاء اتباعه قائمون بها اعتقاداً وعملاً وصدق عليه ما في
المزامير (٨٥) من انه يملك من البحر الى البحر فقد ملكت امته
من بحر الهند الى اقصى بحر طنجة (٨٦) وانه يملك من النهر الى اقصى
الارض فقد ملكت امته من نهر الاردن الى نهر عند بني اسرائيل
في زمن داود الى اقصى بلاد العرب جنوباً وهي اقصى الارض
اذ ليس بعد ذلك الا الاوقيانوس الجنوبي ويصدق على اتباعه ما
في اشعيا (٨٧) من انه هرب اعداؤهم امام سيوفهم وقسيمهم وشدة
حربهم (٨٨) وانه فني مجد قيثار وهو ابو العرب وقلت عدد
قسيمهم وذلك بظهور امته الذين يعتمدون في التناصر على الدين
لا على الجنسية ويصدق عليه (٨٩) انه انفتح به اعين عمى واذا
صم وذلك هداية تلك الامم الجاهلية بشريعته (٩٠) وقد انفجرت
في البرية مياه وانهار في القفر وصار السراب أجماً والمعطشة ينابيع

ماء وذلك بما اجراه خلفاؤه في طريق الحجازية من مصاع
والاسيلة (٩١) وصارت هناك سكة رداً بفيق لـ ، قدسة لاه
يمر فيها اهل ملته الموحدو المقدسون من الترك (٩٢) ولا يترفعها
تجس لانها محرمة على المشركين (٩٣) والسالك فيم لا يخل كارة
علائها وآثار الحجاج الذين يمرن فيها كـ اكن داء وود مرفعة (٩٤)
ويسالك المغديون فيها ومغديو ارب منهم حجج الكعبة وزرار قبر
محمد عليه السلام كن عام (٩٥) او يرجعون ويأتون الى صهيون
احدى البلاد القدسية التي كانت في ملكة داود عليه السلام
يعني بهم الحجاج السوري بن الدين يعودون من بلاد اغبازة
الى بلادهم ومنها صهيون واظهر ما كان عودهم عنى هذا
الوجه عند ما كان قسم من الحجاج بنعطفون في عودتهم من
المزيريب الى البلاد القدسية كما يعلم من التاريخ وم تزل آثر
ذلك موجودة من البرك الكبيرة التي تشهد قرب قدس وحبرون
(٩٦) وهم بترنم وهو ذكرهم مولا هم على ما اولاهم من التوفيق لاداء
غريضة حجهم وزيارة قبر نبيهم عليه السلام (٩٧) وكونهم بسرح
ابدي هو معلوم لكل من يخالط الامة الاسلامية فبه يشاهد من
الحجاج فرحاً لا يماثله فرح من اي افراحهم حتى ولا فرح الاعراس
عند اكثرهم فترى السرور ملاء قلوب الحجاج عند عودتهم وقلوب

فرفقوا الهدايا واطعموا الاطعمة واجروا الصدقات
 در حاله ويدوم ذلك الفرح في قلب الحاج الى
 حياته ولذلك سمي ابديا ومهما حدث عليه من
 سفر الحج فلا يزال طول عمره يتلذذ بذكر ذلك
 دعوى الله ان يمنحه اياه ثانيا وليرباه ثانيا يدعو
 راء اذا اراد احد ان يثني عزم الحاج عند ارادته
 ل له يافلان يكفيك ما سبق لك فقد ادت
 استغراب قائله له وهل هذا الامر ثقل فيه رغبة
 من منهله الظمان هذا والله حال الامة الاسلامية
 الكعبة المكرمة وقبر رسولهم عليه السلام على رغم
 اونها والحجر الصحي الذي يثقل عوائقهم ويضاعف
 يموت منهم او يقتله قطاع الطريق ينسلون من
 اقصى كشغر ومخارى وخوارزم وافغنستان
 والجاوى وداغستان والكرج والقوقاز وفارس
 نول وبلاد الروس والعراق والغرب واليمن
 افريقيوم مصر والشام يتكبدون حرا لحواجر ويهجرون
 يسلكون القفار ويمتطون لجج البحار ويفارقون
 يهون عندهم اقتحام الاهوال وقد يمر على بعضهم

العام والعامان حتى يعود لأوطانه ويحظى بخلافته كثير منهم من
يجمع على الاقدام في تلك البوادي والاكمام كل ذلك نرحب
الرحمن وطالب الففران فهم بكل افتخار اعظم من تمتت بالدين
ودفع الوهم باليقين (٩٨) وقوله عن اولئك العائدين الى صهيون
وعلى رؤسهم الابتهاج والفرح هو ظاهر في احتياج باينونه
من زيارة الكعبة المكرمة وقبر نبيهم عليه السلام فترى مبتهجين
فرحين بما اتاهم ربهم (٩٩) وقوله ويزول حزنهم يعني الذي كان
في قلوبهم قبل نوالهم مرغوبهم في تلك الزيارة مباركة . . .
وقوله ويزول التند يعني الذي كان يعتريهم ايضا قبل حجهم الفلة
ذات ايديهم اولموانع اخرى فهذه تمام مائة علامة تنطبق على
احوال محمد عليه السلام واحوال امته وبها قد ظهر الصبح لمدي
عينين وزال عن القلب الغين

ثم اقول لو بقيت هذه الطائفة الى هذا الزمان ايضا لكنت لهم
استدلال من تلك الكتب على صدق محمد عليه السلام من اظهر
ما يكون وبيان ذلك انه ورد فيها كما في الزبور ان طريق المنافقين
تهلك وانه يهلك كل الذين يتكلمون بالكذب وان وجه رب
على الذين يعملون المساوي ليبيد من الارض ذكرهم وان سواعد
الخطاة تكسر وانهم يهلكون وان اعداء الرب اذ ينجدون ويرتفعون

يبيدون وكالدخان يفتنون انتهى فاي ذكر باد لمحمد عليه السلام
مع مرور ثلاثة عشر قرنا واسمه يذكره الالوف والملايين من أمته
على المنابر وفي المآذن وفي الصلوات وكثير من العبادات في اقطار
لارض من مشارق ومغارب ومدن وقرى وقفار وبحار آناء
للليل واطراف النهار ولا يذكر اسم الله تعالى في الغالب الا مقرونا
ه اسمه عليه السلام معظما مجلدا مدعوا له بكل خير محمودا بالاسنة
محبوبا في القلوب مفدى بالارواح محفوظ المقام مرعى الجناب
سعى الى حضرة قبره الشريف كل سنة الالوف المؤلفة من ماوكشوامراء
اعزة وكبراء واغنياء وفقراء يسلمون عليه ويطلبون الشفاعة لديه
يتبركون بلثم اعتابه ويتداوون بعفير ترابه ترفع اليه مدائح الشعرا
محامدا الفصحاء مزينة بذكر محاسن صفاته وباهر اياته ولم تنزل
شريعته عليه السلام معززة مرفوعة المنار موفرة الانصار نقتبس
من انوارها الامم وتهتدي بشمسها العرب والعجم واتباعه بفضل
لله تعالى ما لثون الارض متبعون ما شرع لهم من سنة او فرض
ان خالف بعضهم بعضا في فهم بعض الاحكام من شريعته عليه
لسلام عند ارادة توضيح المرام فهم متفقون على اصولها ذات
لاحكام من التوحيد والتصديق بالقران والحشر والنشر ورجود
ار السلام ودار الانتقام متماون على حبه وتعظيمه على ممر

الليالي والايام فاي هلاك هلكوا واي سراعد لهم كسر واي فساد
كالدهان فنوا غايه ما يكون ان يهلك من ابتلا في هذا
العالم المنطبع على البلاء سنة الله في خلقه من محمد سنة الله تبدل
وصورة استدلال هولاء الطائفة على صدق محمد عايه اسلام
لو بقوا الى هذا الزمان ان يقواوا لو كن محمد واتباعه من ذكر
في كلام المزامير من الخطاة والكاذبين واعداء رب يعمل بهم
جميع ذلك النكال من ابادة الذكر والامانة وفساد كالحان
وكسر السواعد والالزم تخلف خبر الرب على سان داود لكنه
ثم يفعل بهم شي من ذلك فهم اسوا مما ذكر ابته واذا بكروا
من ذكر فيكونون من الطاعين والصادقين واحباب الرب
وحيث اذا نحن كذبناهم وارادنا نقض ما جاء به محمد عايه اسلام
نكون محاربين لله تعالى كما قل عملايل معلم اليهود في حق
الحواريين كما في اعمال الرسل وان كان يعني راي الحواريين
وعملهم من الله تعالى فلا تقدر ان تنقضوه نتلا توجدها
محاربين لله تعالى انتهى وعند ما ينتظم لاولئك الطائفة هذا
الاستدلال كنت تراهم من اكل الناس ايماننا دافعين كل وسوسة
ترد على قلوبهم قائلين قبح الله الشيطان وقبح الله الهوى ما اخذنا
عن التعصب الاعمي واسر الضمير واسترقاق الفكر ايليق بنا

لنجعل من الحق ايحسن بنا ترجيح العاجل الدني الفاني على
لآجل العظيم الباقي يجعل بنا الركوب الى الغفلة عن النظر في
لعواقب والتقليد الفاسد والجمود الدار لا والله لا يرضى بذلك
عاقل فانا لله وانا اليه راجعون والله الهادي الى سواء السبيل
بطائفة منهم كانوا فلاسفة اخلاق واداب ولهم معرفة تامة في الشرائع
لتي شرعها الله تعالى للامم السابقة ودقة نظر في اسرارها وفوائدها
بفطرة سليمة تميز بين الحسن والقبيح من الصفات والافعال
والسياسات والاحوال فقالوا من المعلوم ان لكل رسول يبعثه الله
ندالى آيتين تدلان على صدقه احدهما عقلية يعرفها اولو البصائر
والافهام وهي ماله من الاصول الزكية والصور المرضية والاحوال
لكمالية والعلوم الباهرة والدلائل القاهرة وثانيتها هي المعجزة التي
ندركها الحواس تكون خارقة للعادة وهذه يطلبها احد رجلين اما
اقص عن ادراك ما تقدم ذكره من الاصول الزكية وما عطف
عليها فيحتاج الى ما يدركه حسه لقصوره عن ادراك ذلك واما ناقص
بمع نقصه هو معاند فقصده بما يطلبه العناد فيقول للرسول المبعوث
ليه لا اومن بك حتى تفجر لي من الارض ينبوعا او تكون لك
جنة من نخيل وعنب وتفجر الانهار خلالها تفيجيرا او تسقط السما
علي او تاتي بالله وبالملائكة او يكون لك بيت من زخرف او

ترقي في السماء ولن أومن برفيائك حتى تترك بي كتابا أتراه
فيقول له الرسول سبحان ربى هل كنت لا بشرا سؤالا عني
اني بشر عاجز وإيجاد هذه المطالب وامتثالها مفضى الى ربى ان
شاء ايدنى بها وان شاء لم يفعل نعم ان منصبى نزل به وقد سخطك
ما امرنى الله بتبليغه فاختر لنفسك ما تشاء ونحن لله المستسلمون والمنة
لسنا من القاصرين عن ادراك ايات الرسل التي هي من تسم
الاول بل نحن من ذوي البصيرة والمعرفة وقد تاهد في محمد
صفات فاضلة هي من شأن الرسل الذين يرسلهم الله الى هداية
الخلق وذلك كشرف النيب وحن الخلق والخلق مذكور في سورة
حجة واستقامة محجة فعلينا بعد ذلك ان نتردى في دعواه وننظر
فيما احتوت عليه شريعته التي يدعي انه مرسل بها من عند الله
تعالى فان كانت محتوية على الامر باعتقاد العقائد الصحيحة التي
تكون موافقة لما يعطيه البرهان الصحيح ولا يكافى لانسان بان
يذعن بضد يقينه وعلى الامر بالتحلي بالاخلاق الحسنة والاداب
المستحسنة والصفات الكاملة والاعمال الفاضلة والتدبيرات التي
تحفظ حسن نظام هيئتنا الاجتماعية والعبادات التي تحسن تربية
الشكر لنعم خالقنا علينا واجابها يكون لحكم ترجع بالنفع لنا كما
هو سر العبادات التي تكون في شرائع الرسل لان الله تعالى غني

عن كل شي وكنت مشتملة على النهي عن اعتقاد العقائد الباطلة
الخرافية المكلفة للانسان الاذعان بضد ما تعطيه المشاهدة والبرهان
وعلى النهي عن الاتصاف بالاخلاق الذميمة وخلع حلة الاداب
والتدنس بصفات تدم وتعاب والاخذ بامور تخل بحسن هيئتنا
وتفصم عقد نظامنا ولا تكلفنا باعمال تزعمها عبادات تكون كفرانا
لنعم ربنا مخلقة بالادب معه تعالى فهو رسول الله تعالى بلا شك لان
هذا شان رسله تعالى وحالة شرائعهم عليهم السلام لاسيما اذا لم
يكن في شريعته ما يرجع عليه بالنفع الخاص ويضر بالصالح العام
فنؤمن به حينئذ ونصدق به وان كان الامر بخلاف ذلك فنرفض
دعواه ونشدد له المعادة فتأملوا في شريعته وما اشتملت عليه
واستقصوا في البحث والانتقاد فوجدوا ان شريعته عليه السلام
تأمر بالاعتقادات الصحيحة الحق الخالية عن كل خرافة وعما
يكون ضد اليقين وبالتخلق بالاخلاق الجميلة والتادب بالآداب
النبيلة والاتصاف بالافاضة والكمال والاخذ بالتدابير الفاضلة
التي تحفظ هيئة امته ونظامها وتعود عليهم بالمنافع وتدفع عنهم
المضار وبالعبادات التي تحسن تادية شكر النعم للخالق تعالى وهي
تنطوي على حكم ترجع عليهم بالنفع الكثير وتنهى عن العقائد
الزائفة الخرافية المخالفة ليقين الانسان وعن التخلق بالاخلاق

الذميمة وخام حلة الآداب والتدس بالصفات التي تعاب وارتكاب
أعمال سيئة التدبير تخل بنظام الأمة وعن العبادات الباطلة الخلة
بالآداب مع الله تعالى والمنتجة كفران النعم لانتكراها وتمصيل ذلك
أنهم وجدوا الشريعة الحميدة محتوية على الأمر بتوحيد الله تعالى
ذاتا وصفات وأفعالا واعتقاد أنه تعالى متصف بصفات أكمال
ومنزّه عن صفات النقصان فتوجب على المكلف أن يعتقد أنه
سبحانه وتعالى موجود حي عليم أكل العلم يريد أنتم الإرادة تادر
أعظم القدرة مستغن عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه لا يشابه
أحدا من خلقه ولا يشابهه أحد منهم قديم أزلي دائم أبدي ليس
لقدمه بداية ولا لدوامه نهاية حكيم يفعل الأشياء طبق الحكمة
من غير وجوب عليه لا يكلف العباد بما ليس في وسعهم لا خاق
سواه ولا مدبر غيره خلق الخلق من العدم وقدر أحوالهم من القدم
منزه عن الظلم ولا يتصور منه لأن الظلم التصرف بملك الغير بغير
رضاه وهو سبحانه المالك الحقيقي المطلق لجميع الكائنات حنق
دارين غير هذه الدار أحداها لنعيم من أطاعه والآخرى لعذاب
من عصاه فهو يعيد الخلق بعد الفناء كما خلقهم بعد الدم يسبب
المطيع ويعاقب العاصي إن شاء والالم يكن من الحكمة أن يتساوى
بعد الموت الغنى المترفة الجبار الظالم لغيره الكافر بربه مع الفقير

المؤمن وان له سبحانه وتعالى ان يتصرف
عاشاه ان تجرى افعاله على خلاف منهج
مة وكل ما جاء منه فهو بحسب صدوره
لى البشر لهدايتهم الى العقائد الصحيحة
بقولهم وان كانت تدل على وجوده تعالى
ية التي تستلزمها الالهية ولكن كثيرا
، للعقول البشرية التوصل الى اعتقادها
وائك الرسل وكذلك في ارسالهم هداية
م واستكمال شؤونهم لان حكمته اقتضت
ن اخلاق حسنة تساعد على انتظام
لاجل ان يتسابقوا بها في عمار هذا
م فيه الى اجل معلوم لكن لما كان تحديد
وقوف كل راغب عند حده ويأسه من
حركة المسابقة لم تعدل الاخلاق في اصل
اخلاق السيئة في معرض الطغيان
ع به ضررها اكبر من نفعها فاقتضى الحال
ما النافع غير الضار فبعث الرسل لتلطيفها
لدرجة يظهر فيها نفعها ويزول عنا ضررها

فكأنها تعود اخلاقا حسنة بعد ان كانت سيئة وذلك لتلطيف
يكون من ارسل بالثمن مؤثرين في نفوس هذا الترغيب
والترهيب معا يقوى تأثيرهما من اقامة الدلائل على حسن الحسن
وقبح القبيح مثلا اطمع حلق سي ولكن لولاهما اتبته اخلاق اعباء
المكاسب والفرس والهمارة واذا طغى شأه عند مذبذبات الحلق
وتولدت الشرور المبيدة فشرعية الرسول بلطفه وترده الى رادة
السعي والتعيش بعد ان يكون ارادة التكثر والاستقامة وذاك تتم
المسابقة في عار الكون بلا ضرر ولا ضرر والى هذا لاشارة بقوله
عليه السلام بعثت لاتم مكارم الاخلاق ثم هؤلاء ارسل
طبعهم الله تعالى على الصفات الكاملة من اصدق ولامنة وقيام
بالحق في جميع احوالهم مع البر والاحسان واتصية اكل انسان
ونزهم عما لا يليق بمنصب رسالتهم من الوقوع في المعاصي والاتصاف
بسفاسف الامور ووجود كل منفر للخلق عن الاقبال اليهم وما
وقع منهم من صور المعصية وسماها الله معصية وهي امور طائفة
لا تنقص مراتبهم ولا تحط بشؤونهم وتسميتها معصية ومعدنتهم عليها
من جانب الله تعالى ليس الا بالنسبة لعل مراتبهم وسمو مقاماتهم
عليهم السلام وحكمة وقوعها منهم الاشارة الى انفراد الله تعالى
وتوحيده بالكمال المطلق فهم مبرؤن من كل ما لا يليق وقوعه من

عن وقوعه منهم وهم كل الخلق وصفوة
لا سيما في محارصهم والتسلط على اعراض
سات والكذب والخيانة والكفر وعبادة
مع ذلك والشرعية الحمديّة تأمر بالثناء عليهم
ولزوم الادب معهم والعمل بما جاءوا به
كانت تناسب ازمته فابدلت في الشريعة
عليه السلام بأمر الله تعالى الذي قدر من
اسبه من الاحكام وتأمر ايضا هذه الشريعة
لازم الانسان من العلم النافع في تصحيح
لاخلاق والآداب وبعد امرها الامر الاول
تصديق الجازم بجميع ما جاء به محمد عليه
السلام وهو الخضوع والانقياد لجميع ما جاء به
مر بالتقوى وهي اتقاء كل مضر للانسان
بالعمل لله تعالى وبالبر والاحسان في العمل
كأنه يراه وبالنصيحة لخلق الله تعالى وبالصبر
وهو الوبالرضى بما يرضى الله تعالى وبالحياء
نوف ارتكاب القبائح وبالحلم وهو الطمأنينة
وبالعفو وهو ترك المجازاة للمذنب مع القدرة

عليها ما لم تكن حدا من حدود الله تعالى وبغبطة في عمل الخير
وبالسخاء والكرم وبالشجاعة وبالحمية وهي المفضلة على الحرم
والدين من التهمة وبالنجدة وهي عدم الجزع عند المخاوف وبلايثار
وبالمروءة وهي الرغبة الصادقة في الافادة بقدر ما يمكن وبالعدة
وهي السكون عند هيجان الشهوة وبالتذاعة وبإيقار وهو التأني في
التوجه نحو المطالب وبالسكون وهو التأني في الخسوفات والحروب
وبالرفق وهو حسن الانقياد لما يؤدي الى الجميل وبمحسن
السمت وهو محبة ما يكمل النفس وبالحكمة وبالشكر وبالحنوف
من الله تعالى وبالرجاء منه وبالتفويض اليه والتسليم وبالاتقة وهي
اتفاق الاراء في المعاونة على تدبير المعاش وبالبقاء وبالبصيرة
وبالشفقة على خلق الله تعالى وبالإصلاح بين عبده وبالإمامة
وبانجاز الوعد وبالوفاء بالعهد وبالحب في الله وبالبغض في الله
وبمحسن الظن وبالرشد وبالسعي وبالأناة وبالمبادرة في عمل الخير
وبالصلابة في امر الدين وبالأنس بالله وبالشوق اليه وبمحبة تعالى
وبالعفة وبالورع وهو ملازمة الأعمال الجميلة وبالاستقامة وبالشهامة
وهي الحرص على ما يوجب الذكر الجميل وبإرقه وهي التأذي من
أذى يلحق الغير مطلقا وبالنزاهة وهي اكتساب المال من غير
مهانة ولا ظلم وانفاقه في المصارف الحميدة وبكظم الغيظ وبالخشوع

وبالعبودية لله وبالحرية وهي تحرير النفس من ربة الشهوات
ومحاسبة النفس ومعاتبتها وهكذا من كل خصلة حميدة وخطئة
مفيدة (فعلى المرء ان يبالغ نفسه للتخلق بهذه السجايا ويجد في
ابلاغها درجة الكمال) وتنبهي الشريعة الحميدة عن الكفر واتخاذ
الشريك لله تعالى في العبادة وعن الفسق والعصيان لله تعالى
في اواخره ونواحيه وعن اتباع الهوى وعن الرياء وهو العمل لاجل
رؤية الناس وعن الكبر وعن الحقد وعن العجب وهو ان يرى
الانسان نفسه بعمله بل عليه ان يرى الفضل لله تعالى الذي وفقه
للعمل وعن الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن الغير وعن الشماتة
بمصائب الخلق وعن المداوة لغير الله وعن التهور وهو ان يهجم
المرء على ما لا يكون كفواله وعن سوء الظن بالله تعالى وعن الطيرة
والتشاؤم الذي لا مستند له من الشرع وعن البخل وعن الشح وعن
التقتير وعن الاسراف والتبذير وعن حب المال للحرام وعن الكسل
وعن البطالة وعن العجلة في الامر وعن الفظاظة وعن غلظة القلب
وعن الوقاحة وعن قلة الحياء وعن الجزع وعن كفران النعم
وجحودها وعن السخط وعن الغضب وعن بغض العلماء وعن
الجراءة على الله تعالى وعن الأمن من عذابه وسخطه وعن
التأسف على ما فات من امر الدنيا وعن الضعف في امر الدين

وعن الطيش والخفة وعن اعداء وعن مكبرة لحق زاكراه بعد
العلم به وعن التمرد والاباء وعن الشره وعن ضاع وعن خمود وعن
الاصرار على المعاصي وعن الغضب بالباطل وعن الحمية غير دين
الله تعالى وعن القنوط من رحمة الله تعالى وعن شعبة العظمة
والفسقة وعن بغض الصالحين وعن قسوة القلب بحيث تمنع
صاحبها عن اغاثة المضطرو عن آفات كثيرة للسان فهذا النسيمة
وهي كشف ما يكره كشفه وافشاء سر واستنرية والاستهزاء
والاستصغار والاستخفاف بالناس واللعن والسب والستم وتعبير
عن الامور المستعجبة بالعبارة الصريحة والظعن بالاسب والبراء
وهو الطعن في كلام الغير لا لظهار الحق والخصومة عند او الخوض
في الباطل والشحاذة لغير مضطر والمنافقة باللسان وكلام ذي
اللسانين بين المتعادين والشفاعة السيئة والامر بالمنكر والنهي عن
المعروف وغلظة الكلام والعنف فيه والسؤال والبحث عن عيوب
الناس والدعاء للظالم بالبقاء والكلام المنيوي في مساجد ومناظرة
بالا لقاب واليمين بغير الله وكثرة الخلف ولو على اصدق لاجل
تعظيم اسم الله ورد عذر اخيه وعدم قبوله وتفسير القرآن برأيه
وقطع كلام الغير لغير مصلحة شرعية ورد لتابع كلام المتبوع
ومخالفته وعدم قبوله ما دام كلام المتبوع لا يمنعه الشرع والتناجي

بين اثنين عند ثالث والتكلم مع الشابة الاجنبية ودلالة من يريد
المعصية على طريقها والمزاح الذي يمنعه الشرع ويوصل الى الشر
والكلام فيما لا يعني وافساد العبد عن سيده وافساد المرأة عن
زوجها وكتمان الشهادة وشهادة الزور وقذف المحصنات الغافلات
وسب الاموات وسب السلاطين وترك الدعاء بصلاحهم وكنم
العلم وتعمد الكذب على الله تعالى وعلى رسوله والكلمة التي تعظم
مفسدتها وينشر ضررها وملازمة الفحش حتي يخاف الناس من
شره والالحاح بالسؤال المؤذي للمسئول ايداء شديدا والمن
بالصدقة وكفران نعمة الخلق المستلزم لكفران نعمه الخالق وترك
المريض اقراره بما عليه من الدين والاقرار بنسب كاذبا او
جحوده كذلك والاستطالة في الاعراض وانتساب المرء الى غير
ابيه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيبة وهي ان
تذكر اخاك بما يكره في نفسه او فيما يخصه وهي اكثر آفات
اللسان وقوعا ومن اعظمها ضررا وعن افعال واعمال قبيحة كثيرة
ايضا منها نقض العهد وخلف الوعد والخيانة والمكر والخديعة
والفتنة وهي ايقاع الناس باضطراب والاختلال والاختلاف بلا
فائدة دينية وقتل النفس وقتل الانسان نفسه والزنا واللواطه
واتيان احد ولو امراته في الدبر لان في هذه الامور الثلاثة ثقليل

النسل ومخالفة الحكمة الالهية وفي رايه لا سب لمودي
لترك التناسل وغش الغير في سبب وقيامه لا ريب في مستغنى
وضياع الولد لعدم من يريه حق التربية الى غير ذلك من المعاصد
التي يطول شرحها ومس المرأة الاجنبية والمارة لان ذلك داعية
الزنا وفل مثل ذلك في تولد الاصرار وولي الحسن فيه من
الاذى وسفر اراءة في طريق تحرف فيه على ضمها وسبه ورجال
بالنساء والنساء بالرجال والجمع وابتلى في رواج
للقادر عليه ولا عذر له في تركه لان فيه تعريض حكمة لاهية
في تكثير النسل وعفضل اولي موليته عن نكاح واسترجل
سر زوجته وعكسه وخروج المرأة مزينة ولباسه وثيقة بين
الرجال والنساء وشرب المسكرات لان فيه ذهاب عقل الذي
هو افضل نعمة على الاسان والسكران مستعد وتوقع في كل معصية
وارتكاب كل شنيعة والنفع المارعوم به لا يوزي دماره والمقدرة
التي تعرض المال للمخاطرة وانفاق السعة بالحرف ككاذب
وبخس الكيل او الوزن او الذرع ومطلل نغني باسمن بعد مطالبته
وانفاق المال في المحرمات وايداء الجور ولو ذميا وسرقة ونهيب
والربا الذي يفقد معه عمل المعروف من الدائن بلا قراض وسد
حاجة المحتاج بالاستقراض وتلقي الجلب والسوم على السوم وخيانة

احد الشريكين لشريكه راستمال الماريه في غير ما اذن به
صاحبها وتأخير اجرة الاجير او منعه منها بعد فراغه ومنع الناس
من الاشياء الباحة لهم عموماً او خصوصاً وتصرف في الطريق
الخاص بغير اذن اصحابه او العام بما يؤذي والخيانة في الامانات
والتصوير ووضع الصور الخيرية في المكان تباعداً عن التشبه
بعباد الحيوانات وصورها والاكتثار من الطعام بحيث يضر وترجيح
احدى الزوجات على الاخرى ظلماً وعدواناً وتهاجر المسلمين
فوق ثلاثة ايام والتدابير والتشاحن واضاعة المراء اولاده وعياله
والضرب لاحد بغير مسوغ شرعي ونرويع احد بسلاح من غير
مسوغ شرعي ايضاً والسحر وتعلمه وتعليمه وطلب عمله والكهانة
والتنجيم واتيان اصحابها والخروج على امام المسلمين بلا تاويل او
بتاويل يقطع ببطلانه ونكث بيعه الامام لفوت غرض دنوي
وقبول الامارة مع علم المتولي بميانة نفسه وتولية جائر او فاسق
اخر من امور المسلمين وعزل الصالح وتولية من دونه وجور ولاية
الامور واحتجاب ولي الامر عن قضاء حوائج رعيته المضطرين اليها
بنفسه او نائبه وظلم الامراء والقضاة لمسلم او ذمي ننحو ضرب او
شتم وقبول القاضي هدية من احد لم يكن له عادة باهدائها له قبل
توليته القضاء وقبوله الضيافة الخاصة واخذ الرشوة من محق او مبطل

ودفع الرشوة من مبطال لا من محقق استطاع دفعه و دفعه
بالرشوة المحرمة وخذلان المظلوم مع قدرة على نصرته وهتت مسلما
وتتبع عوراته حتى ينفذ مع والاع المراء على در غرور بغير اذنه
ولو من ثقب واتسمع لحديث قوم يكرهون الاصلاح عيهم و ترك
الجهاد عند تعينه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقتل
او ظلم او غدر من له امان او عهد او ذمة و ترك رعي بعد تعامه
وتوايته القضاء من يعلم قصوره عنه بالجور او الجهل او الخصومة
بباطل او بحق مع اظهار اللدد و الكذب لا يذم الخدم و تسلط
عليه والخصومة لمحض العناد بقصد تهور الخصم وكسره و جرح نفسه
بتسمه و جرح المقوم بتقويمه والجلوس مع النفس و التفريط تحت
شجرة مثمرة او على ضفة نهر وترك توبة عن المعاصي وهكذا سن
كل ما يضر بالهيئة الاجتماعية او النفس او المال او العقل او
الشرف ما لو اردنا الاحاطة به مع ذكر ادلته من القرآن والاحاديث
المنقولة عن محمد عليه السلام لضاق لذاك مجلدات الكبرية ثم
ان هولاء الطائفة تاملوا بالعبادات التي اوجبها الشريعة الخسدية
على اتباعها فوجدوها اعمالاً منطوية على تعظيم الخلق سبحانه
واداء بعض شكره على نعمه التي لا تحصى مما اشتملت عليه من
الاسرار والحكم والفوائد التي يفوز بها المتعبد وينال اعلى منازل

السعادة وذلك من تهذيب نفسه وتخليتها عن الاخلاق الذميمة
وتخليتها بالسجيا الحميدة وتذكاره بخالفه لئلا من الغفلة عنه
سبحانه بما يستولى على قلبه من شواغل الدنيا فيحجم عن العصيان
ويهجرا ما في الشيطان وتلازمه المراقبة بان عليه رقبيا هيمنا قريبا
ومن الاجتماع مع اخوانه في اوقات العبادات الداعي ذلك الى
الالفة معهم والاطلاع على شؤونهم المحتاجة للتعاون والتوازر ومن
اغانة ذوي الحاجات وتصور حالهم المحزنة ليقضي ذلك بالشفقة
عليهم والاحسان اليهم وتذكر شؤن الرسل المتقدمين وآلم
الذين ادوا عبادة ربهم وامتشلوا اوامرهم واجتنبوا نواهيه ليكون
ذلك داعيا للاقتداء باعمالهم والنسج على منوالهم وتجديد الشاء
عليهم وعلى متبعيهم ومن السعي في تكثير سواد المسلمين وهداية
المخالفين واعلاء كلمة الله تعالى الى غير ذلك من الثمار الياينة
والفوائد النافعة والتدابير الجامعة المنبثه في تلك العبادات ولا يعقباها
الا العلمون ومن نظر الى ظواهر تلك العبادات وغفل عن حكمها
واسرارها وفوائدها واثمارها كان كمن نظر الى صدفة مملوءة بالدرر
النفيسة فيحسبها قطعة حجر فلا يلقي لها بالا ولا يروق منظرها في
عينه حسنا وجمالا فيفوت ذلك الجاهل انفس نفيس ينفق في
تحصيله الذهب الابريز ويفادي به كل عزيز وربما بعض الجهلة

المطموس على بصيرته يستقيج تلك العبادات فهو كالمريض الذي
ينكر طعم الماء ويحكم بضرورة الخلاء فليته اذا استصعبت بانفسه
الساقطة الهمة يعتقد بها اعتقاد المريض بالمدو ثم يحكم بنفسه
ويتكلف تجرعه فقاتل الله الجهل وقبح محباده من صاحب سوء
مشؤم الطالع على اهله بوقعه بالخسران ويلعب بهم ككرة الصبيان
وتمصيل بعض ما نال هذه الطائفة من امرار عبادات في شريعة
المحمدية انهم وجدوا ان تلك الشريعة قد امرت كل مكلف من
اتباعها باداء عبادة تسمى الصلاة وهي عبارة عن قول وافعل
مبتدأة بتكبير الله تعالى مختمة بالتسليم يأتي بها المكلف كتمتل
بين يدي الله تعالى وقد شرعت ان يدعو المنادي المكلفين اليها
عند حضور اوقاتها بافصح الفاظ مستملة على اشرف معنى فيبدأ
بتكبير الله تعالى اربع مرات كأنه يقول ايها الناس كل ما انترفعه
من رغائبكم الدنيوية والاخروية الحسية والمعنوية فانه تعالى كبر
واحق برغبتكم في جنابه من كل مرغوب فيه ثم يشهد له سبحانه
بانفراده بالالوهية مرتين كأنه يقول لا يقضى حوائجكم الدنيوية
والاخروية حقيقة الا الاله الحقيقي الذي من اخص اوصافه
التي ينفرد بها استغناؤه عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه
اليه والله تعالى قد انفرد بمقام الالوهية الحقة فعليكم ان تعبدوا

جنابه في طلب حوائجكم الدنوية والاخروية وتلتجؤا الى حضرة
ثم يشهد لمحمد عليه السلام بالرسالة مرتين كأنه يقول ان هذا
الرسول الذي هو الواسطة بينكم وبين ذلك الاله العظيم في
هدايتكم لمصالحكم الدنيوية والاخروية وقد علمتم بالمشاهدة او
بالدليل ما عليه ذلك الرسول من النصيحة لكم والهداية الى سبيل
الخير فعليكم اذن ان تسعوا لاداء ما شرعه لكم وهداكم اليه من
هذه العبادة الجائلة المتكفلة لكم بالخيرات الحسان ثم يطلب منهم
الاقبال على تلك الصلاة مرتين وهو كالتصريح بما اشار اليه اولاً
بالتكبر والتشهد من لزوم الالتجاء الى حضرة ذلك الاله العظيم او هو
كالنتيجة لما تقدم كانه يقول اذا كان ذلك الاله اكبر من كل
كبير ومنفردا بالالوهية وقضاء حوائج المخلوق وذلك الرسول
الناسخ قد هداكم الى عبادة ذلك الاله ووعدكم ببلوغ امانيتكم بها
فعليكم ان تقبلوا عايتها وتدخلوا حضرة ذلك الاله الجليل وتوسلوا
اليه وتطلبوا قضاء حوائجكم الكمية والجزئية منه عند اداء تلك
الصلاة ثم يشير الى ثمراتها وما احتوت عليه على وجه الاجمال
فيقول حي على الفلاح مرتين كأنه يقول ان فلاح المرء هو اعظم
رغائبه وان الفلاح الدنيوي والاخروي منوط بهذه العبادة لما تفيده
من تهذيب الاخلاق واستحضار عظمة المخلوق ونوال الثواب يوم

المآب فاقبلوا عليها واغتنموا فلاحها ثم بعد ذلك كنه ستعرف
ذلك المنادي ويريد صرف هم المكائين لا كمال الرغبة اليهم
اذا قبلوا على هذه العبادة فلا يجعلوا مطمح اظارهم الاجابات
الحق تعالى والقرب الى حضرته فابكن هم لمقصد الاعلى ولمراه
الاسنى في هذه الدار وفي دار القرار واذك يعيد كبر مرتين
وافراده تعالى بالا لوهية فيقول الله اكبر الله كبر لا اله الا الله ثم ان
السامعين لذلك المنادي يقولون مش قوته كنههم يحسرحون بموانيتهم
على ما يسمعون منه ويقولون صدقت فيما نقول لكن عند طائفة منهم
الاقبال على الصلاة والاقبال على الفلاح لا يتوون من قوته لان
تلفظ المأمور بلفظ آمره الذي أمره به بعد كاستخارية من يقولون
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كنههم يقولون ان تحصيل هذا
الخير العظيم من الدخول في تلك العبادة ونوال فلاحها لا طمع
لنا فيه الا بحول الله تعالى وقوته فنحن نستعين به تعالى ه ايس قوله
ذلك عن قصد التكره لما دعوا اليه كما يستشكك بعض الجهالة ثم
عند اجتماعهم في المكان الذي يخصص لاداء تلك عبادة يعيد
عليهم ذلك المنادي تلك الالفاظ المتقدمة التي دعاهم بها اولاً
لتاكيد تلك المعاني في نفوسهم وليسمع من لم يكن سمع اولاً بل
حضر بسبب غير سماعه النداء وليكونوا على اتم الاستحضار لدخول

تلك الحضرة الجليلة حيث قد قرب وقت دخولها ولهذا يزيد على
تلك الالفاظ قوله قد قامت الصلاة مرتين اي قرب وقت قيامها
ثم ان هذه الشريعة شرطت لهذه العبادة شروطا وسنت لها آدابا
فشرطت لها طهارة بدن المصلي وثوبه ومكانه من اعيان مستقدرة
ترد من خارج البدن او من داخله وطهارة بدنه من احوال
اعنبارية تسمى احداثا يعتبر قيامها في بدنه عند حدوث امور
مخصوصة وكأن في ذلك الاشارة والتنبيه للمصلي على انه عند
دخوله في الصلاة التي هي بمنزلة حضوره بين يدي مولاه ودخوله
في حضرته لاداء شكره وطلب بره يلزمه ان يكون نظيف الجوارح
من الاعمال الذميمة التي يكون منشؤها من ميله وشهوته او من
وساوس ترد عليه من غيره وان يكون طاهر القلب من الاخلاق
السيئة غاسلا جميع تلك الادران بماء التوبة والندم كما ان من
يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا يجتهد ان لا يقع نظر الملك على
شيء معه تشمئز منه نفسه ثم في غسل الجسد بالماء تنشيط يصل
اثره للروح اذ العلاقة بينه وبينها لا تنكرفكل تأثير باحدهما يظهر
في الاخر فترى الروح عند تلك الطهارة قد انشרכת وزال
كسلها كأنها نشطت من عقال لاسيما عقب مباشرة النساء وفيها
من الفوائد الطبية ما لا يخفى ثم ان الشريعة قسمت طهارة

بدن المكلف من الاحوال الاعتبارية التي تعتبر فسادا في بدنه
وتسميها احداثا الى قسمين طهارة كبرى وهي غسل جميع الجسد
وطهارة صغرى وهي غسل اعضاء منه مخصوصة بمسح اخرى
فاوجبت غسل جميع الجسد عند خروج مبي وارحكه كما في
حالة الجماع بلا احساس بانزال او عند خروج دم رحم الحيض
او النفاس لان هذه الاعيان المستفردة واردة من جميع بدن
فتعتبر الشريعة بخروجها ان حالة اعتبارية تسمى حدثا اكبر قد
حلت في جميع البدن فكانها تشير بفصله وتطهيره الى انزلة طهارة
من الذنوب التي تنسب الى البدن جميعه لا الى عضو مخصوص
لا سيما الاخلاق السيئة وايضا ان هذه الاعيان هي مادة تكوين الولد
فالمني مادة تلقيحه وتصوره ودم الرحم مادة غذائه وفوه ووه
الذي يحدث بسببها يحتمل ان يكون نقياً وبمحتمل ان يكون
شقياً فباعثا النظر الاحتمال الاول يكون التسبب في تكون
الولد من الاعمال الممدوحة شرع الموعود عليها باشواب جزل
للزوجين المتباشرين لا سيما ان كانت مباشرة على نية صالحة
يقصد بها تكثير نسل الموحدين المطيعين لله تعالى وباعثا النظر
للاحتمال الثاني تظهر الاشارة الى المكلف عند خروج هذه الاعيان
منه ان هذه الاشياء المنفصلة منك المشترك فيها جميع جسدك هي

مادة اتكوين ولد يحنل ان يعصى الله تعالى ويكفر به فتنه
بغسل جسدك الى التوبة من تأهلك لهذا الذنب الذي انت في
معرض الوقوع فيه فكان المكلف يقول بلسان حاله ياربي اني
بشاهدة هذه الاعيان التي خرجت مني واشترك فيها جميع جسدي
تمثل وتشخص عندي اني متأهل للتسبب بوزولك يكون لك
عاصيا فانا اغسل جسدي واجعله عنوان توبتي اليك من هذا
التأهل الذي انا منصف به وهذا من باب التباعد عن الوقوع في
المصيبة والمبالغة والتشدد في التوبة منها ولو كانت بالقوة لا بالفعل
واما عند خروج بقية الاعيان المستقدرة من البدن التي لم يشترك
فيها جميع الجسد حقيقة كخروج دم من غير الرحم وخروج شيء
من احد السبيلين غير المني والدم المذكور او حكما كما عند تماس
الفرجين من غير ادخال فاعتبرت الشريعة ان حالة اعبارية
تسمى حدثا اصغر حلت في اعضاء مخصوصة من الجسد وكأنها
تشير باظهار الصغرى المسماة وضوءا وهي غسل بعضها ومسح
الآخر الى التوبة من ذنوب تلك الاعضاء المخصوصة وفي تخصيصها
وترتيب تطهيرها سر عجيب يروق ذوي الالباب وبيان ذلك
انه ليس في البدن ما يتحرك للمخالفة اسرع من هذه الاعضاء فكان
في غسلها التنبيه للمتعبدين على الاعتناء بطهارتها الباطنة وهي التوبة

من ذنوبها الكثيرة الوقوع وأما ترتيبها في تطهير فهي ترتيب
سرعة الحركة في المخافة فما كان منها أسرع في تحريك لمعضية
من غيره أمر المكاف بغسله قبل ما بعده فامر بغسل الوجه أولا
وفيه الفم والانف والعينان فيبدأ بغسل فمه أولا لأن لسان أكثر
الأعضاء واشدها حركة في المخافة لأن به التلذذ بالكفر وغيبة
والنسيمة والفحش وغير ذلك من أفت اللسان فيغسل ثم يتذكر أن
طهارة الظاهر إنما هي ابتداء الباطن فيتوب إلى الله تعالى ويقطع عما
تكلم به لسانه ثم بالاستنشاق يتذكر كذبت ويتوب ثم يشم الله
وكذلك يتوب مما نظرت عيناه مما حرم عليه نظره ثم يغسل
اليدين لأنه إذا تكلم اللسان ونظرت العينان بطشت يديان أو لمستا
فاذا جاء إلى طهارتهما ابتداء بطهارتهما باطنا فيتوب مما تحركت فيه ثم
يؤمر بمسح راسه وكأنه إنما أمر بمسحه ولم يؤمر بغسله لأجل أنه يقع من
نفس الراس مخالفة وإنما هو مجاور لما وقعت منه وهو لسان والعينان
فاعطى حكما بين حكمين وأمر بمسحه ولم يؤمر بغسله وكأنه لما كان
السمع قد يطرؤ على الإنسان في غيب الحزن وهو لا يتعمده
خفف أمر الأذنين فأمر بمسحهما ولم يؤمر بغسلهما وبهذين المسحون
يتذكر فيتوب ويظهر الباطن مما سمعت الأذنان وما وقع من
الراس من مجاورة تلك الأعضاء المخطئة ومثل ذلك يقل في مسح

الرقبة ثم يؤمر بعد ذلك بغسل الرجلين لأن العينين إذا نظرتا وتكلم
اللسان وتحركت اليد وسمعت الاذن حنيئذ تسعي الرجلان
فالرجلان آخر الجميع في المخالفة فجعلتا آخر الجميع في الغسل
وبغسلهما يتذكر ويقدم طهارتهما الباطنية فيتوب مما سعتا فيه من
المخالفة ثم كأن لتثليث الغسل للاعضاء المغسولة المباشرة للمخالفة
عمدا في الغالب سرًا دقيقا وحكمة فائقة وهي المقابلة لاركان التوبة
الثلاثة وهي الندم على ما وقع من الذنب والاقلاع عنه والعزم
على عدم العود اليه فكأن كل غسلة تنبيه على ركن من هذه
الاركان ثم بعد فراغ المتوضي من الوضوء وتحصيل ما امر به
من تطهير الباطن بالتوبة شرع له ان يقول اللهم اجعاني من
التوايين واجعني من المتطهرين فكأن فيه اشارة له ان يسأل الله
تعالى قبول ما قد اتى به من التوبة والتطهير والتفضل به عليه ثم
إذا تعسر الماء على مريد الصلاة فقد عوضته الشريعة بالتيمة وهو
مسح الوجه واليدين بطاهر من جنس الارض وهذه هي الاعضاء
التي ينزهها الانسان عن ملامسة ذلك غالبا زيادة عن غيرها
ففي ذلك المسح بعض الذلة والانكسار للنفس فكأن الاشارة فيه
الى العبد انه اذا تعسرت عليه اركان التوبة ولم يوفق لها فلا اقل
من التجائه الى الذلة والانكسار من روية معاصيه فقد يكون ذلك

سببا لعنومولاه تعالى كما قيل رب معصية اورثت ذلاً وانكساراً
خير من طاعة اورثت عزاً واستكباراً على ان ذلك المسح بملاحظة
الاشارة المذكورة حقيقى باغراء العبد بتحصيل تلك الاركان ثم لما
كانت الرجال ان في اعضاء الوضوء هما محل الاسراف بالماء ومظنة
المشقة خفف الامر باباحة مسح خفيهما الملبوسين بالماء بشروط
مخصوصة ولا تفوت بمسحهما اشارة التذكار للتوبة من معاصيهما ثم
شرطت هذه الشريعة لهذه الصلاة ستر العورة وفيه من الادب
الظاهر ما لا يخفى وفيه اشارة الى ان العبد عند دخوله في الصلاة
وتمثله في حضرة مولاه اذا لم يتيسر له الطهارة من المخالفة بالمعاصي
والاخلاق السيئة بالتوبة التامة فلا اقل من ان يعالج اضعاف
تلك المخالفات واخماد سورتهما حتى تبقى كالمستورة وان كان
لا يخفى على علم الله شيء وفي الستر ايضا منع دواعي الشهوة للجماع
بحجب النظر عن اعضائه وما يقرب منها ولما كان النظر الى
جميع بدن المرأة داعياً لتلك الشهوة شرط لها ستر جميع جسدها
الا ما احوجت الضرورة الى كشفه من الوجه واليدين والقدمين
اذا كانت حرة والا فهذه الاعضاء واعضاء اخرى تقتضي الخدمة
كشفها غالباً وفي التزام سترها نوع من الخرج اذا كانت رقيقة
وشرطت لها ايضا استقبال المصلى جهة الكعبة لان العبد قد خاف

اعماله وهي الامام والخلف واليمين
وفوض اليه امر الاستقبال وخير في
ه الصلاة التي يطلب فيها حضور
مير في خدمته تعالى اغلب على نفسه
ي اي الجهات هي اقرب واوفق
ه فلطفنا من الله تعالى وتنزلا لعقل
عين له في توجهه جهة الكعبة المكرمة
الحق وكرمها وله ان يفضل ما يشاء
والمالك المطلق وسماها بيته وهو سميوانه
بهذا التعيين يجتمع قلب العبد عند
استقبال افضل الجهات واقربها
وته باجابة دعاه فقد تبين ان الصلاة
وسجود يقصد بها جناب الحق تعالى
تصود بها الكعبة فان الشريعة تحكم
تعالى بالكفر والعياذ بالله تعالى
ة يعد من اقبح الجهل الفاحش ثم ان
لما تقدم وهو قول العبد الله اكبر
لمرأة قبال كتفها وفي ذلك مع تعظيم

الله تعالى والاتيان بما هو بمنزلة التعية والسلام على حضرة الملك
والاستئذان بالدخول عليه اشارة لمعبد ان ستحضر ان مولاه الذي
هو عازم على التمثل بين يديه اكرم من كل شيء ولا يدابنه شي
في العظمة والكبريا فعلى العبد ان يظهر قلبه من كل ما سوى مولاه
من علائق الدنيا ورغائب الآخرة وأكد هذا المعنى بالشارة رفع
اليدين كالذي يكف يديه عن تناول ما هو حاضر امامه كأنه
يقخل ان كل ما سوى مولاه حاضر نصب عينيه ويكف يديه
عنه قائلاً الله اكبر من كل شيء فلا اختار عليه سواه وهذا ما فرقت
رغائبي وعزمت على الدخول في حضرة وفي باوخر رجل في رفع
يديه حذاء اذنيه والمرأة قبال منكبيه اشارة الى انخطاط ربتها
عنه في الاقتدار على كف النفس عن رغائب افكارها كالأمنها
يترجم ويشير الى منزلته في ذلك الاقتدار على ان كتفه المرأة
بحذاء المنكبين اقرب لسترها اللائق بشانها ثم بعد ذلك لتكبير
يتمثل العبد قائماً قيام الخادم بين يدي مولاه وحده يديه بهيئة
الادب مطرقاً نظره الى الارض صافاً قدميه لا يتحرك منه عضو
ولا يميل منه طرف ثم يشرع في الاستفتاح وهو تسبيح ربه وتزويده
والثناء عليه وتعظيم اسمه والتزويده بعظمة سلطانه وافراده بالانوية
وهو بمنزلة استفتاح الخطاب الملوك بذكر الانقباض التي تذكر قبل

مخاطبتهم مشتملة على التعظيم والتعجيل والله المثل الاعلى فالتكبير
افتتاح دخول الحضرة الالهية وهذا استفتاح خطاب الحق تعالى
ثم لما كان الشيطان مسلطا على العبد وحريصا على تفريق قلبه
بوساوسه وتشويش مناجاته مع ربه يريد العبد ان يتحصن من
ذلك العدو الالدي فيقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم بعد ان
يطمئن قلبه باعادة مولاه اياه من ذلك العدو المبين ولم يبق الا
التشرف بمناجاة ربه سبحانه يشرع في قراءة الفاتحة وكأن الاشارة
في قراءتها ما يأتي وهو انه يبتدئ بالتوسل اليه سبحانه بالتشرف
الرسائل وهو اسمه العظيم الاعظم الذي لم يسم به سواه متيمنا بذكره
وحيث يرى انه في مقام هو فيه احوج ما يكون الى الرحمة
والاحسان بمجلائل النعم ودقائقها اذ هو مقام الطلب لرغائبه ونوال
امانيه ياخذ بوصف ربه بانه الرحمن الرحيم كأنه يشير الى انه
لا وسيلة له في اجابة دعاه الا الرحمة العامة المطلقة من جانب
مولاه ثم يستحضر عظمة الحق سبحانه وسعة انعامه على خلقه لاسيما
نعمة التربية التي تلازم العبد من اول نشأته فياخذ بالثناء
عليه لذاته العلية المستحقة اسنى الحمد ولنعمه الوفية التي من
اكملها نعمة التربية بادرار الارزاق الحسية والمعنوية والامداد
بإبقاء الوجود ثم يلاحظ ان كثيرا لا يراعون قدر هذه النعمة ولا

يوفونها شكرها ولعل ذلك العبد من اولئك الكثير فيعود به التقى
الى جانب الرحمة الالهية ويصف ربه به اسارة الى ان هؤلاء
لا يسهم الا تلك الرحمة الواسعة ثم يلاحظ ان البعض منهم
لا يزيده الاحسان الا بطراً ولا يصلحه الا المعاملة بالعدل والتاديب
فينعطف العبد الى وصف مولاه بصفة الجلال بانه مالك وهلاك
يوم الدين والجزاء فكما ينبغي للعبد ان يرجوه اعظم الرجاء ينبغي
ان يخافه اشد الخوف ثم ياخذ العبد في عرض عبده وخدته
على جناب ربه سبحانه التي هي بمض الشكر لنعمه تعالى ويلاحظ
امرین مهمين الاول انه مقصر في ايفاء تلك العبادة فيعرضها مع
عبادة اخوانه الموحدين الذين كثير منهم بلغ على قدر طاقته
البشرية ايفاء عبادته باخلاصه فيها لعل عبادة ذلك العبد تقبل
في ضمن عباداتهم لانه سبحانه نهي عن تفريق الصنفه بين المتبايعين
فالرجاء به سبحانه ان لا يفعل ما نهى عنه فيرد عبادة ذلك المصلي
ويقبل عبادة سواء والثاني ان المشركين اشركوا في عبادة ذلك
الاله المستحق الافراد بالعبادة فياتي ذلك المصلي في عرض
عبادته بصيغة تفيد حصر العبادة به تعالى ثم ينظر الى حاله فيجد
انه عاجز اشد العجز عن القيام بتلك الخدمة واداء ذلك الشكر ان
لم يعنه الحق تعالى ويخلق افعاله ويسدد اعماله ويوجد في قلبه

ه لا يقدر على ذلك سواء ته الى في طلب
بر بانه لا يستعين بسواه ثم يلاحظ ان
مة ما كان على منهج الاستقامة خاليا
بحانه الهداية الى الطريق المستقيم ليحظى
اسمى الوصول ثم ان السائق مفترقون
الصراط المستقيم اعتقاداً وعملاً ففازوا
هم ومنهم من زاغ في طريق العمل
نهم من زاغ في طريق الاعتقاد فاصبحوا
ان طلب المصلي الهداية الى الصراط
ذلك الصراط رفيق الفرقة المنعم عليهم
ليقتبس من انوارهم ويقتطف من
جة العبد الى المرشد في طريق الحق
الفسق وذوي الضلال فكان المصلي
اني الموجدون ان يكون ذلك الصراط
اليه صراط القوم الذين انعمت عليهم
انكون في رفقتهم ونفوز بركة صحبتهم
جنوه من الاعمال السيئة ولا الضالين
لمة فهولاء باعدنا عنهم لئلا تسري البنا

بأوامر ونصاب بما اعتراهم ثم يختم ذلك الدعاء بطاب الاجابة لما
دعاه مولاه اذ هو اكرم مسئول وقرب محبوب فيقول ين اي
استجب انما ياربنا كما وعدتنا على اسان رسولت ثم لما كان مريض
عند طلبه من الطبيب المعالجة يصره باخذ الدواء ويعده باشياء
وهو عليه ان يمتثل ويستعمل ذلك الدواء مبار الخال كأن العبد
في طلبه الهداية من مولاه تعالى الى ذلك لصراط مستقيم يطالب
الدواء الكافي لشفائه من امراض الاعمال ولا اعتقدت لسيئة
فيقول الله تعالى له خذ دواءك من كلامي وتل سيئه منه فهو الدواء
الوحيد الشافي الكافي لجميع الامراض من نفسى واستر وريء
والكبر والحسد والحقد وغير ذلك اذ فيه الدلائل الوافية ومو عطا
الكافية فبتلاوته تجد دواء دالك وشفاء بلواتك فياخذ المصلي
بتلاوة شيء من القرآن غير الفاتحة التي كانت كشكوى المريض
للطبيب واشارة الطبيب بالدواء المفيد ثم بعد اخذه ذاك الدواء
وهو تلاوة شيء من كلام الله تعالى ينظر الى عجزه وضعفه واحتياجه
الى مولاه في هدايته لذلك الدواء وحصول الشفاء وبتصور انه
لا قادر على ذلك سوى مولاه الذي انتهت اليه الرغائب فيخبر
المصلي حينئذ راكعا ممثلا صورة عجزه مكبرا مولاه تعالى ثم يسبح
مولاه العظيم الذي استغنى عن كل ما سواه واغترق اليه كل ما

عداد وهذا غاية العظمة ثم بعد تمثيله لعجزه واقرار به بافتقاره وتنويه
ببظمة مولاه الذي انتهت اليه الحوائج ينهض من صورة ذلك
التمثيل لاداء الحمد والشكر لاله الذي من عليه بالدواء الشافي من
الداء ويؤمن نفسه بانه وان يكن هو في غاية الضعف ونهاية الحقارة
ومولاه في غاية العظمة والكبرياء فهو سبحانه سميع مجيب يسمع حمد
من يحمده فلذلك يقول تأييسا لنفسه سميع الله لمن حمده ثم يعرض
حمد، ويقول اللهم ربنا ولك الحمد ثم يرى ان نعم مولاه عليه
لا تحصر وهو عاجز عن اداء عشر معشار شكرها ولو قطع الابد
طاعة وخضوعا فكأن لسان حاله غدا عند ذلك يقول يا ربني اني
عاجز عن اداء شكر نعمك وانت غني عن كل شيء فاي عمل
يكون سدا فاة لعظيم افضالك وانت الكبير المتعالي فما عندي الا
جهد المقل وهو اني اضع اشرف اعضائي واعزها علي واكرمها
لدي وهو وجهي على الارض تعظيما لجلالك وتنويها برفيع كمالك
وهذا غاية اقتداري ونهاية استطاعتي على ان ذلك لا يزيد في
عظمتك وكبريائك شيئا اذ انت اكبر من كل كبير فيخسر ساجدا
معظما مولاه قائلا لله اكبر ويضع جبهته على الارض وفي ذلك السجود
يرى نفسه قد بلغ غاية الخضوع وانه ما فعل ذلك الا لتعظيم مولاه
الاعلى فوق كل علي فينطلق لسانه قائلا سبحان ربي الاعلى ثم يرفع

من سجوده لاستحضاره عجزه عن استيفاء تعظيم معبوده ولو قضى
عمره ببذل مجهرده قائلًا الله اكبر كانه يشير الى انه لا يدرك شأو
عظمته وكبريائه تعظيم المعظمين وتكبير المكبرين ثم بعد رفعه
من السجود كأنه يجد ان تلك الحالة السجودية هي غاية شرفه واكمل
مجده وانه لم يقض اربه من ذلك المرام السامي ويتذكر ان ليس
امتنع لشقائه عن السجود مرة واحدة فيعود فيسجد ثانيا داخل تلك
الحضرة السجودية معظمًا مولاه بالقول والعمل والطوية مخالفا
الشيطان في حميته الشيطانية ثم يرفع من ذلك السجود الثاني لاداء
بقية ما امره مولاه به من انواع اخرى من العبادات ويجري في اكمال
الصلاة على المنوال المتقدم لحكم واسرار يطول شرحها حتى يتم ما
فرض عليه مولاه فيها من الاقوال والافعال المشتملة على الفوائد
التي في سواها لا تنال ثم يجلس جلوس العبد على ركبتيه هتهيًا
للخروج من تلك الحضرة والرجوع الى حالته التي كان عليها قبل
دخوله في هذه الخدمة لتحصيل ضروراته التي فطر على السعي في
طلبها وللتفرغ لعبادات اخرى مدعو اليها فيأخذ بتقديم التحيات
وعرض الصلوات والطيبات لدى مولاه رب الارض والسماوات
مثلاً يسلم المفارق لحضرة سلطانه عند خروجه من ديوانه ثم كأنه
يتذكر فضل من كان سبب هدايته لدخول تلك الحضرة وتشرفه

بتلك الخدمة وهو رسول الله (عليه السلام) فيسلم ويترحم ويبارك
عليه قائل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم يرغب
الى الله تعالى بالأمن له ولاخوانه المتعبدين على ما انعم به عليه
واولاه من انوار هذد العبادة وفوائد تلك الخدمة فيقول السلام
علينا ثم يتذكر اخوانه الذين كان في اول تلك العبادة عرض
عبادته مع عبادتهم رجاء القبول نصار عليه لهم حق خصوصي
معقول فيدعولهم بالأمان على نعم اولاهم عليهم وية قول وعلى عباد
الله الصالحين ثم كأنه يتمثل لديه مشاهدة ان المنعم الحقيقي هو
الله تعالى وان الواسطة العظمى لبإوخ هذا الخير هو محمد رسول
الله (عليه السلام) فيشهد من صميم قلبه بتفرد الله بالالوهية ويشير
برفع احدى اصابعه المسماة بالسجدة الى ذلك التفرد حتى يكون
موحداً اعتقاداً وقولاً وعملاً وفي ذلك الاشارة الى ان التفرد
بالالوهية هو المنفرد بالانعام ثم يشهد باكمل المراتب وهي
العبودية لله تعالى وباشرف المناصب وهي الرسالة لحمد رسول الله
عليه السلام ويقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده
ورسوله ثم ينعطف للدعاء لهذا الرسول الكريم الذي كان الواسطة
بذلك الخير العظيم فيطلب له الصلاة والباركة عليه وعلى آله
جزاء هدايته للمؤمنين كما صلى وبارك ربه على ابراهيم وعلى آله

جزاء هدايته الامم السابقين ثم يلحظ ذلك المصلي افتقاره لمزاده
في كل ضروراته الدنوية والاخروية فيعتمد الدعاء والتضرع
فيطلب لنفسه جميع ما يحتاج اليه ثم لما لم يبق الا الخروج من تلك
الحضرة لاداء ما كلف به من بقية الطاعات والسعي في احتياجاته
المعاشية التي كلفه الله تعالى بها حسبما رتب في هذا الكون من
ربط المسببات بالاسباب يفارق تلك الحضرة بتحويل وجهه مع
بقاء قلبه على توجهه كأن لسان حاله يقول لولا الضرورة لما تجرعت ألم
هذا الفراق وبارحت تلك الخدمة الشريفة والضيافة المنيفة التي
قد حوت الوان العبادات من ذكر ودعاء وتعظيم الحق تعالى
وسجود وركوع وتذلل وخشوع واشتملت على طرائف اسرار
وبواهر انوار فيطل بالتفاته على عالمه الذي كان فارقه ويتوجه الى
اخوانه من مؤمني الانس والملائكة ويقول السلام عليكم ورحمة
الله ثم ياخذ بعد ذلك في اداء تكاليفه وتحصيل احتياجاته ثم
لما كان الانسان عند قيامه من منامه يصبح كالمبعوث بعد الموت
لان النوم موت الادراك والاحساس فيجد ان الله تعالى قد احياه
من بعد تلك الحالة النومية الشبيهة بالموت وقد عوض عليه بهذا
المنام ما كان خسره من جسده وقوته بسبب حركات اعضائه في
اعماله وجولان افكاره في همومه فاصبح مرتاحا نشطا بعد ان كان

تعباً كسلانا وقد حماه مولاه في تلك الحالة النومية من ادى
المؤذيات وشروور العاديات واتم هضم طعامه الذي رزقه اياه وجعله
غذاءه بدورة عجيبية وحركة غريبة وتدبير يحار فيه الفكر وهو
لا يدري ما هو جارٍ هنالك ولا بما جلب له من المنافع ودفع عنه
من المضار غاية ما سعى هو فيه انه دفع ذلك الجسم الطعامي في
معدته وفاز بلذته وربما لا يخطر بعد ذلك في فكره الى غير ذلك
من النعم التي يعجز عن حصرها اللسان والقلم فكان عليه بطريق
الحتم لاداء الشكر ان يبادر عند يقظته الى خدمة الصلاة المذكورة
فيصلي صلاة تدعى صلاة الفجر ثم بعد ما يمضي اياه نصف النهار
وقد وجد نعم الله عليه عظيمة المقدار من انارة الكون لهدايته
لسبل معاشه وامداده بحواسه التي يميز بها النافع من الضار وبالقدرة
والاستطاعة على مقاصده وقد فتح له باب الكسب ورزقه حاجته
من الغذاء الى غير ذلك من النعم المستحيلة الاحصاء فكان عليه
ان يعود الى اداء بعض الشكر فيصلي صلاة تسمى صلاة الظهر
ثم عندما يجرد النهار قد قارب الزوال وقد تواردت عليه في ضمنه
نعم عظيمة المثال وقد عزم على عوده لمسكنه بطينا بعد ما فارق
خيمتها تحتم عليه العود الى تلك الخدمة بل النعمة فيصلي صلاة تسمى
صلاة العصر ثم عند ما ولى النهار واقبل الليل الصالح لسكونه وراحته

ولم يكن النهار سرمدًا لا يجد فيه إلى السكون والراحة سبيلًا بل
انقضى مملوءًا بالنعم ولطائف الكرم كان عليه الرجوع إلى تلك
العبادة بل السعادة فيصلي صلاة تسمى صلاة المغرب ثم حينما
حوم الظلام ولم يبق إلا المنام ووجد أن النعم التي تواردت عليه
من الصباح إلى ذلك الآن يعجز عن شكرها وجميع ما داه من
العبادة ما قام بمقابلة عشر عشرها ورأى أن يجاهد هذا الوقت الصالح
لراحته مع أمنه من المخاوف وإيوائه في مسكبه على الفراش الوارف
من جملة النعم التي لا تحصى بادر إلى أداء صلاة تسمى صلاة العشاء
قيامًا ببعض الشكر الذي يعجز عن إيفائه مدة العمر لأنه لو دام
آناء الليل ولحظات النهار في خدمة مولاه لم يكن إلا مقصرًا
ولا يدعي إلا عاجزًا ثم إن تلك الصلوات الواجبة لأداء الشكر
جعلت في الحضر عشرين ركعة عشرة نهارية وعشرة ليالية يردت
في السفر للتخفيف إلى أربع عشرة ستة في النهار لأنه محل حركة
السفر وثمانية في الليل لأنه محل قرار المسافر وسكونه وقد ختمت
الصلوات الخمس صلوات أخرى غير واجبة تدعى سنن التكميل
ما عسى أن يطرأ من النقص في الصلوات الواجبة ثم للعناية برمضان
شرع فيه عشرون ركعة أخرى تسمى التراويح لزيادة التكميل
لصلواته هذا وإذا تأملنا في هذه الصلوات الخمس وجدنا فيها فوائد

وحكما لا تحصى من تهذيب النفوس لاسيما نفوس الجبابرة
والمتكبرين الذين يأنفون من مس الارض لاذيالهم فضلا عن
جباهم ومن تمرينها على الخضوع ومن تذكير الغافلين والمنهمكين
في هموم الدنيا بخالقهم والرقيب عليهم اذلولاً انقيادهم الى تلك
الخدمة والقيام بين ايدي رب النعمة امرت عليهم الايام بل الاعوام
والرجل منهم لا يخطر في باله ان له الهاً عليه حسيباً رقيباً وناهيك ما
في هذه الغفلة من التأهل لارتكاب كل مخالفة وتجشم كل شر (هذا
وما فكيف لو) ومن تجديد التوبة في كل وقت صلاة ومن هنا
يظهر سر كون الصلاة وصلة بين العبد وربه وكونها تنهى عن الفحشاء
والمنكر كما جاء في القرآن الشريف ثم في صلاة الجماعة واتباع المصلين
لامامهم في جميع اعمال الصلاة تمرين النفوس على الاطاعة والانقياد
الى الرئيس كما نرى رؤساء الجنود يمرنونهم على اعمال يعلمون انهم
لا يمكنهم مراعاتها وقت الحرب وانما القصد منها ألفة نفوس الجند
للاطاعة والانقياد لامر الرئيس (وقد ادرك هذا السر رستم قائد
جيش الفرس عند ما رأى الصحابة يصلون خلف امامهم ويتحركون
لحركته ويسكنون لسكونه فقال في حق سيدنا عمر ما قال مما هو
منقول في كتب التاريخ) وفي صلاة الجماعة ايضا اجتماع المسلمين
مع بعضهم في اوقات تلك الصلوات كما في غيرها من العبادات

وذلك انه على اهل كل محلة ان يجتمعوا في اليوم والميلة في مسجد
محلتهم خمس مرات في جماعة هذه الصلوات وعلى اهل البادية
ان يجتمعوا في الاسبوع مرة في صلاة الجمعة واهل البادية وما
جاورها يجتمعون غالبا في العام مرتين في صلاة العيد كما ان
على اهل الاقطار ان يجتمعوا في العمر مرة من استطاع منهم في
اداء الحج كما سيأتي عند الكلام على فريضة الحج وقد شرعت
الشرعية المحمدية لاتباعها في بعض هذه الاجتماعات ان يخطبهم
امامهم بالخطب المشتملة على المواعظ والزواجر والتذكير بما جاء
به رسولهم وواجبت عليهم الاستماع لتلك الخطب والانصات
فتراهم جاثين على الركب مطرقين الرؤوس منصتين مستمعين لا
تبدو منهم حركة كأن على رؤسهم الطير لا يظاير منهم تصنيق
استعسان ولا تصغير استقباح علما منهم ان جميع ما يتلوه عليهم
خطيبهم هو وفق شريعة رسولهم نعم لو فرض خروجه عن حدودها
(وهذا لا يكون) كان عليهم ان يردوه اليها يباح ذلك كبيرهم
وصغيرهم ثم لكثرة فوائد هذه الصلاة في الشريعة المحمدية شددت
النكير على كل من يتركها او وصفته بأشد الاثم وحكمت عليه بالنكال
الشديد في الدنيا والاخرة حتى جعلت تركها عنوان الكفر كما جعلت
المواظبة عليها عنوان الايمان ومن هنا يظهر جهل من يتساهل في

امر هذه الصلاة من احاط به الكسل او استولى الشيطان على قلبه
وانطمست عين بصيرته فراح ينظر القشر وفاته نظر اللباب حتى
ان بعض الجبهة من تاركها يعتذرون عن تركها بخرافات واهية
ويقولون ان ربنا غني عن المداينة ولا حاجة له بهذه الصلاة
فقل لهؤلاء الاغرار نعم ان ربنا غني عن كل شيء ولكن اتم يا ضعفاء
العقول لستم باغنياء عن الفوائد التي تشتمل عليها الصلاة وقد
اوجبها الله عليكم لأتحافكم بها لا لنواله شيئاً منكم أأنتم اغنياء عن
التهديب والتذكير بربكم وتجديد التوبة والتمرين على الاطاعة
وثرات الاجتماع مع اخوانكم الداعي ذلك الى الالفة والتعاون الى
غير ذلك من فوائد الصلاة لا اخالكم تدعون الاستغناء عن ذلك
وان افضى بكم الجهل والعناد الى ادعاء هذه الدعوى فلا اراكم
حينئذ الاحقاء تستحقون الاسقاط والاهمال من عداد الرجال
فانتم بعد ذلك كالمرضى الذين يامرهم الطبيب الناصح بتناول الدواء
النافع وهم يمتنعون عن تناوله ويقولون للطبيب انت غني عن
تناولنا هذا الدواء نعم ان الطبيب غني عن ذلك ولكن هل هؤلاء
المرضى غنيون عنه لا يكون صدور ذلك القول منهم الا من
هذين المرض الذي تمتع عقولهم ثم قل لهؤلاء الظالمين لا نفسهم
بجرمانها فوائد الصلاة لاي داع تتركون الصلاة ان كنتم تتركونها

جحدًا أو استقباحًا لها بعقولكم الفاسدة فاعلموا أن شريعة الحمادية
قد حكمت عليكم بالكفر وحلحله ربنة الآين فلا كلام لنا معكم
حينئذ في شأن الصلاة اذ ليس بعد الكفر ذب ولكن علينا ان
ننصيحكم بتجديد ايمانكم وتوبتكم من الكفر وان كنتم تذكرونها كسلا
فما ابرد ذلك الكسل وما اسجبه في النفوس تصاوير جهلاء ان
اليوم اربع وعشرون ساعة تمرحون فيها بشهواتكم وملذاتكم واسمي
على ما ربكم الدنوية والاوقات التي تلزم لاداء هذه الصلوات اذا
جمعت تبلغ الساعة او الساعتين أو يكون من الانصاف وسداد
الراي وحسن التدبير ان تنشطوا لنواكم تلك الشهوات مزائلة
والمآرب الفانية اثنين وعشرين ساعة وتكسروا عن نوال تلك
الفوائد النافعة الدائمة قدر ساعة او ساعتين اقل من عشر اليوم
أهذا نصيحتكم لانفسكم أم هذا نتيجة عقولكم التي تدعون انها عقول
سليمة تهتدون بها في مناهج الصواب من يتأمل فيكم الخير بعد ما
غشتم انفسكم من ينتظر عدلكم اذا كنتم لنا حكاما من يعلمن
لامانتكم اذا كنتم بيننا تجارا من يحسبكم من عداد اخوانه المسامين
وقد هدمتم ركنا من اعظم اركان الدين الاسلامي ما عذرکم
عند ربكم في ترك هذه الصلاة وقد امرکم باقامتها المرات العديدة
في كتابه العزيز اما تخبجون من رسولكم الذي كانت قره عينه

عليه السلام في الصلاة والله اني لا عجب ممن يتركونها وهم يدعون
الدين الاسلامي ويظهر من محاوراتهم ان لهم عقولا وآراء سديدة
في امر الدنيا ولكن عندما تذكر لهم الصلاة اراهم عمي البصائر عن
ثمراتها تنقلب عقولهم كعقول الاطفال فلا تاويل لذلك عندي
الا ان معهم الخبل المفرد في شان هذه العبادة وهو نوع من الجنون
والجنون فنون وتالله اني لأخجل عندما ارى بعض هؤلاء
ممن ينسب للعقل والفتنة والمروءة جالسا في مجلسه معرضا
عن الصلاة مع اخوانه الذين قاموا لاداء الصلاة في ذلك
المجلس اعراض الثور عن كيما ن الذهب الابريز فيا للعارو يا للخبيل
من افعال السفل اما يعلم ذلك البهيم ان كل من شاهده في
هذه الحالة من اخوانه المومنين يعتقد به الفسق ان لم ينسبه
للكفر وتخط منزلته من قلبه ويتصوره ضعيف الدين واهي
اليقين مردول المقام بين اخوانه المسلمين مسلوب العدالة مردود
الشهادة اما يحس ذلك الجاهل بالخبيل سيفه نفسه من تلك
الحالة السافلة نعم انه يحس ولكن الشقاء غلب عليه والشيطان
لعب به وليعلم ذلك الغر ان اخوانه المسلمين وان لم يصرحوا له
بقبيح حاله لمانع من الموانع فترجمة حاله في نفوسهم هي من
اقبح التراجم فاقبل كلمة يذكرونها عند سئوح فرصة للتصريح

قولهم (تارك صلاة قليل الدين) فان الله وانا اليه رجعون ثم وجد
هؤلاء الطائفة ان الشريعة المحمدية اوجبت ايضا على من كان غنيا
من اتباعها الزكاة وهي اداء جزء من اموالهم في كل سنة الى فقراءهم
قياما بحق الشفقة والرحمة وشعائر الانسانية وتطهيرا لنفوسهم من
رياسة البخل ومع ذلك وعدتهم بالثواب الجزيل على اداء ذلك
انقدر القليل وقد عين مقدار ما يجب عليهم على وجه لا يظهر به
نقص في اموالهم واذا اكملوا اداءه لا تجد بينهم فقيرا يعوزه امر كفايته
ثم ان هذه العبادة مع حصول هاتين الفائدتين وهما سد حاجة
الفقير وتطهير نفس الغني والفة نفسه للعطاء الذي هو من اكرم
الاخلاق يسبر بها مقدار حب المزي لله تعالى في اخراج محبوبه
وهو المال من يده ابتغاء لمرضاة عز وجل ومن هذا ينتبه المومن الى
ان التحيل في اسقاط الزكاة عنه غير مقبول عند الله تعالى لان في
التحيل فقد المنفعتين المذكورتين فاي سد حاجة الفقير في تحيل
ولم يصل ليد ما يغني فقره واي تطهير لنفس الغني من داء البخل
ومحبوبه لم يخرج من يده

ووجد هؤلاء الطائفة ايضا ان الشريعة المحمدية اوجبت على
المكلفين من اتباعها صيام شهر واحد من السنة اي امتناعهم نهائيا
فيه عن الاكل والشرب ومباشرة النساء وفي ذلك ثمرات جمّة من

اجلها تهذيب نفس الصائم بكبحها عن شهواتها اطاعة لمخالقه تعالى
فيتسلط عقله على نفسه بعد ان كانت مسلطة عليه و يظهر لها انها
صارت محكومة بعد ان كانت حاكمة فتأس من اطاعته لها فيما
حرمة الشريعة من المضار وكأنها تقول اذا عجزت عن التسلط
على عقل صاحبي عند صيامه في تناوله الطعام والشراب النافعين
المملوكين له وفي مباشرة زوجته الآمن ضرر يحصل بمباشرتها
فكيف يمكنني التسلط عليه في تناوله طعام الفير او شرابه بغير رضاه
وذاك يقبح كل القبح او في تناوله الشراب المسكر المذهب للعقل
والمخل بالشرف او في مباشرة غير زوجته التي يحصل بمباشرتها
اضرار كثيرة من معارضة الناس وخطب الانساب وضياع الذرية
وادخال الحقوق على غير اهلها ثم قالوا لو تأملنا في حالة اتباع محمد
(عليه السلام) عندما يجلسون في شهر صيامهم قبل الغروب وأمامهم
طعامهم وشرابهم ونفوسهم تائقة اليهما وهم ينظرون اليهما من طرف
مشوق ومع ذلك لو رغب الواحد منهم سيما الاثقياء باعظم
الرغائب على ان يتناول من الطعام ذرة او من الشراب قطرة لم
يفعل الا ان تغرب الشمس لقلنا انهم من اقدر الناس على كبح
نفوسهم في طاعة مولاهم ومن هنا يتبين ان من لم يات بهذه العبادة
الصومية ممن غلب عليه شقاء واسرته شهوته لا يحق له ان يعد نفسه

من الرجال اصحاب العزم والحزم بال عمل . صنف دعوة عناية
ساقط الهمة عبد بطنه ورقيق فرجه رن عقل مرة همة اقوى
من عقله و همتها على من همة وعدها من شهوة نفس ما ليس
عنده منه ذرة ومن اجل فوائد الصوم ايضا تصير حثم حالة
الفقير المحزنة عندما يحس بألم الجوع فيرتق قلبه اليه ويحلف
بالتصدق عايه فان الغني المترفة لولا معاناته الصوم اربما كان يمر
عمره ولا يتصبر ألم الجوع فاذا وقف فقير الجائع بين يديه وطالب
منه الاحسان وشكى له ان جوعه لا يدري ما حقيقة هذا الالم تاي
شفقة تكون عنده عليه فبالصيام يعلم ما في الجوع من الآلام فيدر
بالصدقة على الفقراء والايام

ثم وجد هؤلاء الطائفة ان الشريعة المحمدية اوجبت ايضا على
المستطيع من اتباعها عبادة الحج وهي زيارة نكعبة المشرفة واما كن
تجاورها بافعال واقوال مخصوصة وفي ذلك من الاسرار والحكم ما
يعجز عن حصره حكماء العرب والعجم فمنها اجتماع المسلمين النوف
مولفة في تلك الاماكن في كل سنة وذلك يدعو الى التعارف
والتألف فتراهم هناك انواعا متنوعة من عرب وترك و فرس و هنود
وداغستان وقزاق وافغانستان ومغاربة وبربر وسودان وجاوى
وغير ذلك من امم البشر كلهم على دين واحد ومقصد واحد وهو

طلب الغفران من الرحيم الرحمن ومن حكم الافعال التي يكافون
في اجرائها في تلك الاماكن تذكرا ما جرى لرسول الله المكرمين
وعباد الصالحين في تلك البقاع المشرفة كتذكرا ما جرى لسيدنا
آدم ابي البشر وزوجته حواء عليهما السلام هناك بعد هبوطها من
الجنة وما الهما الله تعالى من الالتجاء اليه حتى تاب عليهما
وكتذكرا ما جرى ايضا هناك لسيدنا ابراهيم الخليل وولده اسماعيل
عليهما السلام والسيدة هاجر عليها الرضوان بما يدل على ما لهم
من الاطاعة لمولاهم والبر على ما به ابنا لهم فلم يحيدوا عن كل
ما يستوجب رضاه وناهيك ما ابتلى به سيدنا ابراهيم الخليل عليه
السلام من امره بذبح ولده وثمره كبده فاطاع ذلك الوالد الشفوق
ورضخ للحكم ذلك الولد البار مسلما باذهاق روحه وسكنى ضريحه
وطرد الشيطان عنه لما حاول ان يوسوس له في وادي منى فباء
ذلك اللعين بالخسران فاتهم الله على الوالد والولد بالفداء وابدل
حزניהما بالهناء الى غير ذلك من الاعمال المرضية من اولئك الكاملين
وما انعم عليهم رب العالمين فبتذكرا اعمال اولئك الاخيار
وبمحاكاتهم في تلك الديار تنبعث النفس لتذكرا بقية افعالهم
وعباداتهم وسجايهم واطاعتهم لمولاهم فتشتاق للاقتداء بهم والتخلق
باخلاقهم في كل مرضي لخلقهم وترغب في الشناء عليهم والدعاء

لهم على ما سنوا وشرعوا من الاعمال المرفوعة اشدوا نيا من سبيل
التوبة وطرق الابابة ومكارم الاحلاق من سرور رضى و تسليم
والاداب مع رب الارباب ثم ان اعمال الصالح فضلا عن التذكر
موضوعة على وضع عجيب وترتيب غريب فيه تنزل من حضرة
الحق تعالى لا فكار البشر وعقولهم والمراعاة لم عود من النواتد مع
ملوكهم وامرائهم عندما يرفعون اليهم شكواهم والتجئون الى حماهم
من سطا عليهم واذاهم وحينما يطالبون احساناتهم وادبر زمامهم
وبذلك التنزل تطمئن نفوس الحجاج عندما يجرون تلك الاعمال
التي وعدهم الله تعالى عليها الغفران بان الله تعالى يغنيهم من جميع
ذنوبهم وعاديات سيئاتهم وبقبل شكواهم وبتفضل عليهم ببول
منهم وبيان ذلك ان البشر اعتادوا على انه اذا دهمهم عوزهم
وعجزوا عن مقاومته او جارت عليهم حوادث امر من من فخط
وجذب واعوزهم طلب معاشهم اتجؤوا الى منازل دلوكم فوردوا
عليها شعنا غبرا حفاة عراة على قدر ما اثرت بهم الحوادث مستغيتين
ضارعين محترمين في طريقهم كل ما ينسب الى ملوكهم ومنازلهم
من خدم وحشم وغير ذلك حتى الحيوانات والنباتات فعند وصولهم
الى تلك المنازل ياخذون في الطواف خوفا والتردد على ابوابها
حتى يؤذن لهم بالدخول على الملك والتمثل بين يديه وبث شكوى

اليه متوسلين اليه باكرم الوسائط متودين بالثناء عليه وذكر ما له
عليهم وعلى اسلافهم من عظيم الاحسان والرحمة والشفقة يسم بذلك
قاصيم ودائيم واذا سمح لهم بتقبيل يده قبلوها بكل رغبة وادب
ووجدوا ان ذلك من علامة قبولهم ونوال ماملهم وبعد ذلك يعدهم
الملك باجابة دعاهم ودفع بلواهم ولاجر تمكين ولاثم اساطانه
وثبيت عبوديتهم لمظمته وتطمين نفوسهم بانه من عادته اغنية
رعاياه والاحسان اليهم فيذكرهم بما اجراه مع ابائهم واسلافهم عند
ما وردوا قديما الى ابوابه واسيغاثوا بجانبه واجروا هناك في حضرته
خدما وادرا عليهم نعمافياحرم بمباشرة تلك الخدم التي سلفت من
ابائهم في حضرته وباجرائهم تلك الخدم تنطع نفوسهم على العبودية
له والولاء لجنابه كما هي العادة من الفة النفوس للجري على سنن
الاباء والتخلق باخلاقهم ثم بعد ادائهم تلك الخدم ينزلهم في منزلة
الضيافة ويدر عليهم انعاماته الوافرة ويزيل شعثهم ويخلع عليهم
الخلع ثم يقومون ببابه ويتوسلون اليه بنجاز وعده الكريم بالاغاثة
مما دهمهم فتصدر اوامره بذلك ويغيثهم من اعدائهم وبدفع
عنهم اسباب اذاهم ويباغهم مطلوبهم وينجهم مرغوبهم وياذن
لهم بالرجوع الى اوطانهم ومساكن خلاهم فيعودون للتشرف بمنزلة
العظيم للقيام بما عليهم من الثناء والتعظيم ويقبلون يده الكريمة

ويفارقون حضرته ودموعهم من ألم انفراق دية فؤاد سبحانه في
تنزله لعقول البشر ومجاراتهم على ما اعتادوا عليه مع ما وركهم عند
الاتجاه اليهم من مصائبهم خصص بقعة من الارض وفضلها وسماها
بيته وهي الكعبة المكرمة وهو سبحانه منزله عن المكان وغني عن
البيت وسمى حجرا اسود في احد اركانها يمينه وركنا يديه يمين ويداه
ليست كأيدي الخلق بل هما على ما يعلمه ووصف به نفسه وشرع
سبحانه في الشريعة المحمدية لاتباعها حيث لا بد ان تدومهم جيوش
الذنوب وتجاوز عليهم عادات الخطايا ويفتقروا الى احسانات
الحق تعالى ان يرد المستطيعون منهم الى ذلك بيت شعنا غبرا
ناركن لبس المخيط هاجر ين الطيب وتنوعات تدب كاشفين
رؤسهم مستغيثين بربههم من ذنوبهم وخطاياهم ضارعين اليه بنوال
منهم محترمين حمى ذلك البيت لا يقطعون حشيشه ولا اشجاره
ولا يقتلون وحشه ولا اطياره حتى اذا بلغوا ذلك البيت المعظم
والمثل المكرم طافوا حوله طواف المستغيث وتشبثوا باستارده تشبث
المستجير ثم قبلوا ذاك الحجر المبارك المسمى بيمين الله تعالى مع
اعتقادهم انه حجر لا ينفع ولا يضر وانما الضار النافع هو الله (كما
قال عمر بن الخطاب عند ما قبله ما معناه اني اعلم انك حجر
لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم بقلبك ما قبلتك تنبئها منه رضى الله عنه للأفكار على
حقيقة الاعتقاد في شريعة المختار) ثم بعد ذلك ينصرفون الى
اعمال هناك عديدة هي تذكر لأعمال أسلافهم المتقدمين من
سيدنا آدم وزوجه حواء والسيد الخليل وولده اسماعيل وامه
هاجر عليهم السلام من نحو السعي بين الصفا والمروة والوقوف في
عرفة ثم في مزدلفة ثم النزول لمنى ورعي الجمار الممثل اخزاء
الشيطان عندما تعرض لولد خليل الرحمن الى غير ذلك من
الاعمال التي من جمل أسرارها من ذلك التذكار والاقتداء في
الخدمة بأوائك الأبرار اضطربت أفكاره لطلب حكمتها والسؤال
عن فائدها ومن فهم ذلك بأشراها مطمئن القلب منشراح الصدر
راغباً في حصول ثمراتها متشوقاً الى الفوز بفوائدها في ميقاتها
فأجاب الحق تعالى على الحجاج تلك الأعمال بعد وصولهم للكعبة
المكرمة والطواف بها الطواف الأول هو بمنزلة صرف الملك رعاياه
المستغِيثين به الى أداء الخدم التي بأشراها أسلافهم في حضرته
لأجل تثبيت عبوديتهم وولائهم وطبع نفوسهم على التخلق باخلاق
آبائهم فالحجاج في تلك الأعمال التي يجرونها في تلك الأماكن
المكية يتمكن من نفوسهم العبودية لرب البرية جرياً على سنن آباءهم
الأخيار وساداتهم الأطهار ولقد سميت تلك الأعمال تعبديّة لآنها

خالية عن الحكم والاسرار بل لانها باضواهره تكون الاتي : اكنتمثل
امر مولاه بغير منفعة تغشاه تعبد ار اطاعة على انه و غرض حاوها
عن الحكم فالامتثال بادائها يشف عن غاية الخضوع والعبودية
لله تعالى كأن اسان حال العبد يقول عند ادائها يا رب اني امثل
ما تامرني به وان لم تظهر له ثمرة خضوعا اعظم سائلك وتعظيما
لعلو شانك وهذا شان العبد المطيع يمثل الامر ولا يسأل عن
الحكمة والسر وهذه الحالة هي المقصد الاعلى والمتممة الاسنى الذي
تبتغيه الشريعة المحمدية لاتباعها في جانب مولاهم جل وعلا وهو
الحال الذي يعده صاحب هذه الشريعة عليه السلام من اشرف
اوصافه واكمل نعوته ويقول ما معناه اني عبد اجلس كما يجلس
العبد ونهي عن الاطراء في مدحه فقال ما معناه باختصار
لا تطروني ولكن قولوا عبد الله ورسوله وقد وصنه ربه برصف
العبودية في اشرف مقام ذكره فيه فقال تعالى (سبحان الذي اسرى
بعبده) فكان له في ذلك اكمل المبرة واوفر المسرة (ومن هنا يتبين
للعاقل اللبيب سقوط ما ينسب لبعض الاغرار كالمعري من اشعر
الذي قاله في اعمال الحج المذكورة فانه لو ثبت عنه لسلمبه اسم
العاقل فضلاً عن الفيلسوف الذي لا يخفى عليه حكم الشرائع
واسرارها) ثم بعد اداء الحجاج تلك الخدم ينزلون في دار ضيافة

مولاهم بوادي منى ويزيلون شعثم فيلبسون الثياب ويتمتعون
بالاطياب ويزيلون زوائد الشعور ويستبجون جميع ما كان في
تنعمهم من المحظور ويتقضون ايام العيد السعيد باكل وشرب
وتضحية الضحايا التي تملأ لحومها الاودية والجبال ويشبع منها
الوحوش والاطيار فضلا عن الفتراء ذوي الاضطراب فهناك ضيافة
الحق تعالى اذ هو الرزاق وصاحب الملك الحقيقي والاموال
بايدي الخلق بطريق العارية لامالك سواء ولهذا حرم صيام يوم
العيد لان صيامه اعراض عن ضيافة الله تعالى ثم بعد تمام تلك
الخدم وقضاء الوطر من تلك الضيافة المباركة يرجعون للطواف
بالبيت المعظم وهو كطاب اكمال التفضل بالاحسان وبوال الغفران
والغوث من جيوش الذنوب وعوادي العصيان وكطاب الاستئذان
بالرجوع الى الاوطان وعند ذلك يؤذن لهم بالرجوع الى اوطانهم
وهذا الاذن هو عنوان الاجابة وقبول التوبة والاناة والتفضل
عليهم والاحسان بالرحمة والغفران واغاثتهم من عوادي العصيان
كما بشرهم بذلك رسولهم عليه السلام فيوجهون العزم الى الانصراف
الى ديارهم وعندهم انهم قد نالوا المنى وزال عنهم العنا لكنهم قبيل
المسير ينعطفون لوداع البيت المعظم ويطوفون به طواف الوداع
واداء الشكر لما وجدوه من النعم في تلك البقاع ويفارقونه ودموعهم

منسكبة وافئدتهم للفراق مضطربة شاكرين مولاهم على ما اولاهم
داعين من هدام بكمال مناهم راجعين القفرى وعاليه من
اسف الفراق ما يذهب الكرى تم عند ورودهم بلادهم تتلى
قلوبهم بالفرح الابدى (الذي ذكر في المرامير) لما بالوه من نعم
الغفران والاحسان والامان من عادية العصيان ولواردا ان
نستقصي جميع اسرار الحج المندرجة في مفردات اعماله لاستغرق
ذلك مجلدات وضاعت عن مطالعته الاوقات فا ذكر تذرة من
عقد نحر ونقطة من ماء بحر والله الهادي الى سواء السبيل
ثم نظر اولئك الطائفة فوجدوا ان الشريعة المحمدية اوجبت على
اتباعها قتال من خالفهم في الدين عند سبوح الفرصة ايدينوا
بدينهم او يخضعوا لسلطانهم وتسمى ذلك ائتمار جهاداً وقد
اجرتة على موجب العدل كما قيل عن محمد عليه السلام في
الكتب السالفة انه يحارب بالعدل فنهت عن قتل الصغير والمرأة
والهرم والمنعزل لما يعتقده عبادة الا اذا كان احد هؤلاء منكياً في
الحرب او في تديرها والقصد من ذلك الجهاد اعلاء كلمة الله تعالى
وهداية المخالفين لذلك الدين حتى اذا دخلوا فيه ساواهم المسلمون
في جميع الشؤون والحقوق والاحوال لا يميز في جميع ذلك عربي
على عجمي بل الكل اخوان متناصرون وكل فرد منهم بالنسبة

لبقية اخوانه المحمدين كالعضو الواحد من الجسد اذا تألم اشتكى
له الجسد كله وذمتهم واحدة ومقصدهم واحد وهو توحيد الله
تعالى وانراده بالعبادة وطلب رضاه واذا لم يهتد اولئك المخالفون
لا رغبة ولا رهبة قاتلهم المسلمون حتى يرضخوا لاحكامهم فيحكمون
عليهم بما يعود على الهيئة الاسلامية بالنفع ودفع المضرة ويدخلونهم
في ذمتهم بمعنى انهم يحافظون على دماءهم واسواهم واعراضهم
لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ويتركونهم وما يدينون ويفوضون
حسابهم في الآخرة الى الله تعالى فهذا الجهاد لوقيس بالجهاد الذي
يلبس لبعض الشرائع السابقة لوجد انه قد احنوى على تخفيفات
كثيرة قد خلت عنها تلك الشرائع لان الشريعة المحمدية لم
تأمر باستئصال جميع الاعداء حتى الاطفال الصغار كما كان في
تلك الشرائع ومن يعلم احكام الشريعتين في الجهاد يظهر له الفرق
ويحكم بان جهاد الشريعة المحمدية في غاية العدل

وهكذا تلك الطائفة استقصت عبادات شريعة محمد عليه السلام
جميعها فوجدتها على اتم ما يرام من كونها اعمالا مشتملة على تعظيم
الخالق ورحمة المخلوق ومنافعها عائدة الى المتعبد لا الى المعبود لان
الحق تعالى لا يناله نفع من خلقه اذ هو الغني المطلق عن كل
ما سواه

ثم تأمل هؤلاء الطائفة في أحكام هذه الشريعة وما سانه من
الضوابط الكلية لتأمين ذوي الحقوق على حقوقهم ودفع التعديات
من الاشرار وذوي الاطاع على احد من الامة او اهل الذمة فوجدوا
ذلك على اكمل وجه واقوم سبيل

وكذلك وجدوها قد سنت احكام الزوجية على اكمال نظام
فبينت حقوق الزوجين على بعضهما عند الاجتماع وعند ارادة
الافتراق واجازت لهما الافتراق لدفع ما عسى ان يحصل عليهما
من الضرر ان منعنا منه من نحو النفور الشديد لاسباب كثيرة
مشاهدة بين كثير من الازواج ومن ارتكاب الزنا والوقوع في
الديانة اذا غلبت الشهوة على احدهما مع نفوره من الآخر ومن
حرمان النسل لاحدهما اذا كان العقم من الآخر وجعلت سلطة
الفراق بيد الرجل لتمييزه عن المرأة بالتثبت وسعة البال ووفور
تحمل الاثقال يعلم ذلك من سبر اخلاق النساء والرجال ولان
الرجل هو المكلف بالانفاق على المرأة فلا يسمح بفراقها وضياع
ما انفقه الا اذا اضطر غاية الاضطرار ولا عبرة بمن يشذ من الحمقاء
الاغرار وفرضت على الزوج النفقة لانه اقدر على الكسب من
المرأة بحسب تركيب بنيته وقبوله لتجشم اعباء المكاسب واستحسننت
لها القيام بمصالح البيت الداخلية وتربية الاولاد كما على الزوج ان

يسمى في مصالحة الخارجية وحيث أصبحت بذلك غير مضطرة
للخروج من بيتها وهي محل الشهوة ومطمح نظر الرجال فلاجل
سد باب الفتنة وكف دواعي الزنا المحقوت شرعا وعقلا امرتها
بالحجاب والستر وكان ذلك من اشرف نعمتها واكرم مفاخرها
تتباهى به كلما استكمل فيها فالحجاب عيانة وصافضة عليها
كالشيء النفيس الذي يضمن به على الانظار ويحجب بالحجب
والاستار وليس هو كما يظن بعض الجهلاء انه لظن السر بها فان
ذلك يقال لو ادرت بكف بصرها عن رؤية الرجال في كل حال
وامرت الرجال بالحجاب عن النساء وليس ايضا كما يزعم بعض
الاغبياء ان حجابها هو حبس وتضييق عاينها وملاشاة لحرقتها
فان المرأة المسلمة تشب على الحجاب من اول نشأتها وتالفه من
بادي فطرتها فتجده كاللازم لطبيعتها وتعتاده اعتيادا محبوبا مألوفاً
وتعير من يتساهل فيه من النساء وتنسبهن للطيش والوقاحة وقلة
الحياء على انها تقبله بانه حكم الشريعة الالهية فتتجوبه الشواب
ونوال الاجر من الملك الوهاب فكيف بعد جميع ما ذكر يقال ان
المرأة في الشريعة المحمدية مظلومة او محبوسة حاشا لله ما عليها من
الحيف ادنى شيء بمقتضى احكام هذه الشريعة والصواب ان
يقال انها في هذه الشريعة محفوظة منصانة من انظار الفسقة واميال

التجارب والسمة السوء يغار عليها من مرور الناس على نه لا ينل
الامر من وجود امرأة غير كاملة في الأدب ورواية من قبله ب
لا ترتاب النفوس بامانتها على نسب ذريتهم ولا يندخل شك على
زوجها فيعلم ان من تلده هو ولده مطمئن القلب بذلك ليس
للسيطان عليه سبيل في الوسوسة التي يتوصل اليها لو كانت
المرأة تخرج غير مستورة وتخالط الاجانب ومع ذلك كله ناشئة
المحمدية قد اجازت المرأة الخروج لبعض امور ضرورية من زيارة
ارحامها والتعلم لاحكام دينها اذا لم يعطها الزوج وشعر ذلك مع
التستر الذي يمنع نظر الفساق وتهيج النفوس بالنساء للعرض لما
بما يشين العرض والدين والذي يحكم به العقل اسامى الخالي عن
التعصب الدني ان الحجاب للمرأة من احسن الاحكام وانفع
الوسائل لصالح الزوج والمرأة بل لعموم الامة يقطع مادة الفساد
من البلاد ومن هنا ترى البلاد التي تحجب نساؤها لا يهتم رجال
السياسة فيها بتخصيص اماكن للزواني يرد بها الفساق لان شهوات
فساقها غير مهيجة بروية النساء ولا طامحة لمنازعة اهل العرض في
سائهم واما البلاد التي لا تحجب نساؤها فتري رجال السياسة
فيها يرتكبون تخصيص اماكن للزواني ولا يمنعون الفساق عنهن
حتى صار والعياذ بالله تعالى الاولاد النغول يقاربون في العدد

اولاد النكاح هناك ويخج اولئك السياسيون لارتكاب هذا
الامر الفظيع بانه حصن الخرائر فلو لا خشيتهم وخشية اهل العرض
على نسائهم من منازعة الفساق الذين تهيج شهواتهم بروية النساء
المتبرجات وخوفهم ان يغلبوهم عليهن لما ارتكبوا ذلك الامر القبيح
فياللعار ويالللشمار على اولئك السياسيين الذين يسوسون بلادهم
ويحصنون نسائهم باعمال البهائم فلو اخذوا بحجاب النساء لكان
يغنيهم عن ذلك الامر المحمقوت فقد ظهر ان خروج المرأة غير
مستترة ضرر عظيم ولو سلم ان الحجاب ضرر عليها لكان عدمه
اضر وارتكاب اخف الضررين هو الموافق للمعقول والمنقول فما
بالك وقد ظهر انه لا ضرر عليها في الحجاب كما يحكم به ذوو
الالباب

ثم نظر اولئك الطائفة في احكام المعاملات في الشريعة المحمدية
من نحو البيع والشراء والاجارة والشركة والمدائنه وقسمة
التركات على طريق الحكمة من ترجيح من هو اشد حاجة وامس
قربة وادخل في التناصر فظهر لهم ان جميع ذلك موضوع على
اكمل نظام واتم ترتيب من كل ما يسير بهذه المعاملات في منهج
العدل ويرفع المنازعات

ثم نظروا الى القصاصات والحدود والعقوبات والتعازير التي

وضعتها تلك الشريعة لحفظ النفس والأموال ولا سرائر . أقول
فوجدت جميع ذلك على وفق الحكمة مكنيا للميتة من
وكانها والله أعلم تشرب بذلك الى ما ياتي من الحكمة . ان من
يعلم انه اذا قتل غيره قتل به يمتنع عن قتله نجيا . الا ان
ورد ان في القصاص حياة ومن يعلم انه اذا سرق قطع يده
يمتنع عن السرقة فيأمن كل ذي مال على ماله وما احسن بجواب
بعضهم عن قول بعض المتعدين

يد بخمس مئين عسجدوديت ما بالما قطعتم في ربح دينار

وهو

عز الامانة اغلاها وارخصها ذل الخيانة فافهم حكمة باري
ولما كان الرنا معافيه من القبائح هم قتل الاولاد الذي يتولد منه
لانه يكون عديم النسب فاقد النصرة من المشيرة وكثيرا ما نيرت
لعدم وجود من يريه جعلت الشريعة جزاء الراني اذا كان صحيحا
بالزواج القتل بالرجم حتى تبرد العقوبة على كل عضو من اعضائه
التد بقضاء تلك الشهوة التي تعم الجسد واذا لم يكن صحيحا عذرت
بعض العذر فاكتفت بضربه مائة جلدة تفرق على اعضائه المشتركة
بلذة تلك الشهوة الا ما كان من عضو يتولد بضربه الموت او
تشويه الخلقة وكانت الجلدات مائة اشارة الى ان الولد الذي كان

يمكن ان يتولد منه وقد تمرض لقتله بانزلا يجوز ان يعيش مائة
سنة وهو الهرم المتاهل له الاسان بحسب تركيب بنيته وبطرن
نموه كما قاله بعض الاطباء ولكن تمرض عليه اسباب الموت من
حوادث الميمنة فيموت باجله الذي قدر له قبل بلوغ تلك المدة
وقد تكون هي اجله القدر فيبذلها فكأنه جعل في مقابلة كل سنة
متاهل ذلك الولد ان يعيشها جلدة لذلك الزاني الذي اخاعه ثم
لما كان الاسان متاهلا ان يعيش المائة ومن المداوم ان عقله قبل
بلوغه خمس عشرة سنة سن البلوغ غالبا في اول عمره لا يكون
متمبرا في التكليف الشرعية لعدم كماله كما انه يصف جدا في اخر
عمره بمعدل خمس سنوات لو عاش المائة فيكون عقله المعتبر الكامل
القوي متوفرا له مدة ثمانين سنة فاذا تعرض لاخلاله بشرب الخمر
الذي يعرضه للذهاب او الضعف وهو اكبر نعمة يعطاها الانسان
بعد الايمان تحكم عليه الشريعة بضرب ثمانين جلدة فكأنها جعلت
في مقابلة كل سنة من السنين التي تتوفر فيها نعمة العقل جلدة
واحدة وتشير اليه بذلك العدد بان النعمة التي تتوفر عليك ايها
الشارب للخمر في تلك المدة قد تعرضت لزوالها فلذلك جوزيت
بهذا الجلد ثم ان الاسان قبل سن بلوغه وهو خمس عشرة سنة
لم يكن مكلفا فلا يشان في امر العرض كما يشان البالغ وفي السنين

الخمس الاخيرة من عمره فيما اربلغ لعمره اربعين سنة واثم ارا
لانحطاط شهرته وقواه قلما ترتب فيه انفس من امره
فيستبعد ان يشان في عرضه ايضا في تلك المدة ثمانية عشر سنة
كمال المحافظة على شرف العرض هي قانون سنة من عمره لان
الذي هو متاهل ان يعيشه فاذنك جمعت الشريعة منه من يتخذ
غيره في شان العرض ثمانين جادة كأنها تسير بذلك مدة الى المدة
التي يكمل فيها محافظته لمرء على عرضه وكأنها تتولى ما شئت اليك
تعرضت لشين عرض المتدري الذي تكمل محافظته عليه في تلك
المدة من عمره فمبوزيت بذلك الجلد بمقابلة كل سنة بمدة ثم ان
الشرائع المتقدمة على الشريعة المحمدية بعضها حكم بالقصاص
في القتل وبعضها حكم بالعفو والشريعة المحمدية جمعت بين
الحكمين فاجازت لولي المقتول ان يقتص من القاتل او يعفو
ورغبته بالعفو بانه اقرب للتقوى (وهكذا تراها في كثير من
الاحكام جمعت ما تفرق في الشرائع المتقدمة ولخصت زبدتها
وما ذاك الا لانها خاتمة الشرائع فجعلها الله جامعة لمحاسنها) ثم نظر
هؤلاء الطائفة الى الأداب التي جاءت بها الشريعة المحمدية
فوجدتها مكملة في كل باب فقد استوفت آداب الاكل وآداب
الشرب وآداب المنام وآداب الكلام وآداب الجماع وآداب

قضاء الحاجة وآداب المجاسة وآداب الحضرة وآداب السفر وآداب
الزوجية وآداب ذوي الارحام مع بعضهم وآداب الجيران وآداب
الاصحاب وآداب جميع المسلمين مع بعضهم وآدابهم مع اهل
ذمتهم الى غير ذلك مما يعرف من البحث والتمعن في تلك الشريعة
ثم اخذ هؤلاء الطائفة في انتقاد سياسة محمد عليه السلام والبحث
عما اذا كان يامر بشي يسود عليه او على ذريته بصالح خصوصي
ام لا فيبد التنقير والبحث عن ذلك بكل دقة لم يبدوا منه عليه
السلام احرا ولا في شريعته حكما يترتب عليه صالح خصوصي له او
لذريته وما كان ظاهرا ذلك تبين لم بعد التدقيق ان باطنه مبني
على حكم تصود بصالح الشوم مثلاً الصفي الذي كن ياخذ من
الغنيمة قبل قسمتها انما يخص به نفسه ظاهرا في اول الامر تنويها
بمنصب رياسته وهذا معروف مالوف بين الاتباع والمتبوع وهو مما
يمثل في النفوس عظمة المتبوع وابهته وهو مقصود من مقاصد
سياسة البشر ثم آخر الامر كان عليه السلام يصرفه في حوائج الفقراء
فكان اظهار اختصاصه به اولا لتخصيل تلك الابهة للرياسة ولكف
ايدي الاغنياء عنه وايصاله للفقراء وتوسمهم به على وجه لا يجعل
في نفوس الاغنياء ضغينة على الفقراء بترجيحهم عليهم وانفاقه ذلك
بل جميع ما كان يرد عليه على الفقراء والمساكين الا قدر الكفاف

له ولعلي له امر متواتر عنه (حتى خرج من الدنيا ريث شيئا
درهما ولا دينار بل انفق في الصدقات ما كان منقرا بوزن في ميل
الله ما كان له من عقار) وقد سادى بين شيئا وميالى شيئا في
النفقة الضرورية من خريفة الماسين والميوس بالسلالة عنه
لاحد من ذريته وانما فوض ذلك لراي المسلمين ولما ان يرض
على ذلك لما خالفه في ذلك مخالف الى اخر المراسل من ذلك
كله انه لم يزل يوصي اهله وجميع اصحابه بالشر من رايته لا يحكم
والغروب بمناصب الدنيا وفخارها

ثم ظهر لحولاء الطائفة انه عليه السلام ساد لم رسول الله ربه وما
من الظلم والجور وقادرا على العدل بين الزوجات مهما كثرن فند
اباحت له شريعته ان يتزوج منهن ما شاء من العدد كما كانت
الرسل قبله كداود وسليمان وغيرهما عليهم السلام ولكن لما كان
من شان البشر غير الرسل العجز عن العدل بين الزوجات متى
كثرت حجت شريعته تزوج اتباعه فوق الاربع ركانها والله اعلم
اباحت لهم اصل تعدد الزوجات لان المذكور في معرض النقص
عن عدد النساء لتعرضهم لمخاطر الاسفار والحروب ومشاق الارتزاق
فلو منعوا من التعدد لبقى العدد الزائد من النساء معطلات عن
النسل ثم ان الرجل مستعد لاداء النسل من سن بلوغه الى اخر

عمره ولو عاش مائة سنة والراة تياس من سن الخمسين او الخمس
والخمسين بتقطع مادة الحيض وفقد البزور من مبيضها لطفاف من
الله تعالى بها حيث ان الحمل والولادة والارضاع تضعف قوتها
فسة دار استعما ادها للنسل من سن البلوغ الى سن الياس خمس
وثلاثون سنة غالباً فلو منع الرجل من التدد لربما عطفت المرأة عليه
اداء نسله مقداراً عظيماً من عمره فإباحة التدد له تنجسه من
غائلة هذا التعطيل ومن هنا يظهر سر جواز الطلاق حتى لا يتعطل
عليه مائة من استعداداته للتناسل فيدا لو ايسر زوجته او كانت
عقيمة او لم يقدر على التعداد فيستبدل بزوجه غيرها ان كان
القم منه لا يتعطل عليها نسلاً (وقد مرت حكمة كون الطلاق
بيد الزوج فارجع اليها) وكأن حكمة حصر التعداد بالاربعة لمقابلة
كل واحدة بنوع من انواع المكاسب التي يرتزق منها الانسان
وينفق على زوجته وهي التجارة والصناعة والفلاحة والامارة وقد
تكون احداها وافرة فتقوم مقام البقية وشرطت في الاربعة العدل
ايضاً حتى لو خاف الرجل الجور بين اثنتين تحظر عليه الجمع
بينهما وتبيح له الواحدة ولو خاف الجور على الواحدة بنحو ظلمها
او عجزه او قصور يده عن الانفاق عليها تحجر عليه ان يتزوج
لواحدة ايضاً ولما كانت الرقيقات مجلوبات لبلاد ليس فيها ذكور

بمقابلتين لعدم تمكن الارتاء من نكاحه شفاهاً :- فإدعية حجت
للمالكين لمن التسري بما يقره الأربعة من ذلك :- أن - - -
تبع للمملوك أن يصير زوجاً للمالكته لأن مالكاً له يقتضي ولايتها
وتسلطها عليه وصيرورته زوجاً لها يقتضي ولايته وسأله عما إذا
وذلك من التناقض السببي في المباشرة فكان يقتضي عدم
انتظام أمر الراحة والوفاق بينهما وهذا خلاف ما مدعيه
الشرعية العادية

ثم وجدوا أن شريعتهم عليه السلام قد حرمت نكاح الزانية من
بعده ولدي التدقيق ظهر لهم أن ذلك منكم جيلة
أولاً تعظيم شأنه عليه السلام وتعظيم شأنه أرسل بن أتباعهم أمر
معهود في الشرائع المتقدمة وأزوم أدب معزمو مستحسن أيضاً
فإن النفس البشرية تآبى نكاح أزواجهم من بعدهم ولم تجعل
لغيره هذه المراعاة من علماء الأمة وكبرائها لئلا يضيق أمر التناسل
ثانياً سد باب التداخل في أمر الخلافة من غير مستحقين فإنه لو
أبج تزوج أزواجه من بعده عليه السلام لكان من بنكح واحدة
منهن ولو غير أهل للخلافة يستولى على نفوس العامة ويخضع
عقولهم بأن معي زوجة رسولكم ولي بذلك الحق في الخلافة والتقدم
على غيري ثم يسند إليها كل ما يروج مقاصده عند العامة الهيج كما

شاهد نظير ذلك في تقلبات الدول من نكح نساء الملوك بعد موتهم واستند بذلك في التداخل في امر الملك كما يعلم من التاريخ ثالثا لو ابيح ذلك لا نفتح به باب الفتنة بين اتباعه من بعده لان كل واحد منهم يرغب ان تكون معه زوجة رسوله يتبرك بقربها ويتمن بذريتها ويحوز اسنى الشرف ويفاخر بذلك الاقران ويتعلم منها ما خفى على كثير من ذوي العرفان وبهذا يقع التباير ونقوم الفتنة بينهم على قدم وساق فسادا لهذا الباب حمرت الشريعة هذا الامر على وجه الصواب رابعا لانه يلحق زيجاته عليه السلام بنكاح غيره من بعده ما يزي بمقامهن من انحطاط الرتبة والنقد وتسقط عظمتهم من قلوب الامة جميعا لان المرأة التي كانت مع رسول الله ثم تقترن بسواه واوانه اعظم رجال الامة تكون كالمنخطة من الاوج الى الخفيض وبذلك تنفر منهن النفوس وترتاب بحديثهن لدخولهن تحت كنف من لم تجب له العصمة فيتخيل للعقول انهن يجرين على هواه في اقوالهن واعمالهن ويروجن افكاره بما ينقل عن رسول الله عليه السلام (حاشا حضراتهن من ذلك وانما هو شي يتخيله العقول عند ذلك وترتاب من اجله) وحينئذ تنقد الامة ثمرات كثيرة من علومهن التي نقلتها عنه عليه السلام المفيدة لاحكام

شرعية جلية اخذت من اقواله وافه انه ينقل تلك الامور الى
له في اكله وشربه ونومه وجميع شؤنه في خلوة وزيارة
الى غير ذلك وان غالب هذه الاحكام لا تلي الا من يتقن زوا
اقترب بغيره من بعده لا انحطت عظامتهن في الناس كما انما
وضعت الثقة باخبارهن كما قررنا فانما تلك الامور كما
الى غير ذلك من الحكم والاسرار المنطوية تحت الحكم بذات
التحريم فضررهن الخاص بمنهن من انكاح بعده عليه السلام
لا يقوم بمقابلة تلك الاضرار امامة فليس ذات الحكم خاتمة
اولا فكار منحلة دنية كما اوضحه البحث والتدقيق حاشا عليه
السلام من ذلك ما هذا الحكم الامحضر تشريع من الله تعالى
لاسرار عالية وحكم سامية

فلما تم انتقاد هؤلاء الطائفة لشرعية محمد عليه السلام واسيسته
وظهر لم جميع ما تقدم من حسن الانتظام وبدائع الحكم اعظام
قال بعضهم لبعض الحق الحق ان يتبع لاشك ان ما جاء به محمد
عليه السلام هو شرعية من عند الله تعالى والا فان محمدا رجل
امي ناشئ بين الامة الجاهلية لم يفارق اوطانه الا اشجراً قلائل في
سفر قريب لا تصلح مدته لتحصيل اقل القليل من العلوم ولم يجتمع
على احد من اهل المعارف في مدة حياته في بلده ولم يعثر عليه انه

عاني تعلم شيء من الشرائع او قوانين الدول فمن اين له ان يستنبط عقله هذا الترتيب الغريب العجيب الذي احاط بكل حكمة باهرة واحتوى على كل خصلة حميدة فاخرة وتكفل بانتظام حال البشر وصالح احوالهم وطهارة نفوسهم وعمار ديارهم وكف اشراهم وبكل شيء يعود عليهم بالخير ويدفع عنهم الضرير مع تلك المقائد في حق رب البرية السالمة من كل خرافة ودنية وفي حق الرسل الاخيار هداة الانام عليهم الصلاة والسلام ولو كان محمد من اعقل الخلق واحذق البشر واكبر الفلاسفة واعظم السياسيين العالمين بوضع نظم الامم لما صح في العقل امكان التصديق باقتداره على الاحاطة بجميع ما جاء به الا ان يكون مرسلا من جانب الله تعالى وهو الذي هداه الى جميع ذلك واطمعه عليه وافهمه اسراره وامره بتبليغه فانا نرى اكبر الفلاسفة مهما باغوا في المعرفة والاحاطة في الفنون انما ينبغون في فن او فنين فهذا جالينوس نبغ في السياسة البشرية وارسطو في الحكمة النظرية والالهييات وابقراط في الطب واقليدس في الهندسة وفلان بكذا وفلان بكذا واما ان واحدا منهم احاط بكل فن او بمعرفة كل ما هو صالح للبشر فهو شيء لم يكن البتة واما محمد (عليه السلام) فشريعته قد احاطت بجميع ما يتكفل بخير البشر لم تغادر منه شيئا كما تقدم لنا بيانه فما كان امس

حاجة واشد لزوما فصالحته وشرحته على كل من كان له شأن في
الاحتياج اليه ولبس من الضرورات الدينية او المدنية رزقت
اليه واشارت الى طرق تعلمه من اربابه رسالت السبيل اليه من
نحو الفنون الحساية والهندسية والعمارة ونحو ذلك فليعلم هذا
الامر منها من اطاع عليها اطلاع الناقد بصيرا لا من نظر اليه بمن
البغضاء او لحظها بخلاف العجالة برطل على بعض دباحته فظن انه
احاط بها احاطة الجفون بالقل وهو لعشر معشارها ما فهم ولا
عقل فصدق هؤلاء الطائفة محمدا عليه السلام في جميع ما جاء
به وامنوا برسالاته من عند الله واصبحوا من اشيائه لا خيار
واصحابه الانصار

اقول ان هذه الطائفة قد فتحت بابا للاستدلال على صدق محمد
عليه السلام يبقى مفتوحا الى يوم القيام فنكمل من كان ياتي بعد
عصره الى اخر الزمان ان يستدل كما استدت فيتضح له
الطريق كما اتضح لها فاذا غاص في بحار هذه الشريعة المحمدية
ونظر فيها نظر الناقد البصير المطلق من اسر الضمير عاد وهو بها
مؤمن وبصدق صاحبها مستيقن ولقد اتسع ذلك الباب لمن
جاء بعد الاعصر المديدة من بعثة محمد عليه السلام سيما من جاء
بعد مرور ثلاثة عشر قرنا فانه فضلا عن اتضاح الحق لديه بما في

تلك الشريعة من المزايا الدالة على انها من عند الله يمجدا انها لم تنزل
محفوفة المراد مطردة القواعد لم تختل منها قاعدة فيحكم العقل بان
هذه القاعدة لم تبق مناسبة لهذا الزمان ولم تختلف ثمراتها ولم تطمس
اياتها كما هو مسلم عند ذوي العقول السليمة من داء التعصب
والاختبار اقوى دليل على ما نقول ولو كانت من وضع البشر
لاختلفت وفسد نظامها كما تختل نظمات البشر بمقتضى اختلاف
الزمان

ولا يهولنك ما يهذي به بعض الحمقاء حتى ممن ينتسب الى هذه
الشريعة وهو في الحقيقة مارق منها مروق السهم من الرمية قد
طمس على بصيرته وعمى قلبه جاهل بحقيقة شأنها وعلو مكانها لم
يعلم منها الا الاسم فتسول له نفسه الخاملة ويغفل له عقله الفاسد
ان الزمان قد صار محتاجا لبعض قواعد خلاف تواعدها وضوابط
خلاف ضوابطها وانما ما بقيت كافية لحاجة هذا الزمان فيلتجئ
للاخذ ببعض قواعد بعض الامم اما هي باصرة المنفعة واهية الاحكام
ان اسندت من جهة مالت من جهات واما هي في الحقيقة من
اصل قواعد تلك الشريعة الكاملة اخذها اولئك الامم والبسوه
حلة غير حلتها الاسلامية فيظن ذلك الجاهل المغرور انها شي
جديد اخترعته تلك الامم وضمنته بدائع الحكم ولو كان من اهل

المعرفة في الشريعة المحمدية التي لا تنبغي في هذه
الشريعة قواعد فضلة كاملة رافضة واحتجاج هذا من ان كان زمان
لا تذكر عندها تلك قواعد القصرة ولا يعبا ما عند من قبلها او
لظهوره ان القواعد الكاملة عند اولئك الامم هي من جملة القواعد
التي اشتملت عليها الشريعة المحمدية غاية الامر ان الزيادة بصورة
غير صورتها الاسلامية واذا كان لم يأخذوا من شريعة اخمدية
فقد صادف وصول عقولهم اليها لانها من مستحسنت عقول مع
ان الشريعة المحمدية تشتمل عليها ايضا فكان يحسب ذلك لجاهل
ان قواعد الشريعة المحمدية تغني الامة عن الاخذ بسواها الا انه
يحتاج في ذلك للمعرفة في الشريعة المحمدية وتبحر في الرب ولا
يكفي مجرد اللمع من طرف ضعيف فمن اراد ان ينشر قواعد مفصلة
مشروحة قريبة لفهم العامة لتصلح شأننا من شؤونهم فعليه ان يكاف
علماء الشريعة المحمدية المتبحرين في ان يجمعوا له منها ما يقوم
بمطلوبه ويفي بمرغوبه فيجثرونه بالمطلوب الكافي الوافي من تلك
الشريعة طبق المراد اصول العباد كما جرى ذلك عند ما طلب
السلطان الاعظم نصر الله دولته جمع كتاب مجلة الاحكام العدلية
في المعاملة الجارية بكثرة بين الناس من العلماء يكون سهل الفهم
على الحكام والاختصاص فأتوا بما يفي بالمراد من ذلك

ولا يهولنك ايضا ان بعض من ينتسب الى هذه الشريعة تراهم
مخزلي النظام فاقدى الاداب فا. دي السياسة عديمي التدبير فرما
يتخيل لمن لم يعلم حقيقة حالهم وما جنوه على انفسهم من مخالفة شريعتهم
ان يقول كيف ان المسلمين يدعون ان الشريعة المحمدية تقوم
بمصلحة من يتبعها وتهذبهم غاية التهذيب وانا نرى هؤلاء القوم قد
انغمسوا في الشرور وتراكت عليهم انواع الشقاء مع انهم منتسبون
لهذه الشريعة فاين اصلاحها وتكفلها بانتظام حال اتباعها فقل له
يا قليل الانصاف من ادعى من ان الشريعة المحمدية تكفلت
باصلاح حال من ينسب اليها بالاسم ويخالفها بالاقتداء والعمل
فلا يجري على احكامها ولا يتحلى بادابها كلا والله لم تنكفل هذه
الشريعة الا باصلاح من تمسك باحكامها وتخلق باخلاقها وجرى
على اديها كما صرح القرآن الكريم بذلك والاحاديث النبوية وقد
اخبرت تلك الشريعة ان من خالفها في تلك الامور تنوارد عليه
انواع الشقاء واصناف البلاء حتى انه يجد من ذلك ما لا يجده
غير اتباعها المنتسبين اليها تبديلا لانتقام الاخرة بانتقام الدنيا
للردع عن المخالفة وللتذكير بالرجوع الى التوبة ولتمحيص ذنوب
من يريد الله به اللطف لشفاعة بعد صفات حسنة ترافق تلك
المخالفة فتكون واسطة لكفير الذنوب بورود تلك البلايا الدنوية

العاجلة وأما الشرب كمدائن يصف مريضة سميت من
ينسب اليه فلا يجد من تراثه شيئا يقول من كان عليه مكتبة
عظيمة مشتملة على الكتب نادرة ثمينة من ادب وادب وادب
الجميلة والاعمال الفاضلة وهو لا يفتح منها كتابا ولا يستفيد منها
فائدة يتصور في العقل ان يصير ذلك رجل مهمل وصاله بعيدا
عجرب ووضعت تلك الكتب في داره وتصفه في مكتبته وانه يب جازدها
وتوقع اوضاعها لا والله لا يكون ذلك رجل الا كمثل الحمار
يحمل اسفارا لا يدري ما هو حامل ولا يستحق لاسم الجاهل

فان قال قائل ان نرى بعضا ممن يعدونه ناس من علماء الاسلام وغير
مذهب الاخلاق ولا كمال الصفات بل هو من ذممت على الدنيا
وادراؤها اكثر من الجهلاء متكالب عليها تكب كلاب البيداء
مضر للبشر متجاهر بالضرر فاي تهذيب حصص لهذا شرير من
تلك الشريعة واي ثمرة اكتسبها بل لو لم يعد في صف العلماء
لقصرت يده عن كثير من الشرور فاقول ان هذا المذكور لم
يدرك من الشريعة المحمدية الا النقشور وفاته الاجاب وتمرات
الاداب فاذا حققت امره تجده قد اتقن شيئا من علوم اللغة
العربية التي جاءت هذه الشريعة فيها من نحو صرفها ونحوها
وبيانها مما هو وصلة الى فهم الشريعة لا هو عينها ومرورا على

كتب الشريعة بمقاصد ساقطة ونية زائفة وهو مصمم على الاطلاع على ما للشرعية من احكام ليتوصل بها الى رضى الحكام والى اكل المال الحرام من العوام الدين لا يفرقون بين الضياء والظلام وقد حفظ من اداب الشريعة الحمدية ومواعظها ما يزين به زخارف الكلام لا لان تكون دواء لدائه وشفاء لبلوائه فلا يتخلق باخلاصها الرفيعة ولا يتأدب بادابها البديعة ولا ينزجر بمواعظها عن احواله الشنيعة فغاية مقصده نوال ما رغب فيه نفسه من تلك المقاصد الدنية فمثله كطبيب يعلم تشخيص الامراض وادويتها ومعالجتها ولكن لا يلتفت الى تشخيص دائه العضال ولو التفت اليه لياخذ دواءه ولا يصبر على معالجته بل همته مصروفة الى جلب الاموال من ذوي الامراض ولا له الى مرضه ادنى التفات فبالله عليك كيف يشفى هذا الطبيب من دائه العضال وهو بهذا الحال من الاهمال اىكون مجرد معرفته علم الطب كافيا لشفاء دائه لا والله يصح عند ذلك ان يقال ان علم الطب لا ينفع في شفاء الامراض حيث ان هذا الطبيب لم يشف من دائه مع علمه بالطب وتركه المعالجة لاأخال ان احدا يقجراً على ذلك القول الفاسد الا ان يكون مختل العقل وليعلم ان من كان بتلك الحال ممن يعد في صف علماء الاسلام وقد تهتك بخالفة الشريعة الحمدية بين الانام هو وامثاله

تدعوهم هذه الشريعة بعلماء السوء وهم اضر على المسلمين من
اجهل الجهلاء بل من الذال الاعداء قلل الله من بين المسلمين
امثالهم ونسخ ظلالهم وابدل المؤمنين بهم علماء فضلاء انقياء قادة
للمحق هداة للصدق متصفين بالصفاة الكاملة متخلقين بالاخلاق
الفاضلة محققين على اداب الشريعة متابعين رسولهم في كل ما
سنه لهم من المنهج البديعة فهولاء كثر الله من امثالهم واثابهم على
اعمالهم وجزاهم عن الامة المحمدية احسن الجزاء وهم علماء الاخرة
الذين خصص الله تعالى خشيته بهم واثنى عليهم في كتابه الكريم وعلى
لسان رسوله عليه من الله اسنى الصلاة والتسليم وهولاء في استقامة
احوالهم ونجاحهم في اقوالهم واعمالهم من آثار اتباعهم للشريعة
المحمدية لم يتركوا له ارض مجالا ولا للخصم مقالا كما لا يخفى
على ذوي الالباب

ثم اقول لمن اغتر بعلماء السوء فظن انهم علماء الشريعة الذين يرجى
صلاحهم واصلاحهم اني يا صاحبي اعذرک في اغترارك بهؤلاء
الشياطين الذين يزبنون ظواهرهم بما حفظوه من العلوم الرسمية
والفاظ الاحكام الشرعية ولكن ان كنت نبيها فلا اخالك تغتر
بفرقة اخرى اصبحوا فارغين من كل معرفة خالين من كل استقامة
انما هم جهلاء اغرار تزىوا بلباس العلماء وتحلوا بشعار الانقياء حيلة

على الدنيا وشبكة لاصطياد حطامها فترى عليهم عمام كلابراج
وجيبا كالاخراج والعلم عند الله فشأنهم (تغيير شكل لاجل
الاكل) وقد يتجرؤ بعضهم على مناصب العلم من التدريس والافتاء
والقضاء ويغتر بهم هج العامة الذين لا يعلمون الارض من السماء
فانا لله وانا اليه راجعون فايك ان تحتج في مناقضتك ايها الخصم
بهؤلاء الملبسين فان آلة تلبسهم ضعيفة جدا وينكشف حالهم
بكلمة واحدة فيظهر بها انهم كالانعام بل هم اضل هذا وقد بقي
من الملبسين قوم قد يضرون اهل الدين الاسلامي اشد الضرر
ويروج تلبسهم على العامة فيفسدون عقائدها وهي لا تشعر بل
تظن بزخارف هؤلاء الدجالين انها قد وصلت الى حقائق الامور
رفازت على العلماء الاعلام في المعرفة وهي في ضلال مبين وحقيقة
هؤلاء الدجالين انهم يدعون وصولهم الى معرفة علوم واسرار في
الشرعية المحمدية تخفى على العلماء الاعلام وان الله خصهم بها
بسبب الوسائط الفلانية ويترجمون عن تلك المعارف والاسرار
بعبارات هي محض كفر وضلال بمقتضى قواعد الشريعة المحمدية
لكن تلك العبارات تشابه بعض الكلام الذي ورد عن بعض
العارفين من علماء هذه الشريعة المشهود لها بصحة العقيدة واستقامة
الحال على منهج الدين المحمدي وقد اطلعهم الله تعالى بواسطة

ثقواهم واقتفائهم اثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على
معارف واسرار في هذه الشريعة لم يخضع عاينها غيرهم من لم
يعمل كعماهم ولم يستقم كاستقامتهم وهي في الحقيقة لا تاتي الشريعة
المحمدية في شي بل هي من الشريعة توخذ من رموزها وتفهيم من
اشاراتها غاية الامر ان بعض تعبيراتهم عنها كانت موهمة لمخالفة
الشريعة وما كان ذلك الا لضيق الالفاظ البدوية عن الافصاح
عنها فاصبح التعبير في ادائها موهما ما يخالف الشريعة وليس الحال
كذلك ولثبوت استقامة هؤلاء العارفين التزام العلماء بتأويل ما
يؤم من كلامهم وتطبيقه على قواعد الشريعة المحمدية بما يدفع عنهم
الريب في عقائدهم واما اولئك الملبسون الخدعون عن منهج
الاستقامة في الشريعة الساعون على تحصيل شهواتهم وبلوغ
مأربهم الفانية فقد ادعوا مناصب هؤلاء العارفين واصبحوا يتكلمون
بكلمات تشبه كلامهم وهم عنهم بمعزل ما عندهم من تقراهم ذرة
ولا من معارفهم قطرة فالحذر الحذر من الركون الى كلام هؤلاء
الملبسين الضالين المضلين وقد كثر عددهم في هذه الايام فكم
افسدوا من عقائد وكم اخطوا من حرام فعلى كل مؤمن متبع
للشريعة المحمدية ان يعتقد ما جاء به صريح القرآن والسنة الصحيحة
ويعتمد في كل ذلك كلام العلماء الاعلام المسلم بمعرفتهم واستقامتهم

من الخاص والعام ويهجر ما سوى ذلك من وساوس الاوهام
والله يتولى هدايا اجمعين بحرمة سيد المرسلين اللهم امين
وطائفة من اولئك الجماهير لم تسبق افكارهم الى تلك الاستدلالات
التي وصلت اليها افكار الطوائف السابقة ولكنهم تملوا في حال
محمد عليه السلام وفي متابعة اولئك الطوائف له بعد ما كانوا
مخالفين وفي الوجوه والدلائل التي حماهم على تصديقه والانقياد
اليه فقالوا ان هؤلاء الطوائف الذين اتبعوا محمدا (عليه السلام)
لا شك انهم عقلاء واصحاب اراء سديدة وعندهم الاستعداد
للاستدلال على الحقائق والتوصل الى الصواب ونراهم الا قد
نقروا من تصديق دعوى محمد (عليه السلام) غاية النفر وكذبوه
اشد التكذيب حتى خلانهم واقاربهم من اعمامهم واولادهم وعشيرته
اجمعين ولا سيما منهم من يعتقدون باديان الرسل المتقدمين وبين
ايديهم كتبهم المنسوبة الى اولئك الرسل واخذ جميعهم بتوبيخه
ونقريه على هذه الدعوى التي ادعاها وحاولوه بالرجوع عنها
والكف عن تسفيه احلامهم والطعن باصنامهم واعتقاداتهم واحثالوا
عليه باطماعه بانهم يشاركونه في اموالهم ويزوجونه اكرم بناتهم
اذا هورجع عما هوفيه ثم انهم بعد جميع ذلك النفور وكل ذلك
الامتناع اخذوا يتركون عاداتهم المألوفة لهم والموروثة عن ابائهم

ويرفضون اعتقاداتهم لاسيما منهم من يعتقدون باديان تنسب
الى الرسل المتقدمين فان هؤلاء بعد ما تشددوا في النفور غاية
التشدد تمسكوا بما لديهم من الدين السماوي والكتب الالهية
عادوا فاقبلوا على تصديق محمد احسن الاقبال اعتمادا على ما
ظهر لهم من شهادات الكتب التي عندهم بمصدقته عليه السلام
وانطباق السلامات المذكورة فيها عليه وقد تركوا كثيرا من احكام
الشرائع التي يعتمدونها عند ما اخبرهم محمد بان شريعته ناسخة
لها ولا شك ان ترك مثل تلك العادات المألوفة يصعب جدا
عليهم فلا يهجرونها الا لموجب قوي وداع قاهر وانهم يعلمون قطعا
ان تركهم لكثير من احكام شرائع رسالهم المتقدمين ان لم يكن
بامر الله تعالى ورضاه يستحقون منه اشد الانتقام فايمانهم بمحمد
وتصديقهم برسالته لا بد ان يكون ناشئا عن تحرير ادلتهم التي
اعتمدوها في تصديقه ولولا انها ادلة قاطعة وبراهين ساطعة اطانت
بها نفوسهم واذعنت لها عقولهم وتوصالوا بها للصواب لما كانوا
جروا بمقتضاها ولما هجروا ما لوفاتهم وتحرضوا للانتقام الله تعالى
حسب زعمهم الاول ولكانت عقولهم السليمة تمنعهم ان يقدموا
على الباطل وان يخاطروا هذه المخاطرة ويعتمدوا على دليل ضعيف
او يميلوا لهوى نفس سيئة العاقبة ولا داعي هناك من نحو الانفعالات

النفسية التي تدعوني بعض الاحيان الى ارتكاب خلاف
الصواب بل الذي في انفسهم من الانفعالات النفسية والتعصبات
النسبية والدينية تدعوهم الى التكذيب لا الى التصديق وتحسبهم
على الاصرار على ما هم عليه لا على الانتقال عنه فاتفقهم جميعا على
تصديق محمد عليه السلام مع تنوع ادلتهم انواعا مختلفة الطرائق
متفقة على نتيجة واحدة لاشك انه حجة مستقبلة تثبت دعواه وتدل
على صدقه اذ من المحال الذي لا يصدق العقل السليم ان يكون
ذلك الاتفاق من اولئك العقلاء المتعصبين لعاداتهم واعتقاداتهم
وتوفر تلك الادلة حاصلا لجميع ذلك بوجه الصدفة ولا يقول
بالصدفة في مثل ذلك الا معاند مكابر ف نحن اعتمد ادا على ما تحصل
لدينا من هذا الاتفاق من اولئك الطوائف ومن توفر تلك الادلة
مع ان ذلك لا يكون بوجه الصدفة قد صدقنا محمد عليه السلام
فيما ادعاه وامثلنا جميع ما يامرنا به مقررين بانه رسول الله بلا
اشتباه

اقول ملخص استدلال هؤلاء الطائفة بصورة القياس الاستثنائي
المستثني فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم هكذا لو لم يكن محمد
صادقا لما اتفق هؤلاء العقلاء المخالفون المتعصبون على تصديقه
ولما توفرت لهم تلك الادلة لكن قد اتفقوا على تصديقه وتوفرت لهم

تلك الاداة فيكون صادقا فإيمان هذه الطائفة ليس بالتقاي ولا وثائق
الطوائف كما يتوهم بل هو بالاسندلال ايضا كما علمت
وطائفة منهم كانوا طبعيين ماديين دهرين اي انهم يعتقدون ان
مادة العالم ازلية ليست مخاوقة وانه لا اله للعالم اوجده من العدم
وربته على هذا النظام وانما تكونه على هذه الكيفية المشاهدة التي
يحار فيها الفكر وتنوعه بهذه الانواع ليس الا من تركيب عناصره
وتفاعها بمقتضى نرئيسه القائمة فيه وحيث لم يعتقدوا برجود اله
للعالم فبالضرورة لا يصدقون بالرسل المدعين انهم مرسلون من عند
الله تعالى الذي هو آله هذا العالم فعند ما سمعوا محمدا عليه السلام
يدعي ارسال الله تعالى له وشاهدوا احوال اولئك الجماهير الذين
كذبوه اولاً ثم صدقوه وسمعوا بدلائلهم التي استدلوا بها على صدقه
مع اختلاف انواعها وتخالف طرقها وما نتج عن ذلك كله من
الانقلاب العجيب في العالم البشري من ترك اولئك الجماهير
لعاداتهم ومالوفاتهم ومعتقداتهم واتباع ذلك الرجل الاعي الفريد
الوحيد الذي قاوم بدعواه اولئك الالوف ولا ناصر له ولا معين
حادثا ليس بالقليل يستحق التفات الافكار وتمعن الا نظار والبحث
عن اسبابه وكيفية تسببه عنها وانتقاد حقيقة هذا الامر هل حصل
عن تصورات يقينية او عن تخيلات وهمية تنبئت افكارهم

وتيقظت البابهم (ومن يسمع يحل ومن يشاهد يفكر) فقال بعضهم لبعض ان هذا الحادث مهم جدا ونحن نبحث عن اقل قليل يحدث في الكون بالتفتيش عن اسبابه ومقتضياته وحقيقته وغايته والذي نقرر اعتماده عندنا ان كل حادث وانقلاب في العالم البشري لابد ان يكون ناشئا عن مقتضى اقتضاه كما الحال في حوادث المادة واثارها فانه لا اثر منها الا وهو ناشئ عن سبب ومقتضى يقتضيه ا بعد ذلك نغض الطرف عن هذا الحادث العظيم من نجاح محمد بهذه الدعوى التي ادعاها واتباع اولئك الجماهير الذين باتباعهم حصل انقلاب في العالم الانساني يقل نظيره في التاريخ البشري ونكتفي بقولنا ظنا وتخمينا لا علما وتحقيقا ان هذه الدعوى من محمد هي تحيل على الرئاسة وذلك الاتباع من اولئك الجماهير مبني على الاوهام اما علينا ان نستعمل فلسفة التاريخ ونبحث عن الاسباب التي اوجبت هذا الانقلاب والانقياد لهذا الرجل الامي الوحيد الفريد فهب ان دعواه تحيل على الرئاسة فما نقول في سبب ذلك الاتباع والانقياد من اولئك الطوائف الكثيرين المتعصبين لما هم عليه من العادات والاعتقادات فان قلنا سبب هذا الانقياد هو العصبية لم يصح ذلك فان عصبية اولئك الجماهير انما هي لما هم عليه من العادات والاعتقادات وهذه

تقتضي مخالفة محمد لا موافقته وان قلنا ان السبب عصبية عشيرته
له وطمعها بنوالة الرئاسة اذا هونجح في دعواه لم يصح هذا ايضا لانا
نرى عشيرته اشد الناس مخالفة له عندما قام يظهر دعواه ومن
اتبعه منها فانما كان اتباعه له آخر الامر بعد ما تم نبأه وكثرت
انصاره وقليل منها من اتبعه في اول امره وعلى هذا الحال
فليست عصبيتها هي السبب البتة على انه لو فرض عصبيتها ان في
اول امره لم تكن لتؤثر في انقياد اولئك الجماهير الكثيرة وهي
دونهم في القوة والاقتدار ونفوذ الكلمة فلو انه اعتمد عليها وقاوم
بها عصبيتهم لكان قد عرضها للهلاك ولأ نسحقت بقوة اولئك
الالوف المؤلفة كما يعلم ذلك من الاطلاع على عددها وعددهم
ومنزلة اقتدارها واقتدارهم وان قلنا ان السبب هو طمع اولئك
الجماهير في الثمرات التي تحصل لهم اذا هم اتبعوه ونجح في دعواه
وبلغ سلطانه ما بلغ فلا يصح هذا ايضا فمن اين ابين اولئك
الجماهير ان محمدا (عليه السلام) ينجح في دعواه وتحصل له
السلطنة وقد قام في اول امره وحيدا فريدا صفر اليدين من كل
سبب موصل للنجاح ومعرضا نفسه لسخرية عموم العالم ونسبتهم اياه
الى الحمق بانه يدعي دعوى دون نوالها خرط التتاد فاي قوم
يتقدون في رجل انه كاذب في دعواه وهو وحيد فريد خال عن

الاسباب المرجو بها نجاحه ثم يتركون ما هم عليه من عاداتهم المألوفة
واعتقاداتهم المرجو لهم بها سلامة الدنيا والاخرة ويتبعونه طمعا بانه
اذا نجح تحصل لهم ثمرات فانية وان فاتتهم ثمرات باقية لا يفعل ذلك
الا المجانين واولئك الاقوام جميعهم لا يصح في العقل الحكم عليهم
بالجنون قطعا وان قلنا ان السبب هو الخوف فلا يصح ايضا لانه
لم يحصل لاولئك الجماهير ادنى خوف من محمد في ابتداء امره
لانه حينئذ كان فريدا لا رفاق ولا صيب نعم قد حصل خوف
لبعض من اتبعه ولكن بعد ما تم نجاحه وكان له من الاتباع الالوف
المؤلفة الذين اتبعوه بدون ادنى خوف فهو لا ما سبب اتباعهم وان
قلنا ان السبب فصاحة لسانه وسحر بيانه فقد خاب عقول اولئك
الجماهير بقوة نطقه وموه عليهم الحجج الكاذبة التي اقامها على صدقه
فلا يصح هذا ايضا لان اولئك الجماهير لم يتبعه جميعهم بسبب حجج
تلاها عليهم وزينها لهم بزخارف بيانه كما يعلم من الرجوع الى استقصاء
استدلالاتهم على صدقه بل بعض حججه لا صنع له بها وليس في
قدرته اقامتها وتحصيلها افي قدرته ان يوجد في نفسه وفي احواله
العلامات المذكورة في كتب بعض اولئك الجماهير التي يقولون
انها كتب رسل قد سبق ارسالهم اليهم واخبروهم انه سيأتي رسول
توجد فيه تلك العلامات وقد شاهدوها جميعها فيه (عليه السلام)

أني قدرته ان يجمع جميع تلك الصفات الفاضلة في قرآنه التي
يعجز عن جمعها أكبر الفصحاء وأعظم الفلاسفة وهو رجل أمي.
ترجي بين أمة جاهلية ثم يقيمها حجة على صدقه أني قدرته ان
يرتب تلك القوانين التي يقول انها شريعة بذلك الترتيب العجيب
الغريب التي يعجز العقول بحسن انتظامه وهو على ما فيه من الامية
والخلو عن معارف الامم والاطلاع على قوانين الممالك والدول ثم
يقيم ذلك خجة على صدقه أني قدرته ان يخرس ناسن فصحاء
اولئك الجماهير وبلغائهم عن معارضة اقصر سورة من قرآنه حتى
اقر بعضهم بالعجز وبعضهم التجأ الى محاربتة وعرضوا انفسهم لبلاء
الحروب ولم ياتوا بالمعارضة التي هي اسهل ما يكون عليهم او
كانت في امكانهم وما ذاك الا عن العجز عنها وان قال قائل ان
عجز اولئك الجماهير عن المعارضة ما كان الا من تسلط الوهم
عليهم فانه عند ما قال لهم انكم تعجزون عن معارضة اقصر سورة
من قرآني تسلط عليهم الوهم وتصوروا انفسهم عاجزين فعجزوا
بالفعل وافعال الوهم لا ينكر تاثيرها في العقل الا نسائي فلا يسلم
قول هذا القائل ولا بقبله العقل السليم لان الذي نعهده من افعال
الوهم في البشر انه يتسلط على جماعة او جماعتين وفي مقام او
مقامين وفي يوم او يومين او شهرا او شهرين اما تسلطه على جماهير

مجمهرة وفي كل مقام ومجتمع وفي السنين العديدة التي تنوف
عن عشرين سنة وعلى الجماعة الحاضرين عند ورود سبب الوهم
وعلى الجماعة الغائبين البعيدين عن ذلك المقام وانما يجرد بلوغهم
الخبر بما جرى مع غيرهم يحل بهم من الوهم ما حل باولئك الغير
فلم يمهّد ان للوهم هذا التسلط العمومي المستمر في كل مقام وفي
سنين عديدة والعقل السليم لا يسلم ان للوهم هذه الخاصة بدون
سبب خارج عنه يقوى به على ذلك على ان الامور الموهومة لا بد
ان الافكار على طول الزمن تخلص من توهمها ونكشف حقيقة
الامر فيها ولو بعد حين لان الافكار لا تحاول امرا الا انكشف
لها وهولاء الجماهير لاشك انهم بخالفة محمد ومضادتهم له
حريصون على كشف الحقيقة في شأنه واثبات تكذيبه ومع هذا
لم يصلوا الى شيء من ذلك وبقي امر عجزهم عن معارضة قرآنه
امرا مستمرا ثابتا لم يظهر للوهم فيه ادنى تاثير فاذا لا يكون ذلك
العجز منهم الا حقيقيا لا وهميا وان اورد على منع جواز عموم
الوهم واستمراره ان علماء الهيئة القدماء قد كان وهمهم في دوران
الفلك وثبوت الارض عموميا مستمرا الميئات من السنين
يدفع ذلك الايراد بان عموم الوهم واستمراره فيهم كان لسبب
قوي يدعو الى ذلك وهو ما يعطيه النظر والمشاهدة من دوران

الفلك وسكون الارض وعدم وجود الالات التي اعانت المتأخرين
على كشف الحقيقة (على ما زعموا) وما نحن فيه لأسباب معه
يوجب الوهم على العموم والاستمرار وما سببه (على زعم الخصم)
الا قول محمد لأولئك الجماهير انكم تعجزون عن المعارضة وهذا
السبب ليس فيه من القوة ما يقتضي العموم والاستمرار لارهم
كما هو ظاهر ومسلم عند المنصف فظهر الفرق بين ما كان مع
القدماء من علماء الهيئة وبين ما نحن فيه (اقول اذا كان عدم
الوهم واستمراره مقدار ما ينوف عن عشرين سنة غير مسلم عند
العقل بدون سبب قوي يقتضي عموم واستمراره فعمومه واستمراره
مقدار ثلاثة عشر قرنا بلا سبب قوي يقتضيها ما ابعد عن
التسليم عند العقل السليم بمراحل فقد حرت الي الان هذه المدة
والمعاندون والاختصاص لدعوى محمد عليه السلام من علماء الفقه والحجة
والبلاغة والشعراء والمنشئين وافرو العدد محاولون اطفاء نور
شريعته ولا مانع يمنعهم ولم يزالوا مسر بلين بسر بال العجز ومرتدين
برداء الضعف عن معارضه اقصر سورة من القرآن العزيز ولا
يزالون ولن يزالوا بعد الان نقول هذا على رؤس الاشهاد وفي كل
ناد) وهكذا بقي اولئك الطائفة يمحشون عن سبب يكون هو الذي
اوقع اولئك الجماهير في الخطاء باتباع محمد عليه السلام فلم يعبدوا

بل قام في انفسهم انه بعد استقراءهم في هذا الباب لا سبب هناك
للغلط فقالوا حينئذ هل احطنا نحن بحقيقة كل ما يتصوره العقل
ويقوم في الازمان وكل علمنا لكل شيء لا وحق الشرف الانساني
لم يحيط علمنا بجميع الحقائق المتصورة بل القسم الاكبر من نواميس
هذا الكون المادي المشاهد لنا لم يزل محجوبا عنا علمه وكل يوم
يتجدد لنا في تلك النواميس علم جديد والذي تطمئن به نفوسنا
ان ما علمناه منها انما هو نقطة من بحر في جانب ما لم نعلمه منها فاذا
كان الحال كذلك وكنا منحنين هذا الانحطاط في معرفة
الحقائق ولم يتفق لنا الوصول الى درجة الاحاطة بمعرفة كل حقيقة
تصور من هذا الكون فضلا عن كون الاحاطة لازما من لوازم
ذواتنا فما الذي يؤمننا ان تكون هناك في نفس الامر حقائق وراء
هذا العالم المادي لم نطلع عليها ولم نعلم عنها شيئا اما لعدم بحثنا عنها
لانصراف افكارنا وانشغالها في العالم المادي واعتيادها على ذلك
حتى صار يتخيل لنا انه لا عالم وراء هذا العالم واما لعدم عثورنا على
دليل يدل عليها واما لفقد الوسائط فينا التي توصل الى معرفة
عالم غير هذا العالم المشاهد لنا فمن كان منا قبل اكتشاف الكهرباء
يتصورها ويتصور اثارها ويصدق بذلك كله حتى ابرزتها الصدفة
وحققها التجارب مع انها من عالم الطبيعيات ومع ذلك فلا تزال

عاجزين عن مشاهدتها بالبصر غاية الامر اننا نستدل على وجودها
باحساسنا بآثارها على ان ما اشتهر بيننا من القول باننا لا نصدق
بوجود شيء حتى ندركه باحدى حواسنا الخمس لم يمكننا التزامه
دائماً بل نخرج عنه عند الحاجة فهذه مادة الاثر قد صدقنا بها
وابتدناها ولم يكن ادراكها باحدى حواسنا قطعاً وانما الذي الجأنا
لإثباتها احتياجنا الى معرفة حقيقة النور وبإثباتها قلنا ان النور هو
حركة هذه المادة الاثرية السارية في جميع الكون (الاثر سندهم
تأزمته شرفي الخلاء مالى خلاله ساكن بذاته ما لم تعمل به بعض
الاجسام كالكوكب فيهتز ويتموج بفعلها فيه كما يهتز الهواء من
تأثير الجسم به للصوت وينتقل اهتزازه الى عضو البصر فيؤثر به
ويورثه الشعور بالمرئيات وقالوا ان العوامل او لقوى الكيماوية
وهي الحرارة والكهربائية والمغناطيسية ما هي الا انبثاق من الاثر
وهو الاصل الذي يجمع المواد الاربع غير القابلة للوزن في مادة
واحدة وهي النور وهذه الثلاثة) على ان هذا القول المشتهر بيننا
لا يعتمد عليه فاي مانع من وجود اشياء تعجز حواسنا بنفسها عن
ادراكها وقد تحقق ذلك بالموجودات المكروية التي لا تدرك
الا بالالات البصرية واي مانع من وجود اشياء لاصلاحية في
حواسنا لا ادراكها ولو بالواسطة بل يحتاج ادراكها الى حاسة اخرى

لم توجد فينا كما في الاثير المذكور واذا كانت حواسنا في هذا
العجز في العالم المادي فكيف يستبعد عجزها عن ادراك اشياء في
عالم وراء هذا العالم المشاهد لنا فالانصاف الانصاف اننا قاصرون
في سبيل المعرفة اعظم القصور وان وسائط العلم فينا لحقائق الاشياء
التي يتصورها العقل غير كاملة البتة فيجوز في العقل ان هناك
حقائق كثيرة في نفس الامر لم نزل جاهلين بها وغافلين عنها
ووسائطنا الى معرفتها مفقودة او عديمة الشروط واذا نصرنا
الانصاف وخذلنا الاعساف نرى ان رفضنا اوجود عالم وراء عالم
الطبيعيات ما هو الا ضرب من المجازفة وحكم بغير دليل لان
غاية ما اوصلنا اليه البحث اننا لم نجد دليلاً على وجود عالم وراء
هذا العالم ولا دليلاً على ارتباط هذا العالم بعالم وراءه واما انه قام
دليل معنا على عدم وجود عالم وراء هذا العالم المادي او على عدم
ارتباط هذا العالم به فلا وحق شرفنا الانساني ومن المعلوم المسلم
عند كل ذي بصيرة انه لا يازم من عدم الوجدان عدم الوجود في
نفس الامر ولا يلزم من عدم وجود الدليل عدم وجود المدلول فلا
يازم من عدم وجود الدليل على ذلك العالم او من عدم وجدانه
عدم وجوده في نفس الامر هولا القدماء مناضت عليهم الالوف
من السنين وهم يبحثون عن الشي الذي يصدر عنه الرعد والبرق

ولم يصابوا الى دليله الصحيح ولم يعلموا حقيقة زعمهم من عدم
وجودهم اياه ولا من عدم وجودهم دليله عدم وجوده في نفس
الامر وقد وجد المتأخرون دليله وعرفوا حقيقة (وهي الكبر) اياه
على زعمهم) وهي من لوازم الكون الفعالة فيه الغائب على جميع
ما تقدم من قصور معارفنا لحقائق الاشياء وان لم يبق منا دليل على
عدم وجود حقائق وعوالم وراء هذا العالم المادي فقد بقي ذلك في
نفس الامر في حيز الامكان فما الذي يؤمننا ان دعوى محمد من
جملة تلك الحقائق الممكنة الوجود وانها موجودة في نفس الامر
ونحن نجهل حقيقتها وحقيتها ونظنها تحيلا على الرأسة ونظن ان
انقياد اولئك الجماهير لمحمد مبني على الوهم لا مستند لهم يقيني
فما المانع بعدئذ ان محمدا صادق في دعواه واولئك الجماهير
انكشفت لهم الادلة التي اوصلتهم الى تصديقه ونحن ما لنا بصحتها
ادنى المام واذا كان الحال كذلك وكان محمد عليه السلام رسالا
من جانب آله لهذا العالم وسوف يتحقق جميع ما ينزله من جملة
ذلك انه لا بد من البعث والنشور للعالم الانساني ويجازي ذلك
الاله من اتبع محمدا بالثواب الدائم ومن كذبه بالعذاب الابدي
فأي صواب نكون حصلناه وأي ثمرة نستحوذ عليها من اتعابنا وابحاثنا
في علومنا الطويلة العريضة من فلكيات وجويات وجولوجيات

ونباتيات وحيوانيات وكيماء ويات وغير ذلك افلا يكون حينئذ
قد اشتغلنا بالدنى الزائل وتركنا العظيم الدائم وحق علينا ان يقال
كما في المثل الجاري (لقد خسرت صفقتنا) والذي يهيج افتدتنا
ويثبت بنا الى الخوف من الوقوع في سوء الاختيار انه اذا صح قول
محمد واتباعه في البعث كان الخسار علينا وحق لنا ان نجري
الدموع دما وان صح قولنا في عدم البعث وذهاب البشر بلا اعادة
لم يكن عليهم من الخسران ادنى شيء كما قال احدهم في الطبيب
والمتجم الذين على اعتقادنا في انكار البعث شعر .

قل المتجم والطبيب كلاهما لن يبعث الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فليست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما
فالصواب في حقنا ان نحترز وناخذ بالحزم ونترك الجمود على
تكذيب كل ما سمعناه مما يغير معارفنا وناخذ في البحث عن دعوى
محمد التي ادعاها واما اوجب تصديق اتباعه له والنظر في دلائلهم
ولا ضرر علينا في ذلك ولا مانع يمنعنا منه بل الجائز ان يكون
عاقبة هذا البحث دفع الضرر عنا فعند ذلك صادق جميعهم على
هذا الحكم الذي قرأهم عليه لوضوح دلائله التي تقدمت وانبثوا
بهمة ونشاط للنظر في دعوى محمد عليه السلام والبحث عنها اهي
صادقة ام كاذبة واما اوجب تصديق اتباعه له من الدلائل التي

اعتمدوها ليظهر لهم آهي صحيحة موصلة لهم كما ارسلت تلك
الجماهير الى تصديقه ام فاسدة فترفع بظهور فسدها التسمية
فاول ما نظروا فيما جاء به محمد عليه السلام رادعي ابيه من عند
الله تعالى اله هذا العلم وسماه شريعة فوجدوا فيه كثيرا مما يفي
علاوهم الطبيعية التي يعتقدونها وعندهم انها من اليفنيات فمن
ذلك ماورد في تلك الشريعة ان مادة العلم حدثت بعد ان كانت
معدومة وان الذي اوجدها بعد العدم وكون منها انواع كما كانت
على هذا النظام هو الاله واه قادر على سلاتتها وعدامها من
الوجود كما اوجدها بعد العدم وان هذا الاله خلق الانسان وعا
مستقلا عن بقية الحيوانات وخلق اشاه واسكنهمها في دار تسمى
الجنة ثم اهبطهم الى الارض لمخالفتهما ما بها من عنه وان بالانسان
نفسا تسمى روحا هي غير جسده وان لها نطق بجسده ينشأ عنه
حصول حياته وعندما تنفصل عنه يحله الموت وان تلك الروح
باقية بعد انفكاكها عنه تدرك وتلتذ وتألّم وان الانسان بعد
حلول الموت فيه وفنائه يعيده ذلك الاله ويعيد تعاقب الروح
به ويثيبه على اعماله الخيرية التي عملها في مدة حياته في الارض
ويعذبه على اعماله الشرية هناك وانه يجري نعيمه في دار خلقها تسمى
الجنة وعذابه في دار خلقها تسمى جهنم يدخلهما البشر بعد خراب

عالم الارض والسموات وبشتم بعد الموت ويخلدون فيها وان
الذي يقوم به اللذة والالم عند تعلق الروح بالجسد وقيام الحياة
فيه هو مجموع الروح والجسد وان لبقية الحيوانات ارواحا مثل
الانسان وعندها من الادراك ما يكفي لتميشها وليس عندها من
الادراك والعقل مثل ما عند الانسان فلذلك كلف بعبادة ذلك
الآله دونها وان ذلك الآله خلق اجساما نورانية تسمى الملائكة
فادرة على التشكل وانها تترامنا ولا نراها وهي خيرية وتفعل
افعالا تعجز عنها القوى البشرية وهي الواسطة بين ذلك الآله وبين
اخيار البشر المسمين بالرسل في تبليغهم او امره كما انه اوجد
اجساما اخرى تشابه الملائكة المذكورين في بعض خواصهم من
نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار وقدرتها على
افعال عظيمة ولكنها تخالفهم بانها ليست نورانية مثلهم ولا خيرية
صرفة ولا هي واسطة بين ذلك الآله وبين الرسل وتسمى جنا
وانه خلق سبع سموات فوقنا مملوءة بالملائكة وانه ينزل المطر من السماء
وانه خلق جسما كبيرا يسمى كرسيه فوق تلك السموات وجسما اخر
اكبر منه فوقه يسمى عرشا وان بيننا وبين تلك الاجسام مسافة
عظيمة وان الملك يقطعها بمدة قصيرة جدا وان جميع ما يحدث
في هذا العالم في ارض او سماء او في داري الجزاء فهو بقضائه

وإن تقديره أي بأن يعلمه ويريد ويرزق الوجود بقدرته وقد
خلق جسماً كبيراً يسمى لوحاً وجسماً الخريسي قال لا ثبت ما
يكون وأنسطيره لا عن حاجة إلى ذلك ثم جميع ما يقتضيه هو
بمناقه يوجد ويكون لا خالق سواه وإنه وإن يكن قد ربه اسبببات
الاسباب وجعل الأولى تنشأ عن ثمانية دهر الحلق بالتميز ينطق
لسبب ويعقبه بخلاف المسبب وجميع الأشياء إنما يوجد تيرسا
لمشاهد لنا بخلقها وإيجاده ولا شيء يترتب عليه بقوة أرست فيه
رأته موجود قديم دائم يستحيل عليه عدم وجود أحدي ذاته
بصفاته غني عن كل ما سواه مفتقر إليه جميعه مداه لا يشبهه
شيئاً من جميع الموجودات ولا يشبهه شيء منها يريد أن الإرادة
عالم أكل العلم يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن لا عرب عن علمه شيء
نادر على كل شيء من المجازز العقلي مهما كان عظيمه جسيمه حي
تصف بصفات الكمال التي تليق به منزله عن صفات نقصان
لي غير ذلك مما وجدوه في تلك الشريعة الحمدي ما يضاف
معتقداتهم التي أوصلتهم إليها علومهم أو مما لا تدل عليه تلك العلوم
حسب ما أوصلت إليه عقولهم فكادوا عند ذلك ينفرون عن عزمهم
لذي عزموا عليه من البحث عن دعوى محمد عليه السلام وتبين
مرها ويرجعون إلى الجمود على التكذيب لولا حكمهم السابق

الذي اجمعوا عليه من ان الصواب في حقهم البحث عنها وتبين امرها
تحرزا من الوقوع في الخطا واخذوا بالحزم لما الجأهم الى ذلك من
ظهور القصور في معارفهم وعدم احاطتهم بكل حقيقة يصورها
العقل فثبتوا ثابتين على العمل بموجب ذلك الحكم وقالوا لنبحث
اولاً عن هذه المسائل التي وجدناها في شريعة محمد مخالفة
لاعتقاداتنا المأخوذة من علومنا اولا دليل في علومنا عليها قبل ان
ننظر في الادلة التي اعتمدها اتباعه في تصديقه فلعله يظهر لنا
فساد ما جاء في شريعته من تلك المسائل بسبب بحثنا فيها
ويتبرهن لدي اتباعه ذلك فيكون دحضا لدعواه من اول الامر
ونكفي مؤنة البحث في ادلة اتباعه او سواها لكن خطرهم عند
ذلك اننا اذا اخذنا في البحث عن هذه المسائل فيما بيننا ربما
يصعب علينا ظهور الصواب لاحتمال ان المراد بها غير ما يتبادر
الى الفهم او يكون له وجه صحيح يطابق علومنا ونحن لا ندركه
فالاولى ان نجتمع مع عالم من علماء اتباع محمد ونذاكره في هذه
المسائل ونطلب منه بيانها فاما ان يظهر لنا فسادها واما ان يظهر
لنا صحتها وبالمذاكرة مع ذلك العالم لا يصعب علينا فهم المراد منها
فاجتمعوا مع عالم من علماء اتباع محمد عليه السلام من اضعفهم
فهما واقلمهما علما فشرحوا له قصتهم وما اعتمدوا عليه من المفاوضة

معهم في تلك المسائل فقال لهم ان شئتم فاسترحوا لي اولا ملخص
مذهبكم واعتقاداتكم في هذا العالم واصل وجود هذه الكائنات فلعلي
اجد بين ذلك وبين المسائل التي تنكرونها في شريعة محمد عليه
السلام توفيقا او اظهر لكم فساد بعض ما تعتقدونه او خبر ذلك مما
يرفع الخلاف من بيننا او انفصل عنكم صفر ايدين فاستصوبوا
هذا الرأي منه وقالوا له اسمع خلاصة مذهبنا وما اوصلتنا اليه
علومنا اعلم ان اقدمائنا في اصل هذا العالم وتكون سرعته من
سماويات وارضيات مذاهب شتى ولكن الذي قرأ عليه الامر الان
وكشفه لنا الاختبار والدليل ان اصل هذا العالم من سماويات
وارضيات امران المادة وقوتها (حركتها) وهما قديمتان متلازمتان
من الازل لا يتصور انفكاك احدهما عن الاخرى اما المادة فهي
الاثير المالى الخلاء وهو الهيولى في ابسط ما يمكن تصورهما واما
القوة فهي حركات اجزائها الفردة المتعائلة في الذات المتخالفة في
الصفات المتغيرة في الاشكال ونقول انه ليس لتلك الحركة سبب
الا نفسها ثم ان الاجرام السماوية وهى الكواكب والكائنات
الارضية من جمادية وحيوانية ونباتية تكونت من المادة بواسطة
حركتها وحدثت بعد ان لم تكن حدوث العلول عن علته بمقتضى
الضرورة وليس للمادة ولا لحركتها ادراك وقصد في تكوين شيء

منها فبتجميع تلك الاجزاء على كيفيات مخصوصة حصل مادة
سديمية اي اجسام صغيرة وتجمعت على بعضها بناموس الجاذبية
وتكونت كرة ودارت على محورها والتهبت بمقتضى نواميس اخرى
فكانت تلك الكرة هي الشمس ثم اخذت بقية الكواكب تنفصل
عنها بمقتضى دورتها وتكون كرات وتدور على محاورها ومن جملة
ارضنا التي نحن عليها ثم بدد انفصالها ودورانها على محورها مدة من
الزمان اخذت تبرد قشرتها وتكون طبقاتها وتترد المعادن
والحيوانات والنباتات بسبب حركة اجزاء المادة وتجمعها على
بعضها على نسب وكيفيات مخصوصة وقد ثبت لدينا حدوث الحيوان
والنبات بعد ان لم يكونا باكتشافات علم طبقات الارض وذلك
ان تلك الاكتشافات اظهرت لنا ان اخر طبقة وصلنا اليها من
طبقات الارض خالية من الحيوانات والنباتات واثارها وانه مر
على الارض زمن ليس فيها من الاجسام الحيوية شي وبعد ذلك
اوصلنا البحث والاكتشاف ومشاهدة اعمال الكيمياء الى انه بتجميع
اجزاء المادة بواسطة حركتها تكونت العناصر التي تزيد على الستين
وتتجمع بعضها وامتزاجه على نسب مخصوصة تكونت المعادن
والاجسام الحيوية واول مكون لهذه هو مادة زلاية مكونة من
عدة عناصر بين الجامد والسائل لها قوة الاغذاء والا نقسام والتوالد

سميها برتوبلاسم (اي المكون الاول) وبانقسامها تكثرت الخلايا
التي تتركب منها الاجسام العضوية وحدث بتجمعها بسط
الحيوانات وابتسط النباتات وما الحياة الا ظاهر من ظواهر تفاعل
تلك العناصر وامتزاجها الكيماوي وليست شيئا اخر تحمل في الجسم
كما يقول به الحيويون مناوئس للحيوان روح غير حياته هذه ثم اخذت
تتوالد وتتكاثر تلك الحيوانات والنباتات البسيطة بما يلزمها من
اربعة نواميس الاول تبين الافراد فكل فرد لا يشابه ائله تماما
ومن جملة التباينات الذكورة والانوثة الثاني انتقال التباينات من
الاصول الى فروعها مع الاخذ بتباينات اخرى فحدث عن ذلك بين
الافراد القوي والضعيف والمتحمل للكوارث الخارجية وغير المتحمل
والذي تناسبه الظروف والذي لا تناسبه الثالث تنازع البقاء بين
الافراد فيهلك الضعيف وغير المتحمل والذي لا تناسبه الظروف
ويبقى ما هو بخلاف ذلك والرابع الانتخاب الطبيعي وهو اختيار
الطبيعة وحفظها للاحسن والاكمل فيكروور الملايين من السنين
وصلت الحيوانات والنباتات الى ما وصلت اليه بحركة اجزاء
المادة الاضطرابية والجري على هذه النواميس الاربعة حتى ان
الانسان نفسه ما هو الا حيوان من جملة الحيوانات ترقى في التحسين
بالانتخاب الطبيعي حتى بلغ ما هو عليه الان وبمقتضى مشابهته

للقرد لا يمتنع ان يكون قد اشتق هو و اياه من اصل واحد واخذ
هو في الترتي عنه حتى فاق عليه وهو من احدث الانواع الحيوانية
فوجوده من زمن محدود بملايين من السنين معدودة وان كان
انوع كثيرة وجدت قبله بملايين كثيرة وما عقله وادراكه
الانساني الافضل من افعال مادته بتفاعل اجزاءها المتحركة
وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة والحركة خاليا عن العقل
والادراك ثم ان عقله لا يخالف عقول بقية الحيوانات الا بالكم ولا
يخالفها في الذات والحقيقة ثم بقية المسائل التي وجدناها في شريعة
محمد (عليه السلام) من بعث الانسان بعد الموت ووجود دار
للنعيم ودار للعذاب ووجود الملائكة والجن والسموات والعرش
والكرسي واللوح والقلم وافعال الملائكة العظيمة وامثال ذلك
(اي من المسائل التي تقدم ذكرها) فانه لا دليل في علومنا عليها
فلا نعتقدها بل البعض منها ترفضها علومنا وتدل على استحالتها
لانها خارقة للنواميس الطبيعية التي وجدناها في الكائنات فعدم
اعتقادنا بها ضربة لازب هذا مذهبنا بالاجمال وهو اخر ما قر عليه
راي الجمهور من ائمة الطيغين فهات ما عندك ايها العالم المحمدي
ونحن لكلامك من السامعين فعند ذلك قال لهم ذلك العالم
المحمدي اعلموا يا اخواني في الانسانية ان ديني المحمدي واختياركم

ايادي في المفاوضة لاضهار الحق هـا امران وجبان على تمحيض
النصح لكم والتدقيق في اظهار الحق ولكن عليكم ان تصغروا الى
كلامي وتعووا ما اقول بدون تعصب وبغير حجة ودان ذلك يعني
عن البصيرة ويستتر عنها شمس الحقيقة كما يستتر الغمام عن البصر
شمس النهار فاذا تركتم التعصب لمذهبكم والجمود على اعتقاداتكم
واخلصتم ضمائركم من أسر هذين الامرين المستترقين للضمائر فاني
اشرح لكم ما يظهر الحق ظهور الشمس في رابعة النهار (ان تاء
الآله الذي لا اعتقد فاعلا في الوجود سواد) فاقول اني بعد تأمل
الصادق في مذهبكم هذا الذي شرحتموه لي وجدت ان اساسه هو
اعتقادكم بقدم المادة فحيث اعتقدتم قدمها لم يلجئكم ظاهر الامر
الى الاعتقاد بوجود آله احدثها وحيث وجدتم تنوعاتها السماوية
والارضية وثبت عندكم انها حادثة ولم تسلم عقولكم بمحدثاتها عن
نفس المادة فقط اذ لا يظاهر للعقل صلاحيتها بذلك احتجتم الى
اثبات حركة اجزائها الفردية وبنيتم على المادة وتلك الحركة
تكون تلك الشنوعات ولو انكم اعتقدتم بمحدثات المادة لألجأكم الامر
الى الاعتقاد بوجود آله احدثها ورجح وجودها على عدمها ثم متى
نظرتم بعد ذلك الى تنوعاتها كنتم تقولون حينئذ ان ذلك الآله
الذي احدث المادة هو الذي احدث تنوعاتها اذ لا موجب لاثبات

منشأ لها سواء ولم تحتاجوا الى اثبات حركة اجزاء المادة وتجشموا
القول بان تلك التنوعات نشأت عن المادة والحركة بوجه الضرورة
بدون قصد ولا روية ولا ادراك ولا تدبير حتى بلغت ما بلغته من
النظام العجيب الغريب الذي يحكم صريح العقل بانه محتاج الى اتم
القدرة واكمل العلم واسمى الحكمة والتدبير فالذي اراه في هذا
المقام اني اذا اقيمت لكم البرهان على ابطال قدم المادة واثبات
حدوثها واحوجكم الحال حينئذ الى الاعتقاد بوجود آله احدثها
من العدم واوصلكم ذلك الى ان تنوعاتها هي بفعل ذلك الآله
وانها تدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتديره لا يصعب عليكم
بعد ذلك التصديق بشي من بقية المسائل التي وجدتموها في
الشريعة المحمدية مخالفة لاعتقاداتكم ومرفوضة بمقتضى علومكم فاعلموا
اني وجدت في مذهبكم المتقدم ثلاث قضايا اعتقدتموها اعتقادا
جازما وبالتامل في شأنها بالنظر السديد يظهر انها لا يمكن التصديق
بثبوتها جميعا في نفس الامر اذ بعضها الذي ثبوته قطعي بالمشاهدة
يقتضي التصديق بثبوته ان لا يصح التصديق بثبوت البعض الاخر
(فالقضية الاولى) من تلك القضايا انكم قلتم بقدم المادة وقدم
حركة اجزائها الفردة وانهما متلازمتان من الازل لا تنفكان عن
بعضهما (القضية الثانية) انكم قلتم بحدوث تنوعات المادة من

سماويات وارضيات لاسيما الانواع الحيوية منها فان اكتشافاتكم
اطبقات الارض الزمتكم بالحكم ان انواع الحيوانات والنباتات قد
حدثت في الارض بعد ان لم تكن وقد رتم حدوثها بالملايين من
السنين وحكمتم بمقتضى ذلك ان الانسان من احدثها حيث ان
اثاره لم توجد الا في الطبقات العليا من الارض ولم يوجد له
اثر في الطبقات السفلى وذلك يدل على تاخره في الحدوث وقد
اختلفتم في تقدير مدة حدوثه كما وجدته في كتبكم (القضية
الثالثة) انكم قلتم ان جميع التنوعات للمادة قد حدثت عنها بواسطة
حركة اجزائها الملازمة لها من الازل على وجه الضرورة وبمقتضى
النواميس التي اكتفتها ولم يكن للمادة ولا للحركة اختيار في ذلك
ولا ارادة والمعنى في ذلك كما هو موضح به في كلامكم السابق ان
التنوعات حدثت عن المادة وحركتها حدوث المعلول عن علته
فالتنوعات معلول وهما علة لها (العلة في الحقيقة عندهم هي الحركة
ولكن لما كانت لا تنفك عن المادة ولا تنفك المادة عنها حتى قالوا
لا تصور احدها بدون الاخرى اعتبره كشيء واحد هو العلة
وانما جاز هذا للتلازم الحاصل بينهما) ذا نقرر جميع ذلك فاعلموا
ان كل عقل سليم يحكم صريحا بان الشيء لا يتخلف عن علته
المستلزمة له البتة فان كانت علته حادثة كان هو حادثا عقبها

بدون تاخر وان كانت قديمة كان هو قديما تابعا لها في القدم
لايتاخر عنها ايضا والا لزم وجود العلة بدون المعلول وهو محال
اذا ثبت هذا فاقول ان قواكم بقدوم المادة وحركتها اللتين هما علة
التنوعات الكونية من جماد ونبات وحيوان يلزم منه قدم هذه
التنوعات المعلولة لها وانتم لا تقولون بقدمها حسب ما ثبت
في علومكم الطبيعية واكتشافاتكم لطبقات الارض وان قلتم
ان لزوم هذه المعلولات لهذه العلة لا يلزم منها استكمال الوجود
دفعه واحدة لارتباط الملل والمعلولات بعضها ببعض وتقول
بعضها الى بعض فالحياة مثلا يستحيل ان تظهر قبل ان يكون
الماء والماء قبل تكون عنصره وهما الهيدروجين والاكسجين
وهما قبل اجتماع اجزاء المادة على كون يتالف منه ذلك فوجود
الحياة يتوقف على وجود الماء ولو لحظة قبلا في قياس اي عقل
يصح وجودها ووجود سائر المركبات معا قلنا اذا كانت العلة
الاولى من هذه العال وهي المادة وحركة اجزائها حادثة
يلزم لها مدة بحسب نواميس النشوء الذي تقولون به لاجل
استعدادها واجتماع الاجزاء على كون يتالف منه العناصر
ثم الماء ثم الحياة ولا يصح في قياس العقل حسب تلك النواميس
ان توجد الحياة قبل الماء والماء قبل العناصر والعناصر قبل تجمع

ابناء المادة (هذا على سبيل المجازة) فقولهم سيفه عقول
اتباع محمد عليه الصلاة والسلام فيجمع ذلك حيث يقال نعمه
على قدرة الآله القادر على ذلك ، واما اذا كانت العلة الاولى
قديمة كما زعمتم فكيف يجمع الحكم بان تلك المعاريات ما حادثة
مع ان علتها موجودة من الازل فما دامت دائمة فترتيب حصولها
بالاضطرار فما الذي اخر حدوثها الى مدة كذا ما يميز من تسنين
ولا ي شيء ثم توجد قبل ذلك وان قامت حتى استعدت العلة
لحدوث المملولات فاتضح الخلل مدة كذا ما يميز بالاستعداد قلنا
لكم ولم لم يحصل الاستعداد قبل تلك المدة التي عرفت بانها مع ان
العلة الاولى القديمة هي مقتضية له ايضا ، والذي خرد رأيي شيء
أحدثه بعد ذلك وكلما ترقيتم في تطويل مدة حدوث المملولات
ومدة الاستعداد لحدوثها نقول لكم ولم لم يكن الحدوث والاستعداد
قبل ذلك وهم جرا والمخلص انه لا شك ان الاستعداد نشي عن
العلة الاولى بالاضطرار فيكون معلول لما وتلك العلة قديمة فيازم
ان يكون قديما ويتبعه قدم التنوعات المعارية والا يازم وجود
العلة في الازل بدون المعلول وهو محال فاما ان تقولوا بقدم تلك
لتنوعات المعلولة وتكذبوا ما ثبت في علومكم الطبيعية واكتشافكم
طبقات الارض وانتم لا تقولون بذلك واما ان تقولوا ان المادة

وحركتها فاعلمتان بالاختيار فخصصتا زمانا لحدوث التنوعات راتتم
ايضا لا تقراون بذلك وتنكرونه اشد الانكار كما رايته في كتبكم
واو فرض ان بعضكم يقول به يانزم عليه القول بان لكل جزء من
اجزاء المادة علما وادراكا يؤهلها ان يتخبر به مع بقية الاجزاء على
كيفية اجتماعها معه ليحصل النوع الفلاني او النوع الفلاني مخبرة
نقصر عنها مخبرة مجلس الاعيان ومجلس الشيوخ في العالم السياسي
واشكالات اخر ترد على ذلك يطول بنا الشرح ان اوردناها الان
واما ان تبينوا سببا لتاخر تلك التنوعات عن علتها وتكونها من
كذا مليوننا ولا اري عندكم من بيان ذلك عينا ولا اثرا ودونه
خرط القتاد واما ان تقولوا بحدوث المادة وحركتها التي تزعمونها
وهو المطلوب ونظم الدليل بوجه الاختصار هكذا لو كانت علة
التنوعات وهي المادة وحركتها قديمة لكان الاستعداد لها قديما ولو
كان الاستعداد قديما لكانت التنوعات قديمة لكن التنوعات غير
قديمة فلم يكن الاستعداد قديما ولما لم يكن الاستعداد قديما لم تكن
العلة المذكورة قديمة وهو المطلوب ثم اذا قلتم (ولا اخالكم تجتروئن
على ذلك) ان الاستعداد حادث والتنوعات حادثة ولكن المادة
وحركتها قديمتان اقول لكم وقبل الاستعداد ماذا كانت المادة
وحركتها تفعلان في الازل وكيف يمر على المادة الازل وهي

متحركة حركة عقيمة غير منتجة وما الذي هيا لها بعد ذلك العقم
الممتد الازلي الغير المحدود ان ينتج عنها ذلك الاستعداد من زمن
محدود ثم تلك التنوعات كذلك ولا اخال ان عندكم جوا، غير
السكوت فالحق بعد ذلك كله ان المادة وحركة اجزائها التي
ترعمونها ونثبتونها لتهتموا كيف تنوعت الانواع حادثة ان وجدت
بعد ان لم تكونا ثم ههنا ادلة اخرى برهانية تدل على حدوث المادة
واكبرها ليست مبنية على اكتشافاتكم كالدليل المتقدم راجعاً بأس
بايراد واحد منها حسن ظن بكم ان عقولكم لا تقصر عن فهمه
والاذعان له لاسيما اذا وفيتكم بوعدهم برفض التعصب الذي ساء به
منكم وذلك انه لا يخفى ان المادة لا تتخلو عن صورة تقوم بها ولا
يمكن ان يتصور وجود المادة خالية عن كل صورة كما انه لا يمكن
ان يتصور وجودها خالية عن التميز واخذ قدر من فراغ الملا بد
انها تكون ذات صورة اما انيرية او سدومية او عنصرية او معدنية
او نباتية او حيوانية ولذلك قلتم انها في وجوده الاول لم يسمي هو
قبل تنوع الانواع منها كانت في ايسر ما يمكن تصوره وان
الصور التي تلبسها المادة انما هي الشئ عن الحركة التي تتحركها
وان الحركة والمادة غير منفصلتين فهذا صريح بانكم لم تتبرروها
في ذلك الحين خالية عن جميع الصور لان عقولكم لا تقبل ذلك

في المادة لأشك أنها حادثة لأنها تزول
كانت أبسط صورة كالصورة التي فهم من
قبل تنوع أنواعها لأنه شهود عدمها وخلفها
وكل ما يطرأ عليه العدم ويقبله يستحيل
لا يزول كما سيأتي لأن قدمه أما لأن ذاته
ليس له سبب إلا نفسه وهو القدم الذاتي
رذاته تقتضي وجوده وهو القدم غير الذاتي
ن يكون قديما وما دام المقتضى لوجود الشيء
أو حاصلا فكيف يمكن طرؤ العدم والزوال
بنوعيه لا يمكن طرؤ العدم عليه ولا يقبله
ول ما دامت الصور اللازمة للمادة حادثة
المادة قديمة لانا اذا ترقينا الى أبسط صورة
في العقل ان تكون قبلها صورة أبسط منها
دثة بدليل قبولها العدم فقبل حدوثها ماذا
ان تقولوا انها كانت بدون صورة وهو محال
رد المادة بدون صورة واما ان تقولوا انه قبل
ورة أبسط منها وهو خلاف المفروض من ان
ما يمكن من الصور وليس فوقها أبسط منها

واما ان تتولوا ان المادة قد حدثت مع هذه الصورة فكيف
حادثتها لا قديمة وهو المطلوب وبصورة اخرى ان المادة
مازومة لتلك الصورة او لا خافها من الصور نوعية التي انت
بهدها رتللك الصور ومخافها اللازمة لا تنبأ عن المادة كما بين
العملة والمالول وحينئذ يقال لو كانت المادة مازومة تدبىه كانت
هذه الصور اللازمة تدبىه عدم يجوز نككس الملازم عن ملازم
لكن هذه الصورة نيات بقديمة بدليل تبرأ العدد قد يست
يتدبىه ايضا اذ ان رفع التالي يقتضي رفع المقدم كما هو بدبر من حايه
في المنطق ويدركه كل ذي عقل سليم

ثم بعد تمام ما تقدم نقول ان الحدث لا بد له من امر يحدث عنده
ويخرج به وجوده على عدمه ويخرج به من ظلمة العدم الى نور
الوجود والافيازم الترجيح بلا مرجح وهو من المحالات بدلية وان
انقضى بكم الحال الى القول بجواز الترجيح بلا مرجح فانكم انكم اذا
سمعت رجلا يقول اني رايت ميذا من ادق الموازين التي اخترعها
البشر وهو متساوي الكفتين في الثقل ويخما كفتاه متوازيتان
او اليسرى مائلة وبالغة بميلها الى الارض بسبب ما اذ رجحت
اليمنى على اليسرى حتى صدمت الارض وارتفعت اليسرى الى
غاية ما يمكن من ارتفاعها وقد حصل ذلك بدون مرجح للكفة

الراجعة لا قوة حيوان ولا مصادمة هواء ولا جسم اخر سقط فيها
ولا شي من جميع ما يصلح لترجيحها فان صدقتم قول هذا القائل
فاني اعلم حينئذ انكم بلغت درجة من العناد لا يسوغ عندها المخاطرة
معكم وان لم تصدقوه وقلتم ان ذلك من المحال قلت لكم هذا هو
الترجيح بلا مرجح الذي قدمت لكم انه من المالات البدئية ولا
فرق بين هذا المثال وبين جميع ما يتصور من الحقائق سواء كانت
حسية او عقلية في ان الترجيح بلا مرجح محال في الجميع كما هو
ظاهر للناظر واذا تدبرتم لكثير من محاوراتكم في عارمكم تجدون
انفسكم كثيرا ما تلتجئون الى هذا الاصل وهو استحالة الترجيح بلا
مرجح عند معالجة اخصامكم فاذا ادعى شخص ان الحادث الفلاني
الطبيعي قد وجد بدون سبب نتج عنه وجود فلتة من فلتات
الطبيعة تقولون له هذا غير ممكن والتحقيق عندنا ان ما يسمى فلتة انما
هو بحسب الظاهر حيث لم يعلم سببه وفي الحقيقة لا بد ان يكون
وجوده عن سبب وناموس من النواميس الطبيعية قد خفي
علينا فكلامكم هذا هو عين الاعتماد على استحالة الترجيح بلا مرجح
وبهذا ظهر انكم تقولون بهذا الاصل ولا تنكرونه وانما اطالت لكم
في تقريره مع بداهته ووضوحه لاني رايت بعض ضعفاءكم ينكرونه
ويقولون لا مانع من الترجيح بلا مرجح وقاحة ناشئة عن الجهل

لا يرتكبا الأكل باليد من القوى المتدابة اتبناه له اس بالسر فسطايمه
المنكرين حقائق الاشياء حتى المتشككات في عميماتها
خيالات

هذا فاتباع محمد عليه السلام بعد ما ثبت عندهم ان المادة
حادثة بانه كثيرة منها ما قدمته لكم ها وخصه بكم به حيث
يناسب اكتشافاتكم واحصول علومكم اوانه واضح لا يتوقف على
مقدمات يصعب فهمها على عقراكم وثبت عندهم ان الترجيح بلا
مرجح محال قالوا لا بد من شي حدث عنه تلك المادة وترجع به
وجودها على عدمها وهذا الشي لا بد ان يكون موجودا لان المعدوم
لا يوجد عنه شي مالا اضطرارا ولا اختيارا كما هو بدهي عند
العقل فاعتقدوا بوجوب وجود هذا الشيء الذي نشأت عنه
المادة التي هي اصل العالم وباستحالة عدمه لامتناع حدوث الموجودات
عن المعدوم ولا امتناع اجتماع الوجود والعدم وسموه اله العالم ثم
قالوا ان هذا الاله لا بد ان يكون قديما والا فلو كان حادثا لاحتاج
الى ما يحدث هو عنه لامتناع الترجيح بلا مرجع وهكذا يقال فيما
حدث عنه وهلم جرا فيلزم اما الدور واما التسلسل وكل من
الدور والتسلسل محال فما ادى اليهما وهو حدوث ذلك الاله يكون
محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما

اما الدور فهو توقف وجود ك من الشئيين على وجود الاخر فيلزم
ان كلا منهما وجد قبل وجود سببه فيلزم ان يوجد قبل وجود
ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا ان الاله الذي توقف عليه وجود
المادة توقف وجوده عليها اما بلا واسطة واما بواسطة بان توقف
وجوده على شيء اخر وذلك الشيء الاخر توقف وجوده على وجود
المادة فيلزم ان المادة وجدت قبل وجود الشيء الذي كان سبب
وجودها فيلزم انها وجدت قبل وجود ذاتها وهو ظاهر البطلان
ولا يقول به عاقل وهذا هو الدور الحقيقي الذي لاشك في بطلانه
واما الدور المعني الذي هو عبارة عن توقف شئيين على بعضهما
لانهما معا لولان لعة واحدة كوجود النهار وضياء الكون المملولين
لطلوع الشمس فهو غير محال وليس كلامنا فيه واما التسلسل فهو
ترتب امور وتعاقبها في جانب الازل لانهاية لها وانما حكم العقل
باستحالة استلزامه عدة محالات وما يستلزم المحال يكون محالاً
وقد ذكر اتباع محمد عليه السلام في كتبهم جملة ادلة على بطلانه
مفصلة مشروحة ولكن نحن نقتصر هنا على ما يقرب لافهامكم منها
ونذكر مما يناسب ذلك دليلين فنقول لاشك ان كل عقل سليم
يحكم انه من اجلي البدييات ان العدد الناقص لا يساوي في عدة
افراد العدد الزائد عليه وهو ظاهر الاستحالة ويحكم بان المقدار

الذي يكون محصوراً بين حاصرين لا بد
كونه محصوراً بين حاصرين وكونه غير متناهٍ
هذين الحكيمين ولا شك في تسليمهما أيها الباحثين
أو جاز قرع التسلسل وهو تمام أمور لا نهاية لها
لازل لساغ لنا أن نفرض سائلين من تلك الأمور
مبتدأة من هذا الزمان والآخرى من قبله
أن الأولى تكون زائدة على الثانية في عدد من
بإسقاط أحدهما من كل منهما أعني أن نستند من الأول
الثانية واحداً وهم جبراً فاما أن تنفي واحدة من
الأخرى وهو خلاف المنروض واما أن تنفي
النهاية في جانب الازل الذي هو التسلسل وهو
أن لا تنفي واحدة منهما فيلزم مساواة الزيادة
قلنا أن مساواة العدد الناقص للزائد عليه
تناهي الأمور في جانب الازل الذي هو التسلسل
فيكون محالاً وثانياً لو كان التسلسل جازاً
خطين يخرجان من نقطة بصورة ساقين
غير نهاية فاجزأوها بمنزلة أمور متعاقبة
ثم نفرض المسافات التي بينهما خطوطاً تمتد

ن هكذا  فاذا قلنا بدم تناهي الخطين يلزم منه عدم
 شداد المسافات بينهما التي اعتبرناها خطوطا فلا بد ان
 وجود خط من تلك الخطوط غير متناه وهو محصور بين
 ن اذ لا شك ان تلك المسافات محصورة بين حاصرين وهما
 وقد قدمنا ان المقدار الذي يكون محصورا بين حاصرين
 يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا كذلك مع كونه غير
 ال فما ادى اليه وهو عدم تناهي الخطين المفروضين الذي
 لسلسل محال فاذا تأملتم فيما حررته لكم في ابطال الدور
 بل واستحالتهما وانعمتم النظر ظهر لكم ان ذلك الاله الذي
 والمادة لا يمكن ان يكون حادثا عن شي اخر والا يلزم
 فيما لو رجعنا وقلنا ان وجوده متوقف على وجود المادة
 سلسل فيما اذا قلنا ان وجوده متوقف على وجود شي اخر
 الاخر متوقف على آخروهم جرا الى غير النهاية وكل من
 لتسلسل محال كما تقدم فإدى اليهما وهو كون ذلك
 ادثا يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما
 سطة بين الحدوث والقدم وقدمه هو المطاوب
 وت قدم ذلك الآله يقول اتباع محمد عليه السلام ان
 هو الا لامر يقتضي وجوده في الازل اما ذاته فهو قديم

لذاته واما امر آخر غير ذاته فهو تدبير غيره ولا دليل على انه قديم
لغيره ولا داعي اليه واوقيل به لا تنقل الكمالات الى ذلك لغيره
هو قديم لذاته او غيره وهكذا فيانما التسلسل وهو محال واما
الانتفاء الى قديم لذاته فعلا مالم يهرب منه فالحق ان يقال ان ذلك
الآله قديم لذاته اي ان ذاته تقتضي وجوده من الازل والابد
ذلك قولكم ان مقتضي الحركة لاجزاء المادة هو نفس الحركة
لامقتضي لها سواء كما رايته في كتبكم فلا تستغربوا هذا التعليل بان
الآله قديم لذاته بمعنى ان ذاته تقتضي وجوده او حينئذ نيقول ما
دامت الذات التي تقتضي وجود الآله قائمة فلا يجوز ان تقبل
العدم والزوال والا يلزم قيام المقتضي لوجود الشيء مع عدم وجود
ذلك الشيء وفناءه وهو محال فثبت بهذا ان ذلك الآله يستحيل
عليه العدم والفناء ويجب له البقاء فهو باق الى غير نهاية

ثم يقولون ان هذا الآله الذي هو مصدر المادة اما ان يكون
حدوث المادة عنه بطريق العلية والضرورة بدون ارادة واختيار
واما ان يكون حدوثها عنه بطريق الارادة والاختيار اي انه هو
الذي اراد وجودها واختاره وعين له الوقت الذي وجدت فيه
لا جائز ان يكون حدوثها عنه بطريق العلية لانه لو كان ذلك
وهو قديم للزم ان تكون المادة قديمة ويتبعها قدم التنوعات اذ حيث

لا اختيار ولا ارادة هناك فلم تكن التنوعات الا بطريق المعلولية
فلا يجوز ان تكون حادثة متاخرة عن عاتها وقد ثبت حدوث كل
من المادة وتنوعاتها فلم يكن حدوث المادة عن ذلك الآله
بطريق المعلولية فلم يبق الا انها حدثت بارادته واختياره وتخصيصه
لها الوقت الذي اوجدت فيه فقد ثبت بهذا ان ذلك الاله مرید
مختار وجبت له الارادة واستحال عليه ضدها وهو الكراهية
والاصطرار

ثم ان ذلك الآله بارادته لوجود تلك المادة قد رجع وجودها على
عدمها وتخصيص زمانه واما احداث نفس الوجود وابرازها من
العدم فهو لا يكون بالارادة وقد قلنا انه لا يكون بطريق العملية فلا
بد ان يكون بطريق الصنع والفعل فتلك المادة ما حدثت الا بفعل
ذلك الاله وصنعه قابلة لتلك التنوعات المحيرة للافكار وحينئذ
يقول اتباع محمد عليه السلام ان ذلك الاله الذي اوجد تلك
المادة (الغامضة الحقيقية على عقول فلاسفة البشر كما يظهر من
الاطلاع على الاختباط الواقع في كتبهم في تحديدها وكشف
حقيقتها) التي تنوعت الى تلك الانواع العجيبة الغريبة من
سماويات وارضيات جمادية ونباتية وحيوانية قابلة التطور من طور
الى طور والاستحالة من صورة الى صورة لاشك انه قادر اكمل

القدرة وعاء اتم اليه سواء كان هو الذي نرى ثمرات المادة الى
انواعها وطورها الى اثارها ووجد بها تلك الكمالات الخفية
مع ذلك الاحكام العجيب كما هو سداد اسماء محمد عليه السلام
او انه ما وجد المادة اصلها تلك التغيرات المتغيرة بمرجب
النواميس القائمة بها وحركة اجزائها لردة كما ترون ان من ان
تلك التنوعات حصلت عن حركة اجزائها جارية عن نبس
مختصرة فعلى كل من الامرين تحصل الدلالة على طه على كان
قدرته وعاءه لان الذي يوجد شئ سيطر ثم يتبعه ان اوسع لا تمد
ولا تحصى ويستخرج منه الغرائب والعجائب مع غاية الاحكام
او الذي يوجد شئ سيطر قابلا بمقتضى نواميس قائمة في
يؤول الى انقلابه الى انواع تفوق الحد غرامة مثمنة محكمة لا يشاك
عاقل بوجوب قدرته وعاءه واستحالة عبثه وحال متلا ذارينا
ساعة من الساعات التي يستعمل بها الوقت وكل منا يعرف ما نحوي
عليه من التركيب العجيب المبني على قواعد هندسية قيمات
نظامية ونواميس ميكانيكية في غاية الضبط ونهاية الاحكام وكما
نعلم ان لها صانعا صنعها واتقنها نعم قطعنا ان ذلك صانع ما صنعها
الا وهو ذو قدرة كافية لصنعها وذو علم كاف لا تقاها واحكامها
سواء كان هو الذي صنع اجزاءها وركبها حتى تم عملها او هو صنع

اجزاءها على طريقة تركيبها وبتم عملها واوقيل لنا ان
الذي صنع هذه الساعة رجل اعشى اصم مقطوع اليدين والرجلين
جاهل ابتر لا يدري شيئا من علم الهندسة ولا شيئا من فن
الميكانيكات لكذبنا ذلك القائل اشد التكذيب ولم تدعن له عقولنا
باقل التصديق وقاننا ان من يصدق هذا القول هو احمق الحمقاء
هذا ثم افول اكم انكم لما لم تهتدوا الى العلم بوجود من اوجد المادة
واعتقدتم ندمها ثم رايتم تنوعاتها وتطوراتها التي حدثت فيها بعد
ان لم تكن ولم تهتدوا ايضا الى العلم بوجود من احدث تلك
التنوعات والتطورات اجمعتم الى البحث عن موجب نشأت عنه
تلك التنوعات اذ العقل لا يقنع انها حدثت عن المادة بمجرد
لان كل حادث لا بد له من سبب صالح لحدوته ومجرد المادة
ليس كذلك فبعد هيامكم في كل واد قائم ان اجزاء المادة الفردية
المختلفة الاشكال متحركة حركة ازلية وبسبب تلك الحركة اخذت
تجتمع تلك الاجزاء على كيفيات واوضاع شتى فنتجت تلك
التنوعات فاقنتم عقولكم بان تلك الحركة هي سبب تلك التنوعات
مع انكم لم تروا تلك الاجزاء لا بالعين المجردة ولا باكبر المعظمت
للرئيات (ولن تروها) ولم يحصل لكم ادنى احساس بحركتها (ولن
تحسوا) وانما الذي الجأكم الى القول بها وبحركتها هو مجرد

احتياجكم الى فهم كيف تنوعت تلك الانواع وما اكنيتكم بذلك
حتى قاتم ان لتلك الاجزاء اشكالا متغايرة حتى يصح لكم ان تقولوا
انه باجتماعها مع تغاير اشكالها بظهور الانواع والصور وانتم مع ذلك
كله لم تروا نفس الاجزاء فضلا عن رؤية اشكالها بل كل ذلك
فرض و تقدير حملكم عليه الاحتياج الى فهم كيف حصلت الانواع
فانتم هاهنا قد تركتم قاعدتكم التي طالما نسميكم تطنطنون بها وهي
انكم لا تسلمون الا بالذي يؤيدكم اليه الاحساس والمشاهدة
فانراكم هنا قد التجأتم الى الاستدلال بالدلائل المنطوق العقلية بدون
احساس ولا مشاهدة ونحن لا ننكر عليكم هذا الطريق من
الاستدلال العقلي فانه طريق لنا ولجميع الحكماء الاساطين ولكن
نذكركم ان قواكم انا لا نعتمد الا على الاحساس والمشاهدة قول لم
يتم لكم الجري عليه وان يتم وان قاتم ان الخلال الجاه هنا حيث
قد شاهدنا اثر تلك الاجزاء وحركتها وهي التنوعات واستدلنا
بملك الاثار على موثرها نقول لكم وهكذا نحن وسائر اهل الملل
نستدل على وجود آله للعالم بمشاهدة اثاره وهي هذه الكائنات فلم
نراكم تستصعبون فهم استدلالنا ويسهل عليكم استدلالكم مع
ان استدلالنا هو المقبول عند العقل كما سيأتي بيانه
هذا ثم نرجع الى صدد ما كنا فيه ونقول واما اتباع محمد عليه السلام

فلما ثبت عندهم حدوث المادة وثبت ان لها محدثا احدثها واوجدها
من العدم على ما هي عليه من قبول التنوعات والتطورات وثبت
عندهم بذلك ارادة ذلك الموجد وقدرته وعلمه لم يحتاجوا بعد ذلك
الى ان يلمسوا اثبات شيء اخر غير ذلك الموجد لاجل فهم كيف
تنوعت تلك الانواع فقالوا ان ذلك الاله الموجد للمادة على ما
هي عليه من قبول التنوعات المتصف بالارادة والقدرة والعلم هو
الذي نوع من المادة بعد ايجادها تلك الانواع وابتدع هاتيك
الصور التي تختار فيها الفكر اذ حيث لا بد من موجب لحدوث
تلك الانواع فاحالة احداثها على ذلك الاله المريد القادر العليم
هو المقبول عند العقل دون احالته على حركة اجزاء المادة التي
لا توصف بارادة ولا قدرة ولا علم بل بمجرد الاتفاق في تجمع الاجزاء
على الكيفيات المخصوصة ثم جريها على نواميس لا يدري العقل
كيف لازمتها وبعض تلك النواميس وان كان في امكان العقل
ان يلمس لالازمته موجبا وذلك كوراثة الفروع للتباينات التي
في الاصول كما تقدم في تقرير مذهبكم ولكن ليس في امكانه ان
يلتمس موجبا لالازمة بعض اخر منها وذلك كالتباينات التي لا بد
ان توجد في كل فرع يخالف فيها اصله اذ اكل عاقل ان يقول
اي داع للزوم تباينات الفروع للاصول وان لا يتفق موافقة

فرع لأصله بدون تبين عنه في شيء من صنع الله تعالى في العقل
أن الفروع ترافق الأصول ولا تتمايز عنها لأن هذه التباين يجب
لك التباينات دائما لما كانت الأمور ملازمة لها فببرد حركة الأجزاء
فلا متشع فيه لا نقل أنه يوجب تلك التباينات على الدوام إذ
لا يظهر فيها أدنى صلاحية لذلك إلا توارر كما هو ظاهر لكل
فكر سليم

وفي هذا المقام مثال لا يخفى عن توضيح، ونشروا إذا علمنا أن ربنا
صنع أجزاء آلة بخارية ثم وجدناها بعد ذلك مركبة وأخذت في
الدوران وفي عملها الخاص بها فأي الأمرين يقبل العقل أن ربنا أن
الذي صنع أجزاء تلك الآلة هو الذي ركبها وأدارها أم قولنا أن
تلك الأجزاء بواسطة حركة قائمة بها أخذت تتركب مع بعضها
على طول الزمان حتى تم تركيبها لا شك أن العقل يقبل الأول
ويرفض الثاني من دون شك ولا ريب وهاهنا إنما يقبل العقل
أن الذي أوجد المادة قابلة لتنوعاتها هو الذي نوعها منها لا أنها هي
بحركة أجزائها وناموس الوراثة وناموس التباين بدون أن يكون
لوجود المادة صنع تنوعت تلك التنوعات المحتاجة لا تتم القدرة
واسمى العلم والحكمة فانصفوا يا أولي الألباب
وبعد جميع ما تقدم في إثبات إرادة آله العالم وقدرته وعلمه قال

اتباع محمد عليه السلام بامر يجب التنبيه عليه هنا وهو انهم قالوا
ارادة ذلك الآله وقدرته انما يتعلقان بالجائز عقلا اي بالامر الذي
يصدق العقل بان يكون موجودا وبان يكون معدوما مهما كان
عظيما جسيما فالآله بارادته يخصصه بوجود او بعدم وبغير ذلك
من الشؤون والاحوال وبقدرته يبرزه على طبق ما خصصه بارادته
واما الامر الواجب عقلا اي الذي لا يصدق العقل بعدمه كمالزمة
الحيز للجزم والامر المستحيل عقلا اي الذي لا يصدق العقل بوجوده
كالجزم بين النقيضين فارادة ذلك الآله وقدرته لا يتعلقان بهما
البتة لا ايجادا ولا اعداما لان الواجب عقلا حاصل حتما ولا يمكن
خروجه عن الوجود فلا يتعلقان به ايجادا لانه تحصيل حاصل
ولا اعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود والامر المستحيل
معدوم حتما ولا يمكن دخوله في الوجود فلا يتعلقان به لا اعداما
لا انه تحصيل حاصل ولا ايجاد الاستحالة وجوده ودخوله في الوجود
واما علم ذلك الآله فيتعلق بكل امر يتعلق انكشف سواء كان
ذلك الامر جائزا عقلا او واجبا او مستحيلا فذلك الآله يعلم بعلمه
كل شيء ايا كان وسواء كان حاضرا او ماضيا او مستقبلا اما
الحاضر فتعلق علمه به ظاهر سواء كان واجبا او جائزا او مستحيلا
فان المستحيل حاضر في التصور فيعلمه ويعلم استحالةه واما الماضي

المنقطع الوجود فهو من الحوادث التي حدثت بإيجاده ردت
بإعدامه ولا غرابة بأن من صنع شيئاً ثم أعده يبقى تعلق علمه
به وأما المستقبل الذي لم يوجد بعد فتعلق علمه به أيضاً كسرفاته
ما دام ذلك الشيء سيجد ولا يحدث إلا بتدقيق إرادته وتصميمه
وقدرته بإبرازه لأن كل الحوادث آثار أفعاله فلا بد أنه ياتمه قبل
أن يوجد حيث أنه إرادته ولا غرابة في أن الساعزم على عمارة
دار بكيفية مخصصة بعد تهر مثلاً أنه يعلم ما سرف يصنعه في تلك
الدار لكن الفرق بين علم ذلك الإنسان وعلم الآله أن ذلك الإنسان
ربما لا يتيسر له صنع تلك الدار لمانع ما فيصير علمه السابق غير
مطابق للواقع وأما الآله فلا مانع يمنع من أفعاله التي يريد أن
يفعلها فلا بد أن يفعلها فلا يزال علمه مطابقاً للواقع ولا يمكن تخلفه
البتة ومن هذا المقام تفهمون ما ورد في الشريعة المحمدية أن كل
شي من الحوادث بقضاء وقدر لأنه ما دام أن كل حادث في
الكون هو بصنع آله العالم على وفق ما سبق به علمه فلا بد أن
تتعلق به قدرته إيجاباً على وفق ما سبق به علمه وهو القضاء ولا بد
أن يتعلق به علمه أزلاً ويحدده بحده الذي يوجد عاينه وهو القدر
(تفسير القضاء والقدر بما هنا هو أحد تفاسير ثلاثه ذكرها الباجوري
في حاشية الجوهرة وهذا تفسيراً لما تريديه) ومن هنا أيضاً تفهمون

ما ورد في تلك الشريعة من ان الرسل والاولياء يخبرون بالغيب
ومستقبل الامور لانه اذا كان آله العالم بعلم الغيب والمستقبل من
الحوادث حيث ان كل حادث بصنعه وبتعلق ارادته وعلمه فلا
مانع من انه يُعلم بذلك الغيب او المستقبل احدا من اولئك
الرسل والاولياء وان قلنا ليس من طبيعة علم الانسان ان يعلم شيئا
منها لذاته لكن لا مانع من اعلام الآله له به فما كان ذلك من
اولئك المذكورين الا باعلام الآله لهم وهم يخبرون بذلك وليس
احد منهم يدعي علم الغيب بذاته لانه فضلا عن كون علمهم
لا يقتضي ذلك فالشريعة المحمدية تعد ادعاء علم الغيب بالذات من
أكبر المحظورات وتوجب تكفير من يدعيه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام قالوا ان آله العالم الذي ثبت لدينا
وجوده وقدمه وبقاؤه وقدرته وارادته وعلمه يجب ان يكون حيا
اذ الميت لا يعقل وصفه بارادة ولا قدرة ولا علم كما هو ظاهر فقد
ثبت له صفة الحياة واستحال ان يوصف بالموت ثم قالوا ان هذا
الآله لا يمكن ان يشابه المادة في خاصية من خواصها التي من طبيعة
نفس المادة ان تكون لازمة لها لا تنفك عنها وهي الصنات العامة
اللازمة لجميع انواع المادة او من طبيعة نفس المادة ان تقبها سواء
وجدت في جميع انواع المادة او في بعض مركباتها وهي الصفات

الذاتية غير اللازمة او غير العامة وذلك كـ بـهـرـيـه رـاـجـسـمـية
والعرضية والتعريف والتركيب والتجزئ والتولد عن غير وولادة
الغير والاتصال والانفصال والحيوانية ونباتية والجمادية والانتقال
من حيز الى حيز والاتصالات النفسية وامثال ذلك لانه لو شابهها
في شيء من تلك الاوصاف لكان مادة مثابا لان الشيء الذي يشابه
شيئا آخر في خاصية من خواصه ومقتضيات ذاته وطبيعته يكون
مثله البتة ولو كان ذلك الآله مادة لجاز عليه ما جاز عليها من
الحدوث لانه ما جاز على احد المشايخ يجوز على اخر وقد قام
الدليل على وجوب قدمه واستحالة حدوثه فقد ثبت بهذا ان
ذلك الآله لا يجوز ان يشابهها فوجب ان يخالفها وهذا معنى ما يعتقد
اتباع محمد عليه السلام من ان آله العالم يجب له المخالفة لتعودات
ويستحيل عليه المشابهة لها فلا هو مادة ولا يجوز اتصافه بشيء من
خواص المادة كما تقدم

ثم حيث تبين انه ليس جوهرية ولا جسمية فلا يحتاج لمكان يقوم فيه
ولا عرضا فلا يحتاج لمحل يحل فيه ويتقوم به وايضا لو كان عرضا
واحتاج الى محل يتقوم به لكان صفة واركان صفة لما صح اتصافه
بالصفات التي تقدمت وهي القدرة والارادة والعلم والحياة وقد قام
الدليل على اتصافه بها فلا يصح ان يكون صفة فليس هو عرضا

محتاجا الى محل يحل فيه و يتقوم به وهو المطلوب ثم حيث ثبت انه
قديم فلا يحتاج الى موجد بوجوده وهذه المعاني وهي عدم احتياجه
الى المكان والمحل والموجد هي معنى ما يعتقد اتباع محمد عليه
السلام من ان آله العالم يجب له القيام بنفسه ويستحيل عليه القيام
بغيره وعلى هذه الصفة دليل آخر وهو انه لو احتاج الى مكان
او محل يحل فيه او موجد بوجوده لكان من الواجب ان يكون كل
ما ذكر وجودا قبله ولا يكون مصنوعا له وقد قام الدليل على انه
هوقديم قبل كل شي من الاكوان وكل شي منها مصنوع له
فكيف بعد ذلك يفتقر الى شي منها ولا يشكل ما حر من انه لا يشابه
المادة في شيء من خواصها بانه يشابهها في انه موجود ومريد وعالم
وقادر وحي وامثال ذلك مما ثبت له من الصفات فان انواع المادة
توصف بذلك لان اعتقاد اتباع محمد عليه السلام ان صفاته
المذكورة لا تشارك صفات انواع المادة الا بالاسم لمشابهة الآثار
وتخالفيها في الحقيقة غاية المنانة لان صفاته المذكورة عندهم هي
صفات قديمة ليست اعراضا واما صفات انواع المادة التي تشاركها
في الاسم فهي اعراض واحوال للمادة حادثة زائلة ولا يخفى ان
المشابهة في الآثار لا تقتضي المشابهة في الحقيقة ولا تستلزمها على انه
شأن ما بين آثار صفاته وآثار صفات تلك الانواع من عظمة آثار

صفاته وشيئها وكما لها وسقارة آذرتك الصفات وتصررها ونقصها
كما يعلم ذلك بالقبالة بين آثرها والبرهان

ثم ان اتباع محمد عليه السلام بهد استدلالهم على وجود آله بالعالم
والزامهم اياكم بالتصديق بوجوده بما تضي ما تقدم من الدليل
لا حاجة لهم ان يقيموا دليلا في مقابلاتكم بان هذا الآله واحد
لا شريك له في الالودية وفي تخصصه ان لم واجباده لانكم كنتم
لا تصدقون بوجود آله واحد فالزموكم بالتصديق بوجوده فهم في
ثأمن منكم ان تدعوا بوجود آله اخر سواء ان الواجب لديكم ان
نقولوا انه بعد اثبات وجود آله بالام بدلالة آثره عليه اي داع
يدعوا الى اثبات وجود غيره مع انه يمكن لايجاد هذا الكون آله
واحد متصف بتلك الصفات التامة الكافية لايجاد والاحكام لکنهم
حيث يعتقدون ان ذلك الآله واحد يستحيل ان يكون له
شريك في الالهية وعقائدهم لا يبنونها الا على الدليل القاطع سواء
كان دليلا عقليا او دليلا نقليا يازمهم ان يقيموا الدليل عقليا او
نقليا على وحدانية ذلك الآله وانفراده لايجاد العالم واستحالة وجود آله
سواه وكذلك اذا انتصبوا لمخاصمة الفرق الذين يقولون بتعدد الآلهة
ويعتقدون بوجود الهين العالم او ثلاثة او اكثر فيلتزمون حينئذ ايضا
بالزام هؤلاء الفرق بالاقرار بوحدانية آله العالم ان يقيموا الدليل

على وحدانيته واستمالة آله سواه لكن دليلهم في مقابلة هؤلاء الفرق
لا يكون الا عقليا لان هؤلاء لا يؤمنون بالدليل النقلي فلا تجدي
نفما اقامته في مقابلتهم

اما الدليل النقلي على وحدانية آله العالم الذي يعتمد على اتباع محمد
عليه السلام فهو كثير في القرآن الذي جاء به محمد عليه السلام
واخبرانه من عند آله العالم فاكثر سورة محتوية على النص صريح
بتوحيد الآله وانفراده بالايجاد بل على دلائل على توحيدة عقلية
برهانية او اقناعية توافق عقول العامة الذين تقصر عقولهم عن ادراك
البرهان وانما جاز لا تباع محمد عليه السلام ان يعتمدوا في اعتقادهم
توحيد الآله على الدليل النقلي لان التصديق برسالة محمد عليه
السلام وبصدق جميع ما جاء به لا يتوقف على اعتقاد وحدانية
الآله اذ لم ان يصدقوا برسالاته من جانب من اوجد العالم لقيام
الدلائل الدالة على صدق دعواه سواء كان ذلك الموجد واحدا
منفردا بالايجاد ام لا ثم بعد تمام تصديقهم له برسالاته يخبرهم بان
الذي ارسله هو واحد منفرد بالايجاد لا شريك له في ذلك

واما الدليل العقلي الذي يقيمه اتباع محمد عليه السلام على
وحدانية آله العالم في مقابلة الفرق الذين يقولون بتعدد الالهة
ويعتمدونه في اعتقادهم وحدانيته ايضا فله صور كثيرة وطرق شتى

وانا اذكر هنا دليلا واحدا من ذلك في هذا المقام حيا بالاختصار
ماقول ان اتباع محمد عليه السلام يقولون في هذا المقام ان تعدد
آله العالم كأن يكون هناك آلهان (او اكثر اذ لا فرق في هذا
الاستدلال) لما وجد شي من العالم لكن عدم وجود شي من العالم
باطل لانه بوجود المشاهدة فما ادى اليه وهو التعدد باطل واذا
بطل التعدد ثبت الوجدانية وهو المطلوب وانما نرى من التعدد
كأن يوجد هناك آلهان عدم وجود شيء من الآلهة لانها لما ان
يتفقا واما ان يختلفا فان اتفقا فلا جائز ان يوجد له الا يلزم اجتماع
مؤثرين على اثر واحد وهو محال لاستزاده انما ان حصل باليجاد كل
منهما وجود للعالم مستقل فيلزم انه وجد بوجودين وهو انما وجد
بوجود واحد فقط كما هو ظاهر وان لم يحصل بيجاد كل منهما
الا وجود واحد للعالم فيلزم ان كلا منهما لم يوجد بانفراده بل
بمشاركة الاخر كما لو سلطت قوتان على دحرجة حجرة لا تكفي كل
منهما بانفرادها لدحرجته بل يلزم لها اجتماعهما فكل من هاتين
القوتين محتاجة الاخرى فهي مركبة معها وقد صارتا قوة واحدة
تنسب اليهما الدحرجة ولا تنسب لواحدة منهما على الاستقلال
فعلى هذا يكون هذان الآلهان قد ركبا وجعلنا آلهما واحدا ينسب
اليه اليجاد ولا ينسب لكل منهما على الاستقلال لانه جزؤه

الموجد لا موجد مستقل وآله العالم انما هو موجد له واذا قيل ان
الآله حقيقة هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد مر ان التركيب
يحيل على الآله الموجد للعالم اوجوب مخالفته للمادة وانواعها في
صفاتهما التي تبتص بها ومنها التركيب ولا جائز ان يوجد مرتبا
بان يوجد احدهما ثم يوجد الآخر لئلا يحصل تمصيل الحاصل
وهو محال كما تقدم ولا جائز ان يوجد احدهما البعض والآخر
البعض الآخر للزوم عجزهما - تينئذ لانه لما تعلق قدرة احدهما
بالبعض سدد على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته
وهذا عجز والعجز على الآله محال وان اختلفا بان اراد احدهما ايجاد
العالم والآخر اعدامه فلا جائز ان ينفذ مرادهما لئلا يازم عليه
اجتماع الضدين ولا جائز ان ينفذ مراد احدهما دون الآخر للزوم
عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله لان عقاد الماثلة بينهما وايضا
اذا نفذ مراد احدهما دون الآخر كان الذي نفذ مراده هو الآله
دون الآخر وتم دليل الوجدانية وقد ذكر في القرآن الكريم هذا
الدليل مجملا مختصرا فقال (لو كان فيها الهة الا الله لفسدتا) اي
لو كان يقوم في خلق السموات والارض الهة غير الله اي وان كان
الله معهم لفسدتا يعني لم توجد اي لكن عدم وجودهما باطل لمشاهدة
وجودهما فبطل ما ادى اليه وهو وجود جنس الالهة غير الله فثبت

انه ليس فيهما آله غير الله بل هو المتفرّد بالآرثية وهو المطّارب
وليس المحال وجود جمع من الآلهة بل مجرد تعدّد كما اشرنا اليه
بقولنا جنس الآلهة ثم ان ما تقدم من فرض تجويز لا نمان بين
الاهين انما هو ببادئ الرأي وعند التأمل لا يجمع صلح بين الهين
اذ مرتبة الالهوية تقتضي الغلبة البطاقة والاستبداد التام كما اشر
اليه في القرآن المجيد بقوله (اذن لذهب كل آله به خالق على
بعضهم على بعض) (هذا وانى اكر التنبيه بان هذا له دليل وامثاله
انما نقام في مقابلة من يعتقد بوجود آله اعلم وبموقف عظم مرتبة
الالهوية ولكنه يدعي التعدد فيردع عن دعوى تعدد بهما
الدليل وامثاله واما من لم يعتقد بوجود آله اعلم فاما يجمع اقامة
هذا الدليل في مقابلته بعد الزامه انه لا بد له من آله اوجده
ثم تعريفه مرتبة الالهوية وما تقتضيه من العظمة والاستقلال والا
فلا تراه مباليا بعجز الآله ولا بما يازم من بقية الحالات التي تقدمت
في الدليل المتقدم فليتنبه)

ثم ان اتباع محمد عليه السلام وجدوا ان هذه الصفات التي
ثبتت للاله الموجد للعالم وهي الوجود والقدم والبقاء والمخالفة
للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية والعلم والارادة والقدرة والحياة
هي التي عليها مدار الالهوية ووجود آله متصف بها يكفي لتعليل

وجود هذه الاكوان ويقتنع بذلك كل عاقل ولكنهم تاملوا بعد ذلك في شان ذلك الآله سبحانه وفي بديع مصنوعاته وما احنوت عليه من كمال الاثقان فقالوا اذا كانت مصنوعاته في هذا الكمال ايكون هو سبحانه ناقصا في صفة من الصفات الكمالية كلاً اننا في جميع ما نتصوره لانجد الشيء يرجد مثله فضلا عن ان الناقص يوجد ويتدع الكامل او ان الكامل يوجد اكمل منه هذه الحيوانات مهما صنعت وابتدعت نراها عاجزة عن صنع مثلها في الحيوانية بل ما يقرب من مثلها هذا الانسان وهو اعلمها واقدرها في الصناعة مهما صنع وابتدع فانه لا يقرب في مصنوعاته من الكمال الذي هو قائم فيه فضلا عن ان يصنع مثله او اكمل منه فلا يقدر على صنع نبات فضلا عن صنع حيوان او انسان غاية ما يصنعه انه ينحت صورة جمادية خالية عن كل حياة او يركب تركيبا كيمياويا يجمع فيه العناصر مع بعضها ولا يبلغ من الحياة ادنى مبلغ او يركب آلة ميكانيكية تتحرك بسبب نواميس الميكانيكيات حركة غير دائمة ولا حياة هناك ولا احساس واذا اراد التصرف بشيء من الحيوان او النبات بتغيير صورته فلا قدرة له على ذلك الا باستعمال النواميس الموضوعة للتغير في ذلك الشيء من جانب الآله سبحانه وفي الحقيقة ليس التغيير الحادث هناك صنعا له وماله فيه الا انه

اكتشف على الناموس الذي ينشأ التغيير منه زاده على الامر
الذي يريد تغييره ولو كان ذلك بصنعا وخلقه اكن يعلم تنوره
قبل بروزه فيعلم قدره وكيفيته بكل تدقيق والحال ليس كذلك
بيان ذلك ان الانسان اذا اراد ان يجعل فرخ الدار مثيرا في
خلقه يسلط الحرارة على جانب من البيضة بكرة ويفزعها عن
جانب آخر فيظهر الفرخ منها بتشويه مخصوص فذاك التشويه
ليس صنعا لذلك الانسان والا لكان يعلم قدره وكيفيته وتجهيزه
وموضعه من الفرخ بكل تدقيق قبل ان يخرج من بيضة
والحال ليس كذلك غاية الامر انه بالتجربة او الصدفة طاع على
ناموس تغيير الفرخ في البيضة وتشويهه فصار يستعما في سبيله
كالذي يعلم ان الماء يروى الظما فعندما يظما يرسل الماء في
معدنه فيرتوي ويذهب ظمؤه أيقال ان هذا المرسل الماء هو الذي
اوجد الارواء وذهب الظما وبعد ذلك من مصنوعاته كالا غاية
ما فعل انه ارسل الماء في المعدة والماء عند ما وصل اليها استأ عنه
تبريد حرارتها وذهب العطش وما لذلك المرسل فيحدث من
ذلك ادنى تأثير ومن هنا يظهر بالطريق الاولى ان زارع الزرع
مهما سعي في بروزه وبدو ثمرته للوجود باستعمال النواميس المعروفة
لذلك لا يقال عنه انه اوجد هذا الزرع وابدى ثمرته وكونهما على

ما فيهما من التركيب العجيب والخواص البديعة فليس شي من ذلك مصنوعا له على سبيل الحقيقة نعم طريق المجاز لا يتجر فيه وهكذا يقال في جميع ما يتسبب الا لسان في وجوده باستعمال نواميس الاكوان لا صنع له فيها الا تسيير النواميس في سبلها ثم الآثار تنشأ عنها (وسياقي ان اتباع محمد عليه السلام يقولون ان الآثار تنشأ عن نواميسها بخلق الله تعالى لا بتأثيرها كما سياقي تحقيقه) فاتباع محمد صلى الله عليه وسلم لما تبين لهم ما تقدم من ان التي لا يصنع مثله فضلا عن انه يصنع اكمل منه قالوا لا بد ان الآله الموجد للمادة على نواميسها العجيبة التي تهيؤها للتطورات التي لا تحصى والمبدع منها تلك الانواع البديعة التي لا نستقصى يجب ان يكون له مرتبة الكمال في صفاته التي ثبتت له بالدليل وفي كل صفة كمالية تليق به تعالى والا لكان مثل مصنوعاته او دونها وذلك خلاف ما علمه العقل وصدق به فاعتقدوا حينئذ ان ذلك الآله سميع بصير متكلم متصف بكل صفة كمالية تليق به تعالى اذ لا يقبل العقل ان يكون اصم اعمى ابكم وهو الذي ابدع السمع واناظر البصر واطلق اللسان بالكلام ولا ان يكون ناقصا في صفة كمالية وقد اوجد نظيرها في مصنوعاته على اكمل وجه لكن جميع ما اعتقدوه له من الصفات يعتقدون انها ليست كصفات الحوادث ولا تشبهها

في الحقيقة وان شاركها في الاسم لشابهة الاثر وقد تقدم ان
شابهة الاثر لا توجب مشابهة ما انتأت منه فسمعه سمعته ليس
بصانع بل هو صفة قديمة قائمة بذاته فكشف بها موهبته وبصره
ليس بمقالة بل هو صفة قديمة قائمة بذاته فكشف بها موهبته وبصره
ايضاً بحرف ولا صوت بل هو صفة قديمة قائمة بذاته يفهم عنه بها
ما يريد انهامه لاحد مصنوعاته وهكذا القول في بقية صفاته التي
تقدمت من العلم والارادة والقدرة والحياة فهي صفات قديمة قائمة
بذاته تعالى يتعلق منها ما كان له تعالى بالاشياء حسب قضاائه
تعلق انكشاف او تخصيص او احداث والافلو كانت صفاته تعالى
كمصفات الحوادث لكان حادثاً مثلاً وقد قام الدليل على وجوب
قدمه تعالى واستحالة حدوته وقد تقدم شرحه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام عند ما امنوا برسائه من عند ذلك
الا له سبحانه بسبب الدلائل التي قامت معهم على صدقه وجدوا
في شريعته اثبات ما يوصاهم اليه الدليل العقلي من تلك الصفات
التي مر ذكرها لآله العالم مما يتوقف عليه امر الانسانية وما يقتضيه
عظمة شانها من الصفات الكمالية وغير ذلك من صفات العدل
والرحمة والكرم والهداية والاحسان الى امثال ذلك مما طفحت به
نصوص تلك الشريعة وقد يوجد فيها اثبات صفات له تعالى لا يوجد

عند العقل دلائل على انبائها ولا على نفيها فاعتقدوها لورود النص
بها في الشريعة المحمدية لان الخبر بها وهو محمد عليه السلام صادق
مجزوم بصدقه لما قام لديهم من الدلائل القاطعة على صدقه والعقل
لا يحيلها وكذلك ورد في هذه الشريعة اثبات اشياء للاله سبحانه
مما يوهم الجسمية وذلك كالوجه والسين واليد والاصبع والقدم
فاعتقد اتباع محمد عليه السلام انبائها له تعالى ولكن حيث قام
الدليل العقلي والنقلي على تنزيهه تعالى عن الجسمية لم يمتدوا
معانيها المتبادرة واعتقدوا ان لها ما في تليق به تعالى ليست كالانسان
التي في الحوادث وفوضوا علم حقيقتها اليه سبحانه فيقوان مثالا له
تعالى يد ليست كأيدينا وعين ليست كعيننا وهم جراً هو سبحانه
اعلم بحقيقة المعنى من ذلك فهم بذلك منزهون له تعالى ومفوضون
اليه سبحانه واجمال الامرانهم اعتقدوا اتصاف اله العالم سبحانه بكل
كمال يليق بشانه وتنزيهه من كل نقص لا يليق به سبحانه حسبما
دلم عليه العقل وانما دهم اياه الشرع المحمدي ثم ان هذا الشرع كما
جاءهم باثبات صفات الاله سبحانه بعباءهم ايضا باثبات اسمائه تعالى
التي سمي بها نفسه ومنها لفظ (الله) الذي هو الاسم الخاص به
الذي لا يطلق على سواه وهذا اللفظ وان كانت اللغة العربية تطاقه
على موجد العالم سبحانه قبل بعثة محمد عليه السلام ولكن جاءت

شريعته باطلاقة عليه تعالى فصار تسميته به سبحانه من اتباع محمد
عليه السلام تسمية شرعية اعتمدها على نص لشرع الحمدي
لاعلى مجرد اللغة العربية وهكذا بنية اسماء تبارك وتعالى ثم ان
الشريعة المحمدية كما عرفت اتباعها بوجوده تعالى واتصافه بتلك
الصفات الكاملة مما يدل العقل على اتباعه ايضا وعلى جواره باسماء
الكرامة فقد هدىهم الى طرق الاستدلال على وجوده واتصافه
بتلك الصفات وعظمتها بدلائل عقلية برشائية ودلائل قناعية
تنشرح لها الصدور وتطس عندها القلوب فانفتح سمع بذات باب
واسع ومريع رحب وانا اريد ان اذكر لكم شيئا من ذلك مما يدل
على وجود اله العالم سبحانه وانصافه بتلك صفات كماله وعظمته
وعظمتها واتساع اثارها مما يربني في القلوب بتعظيم تبارك وجل جلاله
والتصديق بقدرته على اعظم المصنوعات واكبر المبتدعات وقبل
ذلك اقدم لهذا الامر مقدمة لها ارتباط به وانفع فيه فاقول لا يخفى ان
المادة وانواعها صفات عامة وذلك كالتحيز الشامل لجميع الاجسام
وصفات خاصة وذلك كقبول الانطراق للحديد والانقصاف للزجاج
فانهما خاصان بنوع دون نوع من الاجسام والذي يظهر من كلامكم
في كتب علومكم ان الصفات العامة لا تنفك عن شيء من انواع المادة
اصلا ويستحيل انفكاكما عن شيء منها واما الصفات الخاصة فالذي

يظهر من كلامكم ان كل صفة منها قد تنفك عن صاحبها بسبب
من الاسباب الطبيعية فتقولون ان الحديد مثلاً تفارقه صفة قبول
الا نطراق وتختلفها صفة قبول الا نقصاف اذا نفع في المحلول الفلاني
والمناطيس تفارقه صفة جاذبية الحديد عند حصول الزلزلة وعلى
ذلك صنعت الآلة المنبهة على قرب الزلزلة ليحترس منها فهذا تصريح
منكم بانفكاك الصفة الخاصة عن صاحبها بسبب من الاسباب
الطبيعية كما قدمنا واما اتباع محمد عليه السلام فهم يقولون في
الصفات العامة التي يتبرهن عندهم ثبوتها في جميع انواع المادة
اننا بالتأمل فيها نجد انها تنقسم الى قسمين قسم منها لا ينفك عن جميع
انواع المادة ويستحيل انفكاكه عنها وهذا لا تتعلق قدرة الله تعالى
باعدامه منها مع تحققها في الوجود لان قدرته تعالى لا تتعلق باعدام
الواجب اي الامر الذي يجب وجوده ويستحيل عدمه وذلك كالتمييز
لجسم اي اخذه قدرا من الفراغ فلا يمكن ان يوجد جسم غير
متميز وقسم منها يجوز عقلا ان ينفك عن جميع الانواع فلا مانع
من ان قدرة الله تعالى تتعلق باعدامه من جميع الانواع او من اي
نوع منها لانه من الجائز العقلي الذي هو تحت تصرف قدرته
تعالى وذلك كالجاذبية العامة للاجسام وكجاذبية الملاصقة اي القوة
الجاذبة لاجزاء الجسم الفردة من جنس واحد كالحديد حتى

ثم لا بد في ذلك من ان الجسم وامثال ذلك وانهم يزعمون ان هذا الجسم
قد ثبت حوله في الاجزاء فليس راجعاً الى ما يدعى به على
ميل الجواز العقلي فيكون للحمل ان يتصور وجوده فيها وان يتصور
عدمه منها واي مانع يمنع من تصور الجسم - ليا عن جاذبية
الامة فلا يجذب غيره ولا غيره يجذبه واي مانع يمنع من تحررنا
بسم خاليا عن جاذبية الملازمة ويكون تلاصق اجزائه بسبب
اخر غيرها على ان نؤكد بها مع مساحبة قرة الدم على اني الهوة
تدافع بها الاجزاء حتى تبقى بينها مسامحة مع قرة الارجية
اذا ضغطت الجسم كما هو متسريح في كتبكم ليقول ان يكون
قولا باجتماع الضدين وان قلتم لا يمكن ان يتصور كون اجزاء
لا بها قلنا يمكن عندا بقدره الله تعالى وان قلنا ان هاتين سببا
قول يمكن ان يكون ذلك السبب غيرها في مانع من ان لا يجزاء
تفردة التي قلتم بها في الاجسام وانها ذات اشكال وتثيرة
هي ذات تتوات وذات تتجاويف فعند اجتماعها سداً على ذات
في التجاويف وتتماسك فان كانت تلك التجاويف عروسة غممة
على التوات او ضعف ضغطها بسبب مثل الحرارة يوجب
اتساعها كان الجسم سائلا او غازيا وان كانت غامضة عليها
او اشد ضغطها بسبب مثل البرودة تصالب الجسم على قدر

ويعلل عن تدافع الاجزاء حينئذ بانه حتى
تدخل فيها التتواتر بتمامها فنبقى خلايا بين
وجودة في كل جسم وهذا التعليل لتداسك
الجنس وهو ان ذلك لوجود تتواتر وخلايا
وهو ايضا للعقل في تلاصق الاجسام المختلفة
ن والاصمغ فان التليل به اقرب للعقل من
بقوة تسمى قوة الالتصاق يكون بين الاجزاء
ما ولما كانت الاجزاء الفردة عندكم ذات
قبل القسمة فعلا في تقبلها عقلا كما في
بفرض التتواتر والخلايا بخلاف الاجزاء
عليه السلام فانها لا يصح فيها ذلك ولا يظن
ات والخلايا في هذه الاجزاء الفردة وابني
ي لا آمن من ورود اشكالات عليه ولكن
مال لاربكم تعاليمكم في اي منزلة من الثبوت
لخص ان اتباع محمد عليه السلام لا يقولون
صفات العامة وامثاله مفقودة من الاجسام
او يحوجونكم الى حشد البراهين عليها ليس
ون انها بعد ثبوتها ليست واجبة عقلا بل

هي جائزة الوجود لها وجائزة العدم منها اذ لا يحل رجوعها
ولا اعدامها وما دامت كذلك فهي تحت تصرف تدرة الله تعالى
القادر على جميع الجائزات العقلية كما تقدم فكما اوجدنا يفدر على
اعدامها مع وجود الاجسام حتى جديدة الملاصقة فانها ليست
بضرورية لتكون الاجسام كما يلوح من كلامكم بل بتدبير سبحانه
وتعالى على جمع اجزائها الفردة بدونها بسبب او بدون سبب وان
كانوا يقولون بالاول قياسا على عادته سبحانه في هذا لم من
ربط كل شي بسبب عادي اي جرت عادته بايجاده عنده

واما الصفات الخاصة فاتباع محمد عليه السلام يقولون مثل قولكم
انها ليست واجبة لموصوفاتها بل جائزة الا تفكرك عند انتم
تقولون ان تلك الصفات تفارق موصوفاتها لتغير وضع اجزائها
الفردة بسبب طبيعي موجب لذلك ومفارقة لها تحتاج الى زمن
كاف لها قد يكون قصيرا وقد يكون ممتدا بالسنين او بالآلاف واما
اتباع محمد عليه السلام فهم يقولون ان تلك المفارقة يحصل ان
تكون لتغير وضع الاجزاء الفردة للجسم ويحتمل ان تكون لاحر
آخر ما دام الواقع لم يتبرهن عندهم حقيقته واذا قام عندهم برهان
على شي قالوا به وايا كان فهو بخلق الله تعالى والاسباب التي قلتم
انها موجبة لذلك يقولون انها اسباب عادية اي انه جرت عادة

الله تعالى بايجاد مسببها عندها وليست موجبة له ولا مؤثرة فيه
وان سمعتموهم ينسبون الامر الى سببه فليس اعتقادهم انه يؤثر في
وجوده بطبيعته بل مرادهم بتلك النسبة ان الله تعالى يخلق ذلك
المسبب عند وجود ذلك السبب على طريق عادته في هذا العالم
ولو اراد ان يخلق السبب ولا يخلق المسبب او يخلق المسبب بدون
السبب لفعل وما دامت تلك الاسباب غير مؤثرة ووجود المسببات
بخلقها تعالى فهم يقولون في الزمان الذي قلتم انه يلزم لفارقة
الصفات لموصوفاتها ما هو الا بطريق العادة له تعالى ولو اراد ان
يحدث المفارقة بلحظة لذل ولا يحتاج الى زمن ممتد مثلا اذا قلتم
ان الحديد اذا نقع في السائل الفلاني تفارقه صفة الانطراق وتختلفها
صفة الانقصاف لتغير وضع اجزائه الفردة بسبب النقع ويحتاج ذلك
لزمن كاف وذلك السائل مؤثر بطبيعته في ذلك التبدل موجب
له وذلك الزمان لازم لا يتم الامر بدونه قال اتباع محمد عليه السلام
ان ذلك التبدل حصل بفعل الله تعالى بان اعدم صفة الانطراق
واوجد صفة الانقصاف سواء كان ذلك لتغير وضع الاجزاء ام
لامر اخر لم نعلمه وذلك المحلول ليس مؤثرا بطبيعته في ذلك التبدل
ولا موجبا له وانما جرت عادة الله تعالى باحداث التبدل عند النقع
فيه والزمان الذي يتم فيه التبدل ليس شرطا واجبا بل الله تعالى

يقدر على أحداث التبدل بالعلم كما يتصور من أحداثه بدون تقع
الحدايا في ذلك السال ويمكن قول بان من توت البسالة لاني
والماء يروي العطس وان شئت ذلك يقول اربع محمد عليه السلام
لاشي من ذلك مؤثر بطبعم بل الله تعالى يخلق الاثر التي تنشأ
عن هذه الاشياء عندها بشروط واسمى ان يقول ربه على خلق
تلك الاثر بدون وجود شي من تنشأ منه كاهوتة من اثارها
مع وجود ما تنشأ عنه من توفير من من البراق والذي
قال اربع محمد عليه السلام على القول بان تنشأ من ذلك تثير
الاشياء بما يعيها بل بخلق الله تعالى من الاشياء من احوال
على تفرد الله تعالى بخلق جميع ما يحدث في هذا الكون فلو كانت
الاشياء مؤثرة بطبعمها في وجود الاثر التي تنبأ عنها لكانت
خالفه لما وقد قام الدليل على استعصالة الخلق في ذلك ثم روي الله
تعالى ولا سيما ان بعض تلك الاثار تكون متقنة محكمة يحكم العقل
بان حصولها على هذا الاحكام لا بد ان يكون عن رزية وعلم وادراك
تام للذي احدثها وانبات هذه الصفات لتلك الاشياء الجمادية مما
لا يقول به عاقل مثال هذا النبات المحترق على التكوينات العجيبة
من جزور وساق واغصان واوراق وازهار وثمار واعضاء تناسل
وبزور باشكال واللوان وطعوم وخواص تختار عندها الافكار

وينشأ جميع ذلك عن التراب والماء والهواء فمقول اتباع محمد
عليه السلام بل سائر المقول السليمة لا تقبل ان هذه التكوينات
المستحاجة للعلم والقدرة والتدبير قد احدثها التراب والماء والهواء
الخالية عن هذه الصفات فلذلك يحيلون احدثها وخلقها على القادر
العليم سبحانه الذي قام الدليل عندهم على انه هو الذي اوجد
اصل المادة من العدم قابلة لتلك التطورات وثانيا على غرض غرض
النظر عما تقدم من تشرد الله تعالى بالخلق قد نظروا الى هذه
الاشياء التي تنشأ عنها الآثار وتاملوا في حقيقتها فوجدوا انها ليست
مقتضية لتلك الآثار اذ لا شيء فيها يلزم العقل باعتقاد انها مقتضية
لها مثلا الحرارة تذيب الثلج والبرودة تجمد الماء واذا نظر الى حقيقتها
لم يظهر للعقل وجه اقتضاءها لذاتك الاثرين كما يظهر وجه اقتضاء
الجسم للتحيز ووجه اقتضاء الجسمين ان لا يتداخلا ويحلا في حيز
واحد مثلا فاذا قالوا لكم ولم لم يكن الحال في الحرارة والبرودة
بالعكس ماذا يكون جوابكم تقولون هذا طبع كل منهما فيقولون
لكم ولم لم يكن طبع كل منهما بالعكس تقولون لان الحرارة تضعف
قوة الملاصقة والبرودة تقويها فيقولون لكم ولم لم يكن الامر بالعكس
وهلم جرا فما يسعكم بعد ذلك الا ان تقولوا ما كان اختصاص كل
منهما بخاصته الا بتخصيص محض فيقولون لكم ان ذلك المخصص

هو الله تعالى الذي اوجد المادة وهو خالق المختار الذي خص
ما شاء بما شاء وبعد ذلك كله يقوون ما دد ن لاتيما يست
موثرة بطبعها والتاير بحاق لله تعالى فالزمان المفروض لحصول
الاثار ليس شرطا سروريا بل هو شرط عادي فله قدر على
خلف الاثر بلحظة كالحج البصر او اقرب لانه قد ثبت بالدليل
ان قدرته تامة ولا تشابه قوى الحوادث فلا يحتاج الى زمان في
اعماله كما تحتاج قوى الحوادث التي كما تمتدت قصر زمن عملها
وكما ضعفت طال زمنه وايضا لو كانت قدرته تحتاج الى الزمان
في اعماله كما تحتاج سائر القوى لكن نرى المصنوع الذي يشتمل
على العظم ودقة الصنعة وكثرة الاشكال والتركيب والخواص
لا يحصل دائما تكونه الا في زمان اطول من زمان تكون المصنوع
الذي لا يشتمل على شي من ذلك والحال ان الامر ليس كذلك
لانا نرى النبات الفلاني من النوع الاول يبرز للوجود في مدة
قصيرة والنبات الفلاني من النوع الثاني قد يبرز للوجود في مدة
طويلة اضعاف مدة بروز الاول فهذا يدل على ان امتداد الزمان
ليس شرطا في ايجاد الله تعالى للمخاوقات والا لكان الامر بالعكس
فما مثلنا ثم لا تظنوا من قول اتباع محمد عليه السلام ان هذه
الاشياء ذات الاثار لم يكن تسبب تلك الاثار عنها الاعاديا وان

الزمان لتكون تلك الآثار هو شرط عادي ايضاً انهم يقولون
بكثرة انخراق العادة في ذلك حتى تطالبوهم بذكر الشواهد الكثيرة
على انخراقها فانهم لا يقولون بهذا اصلاً انما يقولون التسبب عادي
والزمان شرط عادي والله قادر على خرق العادة فيهما وليس ذلك
بمحال ولكن خرق المادة في ذلك لم يمهدهم منه تعالى الا لنحو معجزة لنبي
او كرامة لولي على حسب ما نقل لهم متراترا او شاهدوه من رسوم
محمد عليه السلام عندما ادعى الرسالة وظهرت على يده المعجزات
بخرق العادات فاذا تقرر ما تقدم من هذه المقدمة ووعيته به بافتدكم
فاقول تعالى حتى ننظر في مادة هذا العالم وانواعها وما اشتملت عليه
من الصور الغريبة وما تنطوي به من الاطوار العجيبة لنعلم ان قيام
ذلك فيها من صنع المادة وحركة اجزائها ام من تاثيرات بعضها
ببعض ام من صنع آله عليم مرید قادر حكيم يخصصها بما يشاء
ويطورها كيف اراد اعمالا بغاية العظمة ونهاية الاحكام والتدبير
مما يدل على ان عظمته وعظمة صفاته لا تحد ولا تدركها العقول
ولا تحيط بها الافكار وكل عمل بعدها من جائزات العقل مما
بلغ في العظمة وتسامي في الدقة وتعالى في الاحكام فهو في جانب
عظمة ذات هذا الآله وكمال صفاته حقير هين واضح بين سبحانه
ما اعظم شأنه وما اكمل سلطانه بيده الخلق والتدبير وهو على كل

شي قايير

لننظر الى عالم الكواكب فتجد على ما ترى في عالمنا الصغير
ان كل ما من هذا المختص بخارسية لم يرحل في سره في بعض
جدا والبعض منها كبير جدا حتى ان بعضه بالنسبة اليه كمثل
بالنسبة الى كرة قطرها ذراع الاكثر من كون قمارين
الاف وتسماية واثنى عشر ميلا ومحيطها لا يتراى في
الفاو ثمانية وتسعة وتسعين ميلا في طر اتم في ثمانية
الفاو خمسمائة وثمانون ميلا ومحيطها لا يتراى في
الفاو وخمسمائة ميل وجرها مثل جرس حمانا في
وخمسين الفا وسبعماية مرة ومنها اقرب اليها وبعيد عنها
من الاميال ومنها ما يومه وسنته دون سنة ومنها ما هو
اكثر من ذلك بكثير حتى ان سنة زحل تسع وعشرون سنة
وسنة اورانوس اربع وثمانون سنة ونبتون مائة وستون سنة
ومنها ما هو بطيء السير في فلكه ومنها ما هو سريع السير حتى
ان المشتري يجري ثلاثين الف ميل في الساعة فيجري تسعة ايام
كما تنفس الانسان مرة وسرعة اجزائه الاستوائية في دورانه
على محوره اربعماية وسبعة وستون ميلا ومنها ما نوره احمر ومنها ما نوره
اصفر ومنها ما نوره ابيض ومنها غير ذلك ومنها ما نوره ابيض كالشمس

والثوابت ومنها ما نوره مكتسب من نور غيره كالقمر وبقية السيارات
ومنها ما يخلو عن الحرارة ومنها ما فيه حرارة نباغ قدرا عظيما فتشمسنا
على قول بعضكم اوجعت حرارتها لكانت كفيه لان تذيب في
يوم واحد مقدارا من الجليد يغطي كل وجه الارض وسمكه احد
عشر ميلا والذي يصل من حرها الى الارض هو جزء من الف
مليون وثلثائة وواحد وثمانين مليوناً ومنها الثوابت وهي شمس
اذاؤها ذاتية كشمسنا تضيء على عوالم تتعلق بها وهي ليست ثابتة
كما يتوهم من اسمها بل هي متحركة اكن لفرط بعدها عنا لا تظهر لنا
حركاتها الا بعد قرون كثيرة فتبقى على نسبة بعضها الى بعض
وضعا ومنها ما هو ناء عن الشمس يبعد عنها على ترالي الايام ومنها
ما هو دان اليها كذلك ومنها المتغير يزيد ضوءه تارة وينقص اخرى
ومنها الرقتي اي الذي يظهر زهنا قد يكون متدائما ثم يمتدني ولا يعود
اصلا ومنها ما نوره لا يصل اليها الا بعد سنين او مئآت من السنين
مع ان نور شمسنا يصل اليها بمدة ثمانى دقائق وبعض توان مع ان
الشمس تبعد عنا ما ينوف عن تسعين مليون ميل ومنها ما تظنون
ان فيه سكانا ومنها ما لا تظنون فيه ذلك ومنها الشمالي ومنها الجنوبي
ومنها المتوسط ومنها الليلي ومنها النهاري ومنها ما يتسم وجهه المنير
تارة وبضيق اخرى ومنها ما ليس كذلك ومنها الكاسف ومنها

المكسوف ومنها ومنها وهي قائمة في انفسانية مرس الجاذبية العامة كما
تقولون ولعلنا بنامرس اخر من زوايا الكون التي جراها خاتمه
فيه سائرة في ابراجها ومنارها على غاية الضبط والاحكام بحركات
مختلفة ودورات متنوعة تضبط بها الاوقات ويعلم منها السنين
والاشهر والايام والساعات ووقت الفصول التي يجب تحتار فيها العقل
والمرجع في الجميع الى الداعل القادر معارفه من منافع المخلوقات
من نبات وحيوان ومعدن نر وبحرارة انوارها وتبها هذه الاغذية
على قدر حاجاتها الى غير ذلك مما يعجز عن احصائه اللسان وتكل
لديه الفكر ويخسأ البصر فاذا كانت متساوية في اصل المادة
ولست مادتها تقتضي تخصيص كل منها بما يختص به عن سواء
فيقال بعد ذلك ان الذي خص كل منها بما يختص به ورتبها على
نظامها العجيب مشتملة على المنافع حسب مصلحة المخلوقات مع ذلك
الاتقان هو حركة اجزائها الفردة الخالية عن كل معرفة واردة
وتدبير ام يقال ان الذي ابدعها كذلك هو العليم المرید قادر
الحكيم

لننظر الى الجو وما يحتوي عليه من الكائنات فنرى فيه الهواء
الجوي الذي فيه حياة النبات بما يمتص منه وحياة الحيوان بتطهير
دمه بالاستنشاق ودخوله الى رئته ولما كان الاحتياج اليه اشد

من جميع ما سواه كان كثيرا وافرا سهل المأخذ مهيئة الآت تنارله
على اكمل ما يكون لقبول سرعة العمل وهكذا نرى الحكمة جارية
في ان الشي كلما اشتدت الحاجة اليه كان اوفر واسهل يظهر ذلك
بالتامل في هذا الهواء ثم الماء ثم الغذاء ثم عقاير الدواء ثم احجار
الزينة والبهاء ثم وشم ونجد فيه الرياح وتصريفها ومنافعها واختلافها
وما اختص به كل منها من الخصائص فمنها الشرقي والغربي
والشمالي والجنوبي وما بين ذلك ومنها الرطب واليابس والحر
والبارد والشديد والضعيف والليلي والنهاري والمنتظم في اوقات
مخصوصة وغير المنتظم والبطيء في سيره والسريع فيه من سبعة
اميال في الساعة الى واحد وتسعين وقد تبلغ سرعته في الساعة مائة
وعشرين ميلا او اكثر لكنه نادر ومنها الزوبعة والاعصار قائمة
بمنافع سكان الارض فتسوق السحاب الى مواقع مطره وتلقح الاثمار
بنقل مادة التلقيح من اعضاء الذكر الى اعضاء الانثى وتروح
الارواح وتلطف الحرارة وتسوق السفن في البحار وتنشر بزور
النباتات على سطح الارض الى غير ذلك مما يعجز الحاسب ويوهن
الكاتب ونجد فيه السحاب وما اشتملت عليه من الصنع العجيب
والتكون الغريب حتى استطاع الهواء حملها ونقلتها الرياح الى
الامكنة المحتاجة الى وبلها ويصحبها البرق والرعد اللذان يظن ان

من حكمتها تحايل مياهها بسبب حرارة النور وحركاته التوجيهية
وحركات الرعد الارتجاجية معها فيها من دلالة سكان البوادي
على مواقع سقوط المطر ونرى الثلج ينعقد بسبب البرد ويقع اكثره
على الجبال ليقيم مدة يتقلب ماؤه الى بواطنها ويخزنها التي سيء
جوفها فتتزنه لمنافع المخلوقات وتخرجها من منافذها فيجري ينابيع
وامهारा ترتوي بمائها الارض والحيوان في مدة الصيف وتأنس منه
الرياض والجنان اذ او كان السحاب لا يلقي على الارض الا المطر
لا ينحدر بسرعة من رؤس الجبال (والسيل حرب الله كان العالي)
قبل ان تتلي مخازنها بمقدار ما يكفي لجري الينابيع والانهار الى
غير ذلك من كائنات الجوء التي الف في عليها مجلدات وانذكر
هنا النور لانه لما كان امتداده انما هو في انفضاء جاز لنا ان نذكره
في كائنات الجو فترى ما اشتمل عليه من النواميس العجيبة التي
احتملت علما مستقلا وذلك كانعكاسه وانحلاله الى سبعة ألوان
وغير ذلك معافيه من منافع الحيوان والنبات من النور والصحة
وقتل الجراثيم السامة وكشف المرئيات وثمرات اخرى لا تحصى ثم
انه مع ظهوره بنفسه للبصر واظهاره لغيره فقد خفيت حقيقته عليكم
واضطر بتم في تفسيره قال اكبر مشاهيركم انه ذرات صغيرة جدا
تنتشر عن الجسم المنير ورد عليه متأخروكم بادلة واضحة وقالوا انه

اهتزاز اجزاء المادة الاثيرية السارية في الكون فهو عبارة عندهم
عن حركة الاجزاء المذكورة واعتمد جمهوركم الان على هذا التفسير
وبنيتم عليه الصروح ولتأمل ان يقول ما بال تلك الاجزاء الاثيرية
تخرق حركتها لوح بلور بسماكة كثير من الاذرع واذا طلي احد
وجهيه بطبقة رقيقة من الحبر الاسود مثلاً عجزت تلك الحركة
عن خرقها كانتا صدت باسوار خانية او جبال حملايا هلا خرقت
تلك الطبقة الرقيقة غير الصلبة كما خرقت اللوح السميك الصلب
وان قلتم ان اللون قد ابطال تلك الحركة بطبعه قلنا لا مانع ان يكون
ذلك بخلق الله تعالى ولكن بينوا لنا على تفسيركم هذا كيف قويت
تلك الحركة على خرق اللوح السميك الصلب وعجزت عن تلك الطبقة
الرقيقة غير الصلبة وان قلتم ان اللون يتشرب النور قلنا لكم بينوا
اذا ما معنى تشرب اللون للنور الذي هو حركة اجزاء بعبارة واضحة
يقبلها العقل وايضا ان صناعتكم قد اخترعوا دهانا اذا عرض لنور
الشمس بعض دقائق اضاء في الظلام طول الليل فعلى تفسيركم
النور ان قلتم ان تلك الحركة المنبعثة عن الدهان في الظلام من
انعكاس النور قلنا بينوا كيف دامت تلك الحركة ناشئة عن الدهان
مع ان الحركة الاصلية المنبعثة عن الشمس قد انقطعت عنه
وفارقت من ساعات وهذا خلاف ما يعهد من ناموس الانعكاس

وان كان خلاف ذلك فيمنعه وبهذه ذلك كله . . . بزمين بطلان
تفسر كم هذا بل هو جاز الصحة . . . يكون من جملة منوعات الله
تعالى وتحت تصرفه ولكن القصد نبيه كم الى ان من اعظم ما
تجزموني به ما ليس قطعيا وبعد جميع ما تقدم يقول ما اذني خصص
كلام من كانت الجوابا خصه واحكم فيها المنافع على اكل منع
واتم ابداع فاحيا بها الارض بعد موتها وانى سكنا راضيا لا صارهم
مرئياتها يقال هي حركة اجزاء المادة ام لسدفة ام لغزيرة ام غير
ذلك من الكلمات المبهمة المعنى الذميمة تفسيرا . . . ما لم الخبير
الاريد القدير

ولننظر الى الارض وما اشتملت عليه جغريتها . . . طبيعية وكانت بها
الجمادية والنباتية والحيوانية فارى البحر الذي تبلغ مساحته ثلاثة
ارباع سطح الارض اي مائة واربعة واربعين مليونا وسبعمائة
واثني عشر الف ميل مربع وهو مسكن الامم المائية . . . مصدر الجواهر
البحرية من كل ما يكون غذاء ودواء . . . رزينة وقد اشتمل على ما
تشتمل عليه اليابسة من جبال واودية ووعر وسمول واكام
وتلال وهضاب وبطاح واجام وحدائق مختلفة الاشجار وحيوانات
صغار وكبار تنمو وتسكن في اماكن مخصوصة حسب اجناسها
وانواعها وصنوفها وللبحر اعماق تفوق التصديق ولم تعلموا تحقيقا اعظم

به قياس عمق منه بلغ نحو تسعة ايام
بائبه المد والجزر والتيارات السطحية
ج التي كالجبال والجبال التي تعوم على
ب السمالي وملوحته التي هي من احكام
وه فاهلك الحرث والنسل وقد سينخر
ن لجته ويتواصلون في طرائقه ورياحه

ي منها فاولها الجبال التي هي مخازن
لحيوان وهي مأوى الطيور والوحوش
ماخنة التي هي مادة الاخشاب والوفود
نة تحفظها من الرياح الباردة والحارة
اتات المزهرة ومنها الاجرد الوعر الذي
ت صخوره تشبه هيكل عظام جرد
ور مادة العمران من الدور والحصون
يقذف اللحم وينير الافاق في الظلام
نسان بالعجب

حسن الاشجار ومجنى الازهار والاثمار
سدور ومع ان منها ما يعد جنة نعيم

لا ترى فيه الاطلاخيا ولا وما ساسيا ولا تسمع الا سفير بلبل
وهديل حمام وبغمام ظباء وسبح نيام حول تلك أرض الزهرة
والاشجار المثمرة والجداول المتحدرة من كل ما يجلب مسرة ويهدي
للعين قرة فمنها ما هو كدار الجحيم ليس فيه الا الموت انوارا وباليات
العظام وذلك كوادي الموت الذي هو قرب بؤس وهو واد بطنه
رمضاء محرقة وقفر بلقع لانبات فيه ولا حيوان فلا ينمل طائر ولا
تدب فيه دابة ولا يمكن فيه وحش لا رية الخ الموت الاحمر ولا
يرى فيه الا الرمم البالية من عظام الحشرات وجمومات الحشرات
وقد نسب ذلك فيه الى شجرة سامة لا يوجد فيه سواه من النبات
والذي صح عندكم ان ذلك لانه في جوار جبل ناري يصعد من
مناقسه هواء سام بكمية زائدة تقتل الحيوان وتنتك النبات فمن
جعل بعض ودين الارض دار النعيم وجعل بعضها دار الجحيم
احركة اجزاء المادة ام المرید اعلم الذي يخصه شأبه يشانه
خبير حكيم

وثالثها الكهوف التي هي مأوى الحيوانات ومتنفس الجبال من
البخارات التي في بواطنها ومن غرائبها كهوف التي تبرد في الصيف
حتى تجمد المياه التي داخلها وتسخن في الشتاء فيأوى اليها كثير
من الحيوانات التي لا تقوى على برد الشتاء فسبحان اللطيف الخبير

ومن غرائبها كهوف الموت التي لا يدخلها حيوان الا مات في الحال
لانها تمتنفس جبل ناري قد جمدو بقي من متنفسه هواء سام يقتل
من يستنشقه فمن الكهوف حصون ومنها منون فسبحان الفاعل
المختار

ورابعها السهول التي هي جامعة غالب المادة التي تقوم بها النباتات
اغذاء الحيوان ثم هي متنوعة التربة يناسب كل منها لتنمية نبات
لا يناسب سواه فاو كانت نوعا واحدا لنقصنا نباتات كثيرة ونراها
بين الصلابة والرخاوة فاو كانت صلبة كالصخر لما صلحت لذلك ولو
كانت رخوة جدا لفاست فيها اقدام الحيوانات وما صلحت لمساها
ولا لسكناها فمن خصص الصخور بالصلابة فكانت مادة العمران
وخصص غيرها بالتوسط بين الصلابة والرخاوة فصلحت لزرع
غذاء الحيوان اليس هو الحكيم الخبير والمدبر العليم

ونرى من كائنات الارض المعادن التي تولدت في احشائها مختلفة
الخواص متباينة الانواع والاصناف صالحة مع اختلافها وتباينها
لمنافع سكان الارض فمنها الجامد والسائل والصلب وغير الصلب
وقابل الانطراق وغير قابله وقابل الذوبان وغير قابله والثقيل
والخفيف والاصفر والابيض والاحمر والاسود وغير ذلك وكم فيها
من مصالح للبشر باتخاذها الات لطعامهم وشرابهم واسلحتهم وبيوتهم

فلاحتهم وزراعتهم وادويتهم انما كان الحد
ثمة خفاء في الارض لا يشابه معدن في
الادان خصصه الله تعالى في القرآن بذكر الله
سنة الهداية اليه فقال له الى وانزلنا الحديد فيه
الاس ولم يذكر معدنًا سواه بذلك وتري من
مخير عقولنا عن تعليلها تمايلا يقينيا بل غاية ما
نريها ان نقول هكذا خشيته وان قلتم نحن لا
نقف على التعليل اليقيني فما لكم هذا المغن
القريب صاحب خاصية الجذب لثله ولتدبد
سبب جذبه لما ذكر هو من حركة اجزاء
يضاعها واقول ان هذا التعليل وان جاز ان يكون
الله تعالى ولكم انيتم به مبها غير مقنع للعقل
لسرالات الاتية وهي اول ما نتج عن تلك الحركة
ما ذكر ولم ينتج عن ذلك جذب بقية المعادن من
والنحاس او ضحوا للتوجيه ذلك وثانيا كيف ان
تصق بقضيب من حديد وجذبه اكسبه خاص
من دون ان يخسر من قوته شيئا فيصير ذلك
كجذب المغناطيس ما دام ملتصقا به واذا انفصل

تلك الخاصية وتقولون لتلك الحالة التي طرأت على الحديد تمغنطاً
موقت وأما إذا التصق المغناطيس بقضيب من الفولاذ اكتسب
ذلك القضيب خاصية ذلك الجذب ودامت فيه وأوانفصل عن
المغناطيس وكذلك إذا ذلك قضيب الفولاذ بالمغناطيس اكتسب
تلك الخاصية دائماً ويقال لذلك تمغنط صناعي فاوضحوا لنا كيف
حصل ذلك الاكتساب بمجرد ملاسة المغناطيس لقضيب الحديد
والفولاذ اتغيرت اوضاع اجزائها ولو كانا بطول ممتد وإذا كان
الامر كذلك فهل رجع الوضع لاصله في قضيب الحديد ولو في
لحظة من الزمان وبقي في قضيب الفولاذ ام الحال غير ذلك
واوضحوا لنا هذا الفرق بين الحديد والفولاذ بل والحديد الصلب
فانه بحكم الفولاذ يكتسب خاصية الجذب وتدوم معه بعد الانفصال
ثالثاً انكم تقولون ان قوة الجذب في المغناطيس في طرفي القطعة
منه وكما اقتربنا لوسطها نجد ان القوة قد ضعفت حتى تكاد
تغيب عند الوسط تماماً وإذا قسمت تلك القطعة من عند وسطها
رجع الطرف الذي عند القطع ذات قوة قوية كما في الطرف الاصيلي
فاوضحوا لنا كيف ضعفت القوة عند الوسط وقويت في الطرفين وكيف
قويت في الطرف المفصول بعد القطع أبالقطع تغير وضع الاجزاء
مع ان وضعها لا يتغير باقوى العوامل الخارجية ام الامر كان لغير

ذلك ايضا اذا لمس المغناطيس قضيب الحديد من ارادة من
طرفه وتمغنط القضيب فلا بد ان يكون قربة في طرف الاخر
من ذلك القضيب تامة واحدة شرة في رءوسه هي قربة ثلاثي
فماذا تقولون ان الحركة وتغير وضع الاجزاء قد وسلا الى ذلك
الطرف من طريق غير الوسيط ام من طريق اخر فضعنا عنده
ثم قويا بعد مجاوزته ثم الذي اعاد الى القربة بعد ضعف
وراءه تقولون ان المغناطيس ينقل القوة من ذب الى حتم الى ذلة
ثم تزداليه بعد مضيقها وعلى ذلك عملت الآلة التي تبين على قربة
حصول الزلزلة فيمتدس منها فاوضحوا سبب تغير وضع الاجزاء
وتبدل الحركة عند الزلزلة وكيف كان ذلك ومنه كانت ذان
والذي اراه انكم لا تقدرين على اجوبة كافية عن تلك الاسئلة
التي تقدمت بل غاية ما تفهمون اليه ان لتور هكذا خاصة
المغناطيس لها تلك الاعمال واقول لكم ان اتباع مسد عليه السلام
يقولون ايضا هكذا خاصة المغناطيس لها تلك الاعمال اذا شاهدوها
وتبرهنتم عندهم ولكن يسالونكم من الذي خصصها بذلك الحركة
الاجزاء بما ينشأ عنها من ترتيب وضعها تعمل تلك الاعمال البهرة
التي عجزت عقولكم عن تعليلها بما يقنع العقل ام الذي خصص
ذلك التخصيص واثقن تلك الاعمال هو القادر علیم والمريد الحكيم

اي الامر ين احق ان يستقد (انصفوا) وبالحق ان المغناطيس من
اعجب الاشياء وفوائده من احسن الفوائد واكمل الموائد اذ
بالابرة المغناطيسية ساكت البحار والقفار وامن السفار من الاخطار
اذ هي المرشد الامين والهادي المبين فسبحان من هدى الانسان
سبل الرشاد بقطعة معدن من دواني الجماد

ونرى من كائنات الارض النبات ذلك العالم الذي اشتمل على
العجائب والغرائب وحير الالباب بما اودع فيه من النظام المحكم
والاسرار والحكم واغرب شانه وكل شؤنه غريبة كيفية تمثيله لاجزاء
الارض والماء والهواء لبنيته وتطويرها باطواره بينما هذه الاشياء
عديمة النمو والحياة اذ نراها قد دخلت في تركيب النبات فانقابت
جسما ناميا متغذيا ذا حياة نباتية مكتسبا خواص لم تكن له من
قبل ثم ننظر الى ذلك الجسم النباتي فنراه من وجه عديم الارادة
فاقد الادراك اشبه شي بالجماد وننظر اليه من وجه اخر فنراه
قد ضرب بعروقه في بطن الارض لتناول الغذاء فهو وان لم يسمع
على اقدامه كالحیوان في طلب رزقه ولكن يبلغ في باطن الارض
ما لا يبلغه الحيوان وترى اغصانه تنعالي او يتعرش بشوكه وللبه
على المرتفعات لينتفع بنور الشمس كالحیوان المتسلق على الاشجار
لطلب الاثمار وبينما نقول انه لا يتغذى الا باجزاء الارض والماء

والهواء نرى منه النباتات المنزوعة وهي التي تنبت في غيرها من
النباتات وتتغذى بعصارتها كما يعترس بعض الحيوآن على بعضه
ومنها ما احترت أوراقه على عصاري الذباب ان يسقط عليها فاذا
سقط على ورقة منها احسنت به وانطابت عليه ولا تتركه حتى
تمتص طويته ثم تتركه ميتا لا يبقى منه سوى القشر فإذا نبات
يتغذى بحيوآن اخذا ثماره لنباتي الذي يتغذى به العالم
الحيواني ويندري ان النبات لابد ان يلقى جزورا له في
الارض واما في بنية غيره من النباتات التي يختص نرى لنباتات
الموائية وهي اعشاب لا اصول لها في لتربة تعلق على غيره او تتناول
غذاءها من الهواء ومن عجيب امرها ان زهرها تدش كل الفراش
والنحل وغيرها من انواع الذباب واذا حركها الهواء يظنها الرائي
فراشا يحوم على الاشجار او فحلا يرمي في جنى لعسل من الازهار
ومن ازهارها ما يشاكل الرتيلاء ومنها ما يشاكل الانسان اى غير
ذلك من الصور المختلفة ومما نظرت به بعيني ون كان ليس من
النباتات الموائية بل ينبت من بصيالات في الارض نبات يعمل
زهرة هي صورة طير اصفر براس وعينين ومنقار وعنق وصدر
وجناحين منتشرين بعض الا انتشار منتصب القامة كما يتصحب
الديك وعند اسفل بطنه صورة نحلة بلون سنجابي واضعة فمها ببطنه

كانها تمتص منه شيئاً وهي ذات راس وعينين وظهر منقوش
وجناحين ممتدين من اصل فخذي الطير فهما مشتركان بين ان
يكونا فخذين له وجناحين لها وكل تلك الاعضاء التي فيها واضحة
بينة لانها تقارب الاعضاء مجرد مقارنة منظر يستوقف الطرف
ويشهد بوحداية خالقه وقدرته واحكامه وتوجد هذه الزهرة في
برية بيروت في محل يقال له ظهور الاشرفية ويسمى بها بعض اهل
تلك الجوار بزهرة الطير وبعضهم بزهرة النحلة وقد وجدت بعضهم
يعمال لتكون تلك الازهار على صورة الحيوانات بتعليل واهية
فاطلب منهم تعليل تكون هذه الزهرة بما يقنع العقل ولا اراكم
ثقدرون على ذلك ولا ارى مقنعاً للعقل الا احالة تكوينها على صنع
القادر المرید الحكيم العليم لاعلى حركة اجزاء المادة ولا على ناموس
التباينات ولا على امثال ذلك من الامور العمياء الصماء البكماء
وبينما نرى ان بعض النبات لا يحس باشد الملامسات ونحکم بان
من جملة الفوارق بينه وبين الحيوان الاحساس في الحيوان دونه
اذ نرى النباتات الحساسة ومنها السنط الحساس الذي اذا لمس
او حرك احس وانضمت وريقاته وتشج سائر اوراقه ومنه النبات
المفترس للحيوان الذي تقدم ذكره فانه يحس بوقع الذباب عليه
فيمسكه ويمتصه وبينما نرى ان النبات لا يتحرك الا بفاعل خارجي

كالهواء والحديدان اذ ترى النبات المتحرك بنفسه غير قسري ظاهر
فهذا النبات يتحرك بنفسه حركات يريها في اذنه حركات
هندسية فورقته مؤلفة من ثلاث وريقات اكبرها اعليا في اوسط
والصغريان تحتها على الجانبين تحركن مدة حياتهن ليلا ونهارا
في الحر والبرد والشمس والظل والصحو والادار لا منتقطع حركته
ترتفع الواحدة منها وتخفض الاخرى على تحوي بحركة مستديرة
ومنه ما لا يتحرك ورقته اوسطى الاحبار حوله اء بنفلاف الجاذبية
فان احدها ترتفع والاخرى تنخفض حرك الخدر وقبائهم انهم وجعلوا
على جانب نهر الكنج في الهند نباتا يتحرك وريته كذات ستين
حركة في الدقيقة فهو ساعة حية نامية لا تقف ولا تكف صاحبها
شيئا من النفقة ومشاركو الهند يقدمون هذا النبات ويذهبون
اليه قوة آلهية وما هو الا شاهد على انفراد خلقه بالبربرية ومنه ما
يتحرك زهره مع حركة الشمس في قبة الفلك وهو كثير في بلادنا
ويسمونه بالفلك وبعابد الشمس لان زهرته المستديرة المؤلفة
من دوائر بديعة الاصباغ محكمة الصنع محاطة باهداب خيوط
الحرير وفي وسط نوع منه شي كعقرب الساعة تستقبل تلك الزهرة
الشمس في اول شروقها ولا تزال تتحرك لاستقبالها كلما ارتفعت
الشمس لقبة الفلك حتى تبلغ الهاجرة فتكون تلك الزهرة حينئذ

سطحية الوضع ثم كلما مالت الشمس الى المغرب مالت معها حتى
تفارقها في المغيب فسبحان المبدع الخبير ثم في تبينات النبات ما
يخير الافكار ويشهد ان مبدعه فاعل مختار لا يحكم عليه ناموس
ولا تدخل قدرته تحت تحديد ينبيء عن الاضطراب وعدم الاختيار
وذلك انا نرى منه ما يبالغ من الكبر والارتفاع مبالغا يفوق الحد كما
في ارض لبنان وام الاجمة التي توجد في اميركا طولها ثلاثماية قدم
او اربعمائة قدم وقطر بعضها عند الارض ثلاثة عشر قدما وسمك
قشرها ثمانية عشر قيراطا ومن اشجارها ما جوف ساقها وطرح
فكان الفارس يدخل جوفها منتعبا على صهوة حصانه فلا يسها
وبعض الاشجار في اسكتلندا بالغ محيطها تسعين قدما وحسب
عمرها بمقاباتها باصغر اشجار نوعها فكان خمسة الاف سنة وفي
كاليفورنيا شجرة صنوبر طولها ثلاثماية قدم ومحيطها ثلاثون قدما
وعمرها ستة الاف سنة واغرب من ذلك كله شجرة عديم في احدى
جزائر كناريا في الاقيانوس الاتلنطيك لا يحيط بساقها عشرة رجال
يمدون ايديهم حولها يمس كل منهم انامل مجاوره بانامله وقد مر
على اكتشاف تلك الجزيرة ما يقرب من اربعمائة سنة ولم يتغير
مظهر تلك الشجرة فان نمو هذا النبات بطيء كما يشاهد من نمو
صغاره فكم مر عليها من القرون قال بعضهم اني اقول انها كانت

نمتو منذ قرون كثيرة قبل خالق الانسان ونرى من نبات عالمنا
على عاية الصغر قد اظهره المكر سكوب وذلك كالسحاب الذي
يعلو وجه الماء والدفونة التي تلتصق بالجدران وغيرها فكل ذلك
يظهر تحت المكر سكوب كانه بستان او مرج او غابة كثيفة تحمل
مع صغرها ودناءتها زهرا وبزرا ينتشر مع طراها من جملة الهباء
ويقع على الجدران وغيرها فاذا وافقته لاسرار تنفخ في اوراقه
وبزرها العين المجردة لا تراه الا كالخيار الاخضر ونرى من النبات
ما يتقابل فيه الاضداد فني اختلاف شكائهم واشكال اوراقه
وازهاره واثماره وبزوره وروائحهم وطعومهم ولوانهم ومنافعهم ومضارهم
ما يفوق الاحصاء فمنهم الشجر والنبه والعشب والحميني والشتوي
والربيعي والخريفي والسنلي والسجلي والكتفي بقاء المطر والمحتاج الى
سواه والمختص باقليم والذي يعيش بكل الاقاليم ومن اوراقه
المستدير والمستطيل والمسنن والمريض والرفيع ومع اشراكها
في لون الخضرة فخصرتها مختلفة لانهج خضرة نوع شبه خضرة
نوع اخر وازهاره اكثر اختلافا وامفر تبيانها في الاشكال والالوان
فمنها المستدير والمستطيل والمفرد والمضاعف واشكال شتى لا تحصى
ومنها الابيض والاحمر والاصفر والازرق والاخضر والمنقش بدع
النقوش والمجتمع فيه الضدان او الاضداد من الالوان وروائحهم

من ابداع الخواص فمنها المستطابة التي تنعش القلوب والمستكرهة التي
تميت النفوس وبكفي بالتنبيه على اختلافها انا لا نجد رائحة زهرة من
نوع تشبه رائحة زهرة من نوع اخر تمام الشبه واختلاف اثماره باشكالها
والوانها وروائحها وطعومها واقدارها مما يتيه العقل في تيمئ فممنها الكبير
والصغير والعريض والطويل والمستدير والكروي والمحدب والمسنن
وغير ذلك ومنها الاحمر والاصفر والابيض والاسود والازرق
والمنتقش وغير ذلك ومنها ذو الرائحة التي لم توجد في زهره ولا
ورقه من كل رائحة زكية واخرى على الانوف يابه ومنها الخلو
والحامض والمز والمرو ونحو ذلك من الطعوم التي لا تستقصى ومن
غريب امر الاثمار انك ترى قشرها بطعم ولون ورائحة لا توجد في
اللبن وفي اللب من ذلك ما لا يوجد في البزر وفي البزر من ذلك
ما لا يوجد في كامل اجزاء الشجرة ومن الاثمار ما يحتوي على البزور
المختلفة الاشكال والروائح والطعوم والالوان ومنها ما يخاف عن
البزور ومنها ما هو مغلف بغلاف او اكثر ومنها ما ليس كذلك
ومنها صغير واصله شجر كبير كالجميز ومنها ما هو كبير واصله من
الاعشاب كالبطيخ ومن النبات ما يعطي ثمرته بشهر او اقل ومنه
ما لا يعطي ثمرته الا بعد سنين ومنه ما ينتفع بعرقه او اصوله او ورقه
او زهره او ثمره او بزره او قشره او عصاره وما ينتفع منه بشيئين

او اكثر من ذلك وما ينتفع منه بجميع ذلك به ما اصله نافع
وشمره ضار او ورقه او زهره منه بالعكس فيجتمع في النبات الواحد
الداء والدواء وبالاختصار نرى الشجرة الواحدة قد تتخالف
خواص عروتها وسماتها وقشره وورقها وزهره وثمره وبزورها فلا
تجد خاصة من تلك الخواص تنطبق تمام على خاصة اخرى منه
وكل انواع النبات تسقي به واحد وقد تعذى بترية واحدة
وتمتص ما يازدها من هواء واحد واعضائها الهوائية قد ينقسم
النمو وهي الجزور والسوق والورق واعضاء تناسل وهي الزهر
والثمر والبذر ثم انه من هذه الاعضاء البسيطة لثقلية العدد
تدلف الالوف من النباتات البائدة بحسب ما وصل اليه احصاء
النباتيين ما ينوف عن ثمانين الف نوع وهي التي تكسوها لنا
وتلوانا واوديتنا وحدائقنا خضرة وتزينها ازهارها وقملاء مخزنا
فواكه وحبوباً وتلد اجسادنا وتعمربوتنا وسفنت وتعالج امراضنا
وتشعل نيراننا وتمنظ امتعت وتفعّل وتفعّل الى ما يكبر في ضار
احصائه القلم ويرقي اللسان بالكم اكل تلك المصدر وجميع تلك
الاطوار وترتب تلك المنفع وظهور هتيك الاسرار مع تعدد
اصل المادة واتفاق جميع الاسباب الجوهرية يكون مصدرها حركة
اجزاء المادة مع الضرورة العمياء او الصدفة الصماء او الزوايميس

التي لا تعلم ولا تشاء ام ذلك كله من ابداع مبدع قادر وحكيم قاهر
وعليم يعلم بما صار وبما هو صائر نعم ان جميع تلك الفرائب وعموم
هاتيك العجائب ترفع اعلام الشهادة بان للعالم آلهما عاليا وصانعا
حكما يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ثم ان النبات وان كان كل
نوع منه نعمة انعم بها الخالق سبحانه على خلقه ولكن بدخه تخلف فيه
النعمة وتسمو فيه المنة وان يكن كل فرد منه غريبا ولكن قد
يكون بعضه اعرق في الغرابة فلنذكر من ذلك طرفا بالتفصيل
فنقول من النعم المستخرجة في عالم النبات شجرة الخبز في جزائر
الباسفيك تحمل ثمرات كروية قطرا صغرها اربعة قراريط وقطر
اكبرها سبعة وثقلها اربعة اعمية وعشرون درهما وهي تبقي مدة ثمانية
اشهر متوالية من كل سنة وهي خبز لاهل تلك الجزائر يقتاتون به
كما تقتات بالخبز الصناعي وهو جل طعامهم اعده لهم الباري تعالى
من دون عناء ما نكابد في تدبير خبزنا وفي هذه الشجرة منافع
اخرى فموائدهم من اخشابها وثيابهم من قشورها وقواربهم من
سوقها ومن ذلك شجرة الحليب وهي شجرة يوجد منها في الهند ما
يسمى هياها يخرق ساقها فيخرج منه حليب جيد اختر من حليب
البقر وفي برازيل شجرة منها تسمى (ما سارندوبا) تزهر في شباط
وتثمر ثمرات طعمه كشراب الليمون ويستخرج من ساقها لبن ابيض

شهي افخر من حليب الماشية يتغذى بها السكان ويتخذونه جل
قوام حياتهم ومن ذلك شجرة التمشاة وهي شجرة عذبة وافريقية
تعمل ثمراتها كالتمشاة قواما ولحمها يبقى طويلا في البلاد الحارة
في الانية ولا يتغير لونه ولا طعمه ومن ذلك شجرة النارجيل اي
البوز الهندي فان منافعها قل ان تكونها شجرة فند قيل انه يتخذ
من جوزها قبل نضجه شرابا وبما نضجه ما يمكن الطيب وتطبخ
اوراقها كالخضر ويتخذ من عصاره الزهرها سكر ومن اخشابها
وقشر جوزها اوان وصمون وجننان وتشاة من اخشابها ايضا
البموت وتسج من اوراقها حصر ومظلات رية من خيرط ليافها
ثياب ومناخل وقاروع وحبال ومن دهن جوزها زيت ومن نشارة
اخشابها حبر للكتابة ومن اوراقها قرطيس للكتابة ايضا وشجرة
النخل لا تقصر كثيرا عنها في وفرة المنافع فترى ثمرها يوكل زهرا
وبسرا ومذبا ورطبيا وتمر وهو فاكهة وقوت وذخيرة وينتفع
باخشابها وجريدها وعراجينها واليافها حتى ينوذا فيطحن ويجعل
قوتا للجمال فسبحان المنعم المتفضل على عباده بغير ثب اسمه وعجائب
منه القادر على تنويع الانواع وتطوير الاطوار وخاتمة الكلام
في عالم النبات ان نقول ان احق الناس بالاستدلال بشؤون النبات
على وجود الصانع القادر العليم الحكيم هم العلماء النباتيون الذين

يشرح احواله وشؤونهم فتراهم قد خاضوا في
استفراغه ونموه والتغيرات التي تطرأ عليه
، ان يبلغ غايته وعن كيفية تناسله وتلقيحه جنينه
في كنى الحيوان وعن تشرح ابنىة جذوره وسوقه
، وبراعمه وازهاره واثماره وبزوره وعن اعضاء
تقيامها فيه وخواصها ووظائفها ومنافعها وتقليباتها
، واختلاف انواعها وعن انقسامه الى صفوف
اجناس وانواع وتباينات وافراد الى غير ذلك مما
على عظمة قدرة خالقه وحكمة مصوره جل وعلا
لعالمين فهو لاء العلماء يكاد العقل لا يصدق بوجود
كريم للخالق سبحانه كيف وقد اطلعوا على
ودقائق صنعته المحتاجة الى صانع قادر ومدبر

اني من سكان هذه الارض ذلك المصنوع الذي
الغريبة واسمى درجات الاحكام والاثقان بينما
ي مثل بالغذاء والنمو المواد الجمادية الى بنيته
وجه الارض اذ نرى الحيوان قد التقمه وسامه
وهضمته بالسحق ومزجه باللعب ليحصل به بعض

للمضم ثم ازدرده الى معدته وامعائه فمضته اتم المضم بسبب الحرارة
العصارات المفترزة هناك واستخلصت منه المادة المغذية وجرت
نالك اعمال تختار عندها العقول ثم انتقلت تلك المادة المغذية
الى اعضاء سوى المعدة والامعاء واخذت تنطور باطوار بسبب اعمال
لك الاعضاء فلبست صورة الدم ثم بعد تنظيمها بالدورة الدموية
خذت تنوزع على جسد الحيوان فدخلت اقسامها في بنية كل
عضو منه عوضا عما يقحل من ذلك العضو ولبست حصة منها صورة
في الحيوان وبزوره ثم بعد التلقيح لبست صورة علقية ثم مضغية
اخذت تتصور وتتشكل وتنمو لها اعضاء يقوم كل منها بوظيفة
في ان يكمل تكوينها كالحيوان الذي تطورت تلك الاطوار داخل
بيته وحلت فيها الحياة الحيوانية الحساسة فكانت حيوانا طبق
سله سميعا بصيرا شاما ذائقا لامسا ثم ينفصل عن اصله وياخذ في
سعي على رزقه حسب نوعه وقد تنمو فيه قوة الادراك على قدر
ايحتاج اليه في تدبير معيشته وقد تزيد عن ذلك بمراتب حتى
يسير ذلك الحيوان عاقلا عالما وحكيا مدققا يجول فكره في كل
شيء ويتصرف في كثير من الكائنات في هذا العالم فتبارك الخلاق
مظيم الذي ينشي هذا المصنوع من الماء والطين وهذا المخلوق العجيب
مع اشتراكه مع النبات في بعض الخواص كالنمو والاغذاء والتوالد

راكا واحساسا بحواس ظاهرة وباطنة ليست
عظم من ذلك كله وهو القوة العاقلة التي
ثم هو ينقسم الى اجناس وانواع واصناف
في صفاته فمنه ما بلغ غاية عظمة في الكبر
كبير منه اثنتا عشرة قدما ومنه الصغير جدا حتى
ب الذي اظهر عوالمه المتوغلّة في الصغر فتلك
هي النقاعيّات لانها اكتشفت اولا في نقاعة
لوفاء وربوات منها تسبح في قطرة من الماء دون
م فاهما الحياة وكل آلاتها وهي اجناس وانواع
فمنها النقاعيّات الفصفورية التي يجتمع منها
على وجه البحر فتلمع وتنوقد كسيل من نار وكلها
ولم ترقط في حال السكون الا قبل خروجها
بين من بحث علماء الحيوان ان مائة وستين
تبلغ ثقل قمحة واحدة وان في قطرة واحدة
كل اهل الارض من البشر وراقبوا بعضها
قد تلد الوف الالوف في زمن قصير ثم ان
عضاء كثيرة مختلفة وعندها معرفة في طلب
يلائم ونفور عما يضر ونباهة تنقي بها الاخطار

ولا يصدم راعدها صاحبه او يزاحمه مع ان الوفا وسلاطين و بوات
تسبح في قطرة واحدة من الماء كما قدمنا وهي سرية الحركة جدا
والغاية في صغرها ما ذكره بعضهم ان نواها لا يزيد الواحدة منه
على جزء من ألفي جزء من الشعرة ولكل منها أعضاء خادمة
لحياتها فتبارك الخلاق القدير ومن الحيوان ما يعيش عمرا طويلا
وما يعيش عمرا قصيرا وقد تخالف في مدد اعمارهم تخالفا غريبا
واختص كل منه بدة لا يصل العقل الى علة ثبوتها له على وجه
قطعي فزى الحيوانات البماء تنمر أكثر من القرناء والجرئية أكثر
من الجبانة والمائية والبرية أكثر من الهوائية لكن الرخمة والنسر
والبيغاء والضراب تعيش قدر ما يعيش الانسان ومما اشتهر ان
النسر الذهبي يعيش مئتي سنة والسلمخاة مائتين وعشرين والفيل
أكثر من مائة سنة والضفادع البرية والمائية أطول حياة من سائر
الحيوانات التي تعدلها في الحجم وقد راقب بعضهم ضفدعا ستا
وثلاثين سنة ولم يظهر شيء من علامات الكبر فيه والنرس يعيش
غالبا ثلاثين سنة ولم يعلم ان فرسا بلغ الستين وان معدل عمر الفهم
خمس عشرة سنة ومعدل عمر الكلب عشرون وهكذا الكل
حيوان من كبير وصغير عمر يخصه ولم يتوقف طول اعمارها وقصرها
على المسكن والمعيشة او كبر الجسم او صغره ولا على غير ذلك كما

رايت فاذن لابد لما من منخصص كل منها بعمره الذي
جعله له وهو الخلق الذي ابرزها من الدم وخصصها من القدم
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن الحيوان ما يعيش في الهواء وما
يعيش في الماء وما يعيش على سطح الغبراء وما يعيش في اثنين من
ذلك ومنه ما يمشي على قدميه ويداه آلتان لأعماله وتناوله غذاءه
اوها جناحان يركب بهما متن الهواء ومنه ما يمشي على اربع ومنه ما
يمشي على اكثر من ذلك حتى يبلغ عدد العشرات كالشجرة المسماة
ام اربع واربعين ومنه ما يمشي على دطنه بواسطة الفارس التي
عليها ويتساق الاشجار والجدران وذلك كالحية ومنه ما يتناول
غذاءه بيديه وما يتناوله بفمه وما يتناوله بمنقاره وما يتناوله بانفه
كالفيل وما يتناوله بلسانه كالخرباء التي تمد لسانها الطويل المبتل
بمادة لزجة تخطف به الذباب واهشاله من الهواء ومنه ما تنقف بيوضه
في داخل جسده عن جنينه ويتم خلقه فيه ثم يلده كالكثير
الحيوانات البونية ومنه ما تفرج بيوضه منه ثم يتخاق جنينه فيها
مهيأ له داخلها جميع ما يلزم له من الغذاء وذلك كالطير وبعض
الحيات والحرذون ومنه ما لا يتم تلقيح بيوضه بمنى ذكره الا اذا
وصل المنى اليها داخله محفوظا من الهواء وان لحقه الهواء فسد
ومنه ما يلقي ذكره منيه على بيوضه بعد ان تلقيها انشاء خارج

جسدها وذلك كبعض الاسماك فلا يفسد دنيه بالهواء ولا بالماء
ومنه ما يرضع اولاده بما يعده الخالق من الحليب في ثدييه او انديته
التي تكون على عدد اولاده غالبا ومنه ما يزرع اولاده زقا كالحم
ومنه ما يسمي باولاده ويدلهم على اقواتهم كالدجاج ومنه ما يشترك
في تربيتهم الذكر والانثى منه وذلك عندما تكون اولاده غير قادرة
على السعي في اول ولادتها وذلك كالعصافير والحمائم والانسان لان
انفراد الواحد بالتربية مع سعيه لرزقه ايضا. ايكانه فرق طاقته ومنه ما
تنفرد انثاه بالتربية وذلك عندما تكون اولاده قادرة على السعي
مع امها كالدجاج والحجل ومنه ما يبني الاعشاش لاولاده بكيفيات
غريبة اما نقرا في الاشجار واما عمارة بالطين واما غير ذلك ومنه ما
يحملهم على ظهره كالحيوان الآكل النمل في اميركا او يحملهم في
جراب عند بطنه يخرجهم منه وقت حاجة السعي على القوت
ويدخلهم فيه عند المنام وهو حيوان في استراليا ومنه ذو المخرج
الواحد تشترك فيه فضلاته ويوضه ومنه ما ليس كذلك ومنه ما
سفاده في وقت معين لا يعدوه ومنه ما سفاده لا يعين في وقت
ومنه ما يعلو انثاه عند السفاد ومنه ما يدابرها ومنه ما يلصق جنبه
بجنبها ويحاكها حتى تلقي بيوضها وهو يلقي منه على تلك
اليوض فيلقحها وذلك كبعض الاسماك ومنه ما يوضه تحاكي

بنقوشها الوانه كالحجل وبعض الدجاج الهندي المسمى بين
الناس بدجاج فرعون فان بيوضه مخططة بالوان تحاكي ريشه ومنه
ما بيوضه بيضاء او بلون اخر غير مشوب بغيره لا تماكي ريشه في
شيء ثم ان بيوضه مختلفة الاشكال والهيئات والمقادير فمنها الكروي
والمدبب والكبير والصغير وغير ذلك ومنه ما يلد الواحد ومنه
ما يلد الكثير حتى يبلغ عددا عظيما ومنه ما يكسى جسده بالريش
الذي يحفظه من الحر والقر ويناسبه في طيرانه بتكوينه المحكم لنظر
الى ريش الجناحين للطائر حيث لا بد من امتداده مقدارا كافيا
لحمل جسده في الطيران فقد جعلت اوائله الثخينة مفرغة لتخفف
عليه في الطيران ولكن مع تفرغها قد جعلت مادتها صلبة لدنة
تتحمل الفواعل ولا تنقص بسهولة وجعلت اواخر هذا الريش
مملوءة بمادة لينة خفيفة لا يثقل حملها ذلك تدير عجيب تجزم عند
مشاهدته العقول بحكمة صانعه سبحانه ومع ذلك فقد اعطى الطيران
غير ذي الريش وهو حيوان مكسو بالوبر ويطير بجناحين مكوّنين
من جلد رقيق ويخالف بقية الطيور ايضا بانه ذو فم باسنان واكف
صغيرة نابتة على جناحيه وذلك هو الخفاش الذي له خواص
الحيوانات اللبونية فيشابهها في هيكله ومنه وتوالده وارضاعه
ويخالفها بانه يطير في الهواء كسائر الطيور فسبحان من لا يحكم عليه

في مصنوعات ناموس ولم تقصر قدرته على طريقه واحدة من طرق
العمل فيلزمها ولا يتجاوزها الى غير ما بل يفعل ما يشاء وينوع
مخاوقاته على ما يريد ومنه ما هو مكسب بالصوف او الشعر او بالوبر
او بالعظم كالسليخة او بالقتور الغضروفية ومنه ما ليس عليه الا
الجلد والبشرة ثم في اختلاف هياته واشكاله ما يدهش العقول
فمنه الطويل والمستدير ونصف الكرة ومنه طويل اليد من قصير
الرجلين كالظرافة ومنه بالعكس كالارب ومنه قصير العنق ومنه
داويله حتى ان بعضه يلف عنقه كما يطوق الحمل وذلك كمئات
اكبر من العصفور يوحد في بلادنا ومنه ذو اليمينين ومنه ذو
العيون كبعض العناكب ومنه ذو الذنب ومنه ذو الالية ومنه
مستطيل الاذنين ومنه مستديرها ومنه ذو الحافر وذو الظاف
وذو الحنف وذو القدم وذو البراشن ومنه ذو الكرش لحزن كمية من
الطعام النباتي الذي يحتاج الى كمية كثيرة منه لكفاية الغذاء
وذلك في اكلة النبات ومنه ما ليس له الا المعدة لان غذاءه
الحيواني يكفي منه لتغذيته كمية قليلة ومنه ذو الاسنان الصالحة
لتمزيق اللحم الذي يكون غذاءه ومنه ذو الاسنان التي تصلح لقضم
النبات الذي هو غذاؤه وان في تكوين الاسنان لاسيا في الانسان
وترتيب وضعها لعبرة لاولى الابصار فقد وضعت القواطع منها

في مقدم النعم محددة صالحة لقطع ما يحتاج لقطعه ويكتنفها
الانياب مرأسة تصلح للكسر والتفتيت بحسب شكلها الذي يعكس
شكل المناول وقد اكتنفتها الاصراس مستورة عن النظر مكونة
على شكل تصلح به للسحق والطحن وانظر لو خولف هذا الترتيب
فوضعت الاصراس في مقدم النعم واخرت القواطع ماذا كان
ينشأ من عسر تناول الغذاء وماذا كان في منظر النعم من البساعة
فسبحان الحكيم الخبير ثم في اختلاف ملاح الحيوان ما يبرر الالباب
فمنه المخالب والانياب والترون والخراطوم والذبان والسهم الناقع
والفساء الكريه كما في الظربان وفي اختلاف تسميته رزقه واحتياله
عليه لاسيما الحيوان الاعجم عبرة لمن يعتبر فمنه ما يخرج من جسده
مادة ويمسكها شبكة ينصبها مثل الذباب ليعاق بها فيفتسه وذلك
كالعنكبوت ومنه ما يحفر قلبيا في الرمل ويستتر في اسفله فاذا
وقع فيه حيوان من نوع صيده اقتصره واذا وقع فيه ما لا يصلح
لغذائه دفعه بحركة عجيبة تخرجه الى خارج القلب وذلك كحيوان
صغير يوجد في الرمل يسمى البعض باسد النمل ومنه ما يختطف
الحيوانات الصغيرة الطائرة في الهواء مثل الذباب وذلك كالخطاف
ومنه ما يحفر الارض للوصول الى رزقه ومنه ما يتساقى الاشجار ومنه
ما يغوص في البحار ومنه ما يطوف في القفار ومنه ما يقف في باب وكر

صيده ويفسوفساء كريها حتى يميتها بذلك ثم ياكله وذلك كالنظر بان
مع الضب واختلاف اقواته وكيفية تناوله لها وادخاره اياها امر
في الغرابة عريق فمنه ما يقتات بالحبوب ومنه بالاوراق ومنه
بالاثار ومنه باللحوم ومنه بالحشرات ومنه بانفس القوت ومنه باخذه
واقذره وانجسه وذلك كالخنزير الاهلي ومنه ما يبلغ قوته بلاءه ومنه
ما يعضه مضغا ومنه ما لا يدخر قوتا ومنه ما يدخر قوته في الصيف
لاوقات الشتاء وله تدبير عجيب في ادخاره وذلك كالنحل والنمل
وهذا الاخير اذا لحق ذخيره رطوبة الارض اخرجها في الصحو
الى نور الشمس حتى تنشف ثم يخرق الحبة التي يدخرها حتى
لاتنبت من الرطوبة وقد يخرق بعض الحبوب اكثر من خرق
لادراكه ان الخرق الواحد لا يمنع نباتها وذلك كحبة الكربرة فسبحان
الهادي المبين ثم في اختلاف الوانه ما يبهج النظر ويحير الفكر فمنه
الابيض والاحمر والاصفر والازرق والاسود والمنقش بالالوان المختلفة
ثم نرى النوع الواحد منه متساوي الافراد في لون واحد او متساويها
في نقش واحد وذلك كالغراب والحجل وانواع من العصافير
ونرى نوعا اخر مختلف الافراد في الالوان كالخيل او في النقوش
كالدجاج ومنه ما نقوشه منتظمة بكيفية واحدة كالنمر والطاووس
ومنه ما ليس كذلك كالدجاج والحمام والققط والشيء بالشيء

يذكر قد سمعت عن بعضكم ايها الماديون يعلل انتقاش جلد النمر
بانه في القرون الغابرة كان يجلس تحت الاشجار المظلة قليلا فتصل
اليه اشعة الشمس من بين خلال اغصانها فانتقش جلده بذلك
النقش فارجو هذا المعلن ان يعلل لنا عن انتقاش ريش الطاووس
باللون الذهبي والاخضر والازرق والعسلي والاسود والكحلي وغير
ذلك باشكال منتظمة وتخطيط محكمة وعن انتقاش ريش الديكة
التي لا يرى واحد منها الا بانتقاش غريب عن كثير من افراد
نوعه وعن انتقاش ريش الورور والحسون وامثال ذلك كثير
ولست اجزم ببطلان تعليل هذا المعلن لانتقاش جلد النمر اذ
ربما يكون السبب هو ما قاله بخلق الله تعالى كما جرت عادته سبحانه
بترتيب المسببات على الاسباب ولكني اريد منه ان لا يجعل الامر
طبيعيا محضا بل يرد كل تعليل الى فعل الخالق سبحانه وتعالى والا
فاني استعجزه بطلب تلك التعليلات ثم اقول ومما يقضي منه العجب
في الحيوان اختلاف اصواته ومناظره فمنه المطرب الذي يهيج
بصوته القلوب ومنه ذو الصوت المنكر الذي يصم الاذان ومنه
الجميل الذي يستوقف الطرف كالطاووس والظرافة وبعض الديكة
وابدع الجميع جمالا واطرفها مثالا الحسان من نوع الانسان
فهناك دهشة النظر وحيرة الفكر والاخذ بجماع القلوب والسطوة

على ألباب ذوي الاحلام والسلطة على اية الجبابة والحكام ذل
عند القروء من ذلك عين او اثر لا وحق من زين العيون بالحرور
والجباه بالطرر ومنه ما تقشعر منه الجلود وترجف القلوب كالرياء
والشعبان والخنازير والسعدان ثم منه ما يختص بانثى ومنه ما ليس
كذلك ومنه الذي يسعى لرزقه منفردا ومنه ما يسعى اليه
مقبما اسرابا وهذا منه ما يكون اجتماعه على نظام الجحيم رزية ومنه ما
يكون على نظام الملكية ويقيم الحرس ويقدم الدليل والرائد الماء
والكلأ واختلاف اخلاقه امر عجيب قد الفت فيه الكتب فمنه
الجرىء والجبان وقريب الالفه للانسان وبعيدها غير ذلك
وكذلك اختلافه في القوة والضعف والصبر على عدم القوت رصدا
ذلك ومقاومة الفواعل الخارجية وعدم مقاومتها فمنه ما لو نخس
بابة في نخاعه الشوكي لما في الحال وبطلت حياته كما قيل في
الانسان ومنه ما لو قطعت ثلاث قطع راسه ووسطه وذنبه وتركته
بعض ايام لرايت الراس قد نبت له بدن وذنب والوسط قد نبت
له راس وذنب والذنب قد نبت له راس ووسط وكل منها قد رجع
حيوانا والراس يصير كذلك قبل سواء وذلك كحيوان يسمى الهيدرا
من الحيوانات الصغيرة جدا فكل هاتيك الاختلافات دلائل
شاهدة بان صانع هذا العالم الحيواني لا يحكم عليه في صنعه ناموس

ولا تلجئه ضرورة الى التزام طريقة واحدة في ابداعه بل هو واسع
القدرة والعلم والتدبير ينشئ نوعا على كيفية تكون كافية له في
مداشته رقيام نظام حياته كاملة في زينة مرآه وينشئ نوعا اخر منه
بكيفية هي بالضد من الكيفية الاولى وتكون كافية تلك الكفاية
وكاملة ذلك الكمال تنبيها للعقول وايقاظا للافهام انه فاعل مختار
لا يجهز شي ولا يعزب عن علمه غيب سمعانه وتعالى عما يقوله الجاهلون
ثم ما في الحيوان من التركيب العجيب وتكون الاعضاء والحواس
الظاهرة والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلافات ابنتها ودقائق
صنعها وانطوائها على الفوائد الجمدة والمصالح التي بنيت على الحكمة
امور تدهش الالباب وتخير الافهام وترشد كل لبيب على ان لهذا
العالم صانعا عليا ومدبرا حكما قادرا على ما يشاء مبدعا ما يريد
ولنذكر بالاجمال بعضا مما اطلع عليه علماء التشريح والفسلوجيا
الباحثين عن حقائق اعضاء الحيوانات وابنتها ووظائفها
ومنافعها والمقصود منها فنقول اذا نظرنا الى الحواس الخمس في
الحيوان لاسيا الانسان نجد انها في اعلى طبقات الاثقان واسمى
درجات الاحكام ما وضعت الا لحكم باهرة وفوائد ظاهرة ولم يكن
حصولها بالصدفة ولا على وجه الضرورة شاهدة بان واهبها واسع
الاحسان على مخلوقاته

فالبصر هو القوة المودعة في العصبية المجوفة في العين المتصلة بالدماغ
لتؤدي اليه صور المرئيات فتدركها النفس ثم العين هي آلة رسم
الصور بواسطة النور وهي أكل الآلات البصرية اتقاناً لانه قلما
يعتريها الخطأ الذي يعتري سواها من الآلات البصرية وتحكم
نفسها بنفسها لتحصيل الابصار جلياً وهي موضوعة في تجويف من
العظم يسمى الحجاج وموافة من ثلاث طبقات وثلاث رطوبات
مما يلزم لها من الرباطات والاوردة والشرابين والاغشية والعضلات
فالطبقات اولها الصلبة وهي غشاء لدن متين ظليل اي لا ينفذه
النور ولا يرى ما وراءه يحيط بباقي الصبقات وجميع الرطوبات
لوقايتها وحفظ نظام ترتيبها ووضاعها الا ان في مقدمه قطعة شفافة
كزجاجة الساعة في شكلها في التحدب من الخارج والمقعر
من الداخل ونازلة فيه كما تنزل زجاجة الساعة في حلقها النحاسية
وهذه القطعة تسمى القرنية وثانيتها المشيمية وهي ناعمة كالمنخل
سوداء اللون ومتوسطة بين الصلبة والشبكية وثالثها الشبكية وهي
مكونة من انبساط العصبية البصرية التي تنشأ من الدماغ وتدخل
العين من مؤخرها والرطوبات اولها المائية وهي سائل صاف شفاف
موضوع في غرفة وراء القرنية ويحد هذه الغرفة من ورائها حجاب
مشقوب من وسطه يسمى القرزحية ولونها اسود او ازرق او اشهل او

غير ذلك ويسمى الثقب الذي في وسطها البؤبؤ وثانيتها البلورية وهي جسم لدن املس شفاف كالعدة المحدبة من وجهيها وهي اكثف في الوسط منها في الجوانب وموضوعة وراء القرنية وثالثتها الرطوبة الزجاجية وهي جسم شفاف لزج كياض البيض النئ وتشغل ما بقي من الحلاء وراء البؤبؤ داخل العين حتى تصل الى الشبكية ثم ان العامل برسم صور المرئيات في العين هو النور الواقع على المرئيات والمنعكس عنها الى داخل العين والنور له نواميس قد فطر عليها بها ينقل الصور ويرسمها ولكن من مقتضى بعضها انه لو لم تدبر له الحكمة الالهية تدابير في تركيب العين لما تم الابصار ولكانت تتشوش على العين صور المرئيات وبيان ذلك ان النور اذا وقع على جسم كثيف خشن انعكس عنه ورسم صورته على ما يقابله خصوصا اذا كان المقابل صقيلا ولكن اذا وصل النور الى المقابل على خطوط مستقيمة يرسم عليه الصورة غير واضحة لان اشعته كلما امتدت انتشرت وتباعدت خطوطها فيحتاج في رسمه الصورة واضحة على الجسم الصقيل المقابل ان تكون الخطوط عند وصولها اليه متجمعة ثم ان خطوط النور انما تتجمع اذا حرت في جسم شفاف عدسي الشكل اي محدب الوجهين كالعدة او محدب الوجه الواحد ومستوي الوجه الآخر او محدب الوجه

الواحد ومقعر الآخر ثم الخطوط المتجمعة بسبب مرورها في هذه
الاشكال انما يكون معظم تجمعها في الوسط ولا تساويه اطراف هذه
الاشكال في الجمع لاسيما اذا كان الوسط اكتف منها وكذلك
تتجمع خطوط النور اذا مرت على جسم شفاف كثيف بعد مرورها
في جسم الطف منه بخلاف ما اذا مرت في جسم كثيف ثم مرت
في جسم اقل منه كثافة فانها تتباعد وتأخذ بالاتسار ثم ان النور
ينعكس عن كل الالوان الا اللون الاسود فانه يتشربه فلا ينعكس
عنه كما انه لا ينفذ الجسم الملون بالاسود وما يتأثر به وكل هذه
الالوان تمتصه وتخففه واكملها في امتصاصه اللون الاسود ثم انما يرسم
النور الصورة واضحة بعد تجمع خطوطه اذا كان الجسم المرسم عليه
على بعد مخصوص من الجسم الذي انعكس عنه النور او من الجسم
الذي نفذ منه النور اذا تقرر جميع ذلك وعامت ما ذكر من نوااميس
النور فلنشرح كيفية الابصار فنقول اذا وقع النور على المرئيات
انعكس عنها ودخلت خطوطه العين ورسمت على الشبكية صور
المرئيات وهي تودىها باحساسها الى الدماغ لكن بانعكاسه عن
المرئ تكون خطوطه مستقيمة ولوبقيت سائرة بدون تجمع حتى
وصلت للشبكية لكانت وصلت اليها منتشرة متباعدة فتترسم
الصورة غير واضحة فدبرت الحكمة الالهية انه في اول ما يدخل

النور العين يلاقي القرنية وينفذها وهي لتحذب وجهها الخارج
وتقمر وجهها الداخل تجمع خطوطه بعض الجمع ثم ينفذ الرطوبة المائية
وهي لكثافتها تجمع خطوطه ايضا زيادة تجمع وتلاصق بينها لتقوى
على رسم الصورة ولكن لما كانت الشبكية التي ترسم الصورة عليها
مقعرة فلو وصلت اليها جميع الخطوط التي تمر في المائية على هذا
المقدار من التجمع لرسمت الصورة على وسطها وجانبيها فتكون
حينئذ منبسطة مشوشة ولا سيما اذا كان النور كثيرا مجهرا للبصر
بكثرتة فدبر الحكيم سبحانه هذا الامر ووضع غشاء القزحية خلف
الرطوبة المائية مثقوبا من وسطه ثقباً حلقياً وهو البؤبؤ وجعل
توسعته وتضييقه تحت ارادة الناظر بسبب العضلات التي ربط
بها ذلك الغشاء حتى يدخل الناظر ما يحتاج اليه من كمية النور
النافذ من الرطوبة المائية فيوسعه اذا كان النور قليلا لتدخل كمية
كافية ويضيقه اذا كان كثيرا لئلا تتشوش الصورة ثم صبغ اطراف
القزحية المذكورة بلون اسود او ازرق او اشهل او غير ذلك فلما
يمنع نفوذ النور ويخففه بالامتصاص حتى لا تنفذ الخطوط الواقعة
على اطراف القزحية حول البؤبؤ وتصل الى اطراف الشبكية
فتتشوش الصورة كما قلنا ثم تنفذ الخطوط الرطوبة البلورية التي
هي محدبة الوجهين فتتجمع ايضا زيادة عما تجمعت اولا ولا سيما في

الوسط لان وسط البلورية اكتشف من اطرافها وقد جعل الحكيم
الخبير تلك البلورية تحت ارادة الناظر ايضا بان يزيد تحدبها او
ينقصه لان الخطوط النورية يزداد تجمعها كلما زاد تحدب الجسم
النافذة هي منه وينقص كلما قل تحدبه فالناظر يتصرف بها بحسب
احتياجه فيزيد تحدبها او يقلله ثم تنفذ الخطوط في الرطوبة
الزجاجية فتتجمع ايضا زيادة تجمع على ما قالوا حتى يكون التجمع
كافيا للرسم الواضح وحجم هذه الرطوبة هو بمقدار كاف لمسافة
امتداد النور من اول دخوله القرنية ونفوذه منها وما بعدها حتى
يصل الى الشبكية ثم لما تصل الخطوط الى الشبكية بعد تلك
التجمعات وترسم عليها الصورة تنفذ منها لشفافيتها كمية من الخطوط
وثقع على الصلبة وثلاثا تنعكس عنها وتصادم الاشعة الواردة من
الخارج فتتشوش الصورة جعل الحكيم جلت قدرته لون باطن
الصلبة اسود حتى يتشرب تلك الكمية من الخطوط النافذة اليه
من الشبكية ولا تنعكس ثم ان هذه الاوساط التي جمعت الخطوط
النورية جمعا بعد جمع ولخصتها ذلك التلخيص الكافي لرسم الصورة
واضحة بسبب الكثافة والشكل المحدب وتعيين المسافة بين الجسم
النافذ منه النور والشبكية وتسائط الارادة على توسيع طريق مرور
الاشعة وتضييقه وعلى زيادة التحدب وتقليله مع منع التشويش

ايضا بواسطة الالوان فقد كان تعدد تلك الاوساط لحكمة اخرى
باهرة كما قال بعضهم وهي ان النور اذا نفذ من جسم شفاف محدب
انحل لالوانه المعروفة في فن الطبيعيات وهي الوان قوس السماء
فتظهر الصورة التي ينقلها بنفوذ من الجسم المحدب ملونة بتلك
الالوان وهذا يسمى الخطأ اللوني وصناع الالات البصرية
يرفعون هذا الخطأ بضم جسم شفاف محدب الى الجسم الاول يحل
النور عكس حل الاول فيعود الى لونه الابيض ويوصل
الصورة غير ملونة ويرتفع الخطأ اللوني فعلى ما يقول ذلك البعض
ان من جملة حكمة الباري تعالى في تعدد تلك الاوساط المذكورة
وعدم الاكتفاء بامر واحد منها يجمع الاشعة دفعة واحدة دفع
ذلك الخطأ اللوني فاذا نفذ النور من القرنية مثلا وانحل لالوانه
تحله بقية الاوساط الجامعة لخطوطه من المائية والبلورية والزجاجية
عكس ما حلته القرنية فيعود الى لونه الابيض ويرفع ذلك الخطأ
هكذا يظن البعض وهو قريب من الصحة اقول انهم قالوا ان مقتضى
التجمعات التي تتجمعها خطوط النور بواسطة ما مرت فيه من
القرنية والمائية والبلورية والزجاجية ان لا تصل الى الشبكية الا
وقد تقاطعت وصارت الاشعة المنعكسة من اعلى المرئ واقعة على
الطرف الاسفل من الشبكية والاشعة المنعكسة من اسفل المرئ

نقع على الطرف الاعلى من الشبكية وحينئذ تكون صورة المري
مقلوبة وتد احتاروا في التعليل عن كون العقل يدرك صورة
المري قائمة وهي قد رسمت في الشبكية مقلوبة واتهر ما عللوا فيه
ان العقل اعداد على رؤية الاشياء المرئية قائمة حيث انها قد استوى
جميعها في هذا الانقلاب وشرحوا ذلك التعليل بكلام ركيك
فالذي يخطر لي ان اشعة النور بعد نفوذها من الهواء في القرنية
والمائية والبلورية التي هي شديدة الكثافة في الوسط تتجمع تجاهها
كافيا لرسم الصورة وانحسرة قبل ان تنقطع ثم اذا نفذت في
الزجاجية فلعل الزجاجية هي اقل كثافة من البلورية فتأخذ تلك
الاشعة في الاقتراق في مسافة سيرها في الزجاجية كما تقدم ان
النور تنتشر اشعته اذا مر في جسم الطيف مما مر فيه قبله حتى
تصل الى الشبكية فت رسم عليها الصورة قائمة لانها وحسات اليها على
الكيفية التي كانت عليها في اول ما نفذت في القرنية اي ان
الاشعة المنعكسة من اعلى المري وقعت على الطرف الاعلى من
الشبكية والاشعة المنعكسة من اسفل المري وقعت على الطرف
الاسفل منها وحيث لم تتقاطع الاشعة فيايزم ان ترسم حينئذ
الصورة على الشبكية قائمة هذا ما اراه على وجه الاحتمال وبه يرتفع
الاشكال ويظهر للزجاجية فائدة لم تخطر قبل هذا في بال وما قيل

ان البعض قد شاهد من فتحة في مؤخر العين الصورة على الشبكية
مقلوبة فهو كلام لم يتحقق صحته وان ثبت عندي فيكون لي عند
ذلك مقال

هذا والى هنا وصل الباحثون في كيفية الابصار فغاية ما عندهم انهم
اوصلوا رسم صور المرئيات الى الشبكية وقالوا انها تؤدى الصور
الى الدماغ ولكن في كيفية ادراك النفس او العقل او الدماغ
على راي من ينكر النفس لتلك الصور فلم نجد لهم كلاما شافيا
بل نجد الكثيرين منهم راقفين حيارى عند محاولة الكشف عن
حقيقة ذلك فاذا تأملنا في جميع ما تقدم من تراكيب العين
والتدبيرات التي وضعت لها لاتمام ابصارها فيكون لادنى القول
مجال ان يصدق بان ذلك الصنع العجيب الغريب في العين قد
حدث عن غير قصد وبدون حكمة بل الضرورة اقتضته والصدفة
اوجدته والانتخاب الطبيعي ابقاه كلاثم كلالا يصدق بهذا الاكل
ذي عقل سخيف وما من صاحب رؤية الا ويعتقد عند الاطلاع
على ذلك الصنع البديع ان له صانعا مريدا حكيما عالما مدبر الامر
وفق الاحكام والانتقان سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون علوا
كبيرا ولو نظرنا الى ان قطر العين اقصر من قيراط ومع ذلك يرسم
على شبكيتها صورة ارض واسعة بكل ما فيها من السهول والجبال

والاودية والصخور والمياه والاشجار والابنية والحيوانات مستوفية
التفاصيل فكأن الشبكية شاطئ بحر وامواج النور تجري اليه
من كل النواحي وتنفقس عنده الوف الوف على الوف الوف
لحارت افكارنا في دقة تلك الصورة التي رسمت على الشبكية وفي
صغر حجمها محاكية لتلك الارض الواسعة وجميع ما اشتملت عليه
لم تغادر منه شيئاً فما اسمى قدرة من ابداع ذلك ودبره بحكمته
سبحانه ما اعظم شأنه واذا راجعنا تشريح العين واطلعنا على ما
اكتوت عليه من العضلات والاعصاب لقائمة بوظيفة حركتها
والشرايين والاوردة الخادمة في تغذيتها وغير ذلك من الرباطات
والرطوبات ازاد بنا العجب والخيرة ثم اذا اتقلنا الى خارج العين
نجد من تدابير الباري تعالى في محافظتها وتسهيل طرق اداء وظيفتها
احكم صنع واثقن وضع وذلك ان العين لما كانت لطيفة يخفى عليها من
مصادمات الاجسام ولو صغيرة جدا وضعها خالقها داخل الحجاج
محفوظة به من كل جانب الا الجهة التي يدخلها النور ارسم الصور
وجعل الطبقة الاولى منها وهي الصلبة مع القرنية لدة حتى تقوى
على المصادمة بعض القوة وستردها ايضا بالاجفان لوقايتها لاسيما عند
المنام وللزينة ايضا ثم انبت على اطراف الاجفان الاهداب شعراً
اسود ثخيناً لدينا متصباً مع ميل الاعلى منها الى فوق قليلاً والاسفل

الى تحت كذلك اما سواده فليتشرب بعض النور الوارد على العين
لا سيما اذا كان قويا كما ان الحاجبين فوق العينين بلون السواد
او نحوه لاجل الزينة ولهذا الحكمة وهو تشرب بعض النور الوارد
على العين ولذلك نرى من كان لون حاجبيه واهدا به ابيض يجهر
بصره ويتخاثر وانما لم يحصل الاكتفاء بتقليل كمية النور وتخفيفها
بتنسيق بؤبؤ القرنية لان ادامة تضيقه يلزم منه دوام تخاثر
العينين وبشاعة المنظر واما ثخن شعر الاهداب وانتصابه مع لدونته
فلمقاومة الاجسام الصغيرة الواردة على العين فانها اذا ورد عليها
حبة تراب مثلا وقعت غالبا على الهدب فصادت شعراته كالخراب
المشرعة تمنعها من الوصول الى الداخل وتدفعها باندونتها الى بعيد
واما كون شعر الهدب الاعلى مائلا الى فوق قليلا والاسفل الى
تحت كذلك فلتسهيل افتراقها عند ارادة فتح الاجفان لانها لو
كانا متوازيين في الانتصاب لانتطبقا على بعضهما عند انطباق
الاجفان وبسبب رطوبة الدمع يتلاصقان فيعسر افتراقهما ولو
كانا متقابلين في الانتصاب بحيث تنداخل شعراتها عند
الانطباق لكان عسر افتراقهما مع الرطوبة الدمعية اشد وايضا هذه
الكيفية تجعلها في طريق النور فينقل صورتها الى الشبكية فتتشوش
صور المرئيات فوضعها في تلك الكيفية من الميل القليل الى فوق

وتحت هو عين الاقان والاحكام لا يابق سواء فضلا عن هذه
الفوائد في الاهداب والزينه بها لا ينكرها الاكل معدوم الدوق
السليم ثم لما كان الغبار لا يندفع عن العين لا الحجاج ولا بالاجفان
للاحتياج الى فتحها عند النظر ولا بالاهداب وهو يذهب بصقالة
القرنية ويعطل وظيفة شفافتها اذا وقع عليها ومع ذلك فتراكمه
على العين يجلب عليها الضرر دبر الحكيم سبحانه وتعالى لبلاءه عنها
افراز الدمع من الغدد الدمعية حول المقلة داخل الاجفان وجعل
الاجفان متابعه الحركة بالانطباق والانفتاح على غاية من السرعة
التي يضرب بها المتل حتى لا يتعطل الابصار ويتشوش والدمع
يغسل الغبار الذي يقع على المقلة والاجفان تحركتها تصقيا وتزيج
الدمع المحتزج بالغبار عنها ثم ذلك الدمع الذي صار فذرا بالغبار
لا بد من خروجه عن المقلة على وجه مناسب فلو انه كان يخرج
دائما الى ظاهر الاجفان ويسيل على الخدين لرأينا هالك منظرًا
بشيء ومسيلين من اقذر المبهيلات فدر الحكيم سبحانه وتعالى
انفصال ذلك الدمع عن المقلة تكون اطراف الاجفان من الداخل
بشكل يصلح لجريه الى الموق اي الطرف الذي يجاور الانف ثم
جعل هناك ثقبًا رفيعًا نافذًا الى داخل الانف يسمى القناة الدمعية
يخرج الدمع منه ويصل الى داخل الانف ويختلط برطوبته

ويتجمد هناك معها فيخرجه الحيوان بالاستنثار ونحوه اقول ان
هذه القناة الدماغية لا يصدق عقلي انها حصلت للحيوان بوجه
الصدفة او الضرورة فضلا عن جميع تلك التدابير واي ضرورة
اقتضتها فسبحان الحكيم الخبير

واو نظرنا الى منافع المصير للحيوان وفوائده باهتدائه به الى طرق
معايشه ونجاته من مخاوفه ورؤيته مباحجه وكشفه به ما يبعد عنه
ملايين من الاميال كما يكتب به ما يقرب منه لجزمنا بان واهبه
جزيل الاحسان واسع العطا متمفضل على منازقاته باتم النعم واكمل
المن تعالى شأنه ونقدس ساطانه

ثم ان اتباع محمد عليه السلام عند اطلاعهم على تدبير كيفية الابصار
بتلك الاوضاع وهاتيك النواميس يقولون ويعتقدون بان الابصار
ما هو الا بعض خلق الله تعالى وتلك الاوضاع وهاتيك النواميس
المشروطة لحصوله ماهي الا شروط عادية اي ان الله سبحانه اجري
عادته بان يخلق عندها الابصار ولو اراد ان يخلقه بدونها لفعل
كما انه اولم يرد خلقه مع توفر حصولها ورفع الموانع لما كان
ولا حصل ولهم على ذلك ادلة قاطعة مذكورة في كتبهم يطول الكلام
بسردها هنا وقد تقدم لكم في اثبات صفات آله العالم ما يفيد انه
لا اثر في العالم الا بخلقه سبحانه وايجاده والابصار من جملة الاثار

وما يناسب مشربكم ايها الماديون في طرق الاستدلال ويدل على
ان تلك الامور شروط عادية للابصار وانه يوجد مع انعدام افوى
اركان شروط وجوده وهو النور قصة مشهورة محققة ذكرها
كثيرون من كبار علماء الفلاسفة كما نقله بعض المؤلفين الباحثين
في هذا العصور هي ان فتاة في اميركا اصابها مرض كانت تقوم به
ليلا وهي نائمة وتشكم وتعمل اعمال المستيقظ ثم اشتد بها الامر الى
ان صار يعترها نهارا وليلا وكان بصرها يتغير عند حدوث هذا
التحال تغيرا لم يعهد اغرب منه فتقرأ ادق الحروف في الظلام الحالك
وعيناها مغمضتان وهذه القصة وفق ما يعتقده اتباع محمد عليه
السلام من ان الابصار بمحض خلق الله تعالى كما ان بقية
الاحساسات كذلك وان الشروط التي للابصار وغيره انما هي
شروط عادية كما ذكرنا هذا واذا اردنا ايراد جميع شروح الباحثين
لاعضاء السمع والشم والذوق واللمس وما اشتملت عليه من التراكيب
الغريبة وكيفية الاحساس بها وتدابير اتمامه على نواميس طبيعية
ومنافع هذه الحواس للحيوان وهبتها له على قدر احتياجه والقيام
بحفظه وهدايته لوجدنا ما هو عظيم المنزلة في المصنوعات ولشهدنا
من صميم الفؤاد بان الواهب لتلك الحواس تام القدرة واسع العلم
سامي الحكمة جزيل العطاء سبحانه وتعالى عما يصف الضالون ولكن

يراد تلك المباحث يطيل الكلام وربما يوقع في الملل ولو تأملنا
في بقية أعضاء الجسد وابنيته ووظائفها وما اشتمل عليه الجسد
الحيواني من السوائل والجوامد ومنافع كل منها لرأينا هناك ما
يشهد بان لجميع ذلك خالقا حكيما ومدبرا عليما ونشر لبعض ذلك
فنقول الا يكون للناظرين عبء وللباحثين تدبر وامعان واذعان
بوجود خالق للاكوان اذا نظروا لما احتوي عليه الجسم الحيواني
من مخ ومخنيخ ومجموع عصبي وقلب ورأيتين وكبد وطحال وكليتين
ومعدة وامعاء واوردة وشرابين واوتار وعضلات وغدد وغضاريف
وعظام وانسجة وسوائل من دم وصفراء ولعاب وعصار
المعدة والامعاء والبنكرياس وغازات وعرفوا ابنية هذه المذكورات
وظائفها وحركاتها واعمالها في الجسد من الهضم والتغذية والتنفس
والافراز ونظروا الى أعضاء التناسل واعمالها واتقانها وكيفية التوالد
والتدابير التي هيئت لحصوله ولحفظ الولد ونموه وتغذيته وغير
ذلك مما يحتمل شرحه مجلدات نعم إن العلماء الذين يطلعون على
تفاصيل هذه المباحث وتظهر لهم اسرارها ودقائقها وحكمهاهم
الجديرون بان يكونوا من اقوى الناس ايمانا بوجود آله العالم الخالق
الحكيم المدبر العليم ولوقيل انهم جديرون بذلك أكثر من بعض
علماء الكلام الذين يقيمون الادلة الاجمالية على ذلك لما بعد عن

التصديق فان اولئك القوم هم المطلعون على تفاصيل اعجب العجائب
في مصنوعات الباري تعالى وهل لنا دليل عقلي عليه سبحانه
الا بمصنوعاته وغرائبها فاذا تامها المتأمل واطلع على تناسيلها وظهر
له اتقانها والقصد والحكمة في تكوينها وسقطت من البين الضرورة
والصدفة تجدد الايمان قدر سخ في قلبه رسوخ الجبال وتسامى فوق
الافلاك عن ان تطاوله يد الضلال

ولو قال قائل انا نرى بعض اناس ممن يدخنون في المدارس التي
تدرس فيها علوم الكائنات لاسيا علم النبات والحيوان للتوصل
الى علم الطب ونحوه يخرجون بعد درسها ومعرفة اسماء مارقين من
الدين الاسلامي مروق السهم من الرمية فنراهم قد رفضوا
الاعتقاد بموجد العالم واحالوا وجود الكائنات واثار هذه الموحودات
على المادة وحركة اجزائها والطبيعة والنواميس وامثال هذه المسميات
ومتى هدم عندهم هذا الركن فاي اعتقاد لهم في الدين الاسلامي
يبقى واي عبادة لهم فيه تقصد واي ادب من ادابهم بمحمد ولا سيما
اذا درسوا فن الطبيعيات واطلعوا على نواميس الكائنات وكيفية
تأثيرها في التفاعلات فاين القول حينئذ بن الذين يطلعون على
تفاصيل تلك العلوم هم الجديرون بقوة الايمان والاعتقاد بوجود
خالق الاكوان فاقول اني اجيب ان شاء الله تعالى عن هذا

لاشكال الجواب الكافي الشافي وارغب الى اهل ملتنا المحمدية
ان ينتبهوا من جوابي لما حل في بعض ابنائهم من البلاء العظيم
والمصائب في الدين الجسم وليتداركوا هذا الامر قبل ان يعظم
الخطب فليعلم ان هذه العلوم التي تقدم ذكرها من علم النبات
والحيوان ومثلها علم الفلكيات والجويات وباقي العلوم الطبيعية
التي تبحث عن نواميس الكائنات من نحو نواميس النور والماء والهواء
والكهربائية وغير ذلك لا شك ولا ريب ان مباحثها تدل باقوى
الادلة على وجود الخالق لهذه الكائنات المبحوث عنها في تلك
العلوم وانه تام القدرة وسامي الحكمة اذ هي اتاره وانما يستدل على
المؤثر بالاتار لانه في مباحثها نكشف للعقول اسرارها وحكمها
وتظهر انها مصنوعة لقصد وموضوعة بتدبير ولكن طريق الاستدلال
على المؤثر يوجد فيها عقبة كئود هي مزلة اقدام ومزلة افهام وذلك
ان العقل البشري عندما يرى الاتار ويشعر في البحث عن مصدرها
تراه اذ لم يدقق النظر فقد يصل الى مصدر لها ظاهري فيظنه هو
المصدر الحقيقي فيقف عنده فبعض من خاضوا في تلك العلوم
واطلعوا على تلك الاثار التي يبحث عنها فيها اخذوا يبحثون عن
مصدرها بغير دقة نظر ولا تعمق في البحث ولم يكن عندهم ما يوقظ
افكارهم ويرشدهم الى المصدر الحقيقي من نحو الاعتقاد بشرع

صحيح فوصلوا الى مصادر لها ظاهرة من نحو المادة ونواميسها وقدرها
ايضا ان حركة اجزائها الفردية هي المصدر الفعال فاعتقدوا بوجودها
ولقصور تدقيق نظرهم لم تنتبه عقولهم الى ان تلك الحركة والنواميس
هل تصلح ان تكون مصدراً لتلك الغرائب والعجائب ام لا ولا
الى ان المادة هل تصلح ان تكون مصدراً غير صادر عن شيء اخر
ام لا بد من صدورهما عن غيرها لوجوب حدوثها فوقفوا عند ذلك
الحد واصبحوا معتقدين ان مصدر هذه الكائنات هو المادة
ونواميسها وحركة اجزائها ومنكرين لوجود آله لهذا العالم وصرخوا
على هذا الانكار وصاروا ينسبون كل اثر يظهر لهم الى المادة
وحركتها والنواميس التي اكتنفتها ويعبرون عن ذلك بعبارات
شتى ثقتنع بها عقولهم القاصرة فتارة يقولون هذا الاثر فعل الطبيعة
وتارة يقولون هذا الاثر فعل النواميس وامثال ذلك فباغوا الغاية
في جمود الاعتقاد ثم ان منهم من اهاتهم زخرفة تلك العلوم بان
يقاموا معلمين في المدارس التي تدرس فيها وجلبت بين ايديهم
تلامذة احداث اغرار لم يعلموا من الدين الاسلامي عقائده الحققة
ولا ما يجب ان يعتقدوه المؤمن في كيفية حدوث هذه الاثار
وتكون هذه الكائنات وانها بخلق موجد الارض والسموات فاخذ
اولئك المعلمون يشنون لاولئك التلامذة في غضون تعليمهم ما

انطوت عليه ضمايرهم من المعتقدات الباطلة وكلما اطلعوا على غريبة
من غرائب الكائنات وسر من اسرار الموجودات وحكمة من حكم
المصنوعات في اثناء درس تلك العلوم فعوضا عن ان يقولوا لهم
انظروا اليها التلامذة الى عجيب صنع الله وسامي حكمته في ايجاد
هذا الاثر الغريب يقولون انظروا الى فعل الطبيعة واعجبوا من اثر
الناموس الفلاني وهم جرا ولا يزالون معهم على هذا النمط حتى
ترسخ تلك الحالة في قلوبهم وتنطبع تلك التخييلات على صحيفة
افكارهم فلا تنقضي مدة اقامتهم في المدارس الا وقد اشربت
قلوبهم ان لا فاعل في الاكوان الا الطبيعة وحركة اجزاء المادة
والنواميس وينحل عقد اعتقادهم بان للعالم الها خالقا فيخرجون من
تلك المدارس وقد فارقوا دين ابائهم وملة اسلافهم وقد كان في
رجاء اهل الملة الاسلامية ان يكتسبوا بهم رجالا عارفين ينفعون
اهل دينهم ويحمون حوزة شريعتهم ويسعون في نجاح اوطانهم فيخيب
رجاهم ويخفق مسعاهم ويخسرون من عدادهم جما غفيرا يحسبون
منهم وهم الاعداء الالاء للدين والدولة والوطن يخالفون اهلهم
في الاعتقاد ويفارقونهم في سلوك مناهجهم وعزائم مقاصدهم فانا لله
وانا اليه راجعون فعلى اهل الحل والعقد من حماة الدين الاسلامي
ان يتداركوا هذا المصاب الآتي بالاوصاب فلا ينتخبون معلمين

لذلك المدارس الاكل من صحت عقيدته على المنهج الاسلامي
وسامت طويته من الزيف والضلال وكان مؤمنا حقا وموقنا صادقا
بل متحملا باداب الشريعة قائما بتكاليها على قدر الامكان فان التلميذ
مرآة شيخه تنطبع فيه صورته كيفما كانت وعليهم ان لا يدخلوا
التلامذة في تلك المدارس حتى يقيموا اولامدة كافية في مدارس
دينية يصححون بها عقائدهم الاسلامية على اكمل الوجوه
بحيث لا تزعمهم الشبه ولا تهولم الاغاليط وتصلح نفوسهم بالاداب
وتألف القيام بالعبادات وان عسر ذلك لخوف فوت الوقت
الذي يصلح لتعليم تلك العلوم الدنوية فمن اللازم الضروري ان
يقام في مدارسها معلمون للعقائد الاسلامية وبقية احكام الدين
المحمدي يكونون كفاً لذلك يلازمون تعليمهم العقائد والاحكام
الدينية مدة اقامتهم من اول دخولهم في تلك المدارس الى حين
الخروج ولو في كل يوم ساعة من الزمان ويكونون محافظين على
عقائدهم وادابهم وعباداتهم في تلك المدة ويوفقون لهم بين احكام
الدين وما ظاهره مخالف له من تلك العلوم العقائية ففي هذين
الشرطين وهما انتخاب معلمين لتلك المدارس من اهل الدين
والاعتقاد الصحيح وتعليم التلامذة لعقائدهم الاسلامية وبقية
احكام ملتهم قبل الدخول في تلك المدارس اوفي مدة اقامتهم

فيها تحفظ عقائد اولئك التلامذة من الزين وتسلم ادا بهم الدينية
من الفساد وتضان عباداتهم من الاهمال بل تكون عقائدهم من
القوة والثبات في مكان لا يكتنفها من مشاهدة تفاصيل مصنوعات
الله تعالى وغرائب اعماله عند درسم تلك العلوم اذ كلما شاهدوا
صنعا عجيبا وسرا غريبا سمعوا معلمهم المؤمن يقول انظروا الى صنع
الله وسامي حكمته في اتقان هذا المصنوع البديع فيسبحون الخالق
جل وعلا ويمجدونه وتربو في قلوبهم عظمتة وتعظم في انفسهم
قدرته فيما تمضي مدة اقامتهم في تلك المدارس الا وقد اصبحوا من
خيار المؤمنين وافاضل الموحدين ترى منهم رجالا يحمون حوزة
الدين الاسلامي ويقومون بناصر الدولة والوطن نساله سبحانه
وتعالى ان يوفق اولياء امورنا لما فيه الخير لهذه الامة المحمدية
ويجعل مكافأتهم على فضل الله تعالى وشفاعة رسول الله عليه
الصلاة والسلام

هذا ثم اني اقول لكم ايها الماديون بعد جميع ما تقدم من النظر في
احوال المحسوسات لو خضنا في مجت الحياة والروح والعقل وقوى
النفس من الحافظة والذاكرة وغيرها لتنهنا في تيهاء هذا البر الشاسع
وغرقنا في اعماق هذا البحر الواسع ولم نصل الى تصور ماهية هذه
الحقائق حق التصور ومعرفة كيف تحفظ صور الاشياء عند

الانسان وتذكر بعد ان تنسى وتنزل عن صفحات الفكر وكيف
تنصور المعقولات وتقوم كليات الاحكام وجزئياتها في الاذهان
وكيف وكيف من كل مسألة في هذا الباب لم تنزل غامضة على
افكار العلماء واذهان الحكماء لم يفتح معاهولم تكشف خباياها وغاية
المدعين لكشفها ان ياتوا بكلام غامض مجمل لا يشفي الغليل ولا
ياسو الطرف الكليل فكأن ستر هذه الحقائق عن العقول البشرية
اعجاز لهم من الله تعالى لينبهم بذلك الاعجاز على انه اذا قصرت
افكارهم عن ادراك حقيقة انفسهم وعقولهم وقواها فاني لهم القدرة
معلى ادراك حقيقة الذي خلق تلك الحقائق وابدعها والغربة في
ذلك ان الانسان الذي خاض في عقله بحار المعارف وعرف
الافلاك والسيارات واطلع على عوالم الجمادات والنباتات
والحيوانات هو عاجز عن معرفة نفسه وما هو القائم بادراكاته
فسبحان من علم الانسان ما لم يعلم وحجب عنه معرفة نفسه وقواها
فاصبح لدى ذلك اعمى اصم ابكم فيا ايها الماديون ابعد جميع ما
شرحت لكم من الدلائل على حدوث الكائنات ووجوب وجود
خالق الارض والسموات تصرون على قدم المادة وان حركة اجزائها
هي المكونة للاكون وتنكرون اله العالم الذي نصب لكم الشواهد
على وجوده مما هو كالعيان اني اعيد عقولكم من الاختلاط وافكاركم

من الاختباط امعنوا النظر وحرروا الفكر ولا تغتروا بالشبه الواهية
والاغاليط التي ترميكم بالداهية فمدة الحياة قصيرة سريعة الزوال
وفي صحة ما يقول اتباع محمد عليه الصلاة والسلام تلاقون
بعد هذه الحياة عظام الاهوال وهناك لا ينفعكم الندم ولا ثقال
عثرات القدم والعاقل يتحرى الطريق الاحوط ويحتسب من
الموهوم البعيد الحصول فضلا عن القريب المأمول تأملوا في حالكم
وحال اتباع محمد عليه السلام تجدوا مثاكم معهم مثال رجلين
دخلا قصرا مشيدا متقن البناء يشتمل على مخادع محكمة ومقاعد
مزخرفة بابواب وشبابيك ومدارج ومداخل على غاية الاحكام
وقد زينت تلك المخادع بالفرش الفاخر والسرر الرفيعة واقامت
في ارجائه الاواني الثمينة وزينت جدرانها بالساعات وموازين
الحرارة وموازين ثقل الهواء واحتوى على المرتفعات اللازمة
لسكناه واحيط باجمل المنتزهات وابهج المناظر الزاهيات التي قامت
فيها الاشجار وربت فيها منابت الازهار وقد اجريت مياهه في
اقنيتها المتقنة وملأت منها حياضه المحكمة وكمل كل شي فيه من
لوازم المعيشة من كل ما يقول ناظره انه وضع لحكمة وقصد روية
واحكام فقال احد الرجاين الداخلين عند ما شاهد هذا القصر
وما احتوى عليه ان هذا الصنع لم يكن من نفسه البتة فلا بد ان

صانعا صنعه واثقن جميع ما فيه وهذا الصانع لاشك انه قادر على
صنعه وعليم بطرق تاليفه ووضعه وقد اشاه على غاية الحكمة واتم
الاثقان موفيا لوازمه ومكملا ادواته ليكون صالحا للاقامة وقضاء
حق المعيشة في نواديه وهذا الصانع وان كان غائبا عن نظري
ولم اره ولم اتصور في فكري حقيقته فاني لا اشك في وجوده ولا
ارتاب في صفاته التي تقتضيها صناعة هذا القصر من قدرته وعلمه
وحكمته واثقانه ورؤية شخصه ليست شرطا في اعتقادي بوجوده
واتصافه بتلك الصفات لان اثره وهو هذا القصر وما اشتمل عليه
يقنع عقلي في اعتقادي ذلك البتة ثم قال وان كان يشاهد في
مشمولات هذا القصر بعض اشياء لم تظهر لي حكمة وضعها فلا بد
ان يكون وضعها لحكمة وان خفيت علي لاني اقتنعت بما ظهر لي من
الحكم في هذه المشمولات ان واضعها حكيم فلا يضع شيئا بدون
حكمة وقال الرجل الاخراني لم اشاهد بنظري الصانع الذي تعتقد
انه صنع هذا القصر فانا لا اعتقد بوجوده ولا باتصافه بتلك
الصفات ولكن وجود هذا القصر في هذا الاثقان لا بد له من
مصدر صدر عنه فاخذ يتأمل يمينا وشمالا واماما وخلفا فنظر جبلا
مطلا على هذا القصر وفي اصله نبع ماء منه تستمد المياه التي في
القصر فقال قد ظهر لفكري المصدر الحقيقي لهذا القصر ولجميع ما

فيه وذلك ان الريح تنحدر من راس هذا الجبل من قديم الزمان
الى البقعة التي فيها هذا القصر فمن الوف من السنين لم تنزل
الريح تنقل الاتربة والاحجار وتجمعها في هذه البقعة على اشكال
وتضعها على اوضاع تتخالف وتوافق ومياه الامطار تنصرف باشكالها
وتجمعها وتفرقها كذلك واستمر تبدل تلك الاوضاع والاشكال تارة
بغير انتظام وتارة بانتظام باعمال الريح والمطر حتى بلغت مع
كرور الدهور الى هذا الشكل المنتظم بخادعه ومقاعده وابوابه
وشبابيكه ومدارجه وطرقه وحياضه واقنيتها والتصقت اجزائه
بخاصية الطين المبتل بماء المطر فاصبح قصرا مشيدا محكما بجميع ما
فيه من الصنع واما مياهه فانها انحدرت اليه من هذا النبع الذي
هو في اصل الجبل ولم تنزل تجري في ساحته على طرق مختلفة تارة
بغير انتظام وتارة بانتظام بسبب تحليلها لاتربة ارضه وبسبب فعل
الريح والمطر في طرقها حتى بلغت على كرور الزمان الحالة المنتظمة
التي هي عليها الان من سيرها في الاقنية وانصابها في الحياض التي
صنعتها الريح والمطر واما اوانيه وفرشه وساعاته وموازينه فهذه
ربما وقعت من بعض المسافرين الذين ينزلون بقوافلهم في هذا
الجبل او في هذه البرية فلم تنزل الريح تلعب بها وتنقلها من حيز
الى حيز وتتخالف بين اوضاعها فتقارب بينها وتباعد وتدخلها في

مخادعه وتخرجها حتى آل الامر على كرور الزمان الى ان الفرش فرشت
بانتظام والاواني صفت باحكام والساعات والموازين علقت
بالجدران وكذلك الاشجار والزهور التي في منتزهات ذلك القصر
وهي على اوضاع متقنة قد نقلت بزورها الرياح الى بقاءه فتمت
وبزرت هناك ولم تنزل تنقل بزورها وتخالف بين اوضاعها حتى
انتظم وضعها وترتبت حدائقها على الحالة التي عليها الان والحاصل
ان كثرة حركات الريح وتصرفات المطر وكون كل حركة او
تصرف قد يوافق ما سبقه وقد يخالفه فينشأ عنه وضع غير الوضع
السابق قد اوصلت هذا الصنع الى ما هو عليه وحيث وصل الى
درجة متقنة محكمة فقد قوي على الثبات امام فعل الريح والمطر
ولم تتغير اوضاعه واوضاع مشتملاته بعد بلوغ هذه الدرجة كما
تغيرت الاوضاع السابقة وزال اثرها لان تلك الاوضاع لم تكن متقنة
قوية على الثبات وانا لا استغرب صدور هذا القصر ومشمولاته
عما ذكرته لان الريح والمطر وان كانا غير عاقلين ولا عالمين ولا
يفعلان عن ارادة وقصد لكن كثرة حركاتهما وتصرفاتهما والتباين
فيها على مرور الزمان اوصلت هذا القصر ومشمولاته الى هذا
الاثنان ودليلي على ان صنع هذا القصر لم يصدر عن قصد ومراعاة
حكمة انه يوجد في بعض مشمولاته ما لم يظهر فيه اثر للقصد والحكمة

فيا ايها الماديون ان اول هذين الرجلين هو مثال اتباع محمد عليه
السلام القائلين بان الذي اوجد هذه الكائنات هو آله مرید قادر
علیم حکيم وان لم يصلوا الى رؤية ذاته فقد استدلوا بمصنوعاته على
وجوده ووجود صفاته وان لم يظهر لهم حكمة بعض الكائنات فقد
سلموا بان لها حكمة خفيت عليهم لما شاهدوه من الحكم التي لا تحصى
في بقية الكائنات وثانيهما هو مثالكم ايها القائلون بان حركة المادة
هي التي كونت هذه الاكوان على مرور الزمان بكثرة ما احدثته
من تباين اوضاع اجزائها على صور شتى حتى افضى الامر الى ما
هي عليه الكائنات الان وبالا انتخاب الطبيعي تم لموغها الى درجة
تقوى فيها على الثبات وهو الذي حفظ نظامها وابقى احسنها وتستدلون
على عدم وجود الحكمة والقصد في هذا العالم بان بعض الاشياء
منه لم يظهر فيها من القصد والحكمة اثر وغفلتم عن الالوف المؤلفة
من الحكم التي تشهد بان مصدر هذه الكائنات حكيم فتاملوا اي
القولين من هذين الرجلين احق بان نقبله العقول السليمة وتذعن
له الافكار الحرة الخالية عن التعصبات النفسانية والاهواء
الشیطانية وعار ثم وعار على ذوي العقول ان يتركوا الحق بعد
وضوحه ويكابروا في المحسوس بعد ظهوره والله يتولى هدايتنا
اجمعين

هذا وبعد جميع ما اورده لكم من الدلائل على وجود صانع العالم
سبحانه واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وانه
هو الموجد للمادة والماديات وجميع الكائنات مما يقنع عقولكم ان
شاء الله تعالى ويسلك بكم في سبيل الهداية فاني قد رايت في
كتبكم شيئا لربما تكون عقبة في سبيل ايمانكم ان لم تتأجلوا ازاحتها
من امامكم بقواطع البراهين واما اذا تحررتم الوصول الى الصواب
ومكنتم تلك الادلة التي اقمتموها لكم في قلوبكم وتصورتم عظمتها ذلك
الآله وسلمت بهجركم في سبيل المعرفة وقصور عقولكم عن الاحاطة
به سبحانه وبجميع اعماله فتلك الشبهة تسقط من البين ويكون
اعتقادكم بوجود ذلك الآله وابطحائه الكائنات امرا سهلا عليكم
لا يكلفكم ادنى مشقة وانا اذكر هنا اشهر تلك الشبهة المذكورة في
كتبكم وادحضها عنكم ان شاء الله تعالى باوفى بيان فاقول الشبهة
الاولى انكم تقولون لا يمكن ان تنصور عقولنا وجود شيء ليس بجسم
ولا مادة جسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة في صورة معقولة
ولا له قسمة في الكم ولا في الكيف فعله منه وليس متصلا به تعنون
بذلك الآله سبحانه وتعالى الشبهة الثانية انكم تقولون لا يمكن ان
تنصور عقولنا وجود شيء من لا شيء تعنون بذلك انكم لاتعقلون
حصول المادة من العدم الشبهة الثالثة انكم تقولون لو كان نظام

الكائنات بقصد وحكمة اكانت علامة القصد والحكمة تامة في كل شي مع اننا نرى اشياء لا تنطبق على القصد والحكمة بل هي بخلافها فلا تنطبق الا على الضرورة فاقول قد علمتم من جميع ما تقدم ان اتباع محمد عليه السلام يستدلون على وجود الله العالم وصفاته بهذه الكائنات لان وجودها بنفسها غير ممكن مع قيام الدليل على حدوثها وهذه الكائنات قد باغت من العظمة والصنع الغريب والاثقان والاحكام درجة رفيعة جدا تعجز عن الاحاطة بجميع العقول البشرية فهي اذن تدل على عظمة مبدعها وعظمة صفاته وسمو حكمته جدا جدا الى درجة لا تدخل تحت الحصر ولا تحيط بها الافكار وهكذا شان العقل البشري ان يستدل على مقدار عظمة المؤثر بمقدار عظمة الازهارها اتم ونحن نستدل على عظم الامم السالفة وسمو مداركها بعظمة اثارها ثم اذا نظرتم الى منزلتكم في العلم وهي انكم في غاية القصور فيه ولو انكم قابلتم كلما علمتموه من الحقائق بما هو باق تحت حجاب جهلكم لكان نقطة من بحر وذرة من رمال بر هذا الشي لا تنكرونه البتة لناخذ كتب الطب والكيمياء والتشريح والفاثلوجيا والباتلوجيا والجولوجيا والفلكيات والجويات وبقية العلوم التي برعتم فيها والفتم المجلدات الضخمة وطولتم الشروح فما نفتح صفحة او صفحات الا ونجدكم تقولون الامر

الفلافي لم تنزل حقيقته مجهولة او لم تصل العلماء الى شرح حقيقته
شرحا كافيا واختلفوا فيه ولم يقر قرارهم على شي قطعي في شأنه
او ان التي الفلافي لم تنزل وظيفته مجهولة او منفعة خفية الى غير
ذلك من العبارات التي تدل على كثرة ما تجهلونه من حقائق
هذه الاكوان ولا تزالون مجتهدين في كشف حقائق الكائنات
وابداء افكاركم فيها لدى المجمع العلمية وكثير منكم من يظهر له
خطؤه فيما اجتهد في كشفه وصرف مقدارا من الزمان لاجله هذا
امر مشاهد معلوم بينكم وبين جميع علماء هذا الزمان من غيركم
الصارفين اوقاتهم للاكتشافات العلمية وامثلته لا تدخل تحت
الحصر وان كابرتم في ذلك ولم تقرؤا بكثرة جهلكم وقلة علمكم فجهلكم
لحقيقة المادة التي ترونها وتلمسونها وعدم اجماعكم على بيان ماهيتها
وهي ام الكائنات عندهم هو اكبر شاهد على ذلك ومثله عدم
كشفكم لحقيقة ادراك الدماغ للرئيات والمسموعات والمذوقات
والملموسات والمشمومات ذغاية ما تقولون في ذلك ان العصب ينقل
صور الاشياء للدماغ وهو يدركها اما بيان حقيقة ذلك الادراك
بيانا كافيا فلم يتم لكم (ولن يتم) ومثل ذلك حقيقة الحياة فانكم
تقولون على مذهبكم فيها انها ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة
والعقل ظاهر من جملة تلك الظواهر واما بيان حقيقة ذلك الظاهر

بيانا شافيا كافيا فلم تظهروا عليه ومن ذلك مسألة جزئية وهي انكم تحققتم
ان النور بمقتضى سير اشعته ونفوذها في طبقات العين يرسم صور
المرئيات على الشبكية مقلوبة ولم تتحققوا كيف ان العقل يدركها
منتصبة وقد قدمت لكم احتمالا في هذه المسئلة لعله يرتفع به
الاشكال وهذا باب واسع يطول فيه الشرح ان اخذت بتعداد
كل ما تجهلون في مباحث علومكم ولكن الاختصار فيه البلاغ
والقول الشافي ان جهلكم هو القسم الكبير وعلى هذا اذا تصورتم
عظمة ذلك الآله بالاستدلال باثاره ونظرتكم الى منزلتكم في جهل
الحقائق كان من الانصاف والصواب ان لا تتناولوا الى معرفة
حقيقة ذلك الآله فان الذي بان عجزه عن ادراك حقيقة جميع
اجزاء الساعة المصنوعة لا يليق به ان يتناول مجرد رؤيتها التي
تدل على ان لها صانعا الى معرفة حقيقة ذلك الصانع وصورته
وشكله من انه ابيض او اسود او طويل او قصير او سمين او ضئيل
الى غير ذلك فان من يراه يتناول الى هذه المعرفة يقول له ان
هذا الامر منك سخافة عقل ان رؤية هذه الساعة انما تدلك على ان
لها صانعا قادرا على صنعها عالما به واما انها تدلك على حقيقةته وشكله
وصورته فليس من طبيعة رؤيتها الدلالة على ذلك كيف وانت لم
تعلم جميع اجزائها على الوجه التام وهي بين يديك مشاهدة حاضرة

تكلف نفسك معرفة حقيقة صانعها الغائب عن نظرك فتكليفك
نفسك بذلك تكليف شطط وسلوك سبيل غلط وان قلتم اننا
لا نروم فهم حقيقة ذلك الآله من مجرد النظر في هذه الكائنات
بل نعلم ان مجرد رؤيتنا اياها لا يدلنا على حقيقته ولا يشرحها لنا ولكن
نقول لا يمكن لعقولنا ان تتصوره بتلك الخواص التي ذكرتموها له
بل تجزم عقولنا بانه لا يمكن وجود شيء متصف بهذه الخواص من
انه ليس بجسم ولا مادة جسم الى اخر ما مر اذ لانعلم شيئا موجودا
من كل ما اطلعنا عليه متصفا بتلك الاوصاف المذكورة قلت
عدم تمكن عقولكم من تصوره لا يلزم منه عدم وجوده في نفسه اذ كثير
من الحقائق لم تكن كما وان تصورنا حق التصور ومع ذلك فهي موجودة
في نفس الامر لقيام الدليل على وجودها وهذا الجزم منكم بانه
لا يمكن وجود شيء متصف بتلك الخواص قد نشأ معكم من قياس
التمثيل كما يظهر من قولكم (اذ لانعلم شيئا موجودا من كل ما اطلعنا
عليه متصفا بتلك الخواص) فزعمتم ان كل موجود تلزمه اضداد
تلك الخواص قياسا على ما شاهدتم وهذا القياس ليس دليلا قاطعا
بل سماه اكبر روائكم دليلا خادعا وهو كذلك لانه كثيرا ما يخدع
الانسان ويوقعه في الغلط حتى يحكم على الشيء باحكام غيره مع
انه لم تكن له تلك الاحكام لفارق بينه وبين ذلك الغير لم يطلع

عليه المستدل وحيث يقال لكم ما المانع من وجود ذلك الآله
الذي ليس بجسم ولا مادة جسم الى اخر ما نقدم وعدم اقتداركم
على تصور حقيقته لا يفيد استحالة وجوده وقياسكم اياه على ما
شاهدتموه في العالم المادي حتى جزمتم بانه لا يمكن وجوده هو قياس
مغلوط لوجود فارق بينهما وان قلتم ما الذي يدعو الى اعتقاد وجوده
قلنا هي اثاره التي دلت عليه وان قلتم ما الذي يدعو الى تنزيهه
عن كونه جسما او مادة جسم الى اخره قلنا هو ما قام معنا من
الدلائل على ان المادة وما يتبعها من الماديات وخواصها حادثة ولا
يمكن ان تكون قديمة وهو سبحانه يجب ان يكون قديما ولو كان
مادة او ماديا اوله خواص المادة لكان حادثا مثلها وهو محال وقد
تقدم لكم شرح هذا في صدر المذاكرة معكم وان قلتم اننا نروم دليلا
يوصلنا الى تصور حقيقة ذلك الآله قلنا لكم ان اتباع محمد عليه
السلام قد ظهر لهم بالبحث والتدقيق ان الوصول الى معرفة حقيقته
وتصورها ليست بطاقة العقل البشري وكذلك جاء في ظاهر
نصوص الشريعة المحمدية وذلك لانه سبحانه عظيم جدا ومدارك
العقول البشرية حقيرة جدا بالنسبة الى عظيمته وحقير الادراك
لا يصل بالمعرفة الى الحقيقة العظيمة العالية وقد افهمتم شريعتهم
ان الذي يكلفون به من جانب ذلك الآله هو معرفتهم به المعرفة

التي توصلهم اليها اثاره وهي الاذعان بانه موجود حي قادر مرید
الى آخر ما مر من صفاته التي تقدمت في صدر المذاكرة معكم
وكلفتهم ايضا باعتقاد بعض صفات له تعالى ليس لا ثباتها ولا لنفيها
دليل عقلي فعرفتكم اياها فاعتقدوها وقد نهتهم عن الخوض والبحث
في حقيقة ذاته لاجل عجزهم عن ادراكها ولخشية ان يتصوروها
في عقولهم بخلاف ما هي عليه فيقعوا في الجهل المذموم وقد حذر
بعضهم من ذلك البحث فقال (كلما خطر ببالك فهو هالك والله
بمخلاف ذلك)

ثم كما ان ذلك الآله عظيم جدا فاعماله في غاية العظمة يظهر ذلك
من التأمل في هذه الأكوان وما اشتملت عليه من الغرائب التي
حرلنا ذكر شيء قليل منها وانكم قد عجزتم عن ادراك كثير من
مصنوعاته واكتشاف حقائقها وازيدكم على ذلك هنا انكم تقولون
في اكتشافاتكم الجديدة ان الحركة تتحول الى قوة كهربائية
والقوة الكهربائية تتحول الى حرارة والحرارة تتحول الى نور فاسالكم
هل في وسعكم ان تنصروا كيف تتحول بعض هذه المذكورات الى
البعض الاخر ثم تعبروا عن تصوركم بعبارة تشرح لنا حقيقة هذه
التحولات لا اخال ان في وسعكم شيئا من ذلك غاية ما تقولون ان
تلك التحولات ناشئة عن تغير حركات اجزاء المادة واوضاعها واما

ايضاح ذلك، التغير وكشف حقيقته للاذهان وبيان الفرق بين
التحول الاول والثاني وبين التحول الثاني والثالث وهكذا فدون
ذلك خطر القتاد وكثير من امثال هذا تعجزون عن تصوره وايضا احه
فاذا كان عاجزكم فاشيا في كثير من اعمال هذا الآله في ممنوعاته
فما هو استغرابكم لعدم تصوركم انه كيف احدث العالم من لا شيء
مع ان عدم تصوركم لحقيقة الامر لا يكون دليلا على عدمه في نفسه
كما تقدم وان قلتم ان عقولنا تهيل حصول شيء من لا شيء
لان في جميع ماشاهه ما راينا شيئا حدث من لا شيء ولا استطاع
احد منا ان يحدث شيئا من لا شيء فلذلك حكمنا باستحالة ذلك
قلت ان عدم مشاهدتكم حدوث شيء من لا شيء لا يلزم منه ان
ذلك محال وعدم استماعة احد منكم لذلك لا يلزم منه ايضا عدم
قدرة ذلك الآله فيكمكم هذا ايضا بامتناع هذا الامر قد جاءكم
من قياس التمثيل الذي لا يكون قطعي الدلالة بل كثيرا ما يقع
في الخاط كما تقدم وقد قسم قدرة ذلك الآله على قدرتكم وعلمه
على علمكم واعماله على اعمالكم وهذا مع سنافته هو ظاهر الفرق بين
المقيس والمقيس عليه فشنان ما بينكم وبين ذلك الآله الذي اربد
هذه الاكوان على هذا الاثنان انتم الى الان مع طمأننتكم ببراعتكم
في صناعة الكيمياء لا تقدرزون على تحليل العناصر ولا تركيب جسم

حيوي يشتمل على خواص الحياة والصورة الحيوية وعجزكم عن
عمل هذين الامرين البسيطين وعن اعمال كثيرة من اعماله تعالى
لا يحتاج الى تطويل في تحرير البرهان عليه والدليل افلا تخجلون
بعد ذلك، ان تقيسوا انفسكم بذلك الآله سبحانه واعمالكم باعماله
على انكم او تأملتم في اعمالكم لا تجدون لانفسكم صنعا حقيقيا فيها
انظروا الى تحليلكم المعدن الفلاني مثلا الى عناصره او تركيبكم
المركب الفلاني من عنصرين او اكثر يظهر لكم انكم ما اجرىتم
الا الاسباب في التحليل او التركيب التي اطلعتكم على انها تكون
سببا في ذلك من نحو خلط كذا بكذا واحماء كذا وتغطيسه بكذا
حتى يحدث التحليل او التركيب اما حقيقة تميز العناصر وكيفية
انفصالها عن بعضها او حقيقة امتزاجها على اوضاع اجزائها التي
ينشأ عنها المطلوب فانتم في الحقيقة تعجزون عن تصور جميع ذلك
حق التصور وعن شرحه بالشرح الواضح فضلا عن انكم انتم الذين
عملتم ذلك كله وخلصتم الاجزاء الفردة لكل عنصر من بين
الاجزاء الفردة للآخر في صورة التحليل وخالطتم الاجزاء لكل عنصر
مع الاجزاء الفردة للآخر على الاوضاع اللازمة في صورة التركيب
وبهذا ظهر عجزكم في الصناعة ايضا كما ظهر عجزكم في الادراك
والمعرفة بعد ذلك تنطاولون الى قياس اعمال ذلك الآله على

اعمالكم وقدرته على قدرتكم وتحكمون بانكم اذا عجزتم عن
احداث شيء من لاشيء انه سبحانه يكون عاجزا عن ذلك اعوذ
بالله من الغرور فمن الواجب عليكم ايها الغرورون العاجزون
في العلم والعمل ان تسلكوا الطريق التي سلكها اتباع محمد عليه
السلام فانها المنهج العدل المستقيم الخالي عن كل عسف وهم قد
امتطوا فيه متن الاحتراس والحذر والاخذ بالاحوط وذلك انهم
قد قام عندهم الدليل القاطع على وجود آله العالم بمشاهدة اثاره
النورية العظيمة الدالة على عظمة ذاته سبحانه وظهر لهم عجزهم عن
تصور حقيقته لقصور مداركهم بالنسبة الى عظمة ذاته سبحانه
وهذا العجز لا ينفي وجوده الثابت عندهم بدلالة الآثار ولا
ينافي ايمانهم بوجوده الثابت عن دليل قطعي ثم قام عندهم
الدليل القاطع على ان العالم حادث بعد ان لم يكن ولا بد من
محدث احداثه من العدم وهو الآله سبحانه ولكن عجزوا عن
كيفية تصور ذلك الاحداث وهذا العجز لا يوجب استحالة
ولا ينافي الايمان به الحاصل عن دليل قاطع فقد ظهر هنا سقوط
قولهم عند ما يذكر اعتقاد اتباع محمد عليه السلام بوجود
ذلك الآله الذي ليس بجسم ولاله صفات الاجسام واعتقادهم
بانه احداث العالم من لاشيء (ان هذا الاعتقاد يحتاج الى ايمان

قوي ولا دخل له في سبيل العلم) كَأَنَّ ذَاكَ الْبَعْضُ يَظُنُّ أَنَّ
الْإِيمَانَ هُوَ التَّصَدِّيقُ بِالشَّيْءِ تَسْلِيماً رَاضِجاً وَاتِّقِياً أَعْمَى بِدُونِ
دَلِيلٍ جَازِمٍ وَلَمْ يَدْرِكْ ذَلِكَ الْغَرَانَةَ لَا يَكْمُلُ الْإِيمَانُ فِي الشَّرِيعَةِ
الْمُعَمَّدَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ عَنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ وَإِنَّ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ فِي هَذِهِ
الشَّرِيعَةِ هُوَ الْعِلْمُ الْجَازِمُ عَنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ
السَّلَامُ مَا تَبَيَّنَ حَقِيقَتُهُ بِهِ قَطْعِيّاً مَعَ إِذْعَانِ النَّفْسِ وَخَضَعِهَا لِذَلِكَ
فَبِكَذَا إِيْمَانِهِمْ بِوُجُودِ آلِهِ الْعَالَمِ سُبْحَانَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ لَأَشْيٍ
كَانَ إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ كَمَا مَرَّ شَرْحُهُ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرُونُ بِالْعَبْرِ عَنْ
إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ وَعَنْ كَيْفِيَةِ أَحْدَاثِهِ لِلْعَالَمِ مِنْ لَأَشْيٍ وَالْمُتَجَنِّزِ عَنْ
تَصَوُّرِ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ الَّذِي قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى وَجُودِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ
لَا يَنَافِي الْإِعْتِنَادَ الْجَازِمَ بِوُجُودِهِ عَنْ دَلِيلٍ فَإِنَّ اسْتِغْفَافَ ظَنِّ هَذَا
الْبَعْضِ وَمَا أَجْمَلَهُ فِي تَقْرِيرِ الْحَقِّ وَمَا أَسْجَحَ غَلَطَهُ فِي ذِمَّةِ الْإِيمَانِ
عَنِ الْعِلْمِ وَالْحَالِ أَنَّ الْإِيمَانَ أَكْمَلَ أَوَاقِعِ الْعِلْمِ فَقَاتِلَ اللَّهُ الْجَبَلَ
الْفَاضِحَ

هَذَا ثُمَّ إِنَّ اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ شَهِدُوا مِنْ أَسْرَارِ ذَلِكَ
الْآلَةِ فِي مَصْنُوعَاتِهِ الْحُكْمِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي تَفُوقُ الْأَحْمَاءَ وَلَمْ تَزَلْ
تُظْهِرُ لَهُمْ حِكْمَةً بَعْدَ حِكْمَةٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بَعْدَ مَا تَخْفِي عَلَيْهِمُ الْأَعْوَامُ
فَقُتِبَتْ عَنْدهُمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَكِيمٌ حِكْمَةً بَالِغَةً لَا تَحِيدُ بِحُكْمِهِ الْعُقُولَ

فاذا شاهدوا شيئا من الكائنات لم تظهر لهم فيه حكمة لم يتقدوا
انه وجد عبثا بدون حكمة بل تولون ان الخالق سبحانه حكيم
بدليل ما شاهدناه من حكمه التي لا تعد وكثير منها كان خفيا علينا
ثم ظهر لنا هذا الشيء الذي لم تظهر لنا حكمته نقول ان الحكمة فيه
تدخبت علينا لانه وجد عبثا وما يقع عقولنا بذلك ان
هذا الخالق عظيم جدا واننا نرى عظمة وفاته واسراره وحكمه في
نقله والعقول البشرية ما بلغت من السعة فهي بالذنب لذلك
حقيرة جدا وادراكها لا يمد ثيها بالقياس الى ذلك فكان من
المصائب بي شأنكم ايها الماديون ان تسلكوا ايضا هذه الطريقة
الجادلة التي سلكها اتباع محمد فتدعن عقولكم فيما ظهر لديكم من
حكم الكائنات التي تفرق الاحصاء والتي لا تنزل تظهر لكم حين
بدا حين بعد ما تخفى عليكم سنين بان الكون مبني على الحكمة
وانه لا شيء بدون حكمة ومن هنا تنصلون الى انه لا بد للكون
من صانع حكيم ولا شيء فيه حاصل بالضرورة العمياء وبدون
قصد واذا رايت شيئا لم تظهر لكم حكمته فموضعا عن ان تجعلوه دليلا
على انه لا حكمة ولا قصد في حصول الكائنات وتنصلوا بذلك
الى انكار الخالق تعالى ان تقولوا ان هذا الشيء له حكمة خفيت
علينا قياسا على جميع ما ظهر لنا من الحكم التي لا تحصى والذي

يقنع عقولكم في ذلك ان تنصروا عظمة ذلك الآلة وعظمة
اعماله في الكائنات وسمو حكمه التي اطلعت عليها ثم تذكروا ان
العقول البشرية بالنسبة اليه تعالى والى اعماله وحكمه تاصرة جدا
وادراكها لا يعد شيئا بالنسبة الى ذلك

هذا واني بعد ما قدمته لكم في دحض شبهكم الثلاث اريد ان
اضرب لكم مثالا يظهر لكم فيه خطأكم في الالتفات اليها فاقول تأملوا
ايها الماديون في الخيرات الكرسكوبية التي يوجد منها في نقطة
الماء الصغيرة اليف وملايين فهل تقدر بما لها من الادراك الذي
معها على قدر احتياجها في معيشتها ان تنصور حقيقة الانسان
وتنصور تناسيل اعضائه ووظائفها وكيفية سمعه وابصاره وشمه وذوقه
ولمسه وكيفية تغذيته واعمال اعضائه التغذية والدورة الدموية فيه
واعمال دماغه في تصورات وافكاره وان تعلم اعمال الانسان وصنوعاته
من الآلات البخارية والمنسوجات والمطعمات والادوية والتآليف
والمطبوعات والآلات التلغرافية والنفوفورافية والتليفونية
والنفوطغرافية وكذا وكذا وان تعلم كيف اخترعها ومن اي اشياء
وكيف استخلص الحديد وبقية المعادن من بطون الارض واصطنع
تلك الادوات الغريبة وان تعلم حكمة كل جزء من الآلات
المصنوعة له ولاي شيء صنعه هكذا مثلا اذا نظرت الى عمدا التلغراف

اسلاكها نمل تقدر ان تعلم حكمة ذلك ولاي غابة
راءه من المكينات التاغرافية وهي لم تشاهد الا العمد
فاذا فرض اطلاعها على اعمال الانسان العظيمة
على وجوده وعظمته وخفي عليها كثير من اعماله
يفرض اطلاعها على حكم كثيرة في مصنوعات
ك على انه حكيم تام الحكمة ذهابا يكون من الواجب
اني به ذا المقدار الذي معي من الادراك الذي
لعظمة ذلك الانسان وعظمة اعماله وواسع حكمه
برقة حقيقة ذاته العظيمة بل غاية ما عندي ان
وقدرته وحكمته لما شاهدت من اعماله واقرب بالعجز
نبر من كيفية عمله لمصنوعاته ولا انكرها لعدم ادراك
او اذا شاهدت شيئا من مصنوعات لم تظهر لي حكمته
زي عن ادراك حكمته حيث ان كثير حكمه في
انه حكيم واقول ان حكمة ذلك قد خفيت على
ي حينئذ اذا شاهدت عمد التلغراف مثلا وعليها
ل انها وضعت في الطرقات تحت الامطار وحر
وبدون حكمة وفائدة بل تقول لا بد لنا من حكمة
لي فذلك انتم ايها الماديون ما علومكم وادراكاتكم

بالنسبة الى عظمة ذلك الآله وعظمة اعماله ورحمة صلبه وسمو
حكيمته الا كادراك تلك الحيوانات النسبة الى عظمة الانسان
وقدرته وعلمه وحكمته في اعماله بل بنرق اكثر بكثير من ذلك
فبعد ذلك ما هو استعظاه كم لانفدكم واستكثر كم لمعارفكم لا اري
لكم تبليها الا طائفة من سبيدعي الالة الاسلامية قد استعظموا
انفسهم بالنسبة لله تعالى فاخذوا يشترطون عليه الشروط في سعادته
الحاقى و بوجوبون عليه الاستكمام فقالوا انه يجب عليه تعالى ان لا يفل
الا الصالح في حق الانسان وقد غفروا عن انهم بالنسبة اليه سبحانه
كتلك الحيوانات المكركوبية بالنسبة الى الانسان بل احقر
بكثير بما لا يحسد وغفلوا عن انه سبحانه هو الذي اوجدهم من الدم
وهو المالك المطلق لهم ولا رواحهم وهو الفاعل المختار المتصرف في
ما كنهه بما يشاء لا ينسب اليه الظلم كيفما تصرف فيه الا يرى لو ان
ملكاً عظيماً اخذ نقطة من الماء الذي هو ملكه وهي محتوية على
الالوف من تلك الحيوانات المكركوبية والقاها في النار حتى
تلاشت وتلاشى جميع ما اشتملت عليه من تلك الحيوانات التي
ربما تبلغ عدد البشر على وجه الارض هل يخطر في البال ان ذلك
الملك فعل محظوراً عليه وظلم بفعله تلك الحيوانات الحقيرة وهل
لاحد منازعته في ذلك وهو المالك المطلق لتلك النقطة ولجميع ما

حوته لا ينازعه الا كره من متعرض لما لا يساعد عليه مساعد
نعم ان ذاك الآله سبحانه قد تفضل برحمته وفضله على جميع المخلوقين
بالنعم التي لا تحصى - لكن لم يعطها لهم بطريق الوجوب عاين تعالى
بل بطريق التفضل والاحسان ولو لم يعطها لهم ورسا على جميع
المخلوقات لما كان ذلك منه الاحسان لانه لا يتصرف في ملكه لاحق
لاحد في منازعته يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد فبعد ظهور الحق
لديكم ايها الماديون وسقوط شبهكم الواهية فعليكم اذا نازعتكم انفسكم
وطلبت منكم التعرض لمعرفة حقيقة ذلك الآله سبحانه ان تقولوا
لها ان عقولنا البشرية تقتصر عن ذلك ويكفينا من ربه ما دلتنا
عائنه اثاره من انه موجود ومتصرف بانسفات التي تدل عاينها تلك
الآثار واذا طلبت منكم معرفة كيف اوجد العالم من لا شيء فقولوا
لها انا لم ندر جميع اعماله وكيف يعملها فايكن هذا من جملة ما
لا ندركه وعدم تصورنا له لا يقتضي ان ننكره واذا عرض لكم شيء
ولم تعرفوا حكمته ان تقولوا ان مبادئ العالم حكيم بدليل ما ظهر
من كثير حكمه في مصنوعاته وعدم ادراك حكمه هذا الامر
لا يقتضي عدم وجود حكمه له ولا يلزمنا انكار الحكم في الكائنات
ونلتجئ الى الضرورة العسواء هداانا الله واياكم لما فيه النجاة في
العقبى اللهم امين

والى هنا انتهى الكلام معكم ايها الماديون في اثبات حدوث العالم وتنوعاته
واقامة البرهان على وجود الآله الذي اوحده من العدم واتصافه
سبحانه بصفاته اللائقة به تعالى ودفع اشهر شبهكم في ذلك وتبي
الكلام في بقية ما ذكرتموه لي من مذهبكم وهو يشتمل على اربع
مسائل مهمة الاولى ان طريق حدوث تنوعات العالم من سماويات
وارضيات هو النشوء اي ان اجزاء الاثير تكون منها السديم ثم
الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنها ارضنا ثم تكونت فيها
العناصر ثم المعادن والمكون الاول البورتوبلاسم واخذ هذا بالترقي
والتوالد حتى بلغ ادنى نبات او حيوان ولم يزل هذان بما اكتنفهما
من ناموس التباينات ووراثتها وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي
يترقيان ويتنوعان وبشتق من الانواع انواع حتى بلغا ما هما عليه
الان من الانواع كل ذلك بحركة اجزاء المادة الاضطرابية والجري
على هذه النواميس

الثانية ان الانسان ما هو الا حيوان من جملة الحيوانات حادت
بطريق النشوء ترقى في التحسين بالانتخاب الطبيعي حتى بلغ ما
هو عليه الان وبمقتضى مشابهته للقرد لا يمتنع ان يكون قد استق
هو واياه من اصل واحد واخذ هو بالترقي عنه حتى فاق عليه
الثالثة ان الحياة وعقل الانسان ما هما الا ظاهر من ظواهر تفاعل

للمتحركة وعناصرها المحتزجة وان يكن اصل المادة خاليا
لادراك وان عقل الانسان لا يحالف عقول بقية
بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة

كم لبقية المسائل التي وجدتوها في الشريعة المحمدية
ث بعد الموت والسموات الى اخر ما عر وزعمتم ان
عليه في علومكم بان البعض منه ترقضه وتدل على
وبالله التوفيق اعلموا ان الكلام معكم في هذه المسائل
ديم مقدمين

ان النصوص التي ترد في الشريعة المحمدية ويعتمد
عتقاد كما يعتمد عليها في الاعمال والاحكام تنقسم
متواتر ومشهور فالمتواتر ما ثبت قطعيا وروده في
لما توفر فيه من الاسباب الموجبة للعلم اليقيني
والمشهور ما ثبت وروده فيها تبوتا قريبا من
انوفر فيه من الاسباب الموجبة لطأينة القلب
ب حوق الظن ودون اليقين ثم ان كاد من المتواتر
ن يدل على معنى لا يحتمل الدلالة على سواء
صرف والتاويل الى معنى اخر وهذا لا يوجد في
منه في الشريعة المحمدية ما يناقض معناه الدليل

لعقلي القاطع ولنسم هذا القسم بتمين المعنى واما ان يدل كل
من المتواتر والمشهور على معنى ظاهر متبادر منه ويحتمل الدلالة
على معنى اخر وان كان بعيدا وهذا قد يوجد فيما ورد منه في
الشريعة المحمدية ما يناقض معناه الظاهر الدليل القلي القاطع
لنسم هذا القسم بظاهر المعنى ثم ان حكم النص التدين المعنى في
لشريعة المحمدية انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده
بمعناه المتعين وانكار وروده او تكذيب معناه يوجب الكبراي
الخروج عن الدين الاسلامي ولا يجوز تاويله وصرفه الى معنى اخر
ذ هو لا يحتمل التأويل ولا يناقض شي منه الدليل القلي القاطع
حتى يحتاج لتاويله وان كان مشهورا فيجب ايضا التصديق بوروده
بمعناه وانكار وروده او تكذيب معناه يعد ضلالا وفسقا ولا يجوز
اويله وصرفه الى معنى اخر لما مر في المتواتر وحكم النص الظاهر
لمعنى انه ان كان متواترا يجب التصديق بوروده وبمعناه المتبادر
انكار وروده او تكذيب معناه بدون تأويل يكون كفرا ايضا
لا يجوز تاويله الا اذا قام دليل عقلي قاطع يدل على ما يناقض
معناه المتبادر منه فحينئذ يؤل ويصرف الى معنى غير معناه
لمتبادر على سبيل الاحتمال بحيث يصح التوفيق بينه وبين ما دل
عليه الدليل العقلي القاطع وان كان مشهورا فحكمه حكم المتواتر

الظاهر المعنى الا ان انكار وروده او تكذيب مناه لا يوجب الكفر
بل الضلال والفسق والمخلص ان النص المتعين المعنى من المتواتر
والمشهور لا يوجد في العقل ما يناقضه ولا يسوغ تاويله والنص
الظاهر المعنى منها لا يجوز تاويله وعصرنه عن معناه المتبادر منه الا
اذا قام في العقل دليل قاطع على ما يناقض معناه الظاهر وانما
يجاز حينئذ تاويله لان الجملة على اعتقاد المعنى المتبادر منه ورفض
ما يدل عليه الدليل العقلي القاطع يقتضي هدم الاصل وهو العقل
الذي ثبت به رسالة الرسل المتكلم بملك النصوص الشرعية اذ لو لا
العقل لما وصلنا الى الاستدلال على صدقه في دعواه الرسالة واذا
هدم الاصل هدم الفرع لاحالة نرفض الدلائل العقلية رجوع
على الدلائل النقية بالانتقض وفرع خلاف المطاوب هكذا الحكم في
كل نص ظاهر المعنى يناقض الدليل العقلي القاطع يرجع فيه الى
التاويل وذلك قاعدة كلية عند اتباع مذهب عليه السلام (كذا في
كثير من الكتب كتفسير الرازي في قوله تعالى لا يكلف الله نفسا
ومثله في المقاصد والمواقف) مثلاً قد ورد في القرآن الكريم في
قصة ذي القرنين قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدنا
ترب في عين حمئة فالمعنى الظاهر من هذا النص المتواتر ان
الشمس تغرب في عين من عيون الارض غلو لم يقم الدليل العقلي

القاطع على ما يخالف هذا المعنى الظاهر ويناقضه لكان من الواجب
في الشريعة المحمدية اعتقاد هذا المعنى المتبادر ولا يجوز تأويله
ويقال حينئذ ان خبر الصادق دل بمعناه الظاهر على ان الشمس
تغرب في عين من عيون الارض فيجب الاعتقاد بذلك اكن قد
قام الدليل العقلي القاطع على ان الشمس اكبر من الارض بكثير
ودخول الجسم الكبير في الصغير مع البقاء على مقدارها من المحال
وقام الدليل العقلي القاطع ايضا على ان الشمس لا تغرب في نفس
الارض فحينئذ وجب تأويل هذا النص احتمالا وصرفه الى معنى
غير ما يتبادر منه فيقال مثلاً والله اعلم بمراده بمحتمل انه تعالى اراد
ان ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس
بحسب رؤية الراي تغرب في عين حمئة لان الناظر الى الشمس
في سواحل البلاد الغربية يتخيل اليه ان الشمس تغيب في بحرها
الغربي المحيط بها وذلك لبحر كثير الحماة السوداء والظلمة وذو
سخونة وذلك اشارة الى ان الجانب الغربي من الارض قد احاط
به البحر سواء قلنا ذلك الجانب هو ساحل افريقيا الغربي او ساحل
اميركا الغربي وليس المراد ان الشمس تغرب في عين من عيون
الارض في نفس الامر (يؤخذ هذا التأويل من الرازي والجلالين
وتفسير الكواشي كما نقله الشيخ مرعي الحنبلي في كتاب عجائب

المخلوقات وما قاله اهل الاخبار من ان الشمس - حقيقة تنرب في
العين كلام على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة
فلم يبق الا ان يصار الى التاويل كذا في الرازي () وهكذا يقول
الواحد منا اني من المكان الفلاني وجدت الشمس تغرب في
الجبر ومن المكان الفلاني وجدت بها غربت خلف الجبل او في الوادي
الفلاني والحال ان اعتقاده انها لم تغرب في واحد من تلك المذكورات
وانما حكمي صورة رؤيته هذا واما اذا قام الدليل العقلي غير القطعي
بل الظني مناقضا للمعنى المتبادر من نص الشريعة فلا يسوغ
تأويل ذلك النص وصرفه الى معنى اخر غير متبادر منه بل
يجب البقاء على الاعتقاد بمعناه الظاهر ومن المعلوم ان الدليل
العقلي القاطع هو الذي يدل على مدلوله دلالة يقينية لا تختمل
النفيض واما الدليل العقلي الظني فهو الذي يدل على مدلوله دلالة
راجحة تختمل النقيض ولر احتمالاً بعيداً فبذلك الاحتمال ينزل
عن درجة اليقين ولا يعتمد عليه في المعتقدات الالامية فلا
يكون معارضا للمعنى الذي يظهر من نص الشريعة المتواتر او
او المشهور ولا يسوغ عنده تاويل ذلك الظاهر البتة ثم قد يوجد
في الشريعة المحمدية نص لا تنوفر له الشروط التي يبلغ بها درجة
المتواتر او المشهور فلا يكون ثبوت وروده يقينياً ويسمى بالاحاد

وهو ينقسم ايضا الى متعين المعنى وظاهر المعنى وحكمه في الشريعة
الاسلامية ان يعتمد عليه في الاعمال الشرعية اذ يكفي في حتمها
الظن ولا يعتمد عليه استقلالاً في المعتقدات الاسلامية حيث ان
ثبوت وروده ظني لا يقيني فلا يكفر منكر وروده او سناه كما
هو منصوص في كتب الاول ولكن الاحاد اذا نقانا الاول
وصارت معتمد الفقهاء في الفروع فلا يجوز انكارها حيث لم يارضها
ما رضى عقلي قاطع لئلا يجر ذلك الى انكار المتواتر والمشهور والعياذ
بالله تعالى) نعم اذا اکتنب الاحاد ما يقويه ويجمله فليدال اليقين
فيتمتعده عليه حينئذ في المعتقدات ايضا كما يعتمد على المتواتر
والمشهور فيها

القدمة الثانية ان الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد
منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه
بصفات الكمال والى كيفية عبادته واداء شكره والى الامور التي
توصلهم الى انتظام الماش وحسن المعاد واما تعريفهم بمباحث العلوم
الكونية من كبنية خالق العالم وماهي النواميس القائمة في الارباب
او في الارضيات وامثال ذلك فليس شيء من نحو ذلك من
مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هي معارف تنوصل الناس اليها
بعقولهم فرما ينتفعون بها في دنياهم وربما يكون حظهم منها مجرد

مع لا تنف إليها أولا وبالذات، ولا تمنني بتفاصيلها
 أو نهايتها على قدر ما يكون له دخل في مقاصدنا
 السموات، والأرضين وأبرازها من العدم واختلاف
 في التنوعات وكيفية تدبير الأكوان وإعطاء كل منها
 الجمال لأجل أن يكون ذلك دليلا عقليا للناس
 الموعى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة إلى غير ذلك
 تلك المباحث لداع يدعو إلى ذلك يكون مرجعه
 نافع لهم هاتين المتقدمتين فاعلموا أن الذي ورد في
 سنن المصنوع المتواترة أو الشهورة التي يعتمد عليها
 خصم من خلق الأكوان وتنوع الأنواع إنما هي
 فيها نفاصيل الخلق وكنياته لما قلنا أن ذلك ليس
 مرائع لكن ورد منها أن الله تعالى خلق السموات
 بها في ستة أيام وأنه تعالى استوى إلى السماء وهي
 سبع سموات (أي قصد إليها ونبي بفار ماء كما في
 اختلاف اتباع محمد عليه السلام في تفسير هذه
 متندا كل قائل إلى دليل من دلائل الشريعة
 كما يأمنا أي مقدرة بها لأنه حينئذ لم تكن شمس
 بعضهم أنها أيام من أيام الآخرة لأنه قد ورد في

اصطلاح شريعتهم ان يوم الاخرة الف سنة من مائتنا (تفسير يوم
بالف سنة مروى عن ابن عباس كما في مباحج الفكر للوراق) وقال
بعضهم انه يطلق على خمسين الف سنة ومع ذلك فهم متفقين على
ان الله تعالى قادر على خلق السموات والارض وما بينهما في اقل
من لحظة لما قام لديهم من دلائل عظيمة تدل على قدرته سبحانه وانما خاف
ذلك في ستة ايام لحكمة هو يعلمها وقد قيل ان من حكمة ذلك
تعايم عباده بعد ابلاغهم كيفية ما اجراء في خلقه ذلك على لسان الرسل
ان طريق التأني خير من طريق العجلة وارعلم العالم من نفسه
العصمة عن الخطاء في العجلة وورد ايضا من تلك النصوص ان
السموات والارض كانتا رتقا ففتقهما الله تعالى ونسج هذا النص
بعض اتباع محمد عليه السلام بانها كانتا شيئا واحدا ملتزقا احدهما
بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء حيث هي واقرا الارض
كما هي (رواه عكرمة عن ابن عباس ومثله عن عطاء والضحاك
والحسن وهو قول سعيد بن جبير وقتادة كما يؤخذ من الجمل
على الجلالين والرازي وجعله الرازي اولى وجوه التاويل كما في
سورة الانبياء) وفسره بعضهم بتفسير اخر وقد فهم بعض اتباع
محمد عليه السلام من نصوص الشريعة ان الارض خلقت قبل
السموات لكنها غير مدحوة اي مبسوطة صالحة للسكنى ثم استوى

الى السماء وهي دخان (اي كان خلقه قبل
سموات ثم دحا الارض اي بسطها وجعلها تصلح
لنا تناول النص الذي ظاهره يخالفه وفهم بعضهم
، قبل الارض وتناول ما ظاهره يخالفه (نقل هذا
، عن الرازي في فصلت ثم رايته فيه) ولكل
افق لاصول الشريعة المحمدية وورد من نصوصها
لى خالق الكواكب وجعلها زينة السماء الدنيا
رض فقال بعضهم هي مركوزة في نفس السماء
سرين كما نقله في مباح الفكر للوراق) وقال
سما بينها وبين الارض (نقله في كنز الاسرار
عن مكي في تفسير سورة التكوين وان صاحب
بن وهب ونقله في مختصر الهيئة السنية للقرماني
سرين وغيرهم وذكر مثله الشيخ مرعي الحنبلي
ب المخلوقات ونقل حديثا آحاديا يدل عليه
الحديث ابو جعفر محمد بن عبد الله الكسائي
ن ونقل الرازي اثره عن كعب في تفسير سورة
، الشمس دون السماء الدنيا اي وكونها زينة السماء
بن مركوزة فيها لجواز ان يراد زينتها بحسب مرأنا

وان كانت تحتها اقول ولعلمهم يتاولون قولاء وجعل القمر نيهن نورا اي
في السموات نظيره ذا التاويل ثم انفلك الذي ورد ان الكواكب تسبح
فيه قيل هو جسم يحملها وقيل هو مدارها اي الحيز الذي تسير فيه من
الفراغ (وهذا قول الضحاک كما في الرازي) والنصوص تدل على وجود
السموات وانها غير الكواكب كما يفهم مما مر وسياتي بيان ذلك عند
الكلام معكم على ما استنكرتموه مما ورد في الشريعة المحمدية والذي
عليه جمهور اتباع محمد عليه السلام ان السماء مرئية لنا وقال بعضهم
انها غير مرئية وانما المرئي الهواء (نقله في عجائب المنلوآت عن
القاضي ابي بكر بن العربي ولله يؤول النص الذي يدل ظاهره
انها ترى بتأويل مناسب) ثم هذا ملخص ما ورد من نصوص الشريعة
المحمدية التي تعتمد في الاعتقاد في خلق السموات والارض والكواكب
مع بيان ما ورد في الالهاء تلك الشريعة من الاقوال في فهم تلك
النصوص واما تفصيل خلقها وكنيات تكونها او تكون الشمس
والكواكب والارض كما تزعمون من ان اصحاب السديم ثم تكونت
منه الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنها ارضنا على النواميس
التي تذكرونها في كتبكم او على طريقة اخرى فلم تنص الشريعة
المحمدية على شيء من ذلك ولم يرد من نصوصها ما يثبت او ينفيه
لكن قد ورد في القرآن الشريف ما يشير الى ذم التعرض للبحث

من ذلك اذ قال تعالى ما اشهدتهم خالق السموات والارض ولا
خان انفسهم واذا نظرنا الى هذه التفاصيل التي تذكرنا في
تكون الشمس والكواكب والارض بعين الانصاف ظهر اننا فروض
وتنهينات كما يظهر من التأمل في شرحكم لها في كتبكم فيموز ان
يكن الله تعالى قد كونها على تلك الطريقة التي تقولون بها ويموز
ان يكون الحال بخلاف ذلك فما دامت تلك الفروض في درجة
الظن فاتباع محمد عليه السلام لا يجزمون بها في اعتقادهم ويكتفون
بها قد ورد في شريعتهم على احد الالوجه التي فهمها وقال بها
عالمهم نعم اذا ثبتت تلك الفروض بالدلائل القاطنة التي لا تشمل
المتقين ولا مجال للعقل في رفضها (وهيات ذلك) واقتضت
عقولهم بها فهم حينئذ يتوانون بها اي مع اعتقاد ان الله تعالى ارجد
التس وكونها وفصل منها الكواكب والارض على الكيفية التي
تذكرونها والنواميس التي قائم بها في ذلك التكوين تكون عندهم
اسبابا عادية لا تاثير لها في نفسها كالنواميس التي رخصها الله تعالى
في تكون بقية العوالم فالنبات مثلا يتكون بواسطة الماء والنور
والتراب وليس لذلك تاثير في ايجاد النبات وانما المؤثر الحقيقي هو
الله تعالى لكن جرت عادته في وضع تلك الاسباب وايجاد مسبباتها
عندها ومن الواضح حينئذ ان لاشي من النصوص المتقدمة ينافي

القول بهذا التكون الذي تقولون به كما لا ينبغي على التأمل وعلى
كل فالمتصود وهو الاستدلال بالآثار على مؤثرها حاصل ويمكنكم
أيها الماديون إذا اعتنقتم الدين الإسلامي واعتقدتم حدوث مادة
العالم بخالق الله تعالى كما أقمت لكم الدليل عليه فيا تقدم وأعتقدتم
بوجود سبع سموات كما سيأتي لكم بيانه وثبت لديكم بالأدلة القاطعة
تكون الشمس وانفصال الكواكب والأرض عنها على الطريقة التي
تقولون بها أن تقرروا اعتقادكم على وفق ما ورد منصوص
الشرعية المحمدية التي يعتمد عليها في الاعتقاد وعلى وفق ما فهمه
بعض علمائها منها فتقولون حينئذ هكذا أن الله تعالى خلق أولا
مادة العالم شيئا واحدا وقد سماه الله تعالى عند ذكر مادة السماء
دخاناً وفسروه ببخار الماء وهو السديم المنتشر في الخلاء ثم فتق الله
السموات والأرض أي أنه ميز مادة السماء عن المادة التي يريد أن
يكون منها الشمس والكواكب والأرض (ويعبري هذا على ما روي عن
ابن عباس ومن معه في تفسير الرق والفتق كما تقدم قريبا) ثم رفع
مادة السماء فوق مادة المذكورات ثم كون الشمس وفصل عنها الكواكب
والأرض (وهذا يجري على قول من يقول أن الفلك هو مدار
الكواكب أي حيزها من الفراغ كما تقدم) ولكن الأرض كانت بعد
فصلها غير مدحوة أي بصورة لا تصلح للسكنى ثم قصد سبحانه إلى

اي بخار ماء وهو السديم فسواها سبع سموات
 فما المرئي هر الجبلد (ويجري هذا على قول أبي
 تقدم) ثم دحا الارض بعد ذلك وكل ذاك
 ، نواميس مخصوصة وهي اسباب عادية وفي
 التي سماها . ستة ايام وهو قادر سبحانه على تكوين
 تلك النواميس وفي اقل من لحظة وعلى هذا
 . والارض تكرب قائمة تحت السماء بناه من
 به الله تعالى فيها وهو سبب عادي والفاء في
 لي ففي هذا التقرير يكون مذهبكم قد انطبق
 وص الشريعة المحمدية المتقدمة وعلى ما قال به
 ون السماء والكواكب والارض وفي مواقعها وعاليه
 بكم وبين الدين الاسلامي توجب اخراجكم
 لكن اتباع محمد عايه السلام لا ياتزرون القول
 ي م رحتن تنوم عندهم الادلة القاطنة على ثبوت
 ها في تكون الشمس وانفصال الكواكب والارض
 ون في الاعتقاد على ما تقدم ذكره من النصوص
 ريتهم ويتبعون راي جمهور علماءهم على ما في
 ويفوضون علم تفصيل ذلك الى الله تعالى لانهم

لم يكافوا بالبحث عن تنصيل ذلك واذا استشارا عنه او عن ادنائه من
كل ما لم يرد في شريعتهم تصرح فيه ولم تتم الاداة الفاطمة - اي
بل كانت اداته ظنية فان كان اني نمر من شريعتهم ونظيره
واذا راعى القرب به وان لم يمان ذلك - انه وحس قالوا فيتم
الصحة بمقتضى خلافا اذ هو امر مظهر

هذا ثم المدار في اعتقاد اتباع مد علي السلام في شأن عرا الكون
ان يعلموا لما جاز ما انها حادثة فلا بد لها من سبب وهو الله تعالى
احداثها ووجودها من العدم ووجودها الى انواعها التي تشهد الان ان
جميع ذلك لم يكن بتأثير طبيعية او نادر من النوايس التي تشهد في
تكرين بعض الكائنات اما هي اسباب عادية وضعها الله تعالى لذلك
وهو غني عنها قادر على احداث تلك الكائنات بدونها وهذا القدر
من العلم الجازم يكفيهم في الاستدلال على وجود الله تعالى واتصافه
بالقدرة والعلم وسائر الصفات التي تدل عليها تلك الآثار فعلى
موجب هذا الاعتقاد عند ما يكون النفاتهم الى خصوص تكون
عوالم الارض من معدن ونبات وحيوان كان من الواضح انه لا فرق
عندهم بين ان يعتقدوا ان الله تعالى اوجد انواع هذه العوالم الثلاثة
بطريق الخلق اي انه اوجد كل نوع منها ابتداء مستقلا عن غيره ليس
مشتقا من سواء سواء اوجده دفعة واحدة او اوجده بتكوين

متهم بل إن رقاء من . بل مادة على تطورات عديدة حتى بلغ
بهذا هو عليه وكل من تكبرن الدفني والتهمل من الإلهيات
العلمية الإنسانية تحية تصرف قدرة الله تعالى ودوره بعباده فاعل
منه لا حجب بآيه في سائر أي طريق أراد وبين أن ينفذوا أن
الله تعالى أوجد أنواع هذه العوالم بطريق النشوء أي أنه أوجد
المادة البسيطة ثم رقاها إلى عناصر ثم إلى ددان أو إلى أبسط جسم
سحي (البرتبولاسم) ثم إلى أدنى النبات أو الحيوان ثم فرج من
ذلك بقية الأنواع واستنق بعضها من بعض ويمنار أبقا البعض
ويبد البعض وأجرى جميع ذلك على زمام ربه في المادة
يتسبب عنها ذلك الارتقاء والتنوع إلى أن بلغت تلك العوالم
انواعها التي عليها الآن فكل من مدين الاعتقادين أي اعتقاد
طريق الخلق واعتقاد طريق النشوء في إيجاد العوالم المذكورة ما
دام مسة ما إلى خلق الله تعالى وأنه ليس لسواه تأثير كان من
حقه أن يكونني أتباع محمد عليه السلام لاستمدادهم على وجود الله
تعالى واتصافه بالصفات التي تدل عليها تلك الآثار وبعبارة
أخرى أن كلا من اعتقاد أن الله تعالى أوجد كل نوع من أنواع
هذه العوالم مستقلا عن غيره ابتداءً أما بدفعة واحدة وأما بتهمل
وتكون الأجسام بعد ذلك منتزعة في العقول ومتصورة من تلك

الا انواع وليس لها وجود الا في الصور الذهنية ومن اعتقاد انه
 سبحانه اوجد في الخارج مادة الاجناس اولا ولم يزل رقيقا وينوع
 منها الارباع ويشق الارباع من بعضها حتى بلغت ماهي عليه
 الان مر كاف للاستدلال على وجود الله تعالى واتصافه بالصفات
 المذكورة لكن النصوص المعتمدة في الاعتقاد التي وردت في
 الشريعة المحمدية في شان خالق عوالم الارض هذه خلاصتها ورد
 ان الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي وانه خلق كل دابة من
 ماء وانه بث اي فرق في الارض الدواب وانه خلق من كل
 زوجين اثنين وانه خلق من الانعام ازواجا (اي ذكررا واناثا كما
 في التفسير) وانه خلق الأزواج كلها (اي الاصناف كلها كما في
 التفسير ايضا) وانه خلق الزوجين (اي الصنفين كما في التفسير
 ايضا) الذكر والانثى وانه جعل في الارض من كل الثمرات
 زوجين اثنين (اي من كل نوع كما في التفسير ايضا) فانهصوص
 الثلاثة الاولى يحتمل ان يجري في تفسيرها بحد ذاتها على مذهب
 الخلق او مذهب النشو والنصان الاولان يوافقهما القول بالحديث
 لكم ايها الماديون ان تكون المادة الحيوية من الماء واما بقية النصوص
 المذكورة فالمعنى الظاهر المتبادر منها هو ان الله تعالى اوجد انواع العوالم
 بطريق الخلق اي انه اوجد كل نوع منها مستقلا عن غيره ليس

مشتقا من سراه اعم من ان يكون بايجاد دفعي او متمهل كما لا يخفى
على من يدري اذ اليب الكلام العربي لان من يقول مثلاً قدمت
لضيفاني من الاطعمة انواعاً يتبادر من كلامه انه اصطنع
كل نوع هـ متقلاً عن البقية وقدمه اليهم واما كونه اصطنع جملة
الطعام جنساً واحداً ثم فرع منه الانواع بترقيه في صناعة الطبخ
واشتقاق نوع من نوع فهو معنى بعيد عن الارادة لا ينفطر في البال
وان كان جائز الوقوع وربما يوجد في النصوص الاحادية التي
هي ليست مدار الاعتقاد ما يؤيد هذا المعنى الظاهر الذي تنيده
تلك النصوص التي عليها المدار ولكن مع ذلك كله لم يرد نص
يفيد ان كل نوع اوجده الله تعالى مستقلاً قد اوجده دفعة واحدة
او يتمهل نعم قد ورد في بعض النصوص الاحادية (في حديث
مسلم) ان الله تعالى خلق الشجر في يوم كذا من الايام الستة التي
اوجدها الله تعالى فيها السموات والارض ثم خلق بعده الحيوانات في
يوم كذا منها لكن هذا لا يفيد الا ان الحيوان تاخر عن الشجر في
الخلق واما ان كل نوع منها كان ايجاداً دفعياً او يتمهل فلا يفيد
شيئاً من ذلك فطلى ما تقدم من ظاهر تلك النصوص وبموجب
القاعدة المتقدمة من ان الواجب في الشريعة المحمدية ان يعتقد اتباعها
المعاني المتعينة او المعاني الظاهرة من نصوصها المتواترة او المشهورة

ما لم يعارض المعاني الظاهرة داليل عقلي قاطع يلجئ الى تاويلها
 يجب ان يكون اعتقاد اتباع محمد عليه السلام ان الله خلق كل
 نوع من عوالم الارض مستقلا ابتداء عن البقية ولم يخاتها بطريق
 النشوء ويشق نوعا من نوع وان كان قادرا على كذا الصورتين
 واما ان كل نوع خلقه دفعة واحدة او بتدريج وترق بـ بسبب انما ليس
 رضعها الله له فهذا مبداه عندهم التوقف حيث لم يرد في شريعتهم
 ما يفيد القطع باحد الامرين ولا يسوغ لهم بمقتضى حكم شرعي
 كما تقدم ان يعدلوا عن اعتقاد هذا الظاهر الى الاعتقاد بخلافه
 من نحو النشوء واشتقاق بعض الانواع من بعض كما تقولون ايها
 الماديون لان هذا خلاف ظاهر النصوص المتقدمة ولم يقيم عليه
 دليل قاطع يضطرهم الى تاويلها والادلة التي تذكرونها في كتبكم
 على النشوء ما هي الا ظنون وفروض لم تخرج عن دائرة الاحتمال
 الذي يسقط به الاستدلال كما يظهر من الاطلاع عليها مع خلو
 الغرض وما دام الحال كذلك فاتباع محمد لا يصرفون تلك النصوص
 عن ظواهرها ولومع اعتقادهم بان ذلك النشوء بخلق الله تعالى بل
 لا يسوغ لهم الصرف ما دام الحال كذلك نعم لو قام الدليل العقلي
 القاطع على خلاف ظاهر تلك النصوص كان عليهم حينئذ ان
 يؤلواها للتوفيق بينها وبين ما قام عليه ذلك الدليل جريا على القاعدة

خال ان دون ذلك خراط القتاد) فانتم ايها الماديون
ادلتكم على النشوءات درجة اليقين وهديتكم الى
مصدر عليه السلام الذي اساسه ان لا خالق لشيء الا
حجر عليكم في تاويل تلك النصوص وصرفنا عن
يتمها على ما قامت عليه الادلة القاطعة من النشوء مع
اقى الله تعالى ولا ينافي ذلك والحالة هذه ان تحسبوا
بين الاسلامي ولا يفوتكم شي من الاستدلال بهذه
وجود الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ولكن
الغلط وتوهم الدليل 'الظاني الذي يقوم عندكم انه
فليكن بالتدقيق والله الهادي هذا جميع ما حررت
ن تكون عوالم الارض بقطع النظر عن الانسان واما
في تكونه اذ كبريانه . مستقلا

د من نصوص الشريعة المحمدية التي عليها مدار
خلق الانسان ان الله تعالى بدأ خلقه من طين وانه
سب ومن طين لازب ومن سلاله من طين ومن حمأ
صلصال كالقنقار وورد انه خلقه من ماء قال بعض
ليه السلام (هو الامام الرازي) ان التراب والماء
ان اي انه خالق منها فتارة تذكر النصوص هذا وتارة

تذكر ذاك وورد ان الله تعالى خلقه بيديه وهذه العبارة تدل على ان خلقه كان بصورة ممتازة عن بقية الدوالم وورد انه سبحانه ساق البشر من نفس واحدة (ادم) وخلق منها زوجها (حواء) ومن منها رجالا كثيرا ونساء فهذه النصوص تفيد ظواهرها ان الله تعالى خلق الانسان نوعا مستقلا لا بطريق النشر ولم يشته من نوع اخر كما تقولون لاسيما النص الذي يقول بدأ خلق الانسان من طين وقد جاء في بعض النصوص الاحادية ما هو بين السراحة جدا بان خلق الانسان كان مستقلا وليس هو مستقلا من غيره ولا شك ان هذه النصوص وان لم يكن عليها مدار الاعتقاد بانفرادها فلا اقل من انها تقوى ظواهر تلك التي عليها المدار وتعضدها وايضا يبعد كل البعد ان يكون اصل الانسان المادة البسيطة ثم ترقى الى العناصر ثم الى المادة الحوية وهي البرتوبلاسم ثم الى ادنى حيوان ثم ترقى حتى بلغ القرد ثم الى القرد الانسان ثم الى الانسان كما تقولون ومع ذلك يهمل الله تعالى بيان جميع ذلك ويقتصر على قوله بدأ خلق الانسان من طين بل كان من حكمته ان يشرح تلك التطورات والترقيات ويفصاها حسبما جرى عليه في تفصيل خلق ذرية الانسان فانه فصله في نصوص الشريعة بانه خلقهم من تراب (اي لان غذاء ابائهم الذي يستحيل منيا

كان اصله التراب كذا يوخذ من الرازي وفي تفسير آخر ان
 معنى خاتمهم من تراب خلق ايهم ادم ثم من نطفة ثم من علقه
 ثم من منسفة ثم اخرجهم طائلا فان ذلك التفصيل له وقع في النفس
 في الدلالة على قدرة الخالق سبحانه لما فيه من نقل المادة من طور
 الى طور فسكوت النصوص المذكورة عن بيان النشو واشتقاق
 الانسان من نوع سواء واقتصارها على ما تقدم من البيان هو
 ظاهر في ان الانسان خلق نوعا مستقلا ليس مشتقا كما يقولون
 وان كان كلا الامرين من الجائز العقلي الداخل تحت تصرف
 قدرة الله تعالى نعم ليس في تلك النصوص صراحة بان الله خلق
 الانسان الاول من تراب دفعة واحدة او بتكوين متمهل على انفراده
 فسبيل هذا التوقف وعدم الجزم باحد الامرين حسب النصوص
 التي عليها مدار الاعتقاد وان كان قد يظهر من بعض النصوص
 الاحادية ان تكون ذلك الانسان (وهو آدم) كان يتمهل وسرت
 عليه مدة من الزمان والله قادر على كلا الطريقتين وقد صرح
 بعض علماء اتباع محمد عليه السلام (هو الامام الرازي) في تفسير
 قوله تعالى خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون بان خلق
 الانسان كان مبتدا مستقلا ليس مترقيا من الادنى حتى بلغ ما
 هو عليه وهذا ما قال ان اذا للمفاجأة يقال خرجت فاذا الاسد بالباب

هـ، إشارة الى ان الله تعالى خلقه من غير ان يكون له من تراتب كن
كان لا انه صار معدا ثم ما ثم حيرا ثم سانا هذا التارة الى
مسئلة حكيمية وهي ان الله تعالى يخلق ولا اسما فينبه انه يحى
اسانا نايما وغير ذلك لا انه خلق الالاحيوانا ثم يجهل انسا فخلق
الانواع من المراد الاول ثم تكون الانواع فيها الاجناس بتلك
الارادة فالله تعالى جعل البرية الاخيرة في الشيء البعيد عنها غايه
من غير انتقال من مرتبة الى مرتبة من التراتب لتي ذكره انتي
فهذا تصرح بان ذلك النص يفيد ان الانسان كان تكررته بطريق
اطلاق مستقلا ابتداء لا بطريق التشو كما تزعمون وطريق الخلق
هو الذي تظيه ظواهر بقية النصوص فاعتمد اتباع محمد عليه
السلام في الاعتقاد عليه لا على التشو ولا يجوز لهم تاويل تلك
الظواهر وصرفها عن معناها الظاهر الا اذا قام دليل عقلي قاطع يدل
على ان الله تعالى خلق الانسان بطريق التشو كما تزعمون (هيئات
هيئات) فعند ذلك يضطرون الى تاويل ظواهر تلك النصوص
كما هو القاعدة عندهم في التوفيق بين الدليل النقلى والدليل
العقلي المتعارضين وبعد ذلك لا يخفى ان التشو عندهم لو ثبت
هو غير التشو عندهم لانه لو ثبت عندهم كانوا يقولون هو بخلق
الله تعالى لما قام عندهم من الدليل على انه لا خالق ولا مؤثر سواء

والنواميس التي رافقت ما هي الا اسباب عادية لا تأثير لها البتة
واما النشوء عندكم فمر على زعمكم بتأثير تلك النواميس فشتان
ما بين الميتين ثم اتسموا ان الادلة التي تذكرونها في كتبكم على
الشريظهر للناظر بعين الانصاف انها لا تضطر اتباع محمد عليه
السلام الى تاويل ظواهر تلك النصوص والقول بالشو لا انها ادلة
ظنية مبناها الفروض وهم لا يضطرون الى التاويل الاممارة
اليقين كما علمتم فانتم لو فرض وصولكم الى ادلة يقينية قاطعة على
وجود الانساز بطريق النشوء واعتقدتم بالدين الاسلامي الذي
اساسه ان الله تعالى هو الخالق المالكوان ولا تأثير لسا راد عنها فلا مانع
يمنعكم من تاويل تلك النصوص وصرفها عن طاهرها للتوفيق بينها
وبين ما قام لديكم حنيئة من الادلة اليقينية ولا تخف جوف بهذه
الطريقة عن الدين الاسلامي واعيد تحذيركم من الرقوع في الغلط
بظن الادلة الظنية انها يقينية فمرروا الدليل واسترحموا والسبيل
وربما يعارضكم حنيئة ما قاله جمهور اتباع محمد عليه السلام من ان
الانسان الاول (آدم) قد خلق في جنة عدن التي هي غبار ارضا
او ما قاله بعضهم (هو السدي كما في كنز الاسرار) انه خلق في السما
الدنيا فان هذين القولين لا يوافقان النشوء الذي مبناه انه حصل في
الارض فلکم مناص عن ذلك بالجري على ما قاله بعضهم (هو من ذر ن

سميد البلاطي وجماعة كما في كنز الاسرار ايضا) انه خلق في
جنة من جنات الدنيا وبذلك تكونون قد وافقتم قولاً لا يتباع محمد
عليه السلام يدفع عنكم مضادة الدين الاسلامي وربما يعارضكم
ايضا ان الله تعالى بعد ما خلق الانسان الاول (آدم) خلق
زوجته منه واسكنها الجنة وتلك الجنة هي دار الثواب التي وعدها
الله تعالى عباده المؤمنين بعد الموت والبعث وهي غير ارضنا وهو
قول جمهور اتباع محمد عليه السلام فلكم مناص عن ذلك ايضا
بالجري على قول بعضهم (هو ابو قاسم البلخي وابر مسلم الاصفهاني
مفسر كبير كما نقله عنها الرازي) ان تلك الجنة كانت في الارض
ويحمل اهباطها منها على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله
اهبطوا مصر وان اشكل عليكم ايضا ما يقوله الاكثرون من
اتباع محمد عليه السلام (وهو غير مشكل اذ هو من الجائز العقلي
الداخل تحت تصرف القدرة الالهية هذا الحيوان الهيدر يقسم
ثلاثة اقسام ثم يعود كل قسم حيوانا مستقلا كما تقدم ولكن جارينا
الخصم لتسهيل الامر عليه) من ان الله تعالى بعد ما خلق الانسان
الاول (آدم) خلق منه زوجته (حواء) اي من ضلع من اضلاعه
اليسرى لما ورد في شريعتهم من النصوص الاحادية ان المرأة
خلقت من ضلع اعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها

بها واتصریح بعض اجلاء اتباعه بذلك (هم ابن
 س وبعض الصحابة كما في تفسيراني السعدي) فلكم
 ، ايضا بالجري على ما اختاره بعضهم (هو ابو مسلم
 الرازي) مؤلا النص الذي ورد في الشريعة من
 من الا انسان الاول زوجته بان المراد بخلقها منه
 ا قال في نص اخر جعل لكم من انفسكم ازواجا
 ايضا تكونون قد وافقتم بعضها من علماء اتباع محمد
 من التاويل وبهذا لا تصادمون الدين الاسلامي
 من عداد اتباعه اذ لم تكذبوا نصا معتمدا في
 و اجماع اتباع محمد عليه السلام على امر معلوم
 رة غاية ما اجرتم انكم خالفتم الاكثر ووافقتم
 نصوص تاويل يوفق بين الادلة العقلية والعقلية
 سواء السبيل

انه من ان اتباع محمد عليه السلام يعتمدون في
 صوص شريعتهم التي عليها مدار الاعتقاد لثبوت
 يؤلونها ويصرفونها الى غير الظاهر اذا عارضتها
 بل اذا عارضتها ادلة عقلية يقينية قد يخطر في
 الماديون مجالا ان تقولوا سلمنا ان اتباع محمد عليه

السلام لا يسوغ لهم ترك اعتقاد معنى النصوص المتمينة للمعنى ولكن
النصوص التي هي ظاهرة المعنى ، دامت تحتل معنى غير ظاهر
وان كان بعيدا فهي ظنية الدلالة على المعنى الظاهر وان كانت
يقينية الوجود فقد تساوت في الدلالة مع ما يقوم عندها من الأدلة
الظنية فما الحامل لهم على ترجيح تلك الظواهر على ادلتنا فانول في
الجواب ان النصوص الظاهرة المعنى وان كانت ظنية الدلالة على
المعنى الظاهر منها في حد ذاتها اذ يحتمل ان يراد منها المعنى البعيد
غير الظاهر ولكن الاصل في الخطاب ارادة المعنى الظاهر دون
خلافه الا لداع يدعو اليه فارادة المعنى البعيد من غير داع يكون
خللا في الافادة والاستفادة وخروجنا عن الاصل وفي ذلك من
المفاسد ما لا يخفى فلذلك اجمع اتباع محمد عليه السلام على اعتداد
المعنى الظاهر وعدم الالتفات الى المعنى غير المتبادر الا لداع يدعو
اليه وهو معارضة الدليل العقلي القاطع ويكون ذلك الداعي كالتقرينة
على ارادة المعنى غير المتبادر من اللفظ ويصير هذا المعنى بسبب
ذلك الداعي هو الظاهر وهكذا كلفوا من جانب شريعتهم ان
يعتمدوا المعنى الظاهر ولا يلتفتوا الى خلافه الا عند الداعي فلو
فرض انهم اعتقدوا الظاهر من اللفظ قبل ظهور الداعي الذي
يدعوهم للانصراف عنه يكونون قد اتوا بما كلفوا به ولا اثم عليهم في

ذلك. وان فرض انه ظهر لهم الداعي الى الانصراف عن الظاهر بما
ذلك وانصرفوا به يكونون ايضا قد اتوا بما كلفوا به ولا اثم عليهم في
ذلك اذ هو حكم شريعته وانما انحصر الداعي الى ترك الظاهر بمعارضة
الدليل القاطع لان رفض هذا الدليل رفض للاصل الذي
ثبت به صدق الرسول وهو العقل كما تقدم ورفض العقل يوجب
رفض الشرع واما معارضة الدليل الظني فلا يكون داعيا لترك
الظاهر لان رفض الدليل الظني لا يوجب رفض العقل كما هو
ظاهر لاحتمال انه فاسد فلو تركوا الظاهر واعتقدوا ما يدل عليه
الدليل الظني لكانوا في معرض ان يكون اعتقادهم خطأ وحينئذ
لا تذرهم الشريعة في ذلك اذ لا ضرورة تدعوهم اليه كما تدعوهم
الضرورة عند معارضة الدليل القاطع على ان اتباع الادلة الظنية
وترك الظواهر يوجب اختلاطا واختلاطا في الاعتقاد لا يحد فان
الظنون كثيرة كل يظن ظنا ويخمن تخمينا والاعتقاد يعتمد فيه
اليقين فكان من الصواب ان يتمسك باتباع محمد عليه السلام
بظواهر نصوص شريعته اليقينية الورود ولا يتحول عنها الى
خلافها لمجرد الظنون والله الهادي

وقد آن ان ايمن لكم ان ادلتكم التي ذكرتموها في كتبكم على النشو
وتوجيهاتكم له كل ذلك ظني لا يضطر اتباع محمد عليه السلام الى

تاويل نصوص شريعتهم الظاهرة المعنى بان وجود الدوام بطريق
 الخلق ولا اريد ان اتصدى المناخرتكم في ابطال ذلك والرد عليكم
 في كل ما قررتموه في اثبات تلك الدعوى لان ذلك يحمل كلاما
 كثيرا يخرج به عن موضوع بحثنا الذي نحن بصدده ومن حقه
 افراد كتاب لذلك اعاني الله على جمعه ولكن اريد أن ابين لكم ان
 معتمد ادلتكم على النشو وترجيهم له لم يتجاوز الظن والتخمين وبذلك
 كفاية لما هو غرضنا انقول ان منظم ما استندتم عليه في الاستدلال
 على نشو الانواع من اصل واحد انكم ساعدتم الاعضاء الاثرية
 في بعض الحيوانات لا في كها ولا في غالبها وهي اثار اعضاء توجد
 في الحيوان كاثار ارجل مثلا غير كاملة بل الذي يظهر منها مبدا
 تكونها فقلتم انه لو كان كل نوع مخلوقا مستقلا كما هو مذهب
 المخلق لما كان لهذه الاثار فائدة لان مذهب المخلق يقتضي ان
 يكون في كل نوع اعضاءه اللازمة له ذات الفائدة لا اقل
 ولا اكثر وهذه الاعضاء الاثرية لا فائدة لها الآن فيظهر
 انها اثار اعضاء في نوع قديم وقد كانت لازمة له ثم لما طرأ
 على هذا النوع تغيرات تقتضي استغناءه عنها اخذت ننالشي
 حتى لم يبق الآن الا اثرها او ان هذا النوع كان خاليا عن
 تلك الاعضاء فطرات عليه تغيرات تؤهلها لان ينقلب الى

نوع آخر يحتاج الى تلك الاعضاء التي ظهرت اثارها فابتدأت
تظهر فيه لآثار والخاصة ان تلك الآثار اما آثار اعضاء كانت
قديمة واخذت تلاشى واما مبادي اعضاء سوف تكمل وعلى
كل فقد ثبت صية التغير للانواع وانتقال نوع الى نوع آخر
وذلك يدلنا على صحة النشوء والارتقاء والافهام هذه الآثار وما استندتم
عليه بالاستدلال على النشوء والارتقاء انكم وجدتم في اكتشافاتكم
الجيولوجية ان الاسبق في طبقات الارض هو ادنى النبات وادنى
الحيوان ثم بعده الارقي فالارقي حتى كان ارقى الجميع هو المناخر
في زمن وجوده وسكانه من طبقات الارض العليا والادنى قد
تلاشى بعد ما وجد الذي هو ارقى منه فلو كان مذهب اليناق هو
الصحيح لكان يوجد من كل نوع من الارقي والادنى في الازمنة
الجيولوجية المتقدمة والمتوسطة والمتأخرة وكان يشاهد ذلك في
الطبقات السفلى والوسطى والعليا من الارض ولكن ذلك لم يكن
فلولا ان الانواع ترقية عن بعضها لبعض فاعل المبررات هي
الدنيا ثم اخذت تترقى حتى بلغت ما هي عليه الان وكان الارقي
يلاشي الادنى بتنازع البقاء لما كان الحال كما اكتشفنا ثم احلتم
ذلك الارتقاء وتحول الانواع لبعضها وملاشاة الادنى بالارقي على
اربعة نوايس الاول ناموس الوراثة اي ان الفرع يرث صفات

الاصول الثاني ناموس التباينات اي ان كل فرع من اقسامه لصفات
كانت في اصله لا بد ان يباينه في صفات اخرى الثالث ناموس
تنازع البقاء اي ان الانواع تنازع بعضها في التاثير الى اسباب
الموت ثم يراى عليها كوارب خارجية كالخمر والقرص والاك الضعيف
بتغلب القوي او بالكوارث ويبقى القوي المتقرب الى الرابع ناموس
الانتقاء الطبيعي اي ان القوي والانسب من الباقي والضعيف
وغير الانسب والمثلاشي فنتج عن ذلك انتقاء الطبيعة للانواع
الحاضرة ونقررون النشوء والارتقاء على وجهه انما يفسر هكذا
نقولون ان اول موجود من الاجسام الخيرية هو المكون الاول
البرتبلاسم نكزن من اجتماع بعض العناصر بسبب حركة اجزاء
المادة ثم اخذ ذلك المكون في التوالد فصارت فرعه تراث صفات
منه وتباينه في صفات اخرى وهكذا جرت الفروع مع الاصول
ويحدث الترقى بسبب ذلك الى ان بلغت رتبة ادنى الحيوان
والنبات ودام الحال على ذلك فنشأ من ارض الفروع لصفات
الاصول ومباينتها لها في صفات اخرى على كثر السمين وكثرة
التباينات الموروثة ان صار الحال الى تنوع الانواع واشتقاق بعضها
من بعض ونشأ من تنازع البقاء هلاك الضعيف وبقاء القوي
ونتيجة ذلك على طول الزمان حصول الانتخاب الطبيعي ومن

ذلك كله وصانف الزمان الى ما هي عليه الآن واصلمها واحد را
رايتم الانسان يشبه التره ويقاربه في صرته وبعض احواله قلتم
لا مانع ان يكونا متقنا من اصل واحد وبذلك النواميس نرى
الانسان عنا حتى وصل الى ما وصل اليه هذا واني رايت بعض
اخصائكم في مذهبكم هذا قد حاولوا ابطال مسندنا تكم بتطويلات
نورت السامة بلا نتيجة كافية وانتم تروغون منهم وتشهدون الادلة
لا ثبات مذهبكم وطالت في ذلك بينكم المناظرة والفقت فيها كتب
ورسائل بنطويل من دون طائل ولست متصديا الان لما تصدق
اليه اولئك الانضمام ولكن اريد ان ابين لكم ان ما تعتقدون عليه
في الاستدلال على الارثقاء والنشوا مور ظنية لا يعتمد عليها سيرة
الاعتقاد عند اتباع محمد عليه السلام ولا تعارض ظواهر نصوص
شريعتهم فتضطرمهم الى تاييلها اذ لا يضطرهم الى ذلك المعارضة
اليقين كما قدمنا

فاقول اعلموا ان الدليل متى طرأ عليه الاحتمال ولو كان احتمالا
بعيدا سقط به الاستدلال اعني الاستدلال على اليقين وهذا
حكم لا ينكر عند كل العقلاء ولا اخال انكم تنكرونه اذا نقرر ذلك
فاعلموا ان استدلالكم بالاعضاء الاثرية على النشوا بانها تدل على
تغير الانواع فتوافق مذهب النشوا ولا توافق مذهب الخلق هو

استدلال لا نتيجة له الا الظن وائس من اليقين في شي تطرؤ
الاحتمال فيه اذ لقائل ان يقول ما المانع ان تلك الاعضاء الاثرية
لها فائدة وفيها حكمة قد خفيت عليكم كما خفي عليكم فوائد اشيا
كثيرة توجد في اجسام النباتات والحيوانات كما يظهر من مراجعة
كتب الفاثولوجية مثلاً هذه المادة الملونة في جسد الحيوان
مجهولة الفائدة في اكثر اجزاء الجسد الا في المقلة فالحكمة منها في
المقلة امتصاص اشعة النور الزائدة وامثال ذلك كثير فانتم لم تحيطوا
علماً بفائدة كل كائن حتى تجزموا بان تلك الاعضاء الاثرية
لا فائدة لها البتة سلمنا انها لا فائدة لها وانها تدل على تغير النوع
الذي هي فيه لكن نقول انها لم توجد الا في بعض الانواع ولم توجد
في كلها بل ولا في غالبها وعلى ذلك فما المانع من ان التغير قد يوجد
في بعض الانواع وهي التي وجدت فيها تلك الاعضاء فيتمول
نوع الى نوع آخر باسباب وضعها الله لذلك واما باقي الانواع التي
لم توجد فيها تلك الاعضاء فقد خلقت مستقلة ولم يطرأ عليها ذلك
التغير فلم يثبت مذهب النشو الذي قلتم بهومه في كل الانواع
مثلاً يمكن ان يكون قد حصل تغير في نوع من الحيات التي
وجدتم فيها الاعضاء الاثرية فكانت اولاً مثل الحرذون ذات ارجل
ثم لما استشعر الانسان او غيره من الحيوان باذيتها تسلط عليها بالقتل

فصارت تحذره وتسلك في اوكار الارض وتنسل في التراب وتهمل استعمال ارجلها لاستغنائها عنها فعلى طول الزمان غير الله خلقها بذلك السبب البادي واخذت تتلاشى ارجلها بخلق الله تعالى وينتقل ذلك التغير الى فروعها ويورث ذلك التلاشي حتى باغت الى ماهي عليه الآن ولم يبق الا اثار تلك الارجل (هنا مجال لما ورد في بعض الآثار الاحادية عن ابن عباس وابن وهب وغيرهما من المفسرين ان الحية كانت من حيوانات الجنة فتوسطت لا بليس بدخولها ليوسوس لآدم عليه السلام ناهبها الله تعالى الى الارض ومسح صورتها وقد كانت حسنة الصورة ذات قوائم اربع نقله في كنه الاسرار) وهكذا يقال في بقية ما شوهده في الاعضاء الاثرية واما بقية الانواع وهي الاكثر فنقول انها لم يحصل لها ادنى تغير بل هي كما خلقت فعلى هذا التقرير يكون حكمكم على جميع الانواع بالتغير وباستنتاج النشوء منه حكما مبني على الظن الذي نتج معكم من الاستقرء الناقص الذي لا يفيد اليقين الاترون انه لو فرض ان اناسا كانوا يسكنون البراري البعيدة عن البحار والانهار ولم يشاهدوا الاحيوانات البر التي لا تعيش في الماء وحكموا بما استقروه من تلك الحيوانات بان الحيوان لا يعيش في الماء يكون استقراؤهم ناقصا وحكمهم خطأ واذا وردوا شطوط

البحار والانهار وشاهدوا حيوانا تباظهر لهم خطأهم في حكمهم السابق
هذا ثم ان مشاهدتكم في اكتشافناكم الحيوانية ان الابق سبب في
طبقات الارض هو ادنى النبات وادنى الحيوان ثم بعده الارق
فالارق حتى كان ارقى الجميع هو المتاحر في زمن وجوده وبمكانه
من طبقات الارض وانه قد تلاشى الادنى فالادنى الى آخر ما
نقدم من تقريركم واستدلالكم بذلك على الترقى والنشوء وان ذلك
لا يوافق مذهب الخلق فاقول دالة هذا الحال في الاكتشافات
بعد تسليمه على الترقى والنشوء مظنونة ايضا اذ يقال ما المانع من
ان اول ما وجد في طبقات الارض ادنى النبات وادنى الحيوان
ثم اوجد الله تعالى ما هو ارق منها مستقلا كل نوع منه ليس ناشئا
عن نوع من انواع ذلك الادنى ثم اباد الادنى لاسباب كونية من
نحو ان الدور الزماني لم يبق مناسبا له وانما يناسب ما وجد بعده
او ان الارق تغلب عليه او غير ذلك من الاسباب ثم بعد دور
آخر اوجد ما هو ارق من الثاني مستقلا كل نوع منه ايضا غير
ناشيء عما قبله ثم اباد الثاني لاسباب أخرى كونية كما تقدم ثم بعد
دور آخر اوجد ما هو ارق من الثالث مستقلا كل نوع منه ايضا
ثم اباد الثالث وهكذا الحال حتى وصل الدور الى انواع النبات
والحيوان الموجودة الآن مستقلة انواعها غير ناشئة عما قبلها وقد اباد

ما قبلها بمثل تلك الاسباب فبقيت احافيرها واثارها في طبقات
الارض واذا كان هذا الاحتمال قائماً فإين اليقين في استدلالكم على
الترقي والنشوء فإيا اظهرته اكتشافاتكم الجيولوجية وبهذا الاحتمال
لا تخالف تلك الاكتشافات مذهب الخلق ونظير وجود نباتات
وحوانات تلك الادوار الجيولوجية مستقلة غير ناشئة عن بعضها بل
كان وجود كل رتبة منها لمناسبة دورها الزماني ما نشاهده كل
عام في توالد كثير من النباتات والحيوانات عند انقضاء فصل
الشتاء ووقوع الربيع والصيف فان اول ما ينبت عند ذلك
النبات الذي مثل الطحالب والاعشاب ثم يتدرج الامر الى الارقي
فالارقي من النبات كلما تزايد الحمر وهلم جرا واول ما يتولد او تنفرج
عنه بيوضه الحيوان الذي مثل البكتوريا والحيوانات المتولدة في
النفوة والبراغيث والذباب ثم يتدرج الامر كذلك الى الارقي
فالارقي حتى يصل السرور الى بروز النباتات والحيوانات العليا
وليس شي من تلك الانواع ناشئ عن نوع اخر ومتولدا عنه ونرى
الانواع التي تنشأ اولاً في اول تلك المدة كلما تقدم زمن الحمر
يهلك كثير منها لاسباب بكونية من نحو تاثير الحريق او سيطرة
الانواع التي توجد بعدها ارقى منها ونحو ذلك وعند انتهاء مدة
الصيف لا يبقى غالباً الا الانواع العليا التي هي منتخبات جميع ما

تولد في تلك المدة والتي هلكت تبقى لها بقايا في الارض كبقايا
الاحافير فهذا الحال السنوي يكون حاكيا ومثلا للحالة الجيولوجية
التي اطلعتم عليها باكتشافاتكم من ان اول ما وجد الادنى ثم الارقي
فالارقي حتي وصل الحال الى الانواع الحاضرة وهلك ما قبلها وقد
سقط استدلالكم باكتشافاتكم على النشو كما هو ظاهر للمنصف ثم
النواميس الاربعة التي احلتم الارتقاء والنشو عليها ليست هي
ادلة تقوم عليها بل هي لكم بمنزلة واسطة توجيه كيفية جريان
الترقى والنشو في عالم النبات والحيوان فاننا لا اسلك معكم مسلك
اخصامكم الدين اخذوا في محاولة ابطال تلك النواميس واخذتم في
محاولة اثباتها ولكني ادين لكم منزلتها من الثبوت ومقدار ما ينتج
عنها متى ثبتت فاقول اما ارث الفروع لصفات الاصول فهذا امر
مشاهد لا ينكره اتباع محمد عليه السلام ويقولون انه جائز الحصول
بخلق الله تعالى سواء كان لاسباب عادية ام لا وكذلك تمازج
البقاء لامانع من حصوله وانه ينتج عنه ان بعض الانواع تبقى
وبعضها تهلك والمرجع في ذلك الى الله تعالى ونحن الى الان لم
نزل شاهد هذا الناموس بين الخلق حتي في اصناف البشر ولكن
هذان الناموسان يصح ان يحصلوا مع النشو او مع الخلق فاي مانع
من كون الانواع وجدت مستقلة ومع ذلك ترث الفروع صفات

الاصول وثنائزع الانواع البقاء فيبقى القوي ويهلك الضعيف
مع ان كل نوع منها مستقل ليس ناشئا عن سواء من الانواع واه
باموس التباينات وهو ان كل فرع مع اشته صفات اصله لاند ان
يباينه في صفات اخرى فهذا الماموس قد نازعكم فيه اخصامكم
بان التباينات التي تحدث في الفروع هي عرضية ليست جوهرية
حتى نوجب تغير النوع وانقله الى نوع آخر وانتم قاتم انها على
مرور الملايين من الزمان ونكرر تلك التباينات وتابعها تصير
جوهريه وتوجب تغير النوع وتحوله الى نوع آخر وخضتم معهم بهذا
المبحث وبنيت المباحي الشاهقة تطويل بدون طائل واقول ان
ناموس التباينات اي ان الفرع يباين اصله في صفات ليست فيه
هو مشاهد في النبات والحيوان واقول ان الله تعالى قد جعله في
المخلوقات لاجل التمايز اذ لو كانت افراد الانواع على صورة واحدة
في كل نوع لحصل من ذلك اشتباه بينها وشاعنه اختلال في
نظام العالم لا تدري نهايته فكان الرجل لا يعلم ابنه ولا زوجته ولا
ها يعلمانه ولا يعلم فرسه وفي ذلك من فساد المعاملات وضباع
الحقوق ما لا يخفى وليس هذا الماموس خاصا في النبات والحيوان ولا
في الفرع مع الاصول بل هو عام في كل الموجودات فلا ترى شيئا
يشابه شيئا اخر تمام المشابهة سواء كان فرعه ام لا حتى في صنائع

البشر فلا ترى كتابا يشابه كتابا آخر تمام المشابهة ولو حصل كامل
التحري من صانعها في اكمال المشابهة باذنيار اوراقها وطبعها بمطبعة
واحدة ولا ترى قدحا يشبه قدحا ولا حبة خردق تشابه حبة أخرى
تمام المشابهة واول تحري الصانع كامل الاسباب المفضية الى تمام
المشابهة بل لا بد من تباين هناك ولو كان خفيا جدا يظن عند
تدقيق النظر وما ذلك الا طاف من الله تعالى لاجل التمايز كما
تأملنا فالتباين في الموجودات هو ناموس وهي من الملائق سبحانه
وليس بطبيعي كما نقولون والافان نظر فيه طبيعيا بين الفرع
والاصول فقد كان من حق الفرع ان ياتي طبق اصله ويرث جميع
صفاتة ولا يباينه في شيء الا عند عروض سبب موجب وان كان مها
اتفق من توحيد الاسباب للمشابهة لانتم بين شيئين احدا لا بين
الفرع واصله ولا بين الفرعين المتحددين في جميع اسباب التكون
كمثل التوأمين اللذين يولدان في كيس واحد ومشيمة واحدة ثم
يتحري في تربيتها توحيد الاسباب التكوينية على غاية الدقة فلا
يد من التباين بينهما والتباس اسباب وهمية للتباين حينئذ كما
نسمعه عن بعضكم ما هو الا تعسف ابرء وخارج عن دائرة الانصاف
اذا علمتم ذلك فنقول ما المانع من ان تباين الفروع للاصول الذي
اعتمدتم عليه في تغير النوع وتحوله الى غيره على طول الزمان يكون

محدوداً بمقدار لا يخرج النوع الى نوع آخر وبذلك المقدار ثم
فائدة التمايز بين الافراد فيمكن ان الله تعالى قد جعل فروع الفرد
الاول من النوع تباينه في صفات وفروع الفروع تباين اصولها ايضا
وهكذا الى حد محدود من سلسلة النسب يجري في ملايين من
الافراد والصور الى درجة لا يخرج بها النوع الى نوع اخر ثم يكر
سبحانه على الفروع فيعطىها صور اجدادها السابقة وهكذا حتى
يتم الدور الثاني لاستيفاء الفروع صور الجدود ثم يسيد ذلك العمل
في الفروع التي تجيء بعد ذلك وهكذا حتى ينقضي هذا النوع
او ينقضي هذا العالم وربما يتبرهن هذا الحال للاجيال الآتية بعدنا
اذ وصلت لايديهم صور من الصور الشمسية لاهل هذا الزمان ثم
قابلوا بينها وبين فروعها التي تكون في ايامهم فيظهر لهم تكرار صور
الاجداد الظاهرة للنظر في فروعهم ثم نقول اذا تصورنا ما يحدث
من تكاثر الصور والاشكال بسبب ادنى تغيير بين الفروع واصولها
نجد ان الصور تتكاثر كثيرا في تلك الكيفية التي قررناها ولا تخرج
النوع ولا تحيله الى نوع آخر لانها محدودة كما فرضنا انظر الى النوع
الانساني وما يوجد منه على وجه الارض من الملايين وما بين
افراده من التباين الواسع كما بين الزنجي والرومي هل اخرج ذلك
التباين صنفا منه عن النوع وادخله في نوع آخر كلا ولا تستغربوا

رجعة الفروع الى صور الاجداد القديمة فاكم قد قلتم بمثل هذا
الناموس وهو ناموس (الاتافيسم) اي الرجوع الى الجذ و يسميه
بعضكم بالدور الوراثي او الرجعة فقاتم ان الصنات قد تكمن في
اجيال ثم تظهر في الاولاد بعد ذلك كمثل ما اذا تزوج زبي برومية
فقد تاتي اولادها ايضا مثلبا ثم بعد اجيل ربما يظهر في بعض نساها
بعض اولادهم ما كان في جد هم الزنجي من الصفات والتكوين وكذلك
يجري هذا الناموس في العوائد والاخلاق والاحراض والملخص ان
ما فرضناه من تحدد التباينات بين الفروع والاصول وتكرارها هو امر
جائز الوقوع لا ترفضه العقول وقد ورد في الشريعة المحمدية ما يشير
الى رجوع صور الاجداد في الفروع اذ قد نقل عن صاحب
الشريعة عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالى في القرآن
في خطاب الانسان (في اي صورة ما شاء ربك) ان النطفة اذا
استقرت في الرحم احضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم
وصورها في اي شبه شاء (كذا في تفسير روح البيان) فما دام
الاحتمال قائما في ناموس التباينات في ان يكون محدودا في كل
نوع الى درجة لا تخرج النوع الى نوع اخر وتعاد تباينات الاصول
في الفروع وهم جرا فبلوغه الى درجة يصير بها التغير جوهريا حتى
يحيل النوع الى نوع اخر هو امر مظنون فلا يعتمد عليه فقد سقطت

ابتهكم في تقرير هذا الناموس واحالة تغير الانواع به على الملايين
من السنين والمخلص ان هذا الناموس وهو التباين غير المحدود
على زعمكم وان كان جائزا عقلا والتغير به جائز ايضا وكل داخل
تحت تصرف القدرة الالهية ولكن وقوع ذلك الناموس مظهر
غير يقيني فحصول نتيجته وهو تغير الانواع الى بعضها يكون مظهرنا
فاتباع محمد عليه السلام لا يعبئون بهذا الناموس ولا يعتبرونه
منتجا للنشوء فلا يضطرون الى تاويل ظواهر نصوص شريعتهم الدالة
على الخلق ووجود الانواع مستقلة بل يدومون على اعتقادهم بانها
وجدت بالخلق الا اذا فرض قيام دليل يقيني فاطع يدل على
خلافه (وهيات هيات) فحينئذ يجرون على القاعدة المتقدمة في
التاويل للتوفيق بين الدليل العقلي والنقلي واما ناموس الانتخاب
الطبيعي فهو عندكم بمنزلة نتيجة للنواميس الثلاثة المتقدمة فتجاهه
عنها يكون مظهرنا وبعد تسليم حصوله يقال يمكن ان يكون هذا
مع وجود الانواع بطريق الخلق بل ان يكون قد وجد اولا الادنى
منها ثم وجد الارقي مستقلا غير ناشئ عن الادنى فتنازع البقاء
مع الادنى واباده ثم وجد ارقى من الثاني مستقلا ونازعه واباده
وهلم جرا الى ان وصل الحال الى الانواع الموجودة الآن بدون ان
يكون نوع ناشئا عن نوع اُفقد ظهر ان وجود الاحسن والا نسب

الآن ليس لازما خاصا للنشوب بل يمكن ان يكون مع الخلق
واستقلال الانواع فمصوله لا يدل على النشوب والمخلص انه يمكن
تقرير هذه النواميس الاربعة مع القول بالخلق واستقلال الانواع
بان يقال يمكن ان الله تعالى خلق اول الانواع الدنيا ثم خلق انواعا
ارقي منها مستقلة ليست ناشئة عنها ثم اباد الاولى باسباب كونية
وتنازع البقاء مع الثانية ثم و ثم حتى بلغ الحال الى هذه الانواع
الموجودة الآن وهي احسن وانسب من جميع ما مر من الانواع
فهذه الحال تضمنت ناموس التنازع وبقاء الاحسن والانسب ومع
ذلك ايضا قد اجري سبحانه ارث الفروع لصفات الاصول ومباينة
الفروع للاصول في صفات اخرى ولكن ذلك التباين الى حد
محدود بحيث لا يحول النوع الى نوع اخر وحكمته التمايز كما قلنا
وهذه الحال قد تضمنت الناموسين الباقيين وهما الارث والتباين
المشاهدان مع ان الانواع قد وجدت بالخلق والاستقلال عن
بعضها واكتشافاتكم الجيولوجية لا تنافي شيئا من هذا التوجيه فهل
عندكم دليل على امتناعه كلا ثم كلا وبعد جميع ما تقدم لا يكون
النشوراجما على الخلق في نظر العقل بل هما على حد سواء فكل
منها محتمل جائز داخل تحت تصرف القدرة الالهية وبهذا نبين
ان النشوا ليس مطنونا ايضا في نظر العقل بل هو مشكوك ولكن

اتباع محمد عليه السلام يرجحون عليه القول بالخلق واستقلال
الانواع ويجزمون به لظواهر نصوص شريعتهم وانتم لاداعي لكم الى
ترجيح النشو والجزم به بعد ما اظهرت لكم منزلته من الشبوت هذا
وبعد ما تقدم اذا لم يثبت النشو فلا يبني عليه اشتقاق الانسان
والقرد من اصل واحد كما تزعمون وقولكم انه بمقتضى مشابهته للقرد
لا يمتنع ان يكون قد اشتق هو وياه من اصل واحد شبهة في غاية
السقوط لان المشابهة الصورية لا توجب هذا الامر ولا تقتضيه كما
هو ظاهر وان قلتم نعم هي لا توجبه ولكن لا اقل من انها تحدث
الظن به قات ان اتباع محمد عليه السلام لا يعتمدون الظن في
باب الاعتقاد ولا يعتبرونه معارضا لظواهر نصوص شريعتهم على
ان تلك المشابهة يعارضها امر يدفع ما احدثته من الظن وهو اننا نرى
الانسان في اول ولادته في غاية من الضعف عقلا وجسدا لا يقدر
على مشي ولا جلوس بنفسه ولا ادنى حركة جسدية تكون منتظمة
وهو في غاية البلادة والبله لا يدري ما هو محيط به ولا يعرف الارض
من السماء ولا النار من الماء فلا يتجنب مؤذيا ولا يختار نافعا حتى
لا يدري كيف ياخذ ثدي امه فتعالجه الايام حتى يهتدي اليه ثم
بعد كل ذلك الضعف وجميع تلك البلادة نراه قد اخذ يترقى في
القوة والادراك حتى يبلغ درجة فيها لم تكن منتظرة منه فيما

لو قيس على بقية الحيوانات التي تكون عند ولادتها اقوى منه حالاً
جسداً وادراكاً وهذه الحالة فيه من اعجاب اعمال الخالق سبحانه وتعالى
ودليل ساطع على عظمة قدرته في ترقية اصنف حيوان وابلاء الى
درجة لم يلقه فيها لاحق فيغدو قورياً جباراً يتمتع اصخوراً ويسيد
المباني الهائلة عدان كان في غاية الضعف والعجز ويصبح عالماً
مدققاً وفيلسوفاً محققاً بعد ما كان مغموساً في تلك البلاد العماء
ويتسلط بقوته وادراكه ويظهر حيوانات الجار ووحوش القفار
ومحلقات الاطيار ويضبط نظرات الشمس والاقمار وهو اما مقر
بخالقه الواحد القهار واما منكره اشد الانكار واما القرد فهو مثل
غالب الحيوانات يولد على نوع من القوة تؤهله للحركة الكافية
حينئذ في مساعدة امه البهيمة على تربيته وعنده من الادراك
مقدار ليس عند طفل الانسان منه اترفيه تدي الى غذائه المعد له
فيلتم ثدي امه بدون تلك المعالجة التي تعالجها ام الانسان ويحسب
المؤذي ويختار النافع وفي اقرب مدة لا يتاهل فيها طفل الانسان
للجلوس على اليثيه يقوى هو على السعي في جلب رزقه ويتم ادراكه
لاعمال حياته بمقدار يجعله بمنزلة الكبير من بني نوعه وهو لم يزل
(قشة) اي جرواً صغيراً فستان ما بينه وبين الانسان فلو كان
الانسان مشتقاً هو والقرد من اصل واحد ومترقياً عنه لكان من

يكون في تلك الحالة التي ذكرناها فيه فلا يكون عند
ن القرد الذي ترقى هو عنه اذ يقال ما السبب في ذلك
في القردة والادراك في طعل الا انسان مع ان شريكه في
من اصل واحد الذي ترقى هو عنه نراه اكل منه فيها
4 ترقى عن شريكه في حسن الصورة وانشط عنه في
يراك لاسباب اوجبت ذلك قلنا في الذي اكملها له عند
، فيها على القرد بكثير الحق ان هذا مما يوهن كل الوهن
تاق الا انسان والقرد من اصل واحد اذا لم قل انه
تاملتم ايها الماديون بعين الانصاف ظهركم ان المتشابهة
بين الانسان والقرد لا تقاوم هذا الفرق العظيم الذي
كم بينهما هداانا الله تعالى واياكم لما فيه الصواب فهذا ما
ن ايراده اياكم وهو كاف في بيان ان دلائلكم ومتمداتكم
بوظننية لا تمارض نصوص الشريعة المحمدية وقد رايت
قد خاصوا معكم في جملة الاحاجة لنا فيها وانكروا عليكم
ع وقمتم تبرهنونه حتى بتغيرها الصناعي وانكروا وجود
ن نوع ونوع آخر تزعمون انه نشأ عنه نقلتم ان الحلقات
، في البعض ومنيتم انفسكم بانها سوف توجد الا اكتشافات
في الباقي وكل ذلك خبر يحتمل الصدق والكذب فمن

مناراتق الجيولوجيين في اكتشافاتهم وتاهد تلك الحقائق فسيبان
العاليم بحقيقة الامر على انه لو ثبت فلا يزال الاحتمال - اما في
انها انواع مستقلة كما قدمنا فثبتت اداتكم مطنونة فبالاختصار
لاداعي لنا الى الخوض معكم فيما خاضت فيه اخوانكم ويكفي ما
قررناه لاعتماد ظواهر النصوص الشرعية وازرار دنا الخوض معكم
في ذلك لاريناكم قيمة تلك الادلة التي اعتمدتموها واظهرنا لكم ان
اساسها الوهم واركانها الفروض وان وفق الله تعالى كتبت في
ذلك الموضوع ما يشفي الغليل

هذانم قواكم ان الحياة وعقل الانسان هما الاظهر من ظواهر تفاعل
اجزاء المادة المتحركة وعناصرها الممتزجة وان يكن اصل المادة خاليا عن
الحياة والادراك وان عقل الانسان لا يخالف عقول بقية الحيوانات
الا بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة فجميع ذلك يمكن انطباقه على ما
في الشريعة الاسلامية اما الحياة فقد عرفنا اتباع محمد عليه السلام
بانها صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة
مصححة لاتصاف الذات بهما (كذا في روح البیان ومثله في
الرازي) فهم اذا عرض عليهم كلامكم هذا في الحياة من انها ظاهرا
من ظواهر تفاعل اجزاء المادة الى اخره يقولون ان الحياة عندنا
صفة عرضية لا مادة فهذا الظاهر الذي تقولون بانه الحياة

من مانع من ان تكون الحياة هي هذا الظاهر وان اتباع
سلام يقولون حدوثها في الحيوان بخلق الله تعالى
بانها حدثت بحركة اجزاء المادة التي زعمونها بلا
وان كان من الجائز ان تكون تلك الحركة
بمحض خلق الله تعالى وتسبب عنها ذلك الظاهر
كعادته تعالى في انتاج المسببات عن الاسباب
يختلف فيه اتباع محمد عليه السلام فبعضهم اختار
حقيقته لانه قال هو من المفيبات التي لم يشرحها
لي والادب الكف عن الخوض فيه وعلى هذا فهمنا
ما لا ينافي شيئا من نصوص الشريعة الحمدية فاتباع
لام يقولون لكم ان تفسيركم محتمل الصحة لامانع
صواب فقولكم انه ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء
يكون صوابا ولكن ذلك الظاهر حدث بخلق الله
ين من انه حدث بمحض تلك الحركة وبعضهم خاض
وافوال جملهم متطابقة على كونه عرضا وجلها انه
اي ملكة تدرك بها العلوم النظرية وقول بعضهم
يد في بعض الاثار الاحادية (كما في ادب الدين
د انه نور معنوي فلا يخالف انه من جنس العلوم

وممنهم من قال انه جوهر وقدره هذا القول (كذا يؤخذ من عبد
السلام وحاشية الامير عليه) هذا كله في العقل الغريزي اما العقل
المكتسب الذي هو نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة وصحة
السياسة واصابة الفكرة (كذا في ادب الدين الماوردي) فعلى هذا
فمن الواضح انه لا منافاة بين قول جل من حاضوا في تفسير العقل
الغريزي وبين قواكم اذ ان الترابين متفقان على انه عرض فاذا قيل
لا تبايع محمد عليه السلام عند جريهم على هذا القول ان ذلك العرض
هو ظاهر من ظواهر تفاعل اجزاء المادة فلا مانع بينهم ان يقولوا
يمكن ان يكون هو هو وذلك الظاهر هو الذي يحصل به الادراك
للعالم لكن وجوده ووجود الادراك به بمحض خلق الله تعالى فلا
ينافي ذلك عقائدنا وانتم حينئذ ما بينكم وبينهم الا ان تقولون ان
ذلك الظاهر حدث بخلق الله تعالى واما قولكم ان عقل الانسان
لا يخالف عقول الحيوانات الا بالكم ولا يخالفها في الذات والحقيقة
فهو ايضا لا يصادم شيئا من نصوص الشريعة المحمدية المعتمدة في
الاعتقاد اذ غاية ما تفيد تلك النصوص ان الانسان قد خص
بالعقل عن سائر الحيوانات وبه كاف بالشرائع دونها واما كونه
مغايرا لادراكها في الذات والحقيقة ام لا فلم يرد في تلك النصوص
ما هو تصريح بشي منها فاتباع محمد عليه السلام اذا سئلوا عن

هذا يقولون لا مانع ان يكون ادراك الحيوانات الذي اعطيته لتدبير
معيشتها وعقل الانسان هما من مقولة واحدة هي عرض من
الاعراض يحصل بخلق الله تعالى ولكنه قد زاد حتى بلغ في
الانسان درجة تؤهله لاستنباط العلوم والتميز بين الاخلاق
الحميدة وغيرها والاستحصال على بقية ما يتميز به الانسان عن
الحيوان وهذه الدرجة هي التي تجدها املا للتكليف الشرعي وسميت
عقلا لانها تعقله عن ارتكاب خلاف الصواب فالقول بان العقل
الانساني لا يخالف ادراك الحيوانات الا بالكم لا ينافي الدين
الاسلامي وهو قابل للانطباق عليه وعلى هذا فجميع ما يرد
في الشريعة من تعظييات عقل الانسان من نحو انه نور ومدار
التكليف وغير ذلك فانما هي تعظييات لتلك الدرجة السامية من
الادراك لا شيء مغاير لادراك الحيوانات في اصل الحقيقة
والله اعلم

واما انكاركم لبقية المسائل التي وجدهتموها في الشريعة المحمدية
لادليل عليها في علومكم او انها مرفوضة فيها فقد ورد لنا معكم من
المباحث ما قد انجز الكلام في بعضها وانا انبه على ذلك فيما سياتي
والباقي منها سأبين لكم تحقيق الكلام فيه بعون الله تعالى واريكم
انه لا يوجد منه ما ترفضه العقول بل كل منطبق على قواعد العقل

السلیم فاستمعوا ما اقول اما ان مادة العالم حدثت بعد ان كانت
معدومة وان الذي اوجدها بعد العدم وكون منها انواع الكائنات
على هذا النظام هو الاله وانه قادر على ملاساتها واعدادها من
الوجود كما اوجدها بعد العدم وان الله تعالى خلق الانسان نوعا
مستقلا عن بقية الحيوانات وخلق انثاء واسكنهما في دار تسمى الجنة
ثم اهبطهما الى الارض لمخالفتهما ما نهاهما عنه وان جميع ما يحدث
في هذا العالم فهو بقضاء الله تعالى وتقديره اي انه يعلمه ويريد
وبهرزه الى الوجود بقدرته وان جميع ما يقضيه فهو بخلق يوجد
ويكون لا خالق سواه وانه وان يكن قد ربطت المسببات بالاسباب
وجعل الاولى تنشا عن الثانية فهو الخالق للثنتين يخلق السبب
ويعقبه بخالق المسبب وجميع الاشياء انما يوجد تاثيرها المشاهد لنا
بخلق وایجاد ولا شي يؤثر بطبعه او بقوة اودعت فيه وانه سبحانه
موجود قديم دائم يستحيل عليه العدم واحد احد في ذاته وصفاته
غني عن كل ما سواه مفتقر اليه جميع ما عداه لا يشبه شيئا من جميع
الموجودات ولا يشبه شي منها يريد اتم الارادة عالم اكمل العلم يعلم
ما كان يكون وما هو كائن لا يعزب عن علمه شي قادر على كل شي
من الجائز العقلي مهما كان عظيما جسيما حي متصف بصفات الكمال
التي تليق به منزله عن صفات النقصان فهذه المسائل قد تقدم

في المباحث التي بسطتها لكم ما فيه الكفاية في الكلام عليها لان
منها ما اقيمت لكم برهانا على تحققه وثبوتته وذلك كحدوث المادة
ووجود الاله سبحانه واتصافه بصفاته ومنها ما وفقتم بينه وبين
ما يعارضه من علومكم وذكرت لذلك توجيهها موافقا وهديتكم الى
الطريق الذي يسلكه لاتصادمون الدين الاسلامي مصادمة توجب
رفض اعتقاده والذي لم اصرح به من ذلك فقد يؤخذ من
المباحث المتقدمة بادنى تأمل ويوجد بسط الكلام عليه في كثير
من الكتب الاسلامية فليرجع اليه من يريد

واما ان الله تعالى خالق سبع سموات فوقنا وخلق جسما كبيرا يسمى
كرسيا فوق تلك السموات وجسما اكبر منه فوقه يسمى عرشا وان
بيننا وبين تلك الاجسام مسافات عظيمة وانه سنانا جسما كبيرا
يسمى لوحا وجسما اخر يسمى قلم الاثبات ما يكون وتسطيعه لاعن
حاجة الى ذلك وانه يجري نعيم الانسان في دار خلقها تسمى الجنة
وعذابه في دار تسمى جهنم يدخلها البشر بعد خراب عالم الارض
والسموات وبعثهم بعد الموت فاقول انتم واتباع محمد عليه السلام
تقولون بالخلاء الممتد وهو البعد الشاسع الذي تنفيه الافكار في
سعته ثم انتم تقولون ان الشمس والكواكب قائمة في الفراغ الشاسع
بناموس الجاذبية وفي اقوال بعض اتباع محمد عليه السلام ما

يوافق قولكم هذا في ان الشمس والكواكب ليست مركوزة في
السماء بل هي قائمة في الفراغ وفلكها هو مدارها فيه كما تقدم فما
المانع من ان يكون وراء تلك الكواكب في ذلك البعد الشاسع قد
خلق الله تعالى تلك الاجسام المذكورة وهي السموات السبع (وكونها
غير مرئية يجري على قول بعض اتباع محمد كما تقدم وهو ابو بكر
ابن العربي) والعرش والكرسي واللوحي القلم والجنة وجهنم واقامها
هناك بقدرته سبحانه سواء اقامها بناموس من النواميس التي
يضعها في نظام مخلوقاته ام بغير ناموس اذ هو قادر على ذلك حسب
اعتقاد اتباع محمد عليه السلام من ان النواميس اسباب عادية
كما اقام الشمس والكواكب في الفراغ التي هي فيه ثم الجميع بعيد
عنا بمسافات شاسعة كما بينها مسافات كذلك وما ادر كماه من عظمة
ذلك الآله وعظمة قدرته في مصنوعاته التي نشاهدها لا يبعد عنده
شيء من ذلك عليه فكل ذلك جائز ممكن لا يحيله العقل وقدرة الآله
صالحة تتعلقها بايجاده وعدمه. ولكم الى ادراكه بحواسكم او بوسائط
اخرى لا يقتضي عدمه ومن تقرير هذا المقام يظهر انه لا مانع ايضا
من وجود سبع ارضين كما ورد في بعض نصوص الشريعة المحمدية
وتكون الارضون الستة قائمة في الفراغ الذي فيه ارضنا وسائر
الكواكب ولا مانع من اشتغالها على عوالم كما تظنون انتم في اشتغال

قائم اننا لم نرها بالنظارات المكبرة قلت
 تصلح للرؤية بها ويحتمل انكم رايتموه
 كب القائمة في الفراغ وان قائم سامنا ان
 ولكن ما الدليل على ان ذلك حاصل
 ع محمد عليه السلام على القول به قلت
 ردليلهم عليه نصوص شريعتهم الصريحة
 وهي نصوص واردة ورودا قطعيا عن
 صادق في جميع ما يخبر به لانه معصوم
 من عند الله تعالى بالبراهين القاطعة
 ن قائم ولم خلق الله تعالى هذه الاجسام
 والارض وبقية العوالم التي تشاهدونها
 وهو فاعل مختار لا يسئل عما يفعل وقد
 ن على قصور العقول عن الاحاطة
 بجوانه فارجعوا اليه وقد ذكر اتباع محمد
 اخلق تلك الاجسام يطول بنا الشرح
 بتيمم اذا شئتم

جساما نورانية تسمى الملائكة قادرة على
 ت التي بين السموات والارض في مدة

قصيرة جدا وانها تترامانا ولا نراها وانها تفعل افعالا تعجز عنها
القوى البشرية وان السموات مملوءة بها كما انه اوجد اجساما
اخرى تشابه الملائكة المذكورين في بعض خواصهم من نحو
الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار وقدرتها على افعال
عظيمة واكثرها تخالفهم في انها ليست نورانية مثلهم الى اخر ما
وتسمى هذه الاجسام جنا فاقول ما المانع ان الله تعالى خلق اجساما
بتلك الخواص تسمى ملائكة واجساما اخرى نظيرها فيما تقدم
تسمى جنا ويمكن ان تكون مادتها كمادة الاثير الذي يقولون بانه
مالي الكون ولم تروه او كمادة الهواء كونها الله تعالى وجمع اجزاءها
بكيفية تجمعها صالحة لتلك الخواص التي ذكرت لها كما كون الحيوان
من العناصر الجمادية بكيفية اكسبته الحياة وجميع قواها من
الادراك والحركة وغير ذلك بعد ان لم يكن للعناصر شيء مما ذكر
فيحتمل ان عدم رؤيتنا اياها لشفافتها واطافتها كالهواء والاثير على
ان الامر ظاهر جدا على اعتقاد اتباع محمد عليه السلام بان
الرؤية بمحض خلق الله تعالى كما مر تقريره لكم واقتدارها على
التشكل مع انه جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى
يمكن توجيهه بان الله تعالى كون تلك الاجسام على كيفية يقتدرون
بها على تناول كمية من الهواء او الاثير او نظير ذلك وتكثيفها

وتكويتها على الصورة التي يريدونها ثم يابسونها كما يلبس احدنا
ثوبه فيظهرون للابصار تلك الصورة وفي الاعمال الكيماوية التي
اقدر الله البشر عليها من تحويلات الاجسام الى بعضها كتحويل
الكثيف لطيفا وبالعكس ما يقرب فهم ما قررناه الى المقول وحيث
ان تشكل تلك الاجسام كيف ما كان مسند الى عظمة قدرة
الله تعالى الذي تدهش اعماله الافكار فيما اعطاه للحيوان والنبات
من الخواص فلا غرابة فيه اصلا

واما انها تعمل اعمالا تعجز عنها القوى البشرية مع انها اجسام لطيفة
فبعد النظر الى اعمال الرياح التي تقلع الاشجار المظيمة واعمال
قوة الكهربائية التي تجر الاثقال التي تعجز عنها الوف الرجال فلا
غرابة في اعمال الملائكة والجن لاسيما ان الذي يقدرهم على ذلك
هو الله تعالى الذي لا يعد ذلك بالنسبة الى عظمة قدرته شيئا
صعبا واذا نظرنا الى ان بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما
هي قوة ذراعه الا عمل اعصابه التي تنتهي اخيرا الى نخة اللطيف
الرخيف الذي هو مبدا الحركة كما تقولون وهو لا يحتمل ادنى
مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة على القدر
اللازم اليه قد تعدمه وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا ان الله تعالى
قادر على اعطاء اللطيف قوة لا توجد في الصاب الكثيف سبحانه

من تادر قاهر

واما كون الملائكة يقطعون المسافات الشاسعة بين تلك الاجسام
الساوية ببدء قصيرة جدا فافول لا مانع منه عقلا لان سرعة
الحركة ليست محصورة بحد محدود وهذا النور تزعمون انه
يصل الينا من الشمس التي بيننا وبينها ما ينوف عن تسعين
مليون ميل في مقدار ثمان دقائق وكسور وان قلتم ان النور عندنا
حركة وعرض قلت في علومكم الطبيعية ان الجسم الساقط الى
الارض في اول ثانية من سقوطه تكون سرعته مئة عشر قدما
وكسورا واذا كان سقوطه الى الشمس تكون سرعته في تلك الثانية
اربعة مائة وخمسين قدما وكسورا ثم ان الجسم يسقط في اي عدد
كان من الثواني ما يساوي مقدار ما يسقط في اول ثانية مضروبا
في مربع ذلك العدد من الثواني فبالتأمل في هذا الناموس يعلم ما
تبلغه سرعة حركة الاجسام من العظمة التي يختار فيها الفكر وهذا
نجم المشتري على ما في علوم الهيئة عنكم يجري ثلاثين الف ميل
في الساعة اي اسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجري تسعة اميال
كلما تنفس الانسان وسرعة اجزائه الاستوائية في دورانه على محوره
اربعاية وسبعة وستون ميلا كل دقيقة وهو اكبر من ارضنا بالف
واربعاية مرة على ما يقول الفلكيون منكم ومن غيركم فالآله الذي

جعل هذا الجسم الكثيف العظيم يقطع تلك المسافة الشاسعة في تلك المدة الجزئية لا يبعد على قدرته ان يجعل الملك يقطع تلك المسافات في مدة قليلة جدا وان كانت هذه المسافات أكثر بكثير من المسافة التي يقطعها المشتري ولكن النظر الصحيح في سير ذلك الكوكب يقنع العقل بان قدرة ذلك الآله الذي سيره ذلك السير صالحة لأعظم ما يكون من جنس هذا العمل لاسيا وناموس الاجسام الساقطة قد بين عظمة سرعة حركة الاجسام وان قلتم ان سير المشتري بواسطة الجاذبية على ما هو مفصل في علومنا وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلت وما هي تلك الجاذبية التي تطنطنون بها وتنسبون اليها اعمالا عظيمة في الكائنات وانتم لا تعلمون حقيقتها وما الموجب لقيامها في الاجسام ولا تقدر على الافصاح عن ذلك غاية ما يكون انكم قلتم بها لتعليل الحوادث التي حيرت عقولكم من نحو النظام الشمسي وغيره وعلى تسليم ثبوتها فمن الذي اوجدها وجعلها خاصة بالاجسام وانشا عنها تلك الاعمال العظيمة في الكائنات أغير الآله الذي ابدع الخلق من العدم ووضعه على اتم نظام واسمى حكم فاذا كان ذلك الآله قادرا على ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث تلك الاعمال عنها فلا يعجز ان يجعل الملك يقطع تلك المسافات في مدة وجيزة اما بناموس وضعه فيه

واما بغير ناموس فالكل جائز عقلا وقدرته العظيمة سالحة لاي كان
واما كون السماء مملوءة بالملائكة فلا استغراب في ذلك فهم خلق
من جملة مخلوقات الله تعالى اسكنهم تلك السموات كما اسكن
عوالم الارض في الارض وكما اسكن الملائكين من الحيوانات
المركسكوية في نقطة من الماء لاجرج على قدرته في اعظم عظيم
وادق دقيق وعلى زعمكم كثير من الفلكيين منكم ومن غيركم انه
يوجد في الكواكب عوالم ذات اعمال كالانسان يستدلون عليها بما
يتخيلونه بنظاراتهم المكبرة من اثار اعمالها في تلك الكواكب كفتح
الطرق وحفر الترع وامثال ذلك امور تشخص لنا المثل الجاري
ان رجلا وقف على المقابر وقال (كل هؤلاء الاموات كانوا عبيد
ابي فقال له آخر ما فيهم من يكذبك) فما استغرابكم من وجود
الملائكة في السموات وماثم لها بعد هذا البيان وان قلتم ايضا ما
دليل اتباع محمد عليه السلام على جميع ما تقدم من ثبوت
الملائكة والجن وثبوت تلك الخواص فيهم وملئ الملائكة
للسماوات قلت ايضا دليلهم على جميع ذلك النصوص التي نطق
بها الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الصادق المصدق لثبوت
رسالته بالبراهين القاطعة القائمة لديهم وهو الذي حملهم على
الاعتقاد بذلك وهو جائز عقلا لا يستلزم محالا فامنوا به من

دون تاويل

واما ان للانسان نفسا تسمى روحا وهي غير جسده وان لها تعلقا
بجسده ينشأ عنه حياته وعندما تنفصل عنه يحلله الموت وان تلك
الروح باقية بعد انفكاكها عنه تدرك وتلتذ وتتالم وان الانسان بعد
حاول الموت فيه وفنائه يعيده الآله سبحانه ويعيد تعلق الروح
به ويثيبه على اعماله الخيرية التي عملها في مدة حياته في الارض
او يعذبه على اعماله الشرية هناك وان الذي يقوم فيه اللذة والالم
عند تعلق الروح بالجسد وقيام الحياة فيه هو مجموع الروح والجسد
وان لبقية الحيوانات ارواحا مثل الانسان وعندها من الادراك
ما يكفي لتعيشها وليس عندها من الادراك والعقل مثل ما
عند الانسان فلذلك كلف بعبادة الآله سبحانه دونها فاقول
اذا ايتم التصديق بما ذكر حيث لم توصلكم علومكم الا الى هذا
الهيكل الانساني ولا تعلمون وراءه شيئا من نحو الروح وكذلك
في بقية الحيوانات فاعلموا ان اتباع محمد عليه السلام قد
اتفقوا على ان لكل انسان روحا لها تعلق بجسده ولكن اختلفوا في
البحث عن حقيقتها فبعضهم ترك الخوض فيه حيث لم يرد عن
الشارع دليل على ذلك وعلى طريقة هؤلاء يكفي في تصديق
النصوص الشرعية التي وردت في وجود الروح ان يعتقد ان لكل

انسان روحا وهو شيء موجود الله اعلم بحقيقته وليس في القول
بوجوده ما يخالف العقل وعدم الاحساس لا يقتضي عدمه اذ ربما
لم نحس به للطافته كالاثير الذي تقاوت به ولم تصواب او لدقته
جدا كالحيوانات المكروكية او لغير ذلك وبضهم خاض في
البحث عن حقيقتها قال بعض محققين (هو الشيخ اروي كافي
الامير على الجوهره) واضح ما قيل فيها ما ناله بعضهم (هو امام
الحرمين) انها جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالاجسام
الكثيفة استبأك الماء بالعود الاخضر ثم قال بعضهم انه لا يلم مقروا
من الجسد وقال بعضهم ان مقروا البطن رقيق يترب القلب رقيق
به ثم اختلفوا في نفس حقيقة الانسان فقال بعضهم (هم جمهور
المكلمين كافي الرازي وغيره) ان الانسان هو الجسد ولكن له
روح كما تقدم تتعلق به وتتعلق بها تحصل حياته بخلق الله تعالى وقال
بعضهم ان الانسان هو مجموع الروح والجسد وقال بعضهم وهم القليل
ان الانسان هو الروح فقط والجسد انما هو قاب لها ولكن بعد ذلك
انفقوا جميعا على ان الله تعالى بعد موت الناس وفناء اجسادهم
لا بد ان يعيدهم باعادة اجسادهم واعادة ارواحهم اليها ويحاسبهم
ويدخل بعضهم الجنة دار الثواب وبعضهم جهنم دار العقاب
وهذا البعث وما يتبعه هو من اصول دينهم القطعية قد انعقد

اجماعهم عليه وهو من معلومات دينهم الضرورية بحيث ان انكار
جوازه او وقوه يكون خروجاً عن الدين الاسلامي وكثيراً ما
تصرح به نصوص شريعتهم وتنصب عليه الدلائل ويكفيهم
للتصديق بتلك النصوص واعتقاد البعث المذكور ان يعتقدوا انه
لا بد من البعث باعادة الاجساد بدفنائها واعادة الارواح اليها
للتحاسب وما يعقبه على روحه لا يستلزم محالاً عما يابى بل يكون في دائرة
الجواز العقلي وهو داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يلزمهم
ان يعلموا تفصيل تلك الاعادة وبيان كيفيتها الجائزة عقلاً لان
شرعهم لم تكلفهم بذلك ولكن لما ورد عليهم من اخصامهم المنكرين
للبعث اشكالات تستلزم بظواهرها محالات عقلية في اعادة
الاجساد احتاجوا لا قباع عقول اخصامهم في تلك الاعادة وبيان
جوازها عقلاً الى الخوض في تفصيلها وبيان كيفيتها على وجه يقنع
العقول ولا تضطرب عنده ادكار الضعفاء في الدين ومن اشهر ما
ورد عليهم من الاشكالات في البعث والاعادة من طرف اخصامهم
قولهم ان الانسان ليس انساناً بمادته بل بصورة واما تكون الافعال
الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فادا بطلت صورته عن مادته
وعادة المادة الى اصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا
خلقت في تلك المادة بعينها صورة انسان جديدة حدث منها انسان

اخر لا ذاك الا انسان الاول فان الموجود في الثاني من ذلك الاول
مادته لا صورته ولا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا
اثواب او عقاب بمادته بل بصورته فيكون الانسان المثاب والمعاقب
ليس الا انسان المحسن والمسيء بل انسان اخر مشارك في مادته
وقولهم ايضا اذا اكل انسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق
روحان با انسان واحد عند البعث وايضا ان الغائب على ظاهر الارض
اجزاء جنث الموتى القديمة وقد زرع فيها زرع كثيرة وغرس
فيها اشجار واغتذي منها الناس وانمقد في ايمانهم ذلك لحماودما
فكيف يكون مادة واحدة واصل واحد حاصلة اصور اناسي كثيرة
انتهى وفي مقابلة هذه الاشكالات يصلح لا تباع محمد عليه السلام
ان يقولوا في دفعها اجمالا ان سعة علم الله تعالى وعظمة قدرته
المبرهن عليهما بمشاهدة عجائب مصنوعاته وغرائب اعماله ودقائق
افعاله لا يبعد عليها امر البعث على كيفية لا تستلزم تلك الحالات
التي تضمنتها تلك الاشكالات ونحن يكفيننا الايمان بالبعث والاعادة
واعتماد ان ذلك يحصل على وجه لا يستلزم محالا ولا يلزمنا صحة
ايماننا ببيان الكيفية التي يجريها الله تعالى في ذلك ونفوض علمها
الى الله تعالى ولكن لا قناع العقول بالتفصيل وللمحافظة على
افكار الضعفاء في الدين من الاضطراب نقول ان المعاد من الجسم

هو جميع اجزائه الاصلية اي الباقية من اول العمر الى اخره
لا الاجزاء الفضائية (كذا نقل القول بالاجزاء الاصلية والاجزاء
الفضائية في اليواقيت بن جمع الجوامع وحاشية الكمال عليه في
الجواب عن شبهة اكل انسان انسانا وهو يصلح جوابا عن بقية
الشبه كما سنقرره) اي فما المانع من الله تعالى الواسع العلم العظيم
التدرة يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان من التفرق ومن
زوال صورتها ومن الدخول في تركيب اجزاء اصلية لمحيوان اخر
وان دخلت في تركيب اجزاء فضائية فتنفصل عنها عند انحلال
هذه ثم عند الاعادة والبعث يبيد الله تعالى تعالى الروح بها ويضم
اليها اجزاء فضائية سواء كانت هذه عين ما كانت قبل الموت او
غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم او بالتعذيب انما هو للروح ولهذا
الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه الكيفية انها اعادة اذ قد اعيد
تعلق الروح بالاجزاء الاصلية بعد ان فارقتها واعيد لهذه
الاجزاء الاصلية الحياة وحيث اليها اجزاء فضائية لا تنوقف
صحة الاعادة على اعادتها باعيانها فلا يقال ان الانسان المنعم
او المعذب غير الذي كان قبل الموت ولا ان الروحين تنعلقان
بجسد واحد ولا ان مادة واحدة حاصلة لا ناسي كثيرة بل الاجزاء
الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت انسانا هي

بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث والاعادة ذلك الانسان
بعينه وعلم الله تعالى وقدرته يصلح ان لا حرج هذه الكيفية التي
لا تضمن محالا اصلا سواء كان ذلك بدون واسطة ناموس ام بواسطة
ذلك وعدم احساسنا بما لا يستلزم عدمها اذ يحتمل اننا نشاهد
تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد الاجزاء الاصلية اما لدقتها واما
للطافتها واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تنزل في حيز الخفاء محجوبة
عن حواسنا ولا مانع ان تكون هذه من هذا القبيل فالمتخص ان
نصوص شريعتنا نطلقت بالاعادة والبعث فتحن نؤمن بذلك. نعم قد
انه سيكون على وجه لا يستلزم محالا ولا يلزمنا بيان الكيفية على وجه
التفصيل وان احتجنا الى هذا البيان نجد ان مثل تلك الكيفية التي
قررناها كافية وافية في اقناع العقول ودفع الاشكالات والله اعلم
اقول ويمكن ايضاح هذا المقام وتوجيهه بما لا يخالف شيئا من
نصوص الشريعة المحمدية التي عليها مدار الاعتقاد بعون الله تعالى
وتوفيقه وذلك يحتاج الى تقديم جملة من كلام علماء الامة المحمدية
يظهر من التبصر بها قبول ما سنورده من التوجيه فاعلموا ان من
أكبر علماء الشريعة المحمدية من استدل على ان الانسان هو غير
تلك البنية (هو الامام الرازي في تفسيره الكبير) بقوله ان العلم
البديهي حاصل بان اجزاء الجثة متبدلة بالزيادة والنقصان كما في

السمن والهزال والعلم الضروري حاصل بان المتبدل المتغير مغاير
للا ثابت الباقي ويحصل من مجموع هذا الكلام العلم القطعي بان
الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجثة ثم قال وان الانسان
قد يكون حيا حال ما يكون البدن ميتا فوجب كون الانسان
مغايرا لهذا البدن والدليل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى ولا
تتسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقونه
فهذا النص صريح في ان اولئك المقتولين احياء والحس يدل على
ان هذا الجسد ميت ثم قال على ان الانسان يحى بعد الموت
وكذلك قوله عليه السلام انبياء الله تعالى لا يموتون ولكن ينقلون من
دار الى دار وكذلك قوله عليه السلام القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النار كل هذه النصوص تدل على ان
الانسان يبقى بعد موت الجسد وبديهة العقل والفطرة شاهدان
بان هذا الجسد ميت ولو جوزنا كونه حيا جاز مثله في جميع
الجمادات وذلك عين السفسطة واذا ثبت ان الانسان حي
وكان الجسد ميتا لزم ان الانسان شي غير هذا الجسد ثم قال ان
الذين قد دلت النصوص الشرعية على مسخهم يتال بان الانسان
هل بقي حال ذلك المسخ او لم يبق فان لم يبق كان هذا
امانة لذلك الانسان وخلقاً لذلك الحيوان المحسوخ اليه وليس

هذا من المسيح في شيء وان قلنا ان ذلك الاساس حي حال
حصول ذلك المسيح فنقول على ذلك التقدير ذلك الانسان باق
وتلك البنية وذلك الهيكل غير باق فوجب ان يكون
ذلك الانسان شيئاً مغايراً لتلك البنية ثم قال ان الانسان يجب
ان يكون عالماً والعلم لا يحصل الا في القلب فياخذ ان يكون
الانسان عبارة عن الشيء الموجود في القلب واذا ثبت هذا
بطل القول بان الانسان عبارة عن هذا الهيكل وهذه الجثة
ثم استدل على ان للانسان علماً وانه في القاب بما يطول نقله
ثم اعلّموا انه قد ورد في نصوص القرآن الشريف قوله تعالى
(واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا) وقد ورد تفسير هذا
النص في الصحيح عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بان
الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره كلهم كهيئة الذر قال بعض
العلماء من اتباع محمد عليه السلام (كما في الجمل عن الخازن)
اخرج الله اولاً ذرية آدم من ظهره ثم اخرج من هذا الذر
الذي اخرجهم من آدم ذريته ذراً ثم اخرج من الذر الاخر ذريته
ذراً وهكذا الى اخر النوع الانساني وخاتى فيهم العقل
والفهم والحركة والكلام وخاطب الجميع بقوله الست بربكم

فقال الجميع بلى اي انت ربنا ثم اعاد الجميع الى ظهر آدم
وقال بعضهم وهل هذا الذر احتمال منيا او تخرج ذرة كل
انسان في منيه الذي يتخاق منه والله اعلم بحقيقة الحال
(كذا في الجمل باختصار) وقال بعضهم (كما في الجمل عن
الشعراني) ان الاقرب كما قيل ان الله تعالى استخرجهم من
مسام شعر ظهره يعني آدم ثم قال انهم اجابوا بالنطق وهم احياء
عقلاء اذ لا يستحيل في العقل ان الله تعالى يعطيهم الحياة
والعقل مع صغرهم (اقول ومن نظر الى الحيوانات المكسوكية
وما عندها من الادراك الذي به تسعى اعلى رزقها وتنواله
وتجنب المؤذيات وتحميد عن طريق ملاقيها لا يستغرب ذلك
ولا يستبعده على علم الله تعالى وقدرته) ويحتمل ان يكونوا
مصورين بصورة الانسان لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم
ولم يقل ذراتهم وانفذ الذرية يقع على المصورين ثم قال
والظاهر انه استخرجهم احياء لانه سماهم ذرية والذرية هم
الاحياء فيحتمل ان الله تعالى ادخل فيهم الارواح وهم في
ظلمات ظهر ابيهم ويخلقها فيهم مرة اخرى في ظلمات بطون
امهاتهم ويخلقها مرة اخرى تالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الارض
خلقا بعد خالق في ظلمات ثلاث هكذا جرت سنة الله تعالى ثم قال

والظاهر انه لما ردهم الي ظهره قبض ارواحهم قياسا على ما يفعله اذا
ردهم الى الارض بعد الموت فانه يقبض ارواحهم ويعيدهم فيها
انتهى باختصار وقال بعض الائمة الاعلام (هو الامام ابو طاهر في
كتابه سراج العقول كما يؤخذ من اليواقيت للشعراني) في
الجواب عن الشبه المتقدمة الواردة على البعث ما ملخصه ان
الذرة التي قبضت من الارض اولا في كل انسان باقية لا تبدل
البتة وهي الجزء القائم الذي اخذ عليه الميثاق (يعني كما في اية
خطاب الذر المتقدمة) ويتوجه عليه في القبر السؤال ويتولى
الجواب برد الروح اليه على ما دلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه
سائر الاجزاء حيث كانت بقدره الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما
كما كان في الدنيا هذا شي لا يخالفه عقل ولا شرع انتهى ببعض
اختصار فاذا دققنا النظر وتفهمنا بامعان ما نقلته من تلك الدلائل
التي اقامها ذلك العالم (الرازي) على ان الانسان ليس هو هذه
البنية وما نقلته من تفسير الاية المتقدمة التي تذكر اخذ العهد على
ذرية آدم وما قيل فيها من جانب بعض العلماء المحمدين (الخازن
والشعراني كما تقدم عن الجمل واقره) وما قرره ذلك الامام المحمدي
(ابو طاهر) في رد شبه البعث وذكر انه لا يخالفه عقل ولا شرع
ظهر جليا انه يسوغ لاتباع محمد عليه السلام ان يفسروا الاجزاء

١٣١
م القول بها بتلك الذرات التي اخرجت
بها العهد فيقولوا ان هذه الذرات هي الاجزاء
بقية البنية المشاهدة لنا هي الاجزاء الفضلية
فيكون الانسان الحقيقي المخاطب المكاف
وتلك الذرات مع الروح التي تحل فيها
ما هو الاجزاء الفضلية ولا عبرة بها في
دلت باعيانها او بامثالها بل العبرة في تحتق
صلية التي لا يطرأ عليها الا مفارقة الروح
لمية عنها وفي البعث تناد اليها الروح وتعاد
م اليها وقد تقدم ان بعضهم يكتفي في بيان
موجود الله اعلم بحقيقته وبعضهم يفسرها
بـ حي لذاته مشتبك بالاجسام الكثيفة
بضر فعلى جميع ما قدمناه يمكن تقرير المقام
جميع التشبه التي ترد على البعث وسؤال
نظ افكار الضعفاء من الاضطراب فيقال
بن اليرواح من اجزاء فردة من مادة لطيفة
ولون بوجوده على ترتيب وكيفية ووضع
التي تذكر للروح وتفهم من نصوص

الشرعية من انها حية بنفسها اي لا تحتاج الى انضمام شيء اخر
تحيي به وانها ذات ادراك واذا حلت بالجسم اكسبته الحياة
والادراك وبقية صفات الحي (وهكذا المغناطيس بذاكته بالفولاذ
يكسبه خاصية جذب الحديد) وهي مع ذلك ذرة صغيرة جدا
لا تدركها حواسنا ثم كون من اجزاء فردة ذرات صغيرة جدا على
كيفية تقبل عند تعلق الروح بها الحياة وبقية خواصها من
الادراك ونحوه وجعل لها اعضاء الانسان كما للحيوانات المكرسكوبية
اعضاء وهذه هي الاجزاء الاصلية التي تقدم ذكرها ثم كون هيكل
آدم وهو الاجزاء الفضائية وجعلت ذرته في موضع من هيكله
ويمحتمل انه القلب لذلك الهيكل وهو الاقرب (وسياتي نقل
عبارة الفيسولوجيين التي تقرب ان القلب هو مركز ذلك) ثم وضع
ذرات جميع ذريته في ظهر هيكله ولا غرابة في اتساعه الملايين
هذه الذرات فان نقطة الماء الصغيرة تحتوي على حيوانات
مكرسكوبية عدد البشر الموجدين على وجه الارض كما تقولون فلا
مانع من اتساع ذلك الظهر لذرات بني آدم الذين يوجدون في
مدة الدنيا ثم انه سبحانه احل روح آدم في ذرته التي في داخل
هيكله وكأن اليه الاشارة في القرآن الشريف بقوله (ونفخت فيه
من روحي) اي من الروح التي انفردت بابداعها ومعرفة حقيقتها

وحقيقة تكوينها فمنذ حلولها في تلك الذرة نشأ عنها حياتها وسرت
الحياة الى بقية الهيكل لانه سبحانه قد كون الهيكل على هذا
الاستعداد ثم انه اخرج جميع ذرات بني آدم من ظهره واحل
ارواحها فيها فاصبحت حية مدركة فخطبها واخذها العهد ثم
فصل عنها ارواحها واعادها الى ظهر ادم وادخلها فيه من مسامه
كما اخرجها منها وهكذا تدخل الحيوانات المرضية في الاجساد
وتخرج منها كما تقولون ثم حفظ تلك الارواح حيث شاء من الكون
ثم صار يخرج تلك الذرات في مادة المني الذي ينفصل من آدم
الى رحم زوجته عند الجماع فتحل في البزور التي تنفصل من
مبيض زوجته فيكون هياكلها من تلك البزور مع السائل المنوي
ويطورها اطوارا حتى تبلغ صورة الهيكل الانساني واول ذرة من
اولاده نقلها الى بزررتها نقل معها عدد الذرات التي تكون اولاداً
لها ثم ينقل تلك الذرات في المني الذي ينفصل فيما بعد عن هيكل
هذه الذرة الاولى وهكذا الحال في بقية اولاده واولادهم يفعل
تلك الكيفية على هذا الترتيب الى اخر الدهر ولعل اليه الاشارة على ما
قاله بعضهم في تفسير قوله تعالى في حق الرسول عليه السلام (وتقلبك
في الساجدين) اي تنقلك في اصلاب الالباء وارحام الامهات
وعند بلوغ كل هيكل الى حد محدود يرسل الله تعالى الروح

فتحل في ذرتها وتسري فيها وفي هيكلها الحياة والحركة فكل انسان هو مجموع الروح والذرة وهذه الذرة هي الاجزاء الاصلية التي قال بها اتباع محمد عليه الصلاة والسلام وانها لباقية مدة العمر وهي المادة باعادة الروح اليها بعد ان تفارقها بالموت والهيكل هو الاجزاء الفضلية التي تروح وتبقى وتريد وتنقص فاذا اراد الله تعالى موت الانسان فصل عن ذرته الروح فتفارقها الحياة وفارقت الهيكل ايضا الذي هو الاجزاء الفضلية وحلها الموت فياخذ الهيكل بالانحلال ويمجرى عليه من التفرق والدخول في تركيب غيره ما يمجرى والذرة محفوظة بين اطباق الثري كما تحفظ ذرات الذهب من البلى والانحلال وان دخلت في تركيب حيوان فانما تدخل في تركيب هيكله الذي هو الاجزاء لفضلية محفوظة ايضا غير متحلة فاذا انحل ذلك الهيكل عادت محفوظة في اطباق الثري ولا تدخل في تركيب الاجزاء الاصلية لذلك الحيوان التي هي حقيقة غاية ما يطرأ عليها بالموت مفارقة الروح لها وانحلال هيكلها واذا اراد الله تعالى حياتها اعاد الروح اليها فتعود اليها الحياة وبقية خواصها وان كان هيكلها منحلًا ومن هنا تحل شبه سؤال القبر ونعيمه وعذابه وامثال ذلك من امور البرزخ التي وردت النصوص الشرعية بها وانها تكون قبل البعث ثم اذا اراد الله تعالى ان يبعث الخلق

لحساب اعداد تكوين هياكل الذرات الانسانية التي هي الاجزاء
الفضلية سواء كانت هي الاجزاء السابقة قبل الموت او غيرها
اذ المدار على عدم تبدل الذرات واحل الذرات في تلك الهياكل
وبتعلق الروح بها تقوم فيها وفي هياكلها الحياة ويقوم البشر في
النشأة الاسيرة كما كانوا في هذه الدار وجميع ما تقدم يمكن ان يكون
حاصلا في بقية الحيوانات غير الانسان في جميع تفصيله واذا
تصورنا سعة علم الله تعالى وعظمته قدرته واثارها في الكائنات
لا نستبعد شيئا من جميع ما تقدم سواء كان اجراء ذلك بواسطة
نواميس وضعها الله تعالى لذلك تجري عليها جميع تلك الاتصالات
والانفصالات والتكونات للاجزاء الفضلية او بدون نواميس واذا
تاملتم ايها الماديون فيما تقولونه باكتشافاتكم المكسوبة للحيوانات
الصغيرة جدا وكثرتها في نقطة ماء وحياتها وحركتها وادراكها في
امر معيشتها واحتراسها على نفسها تبين لكم انه لا غرابة ولا استحالة
في ان ذرات الانسان يمكن ان تحملها الحياة وجميع خواصها وان
الارواح تكون بتلك الخواص التي ذكرت لها واذا تاملتم في ان
المسام في الهيكل الانساني كثيرة جدا حتى قلتم ان في الشبر
المربع منه يوجد اربعة ملايين من المسام لم تستبعدوا خروج تلك
الذرات من ظهر آدم ثم اعادتها اليه ويزيد ذلك تقريبا لعقولكم

دخول الحيوانات المرضية مثل (الملاريا) في الاجساد وانتقالها
الى اجساد اخرى بالعدوى وسريانها في دورة الدم وامتال تلك
الحقائق المذكورة في كتب علومكم الطبية على ما نقوارن
ثم انكم تقولون بوجود حيوانات منوبة في السائل المنوي الذي ينفصل
من خصيتي الذكر ويلقى بزور الانثى وهي حيوانات صغيرة جدا
تشاهد بالمكركسكوب طول الواحد منها من جزء من خمسمائة جزء
الى جزء من ستائة جزء من القيراط وطول راس الواحد من جزء
من خمسة الاف جزء الى جزء من ستة الاف جزء ولها حركة في
السائل المنوي بواسطة تحريك اذناها بحيث تندفع رؤسها الى
جهات مختلفة ويظهر ان حركتها مستقلة لا تتعلق بالكيفيات
الخارجية بشرط ان لا تتغير كثافة السائل المنوي الطبيعية وقد
تدوم الحركة في داخل جسد الانثى سبعة ايام او ثمانية وخارجه
نحو اربع وعشرين ساعة واتجاه سيرها غير معلوم وقال بعض
الفيسيولوجيين انها تقطع قيراطا في ثلاث عشرة دقيقة وغاية ما
يعلم من فائدتها هو انها تكاد توجد في منى جميع الحيوانات وان
ملاستها لليضة اي بزر الانثى ضروري لاجل التلقيح كذا في
كتب الفيسيولوجيا فاي مانع ان تلك الحيوانات المنوية جعلها
الخالق تعالى تحمل ذرات بني آدم التي هي اصغر منها وتسير بها في

السائل المنوي حتى تلقيها في البزور المنفصلة من مبيض الام وابتدأ
عند ذلك تكون الهيكل الانساني الذي هو الاجزاء النضلية بنمو
البزرة ويكون الانسان الحقيقي الذي تحمله الروح وتسري الحياة
فيه ثم منه الى الهيكل هو ما حملته تلك الحيوانات وادخلته في
البزرة وتدخل معه الذرات التي هي عدد ما يكون له من الذرية
وتبقى هذه في هيكله حتى تخرج في منيه وتنتقل الى هيكل فروعه
وهلم جرا واذا كان الحال على هذه الكيفية التي لا يمنع منها عقل
ولا شرع يتحقق كلام اتباع محمد عليه السلام بل كلام كثير من
المقلاء ان كل انسان فهو منتقل من ابيه الى رحم امه خلاف ما
تقولون انتم ان الانسان هو من بزرة امه وانما منى ابيه لمجرد التلقيح
فانتم نظرتم الى الهيكل الانساني ولم تعلموا سواء فاذلك قلتم بذلك
وسواكم وصل الي ما وراء الهيكل فقال ان الانسان منفصل من
ابيه وليس لامه الا الهيكل وانفصاله من ابيه هو ما تدعن اليه
عقول الجمل الفقير ويستأنس له بعواطف الالباء على الاولاد
ثم ان الفيسيولوجيين اختلفوا في سبب نظام عمل القلب اي حركته
وعلموا ذلك بتعليلات واهية ثم رجعوا عليها بالنقض والذي استظهروه
اخيرا ان سبب ذلك العمل مستقر في القلب نفسه ثم قالوا انه
يظهر ان نظام حركته هو ناشيء عن العقد العصبية الموجودة فيه

فهي المراكز الحقيقية للعمل النظامي غير انه لا تعل الى الابد لماذا
تعمل هذه المراكز العصبية عملا منتظما من غير الاعمال دائما ثم قالوا
قد ظهر من تجارب كثيرة ان القوة الدافعة الناشئة من انقباضات
القلب هي وحدها كافية لدورة الدم انتهى فاذا تسلمتم في هذا
الكلام ظهر لكم وقرب في عقولكم ان يقال ان مركز الذرة الانسانية
هو القلب من الهيكل الانساني واذا حلت فيها الروح اورثتها
الحياة واخذت تتحرك تلك الحركة المنتظمة ونشأ عنها دورة الدم
وسرت الحياة منها الى سائر الهيكل وصغرها وصغر اروح لا يمنع
ان يشأ عنها ذلك العمل الكافي لحياة الهيكل ولا اعمال اعصابه
وعضلاته فكم من آلة صغيرة جدا اذا حركها طفل صغير يتولد عنها
حركة تدير آلة كبيرة جدا وينشأ عنها اعمال عظيمة تحتاج مباشرة
الى قوة عظيمة وهذا مشاهد في عمل الانسان فما بالكم في عمل
الآله العليم القادر الذي ركب مصنوعاته على كيفيات تنشوعنها
خواص تختار فيها الفكر وتذهل العقول وخلاصة ما تقدم ان
الانسان الحقيقي على هذا التقرير هو الذرة التي تحل في القلب
وتحل فيها الروح فتكسبها الحياة وتسري الحياة الى الهيكل ثم
الهيكل انما هو آلة لقضاء اعمال تلك الذرة في هذا الكون ولا كتناسب
معارفها بسببه وتلك الذرة مع الروح الحالة فيها هي المخاطب

بالتكليف، والمآد والنعم والمذهب الى اخر ما ورد في حق الانسان
وعلى هذا التمرير نجد ان الشبه التي وردت على ما جاء في الشريعة
المحمدية من البعث رسؤال القبر ونعيمه وعذابه وحياة بعض البشر
في قبورهم ونحو ذلك، قد سقطت برمتها كما يظهر بالتأمل الصادق
والله اعلم

فان قيل انا نرى نصوحا في الشريعة المحمدية تذكر اعادة نفس
الهيكل الانساني او تنص على اعادة بضعه كما في قوله تعالى (من
يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي انشاها اول مرة) فكيف
ينطبق هذا مع التوجيه الذي ذكرته للبعث والاعادة قلت مقتضى
ما قدمته من التوجيه ان البعث كما يكون للاجزاء الاصلية التي
هي الذرات بالكيفية التي قدمتها كذلك يكون للهيكل الانساني
الذي هو الاجزاء الفضلية ولكن الاشكالات المتقدمة على البعث
تندفع بما ذكر في اعادة الاجزاء الاصلية التي هي الذرات ثم
ان اعادة الهيكل الذي هو الاجزاء الفضلية سواء كان باعادتها
بأعيانها او بايجاد امثالها لا يرد عليها تلك الاشكالات بعد اندفاعها
بكيفية اعادة الاجزاء الاصلية على الوجه المتقدم وانما نصت تلك
النصوص على اعادة الاجزاء الفضلية التي هي الهيكل لدفع
اشكالات اخرى كانت تعرض لافكار اهل الجاهلية في اعادتها

اذ عند ذكر البعث لا تنصرف افكارهم الا الى اعادة هذا الهيكل
المشاهد لهم فيقولون كيف تعود الحياة للعظام بعد ان نصير رميما
وكيف تجتمع تلك الاجزاء المتفرقة في اعماق الترى فتدفع تلك
النصوص اشكالاتهم هذه بان الله تعالى قادر على ما لا يحجزه ذلك
فهو يهيى العظام كما بداها اول مرة وعاده محيط بجميع الموجودات
وقدرته شاملة لجميع الجائزات الى غير ذلك من الردود وهذا
لا ينافي التوجيه الذي تقدم في اعادة الاجزاء الاصلية التي هي
الذرات لتدفع به الاشكالات الاخرى التي نفذت فايها دل
ولتعلموا بعد جميع ما تقدم بسطه لكم ايها القوم اني لست اقول ان
ذلك التوجيه والتفسير للاجزاء الاصلية بالذرات والاجزاء الفضلية
بالميكمل الى اخر ما حررته في هذا المقام هو مصرح به في كلام
اتباع محمد عليه السلام كما شرحته او انه يجب عليهم اعتقاده بهذا
التفصيل والبيان كلا انما اقول ان علماءهم قرروا ان للانسان
اجزاء اصلية واجزاء فضلية ردفعوا بذلك الشبه التي وردت
على البعث ونحوه وانا قلت لكم انه يوخذ من كلام كثير من
اجلاء علمائهم (كالامام الرازي وابي طاهر صاحب سراج العقول
والشعراني والخازن وغيرهم) ان لا مانع ان يراد بالاجزاء
الاصلية التي ذكروها في دفع الشبه هي الذرات المذكورة في

تفسير الرسول عليه السلام للنص القراني الذي يذكر فيه اخذ
المهد على ذرية آدم وان تكون الارواح مع تلك الذرات هي
افراد الانسان الحقيقي و**ا** يراد بالاجزاء الفضلية الهياكل
الانسانية ويؤخذ من كلام علمائهم ايضا ان مقر الانسان الحقيقي
هو القلب من الهيكل فيكون ذلك الهيكل المتغير المتبدل آلة
للانسان الحقيقي في قضاء اعماله في هذا الكون واكتساب مآرفه
وهذا شي يوضح لكم اندفاع الاشكالات المتقدمة على البعث ولا
يمنع منه عقل ولا شرع و يسوغ لهم ان يقولوا به لدفع تلك الشبهة والا
فيكفي في صحة اعتقادهم ان يقولوا انا نعتقد ان لكل انسان روحا
الله اعلم بحقيقتها وكذلك لجميع الحيوانات ولا بد ان الله تعالى يعيد
الانسان بعد الموت ويحاسبه وينعمه او يعذبه كل ذلك على كيفية
لا تستلزم محالا ولا يلزمنا تفصيلها والله اعلم بها فان ذلك من
الحائز العقلي وسعة علم الله وقدرته لا يستحيل عليها ذلك فيا ايها
الماديون تأملوا في هذا المقام ودققوا النظر فيه فانكم لا تجدون
لتنصيلة ما يمنعكم في علومكم من تجويز جميع ما تقدم ان لكل انسان
نفسا يسمى روحا الى اخر ما ذكر في صدر هذا البحث الا ان
يكون المانع لكم هو العناد وان قلتم سلمنا جواز جميع ما تقدم عقلا
ولكن ما الحامل لاتباع محمد عليه السلام على اعتقاد حصول

ذلك بالفعل قلت الجواب ما تقدم بظايره هو ان الحامل لهم على
ذلك ما ورد في نصوص شرعية على لسان رسوله الصادق عليه
السلام التي تصرح بمحصل ذلك ونجموعها لا تحتمل التاويل
وما دام ذلك منطوقا على العقل وجائزا في احكامه فلا يسوغ لهم
ان يتركوا ظواهر تلك النصوص ويميلوا الى التاويل بوجه من الوجوه
على ان المذهب مذهبهم بان كان المشهور ان دأبل حوازه عقلي
ظهير ما تدل على دلائل شرعية بالفعل نقلي هو حصول الشريعة المحمدية
ولكن اذا دقق النظر بتبين وقوعه بالفعل ادلة عمالية ان لم تكن
برهانية قاطعة فهي اقناعية تدعى لما العقول وتطعم عند العلوب
و بتوارد مجموعها على الفكر يجزم العقل وقوع البعث ولا يعير
للشك فيه اذنا صاغية واستمعوا لما التوه عليكم من ذلك على ما افاده
بعض علماء الامة الاسلامية (الرازي) مع ما ازيد عليه من توضيح
او استمع من فيه من اختصار

فاقول انه بعد اقامة براهين لطاعة على وجوده في العالم واتساعه
بصفاته الكاملة وسوء حكمته وعدله في خلقه ورحمته لم لا شك ان
كل معتقد لذلك يظهر له ان من حكمته تعالى وعدله بعد ان
خلق الخلق واعطاهم عقولا يميزون بها بين الحسن والقبيح وقدر
بها يقدر على الخير والشر ان يمنعم عن ذكره بالسوء وعن

الجهل والكذب وايداء الصالحين من خلقه وغير ذلك من القبائح
ويرغبهم بعمل الخير والاتصاف بالاخلاق الفاضلة التي ينتظم بها
مناشهم ومن المعلوم ان هذين لاسري لانيان الا يربط عمل
الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وكل من الثواب والعقاب غير
حاصل في دار الدنيا فلا بد من دار اخرى يحصل فيها ذلك ولا
يقال انه يكتفي في الترهيب والترغيب بما اودع في العقول من
تحسين الخيرات وتقيح المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان
الى الانهاك في الشهوات الجسمية واللذات الجسدية واذا
حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح قوي ومما ضد كامل وما
ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل
والترك

ثم ان صريح العقل يقضي ان من حكمة الحكيم ان يفرق بين
المحسن والمسيء وحصول هذه التفرقة ليس في هذه الدار لانارى
كثيرا من اهل الاساءة في اعظم الراحة وكثيرا من اهل
الاحسان بالضد من ذلك فلا بد انه بعد هذه الدار من دار
اخرى تحصل فيها تلك التفرقة

ثم انه لو لم يكن للناس زاجر من خوف المعاد اكثر المهرج والمرج
ولعظمت الفتن وفسد نظام المعاش ولم يجد المكلف وقتا لاداء ما

كاف به فلا بد من حصول دار الثواب والمقابلة انتظام احوال
العالم وتضامن عن الفساد وان قيل يكفي لبقاء نظام العالم مهابة
الملوك وسياستهم وايضا فالأوباش يعاون انهم او حكموا بحسن
الهرج والمرج لا نقلب الامر عليهم ولقد رغبهم على قتالهم واخذ
اسوالم فلهذا المعنى يمتدرون عن اشارة الفتن قلنا ان مجرد مهابة
الملوك لا تكفي بذلك لان الملك اما ان يكون قد بلغ في القدرة الى
حيث لا يخاف من الرعية واما ان يكون خائفا منهم فان كان
لا يخاف الرعية مع انه لا خوف له من المعاد ايضا فينبذ يقدم على
الظلم والايذاء على اقبح الوجوه لان الداعية النفسانية قائمة ولا رادع
لها في الدنيا ولا في الآخرة واما ان كان يخاف الرعية فينبذ الرعية
لا يخافون منه خوفا شديدا فلا يصير ذلك رادعا لهم من القبائح
والظلم فتثبت ان نظام العالم لا يتم ولا يكمل الا بالرغبة والرهبة
في المعاد

ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية
وكان بعضهم اقوياء وبعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله ورحمته
ان ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوي والله سبحانه وتعالى
سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف
لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل

في هذه الدار لا نرى المظلوم قد يبقى فيها مهانا في غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض مهدور الدم والظالم يبقى في غاية العزة والقدرة فلا بد من دار اخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف

ثم انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان الانسان اخس من جميع الحيوانات في المنزلة والشرف وبيان ذلك ان مضار الانسان في الدنيا اكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها في الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتامل اما الانسان فانه بسبب ما يحصل له من العقل يعفكر ابدا في الاحوال الماضية والاحوال المستقبلية فيحصل له بسبب اكثر الاحوال الماضية انواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب اكثر الاحوال الآتية انواع من الخوف فثبت ان حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية اما اللذات الجسيمانية فهي مشتركة بينه وبين سائر الحيوانات لان السارقين في مذاق الجعل طيب كما ان الفخر الحلويات في مذاق الانبيان طيب فلو لم يحصل للانسان معاد به تكمل حاله وتظهر سعادته لوجب ان يكون كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم ان كل

ما يكون كذلك فانه يكون سببا لمزيد الخسة والديانة والشقاء
والتهيب الخالية عن المنفعة فثبت انه اولا حصول السعادة الآخروية
لكان الانسان اخس الحيوانات حتى الخنافس والديدان ولما كان
ذلك باطلا قطعاً علمنا انه لا بد من الدار الآخرة والانسان خلق
للاخرة لا للدنيا نعم ان هذه الدار هي كالمميز بين الخبري منه
والشريري يجزي الاول بالشواب والثاني بالعقاب لان كل من كان
شريراً فالنار اولى به ويكون حظه من الوجود ما يحصله من لذات
هذه الدار فلذلك نراها موفورة للاستمرار منغصة على الاختيار

ومن هذا المقام تعلمون ايها الماديون انه يصدق فيكم قول اخصامكم اهل
الشرائع والمثل ان مذهبكم سيما في انكار المعاد شر لا ياتاه شر لانه
يلزم عنه انه لا حلال ولا حرام ومع هذا يمتنع العمران وجوابكم بان
نظام العالم يكمل بمعرفة الانسان ما له من الحقوق وما عليه من
الواجبات فهذه المعرفة تكمل له باعلم الصحيح التام العام فاقول قد
غفلتم في هذا الجواب عن ان الاهواء والشهوات وحب الذات
لا يقاومها مجرد النواميس التي يقيمها العلم فلا بد من وازع اخر
يزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجران
سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافئة على الاعمال ان خيراً فخير
وان شراً فشر والا فليشامل العاقل ان الانسان اذا كان يعتقد انه

مثل نبات الارض ينبت ثم يزول لا الى رجعة وليس له حظ من وجوده الا لداته الحيوانية التي ينالها مدة حياته فمهما سن له العلم من الضوابط لمعرفة ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات فاذا قدر على قتل سواه واخذ ماله الذي يبلغ الملايين بدون ان يطلع عايه احد من الناس او على هتك اشرف عرض وبلوغ اشهى لذة بدون اطلاع احد فهل يظن ان تلك القوانين التي سنها له العلم تردعه عن ارتكاب ذلك لا يقول بذلك الا مكابر ان الانسان مفطور على حب ذاته فمن يدري به حق الدراية لا يأمن له في شيء الا اذا وجدته مرتبطا بالدين واعتقاد المعاد انا نرى بعض الامم تعتقد المعاد ويظهر فيها ما يظهر من الفساد فكيف يكون حالها لو نسخ هذا الاعتقاد منها فبلا شك ان فسادها بالدرهم يصير بالقناطير على اننا نرى الامم التي انتشر بينها العلم في هذه الازمان لا تزال اخذة في سبيل الشرور بل كلما ازداد علمها ازدادت شرورها وفتى فيها الزنا الذي يضيع الانساب ويحل عقد التناصر وقتل النفس والانتحار وازالة العقول بالمسكرات والاحتيال بعلومها وصنائعها على سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من الاخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية وما ذلك الا لان علومها التي برعت فيها ليس لها في اعتقاد المعاد نصيب وبظني ان تلك

الاعم لولا بقية من اعتقاد المعاد قائمة بينها اوجدناها قد هوت
لدمار واخذت تنمحي من لوح الوجود ومما اضحك التلكى انكم لما
لاحظتم ان العلم لا يتكفل بنظام الهيئة الا اذا كان تاما عاما في جميع
الافراد الانسانية اشتراطتم في تكفله بذلك ان يكون تاما عاما ثم قاتم
لا بد من ذلك يوما ما الا ان ذلك بعيد جدا وربما يلزم له اوف
من الاجيال فانتم في رفضكم لاعتقاد المعاد وتمنيكم في العلم هذه
الاماني الواهية مثل الطبيب الاحمق الذي يقول للمريض بالمرض
القاتل اترك الحمية وكل ما شئت واني بعد كذا كذا من السنين
آتيك بدواء يكون به شفاوك فقد صدق هنا المثل الدارج (الى
حينما ياتي الترياق من العراق يكون مسلوع الهوى فارق اعلى انه ليس
من حسن التدبير وكياسة الراي والاخذ بالحزم مع اعتقادكم
لمذهبكم من انكار المعاد ان تظاهروا به بين العموم وتدرسوه
للاحداث حتى تروا ان العلم الذي تزعمونه بمجرد متكفلا بحفظ
نظام العالم قد تم وعم والافانتم بعباهرتكم بهذا المذهب الباطل قد
فتحت باب الدمار على العالم ونعوذ بالله ان يشيع هذا الفكر بين الامم
ومعاذ الله ان يشيع والعقول السالمة تأباه هدانا الله واياكم لما
فيه خير الانام

واني انصح لكم ان تأخذوا بالحزم والاحتياط وتنصروا انكم اذا

صدقتم بالعماد وتاهبتم له فان كان حقا بجوتكم وان كان باطلا لم
يضركم هذا الاعتقاد غاية ما في الباب ان يقال انه تفوزكم اللذات
الجسمانية الا ان هذه اللذات يجب على العاقل ان لا ييالي بها
لاحرار. - وهذا انها في غاية الحساسية لانها مشترك فيها الخنافس
والديدان والكلاب. والثاني انها منقطعة سريعة الزوال والفناء
فالحرص عليها لاساوي ترك الحزم والاحتياط في الامر الذي
تخشى عواقبه

هذا وقد بقيت مسألة من المسائل التي ذكرتم فيما تقدم انكم تنكرونها من
النصوص التي في الشريعة الحمديدية وهي مسألة نزول المطر من السماء
وذلك انكم تقولون ان اخباركم في علومكم دل على ان الامطار
تنزل من اجرة ترتفع من الارض والبحار وتنصاع الى الطبقة الباردة
من الهواء فتجتمع هناك بسبب البرد وتنزل بعد اجتماعها وذلك
هو المطر فاقول ان النصوص التي وردت في الشريعة الحمديدية من
المتواتر الذي عليه الاعتماد في الاعتقاد نشان المطر هي على قسمين
منهما ما تصرح بان المطر ينزل من السماء ومنها ما تصرح بانه ينزل من
السيحاب ثم السماء تطلق في اللغة العربية التي وردت في الشريعة
الحمديدية بها على عدة معان كافي قوامها تلك اللغة ومنها السماء التي هي
مسكن الملائكة ومنها سقف كل شيء وكل بيت ومنها كل ما علا

السي فهو سماءه ومنها السحاب ومنها المني وقاعدة لم اكن الا اعادة
المقررة عند اتباع محمد عليه السلام ان يعتقدوا دواهر منصوص
السرعية وبعالي المتبادرة منها ما لم يقم دليل عقلي واضح على حلاها
وان قام دليل كذاك اخذوا بتأويلها واتريق بينها من ذلك
الدليل على هذا فهم يعتقدون المني الطاهر. درس في السماء
المذكور في انزال المطر وهو الجسم الذي هو مسكن الملائكة كما هو المراد
في كثير من الامتعالات السريعة ويزيدون ان انصوص التي تشرح
بنزل المطر من السماء والتي تشرح بنزوله من السماء بان الله تعالى
قادر على انزاله من السماء على البحارات المجتمعة المسماة. سمع ثم يدرله
منها الى الارض فتارة تذكر النصوص الشرعية على نزوله الاول
وتارة تذكر محل نزوله الثاني والله اصدق العالمين وان تبت لديهم ما
نقولونه من ان المطر ليس الابحارات لارض وجرها وتتحقق ذلك
بالبرهان القاطع ساع لهم على موجب القاعدة المتقدمة ان يؤاوا
النصوص التي يتبادر من ظواهرها ان المطر ينزل من السماء التي
هي مقر الملائكة بان المراد بالسماء في هذه النصوص هي ما علاها و صار
سقفا لنا وهو السحاب (ذكر هذا التاويل الامم الرازي في تفسير
سورة البقرة و اشار اليه الشيخ الشرنبلالي في حراقي لفلاح) وان
يقال انه لما كان نزول المطر باسباب سماوية من جعلها حرارة الشمس

التي تثير وتصدد الاجزاء المائية من اعماق الارض او من البحار
والانهار الى جو الهواء فتتخذ سحابا فتُمْطَرُ كان الانزال من
السحاب حقيقة ومن الساء مجازا باعتبار السببية والله مسبب
الاسباب (ذكر هذا حقي افندي في تفسير سورة النبأ) فبعد هذا
البيان اي اشكال لكم ايها الماديون في نصوص هذا المقام
ما دامت تنطبق على العقل باقرب تاويل وقد بقي كثير من
نصوص الشريعة المحمدية اخال انكم باطلاعكم عليها تنكرونها في
اول الامر لعدم معرفتكم توحيتها وبما قاله علماء الشريعة في معانيها
وكيفية اعتقادها ولكن اذا سألتهم اهل الذكر والمعرفة من اتباع محمد
عليه السلام لا تجدون شيئا منها الا له انطباق صحيح على قانون
العقل لا يخالفه بادنى مخالفة ولكن المدار على المذاكرة مع علماء هذه
الشريعة المتبحرين فيها العالمين بقواعدها المحيطين بما قاله اجلؤها
في تفسير نصوصها الذين شافوها الرسول عليه السلام لا مع الضعفاء
الذين لا يعلمون منها الا رسوم العبادات واحكام المعاملات
فتظنونهم من افاصل العلماء واساطين الحكماء فهولا - ربما يكونون
عقبة في سبيل ايمان امثالكم لجهلهم بقواعد الدين الحمدي وعدم
معرفتهم في طرق التوفيق بين نصوصه والادلة العقلية ومتى يجب
ذلك التوفيق فقد يسلكون بغفلتهم سبلا يقصدون فيها المحاماة

عن الدين الاسلامي فيجابون امتنفيرون عنه عوفد عن التأليف اليه
فهم بذلك اضر على الدين من ادواته الالقاء قد سمعت عن
بعض هؤلاء الضعفاء انه يقول لا يجوز في الدين الاسلامي الاعتقاد
بوجود قارة اسيريك لان اعتقاد ذلك يستلزم اعتقاد ان الارض كرة
وهو خلاف الاعتقاد الاسلامي انتهى فهذا المسكين قد كلف بجعله
اهل الاسلام ان يكابروا بالمحسوس ويجعلوا دينهم سخريه بين الامم
وحاشا الدين الاسلامي ان يكون بهذه المثابة وان ينحط الى هذه
الدرجة السافلة وهو اعظم الاديان متانة في القول وابداها عن
الاعتقادات الباطلة والتصديق بما ترفضه العقول السليمة وقد كان
لهذا المسكين مناص عن تعسفه في هذا الطريق الحرج بان لا ينكر
وجود اميريكما اثابت وجودها بالبيان وبالتواتر واذا وجد كما زعم
ان الاعتقاد بوجودها يستلزم قطرا الاعتقاد بان الارض كرة فله
ان ياخذ بقول من قال من اجل علماء الملة الاسلامية بكروية
الارض كالامام الرازي ويؤمل الظاهر من النصوص الشرعية التي
يتبادر منها ان الارض مبسوطة بتاويلات موافقة فيقول مثلا في
النص القرآني الذي يقول والارض بعد ذلك دحاها ان المراد
بالدحو تسوية ظاهرها بجعلها صالحة للسكنى كما قاله بعض المفسرين
ولا يضر حينئذ هذا الاعتقاد في الشريعة المحمدية ما دام موافقا

قول من اقوال علمائها الذين تعتمد اقوالهم في الدين وفي فهم
انصرص الشرعية وجاريا على وجه من اوجه التاويل الصحيحة
اكن من اين لهذا المسكين ان يدرك هذا المدرك وهو لا يعلم الا
شقيقة اللسان ببعض الفاظ الاحكام فهو صديق للدين ولكن
صديق احمق سالك في سبيل عدو ذلك من وفور جهله وقلة
عقله وفقنا الله جميعا للتبلي بالعلم الحق وسلوك منهج الصواب
اللهم امين)

هذا وما بلغ العالم المحمدي في كلامه مع هذه الطائفة الماديين الى
الى هذا الحد من البيان الذي كشف كل شبهة قامت لهم في الشريعة
المحمدية واراهم منزلة مذهبهم في نظر العقل السليم استيقظوا من
غفائهم وانتبهوا من رقدتهم وبعثت الباهم من لحود الاوهام
ونخلصت افكارهم من قفار الظلام وقالوا له انا لك من الشاكرين
ايها الناصح الامين والمرشد المبين فقد ازلت من امامنا صهوبات
ومهدت عقبات ولكن انت ازلت المانع من تصديق محمد عليه
السلام فبقي علينا المقتضي لتصديقه وهو يكون عندنا متى وجدنا
الادلة التي قامت عند اتباعه صحيحة دالة على صدقه دلالة قاطعة
فقال لهم ذلك العالم ان هذا الامر اليكم وسهل بمشية الله تعالى عليكم
فشرعوا في النظر في تلك الادلة وتدقيق البحث فيها مفصلة وجملة

فظهر لهم بعد امعان النظر واجالة الفكر انها من الصفة يمكن نالة
على صدق محمد عليه السلام دلالة لا عتريه لريب لاسيما بموعدا
فان المعتل السليم يحيل ان تنفق جهة بها على صفة دعواه عليه السلام
وهي تكون غير صحيحة واعتقاد الصدف في اتناقها لا يذعن به العقل
على ان منها ما ليس لمحمد عليه السلام في امامته دخل ولا يقول
بمحصول الصدف والاتناق في ذلك الا مكابرا وتفصيل هذا قد مر
في صدر كلام هذه الطائفة عند ما اخذت تستوضح حال محمد
عليه السلام وسياتي في الردود على الطائفة التي تروم نشكك
اتباع محمد عليه السلام في ادلتهم فارجع لكل في مرجعه ولا حاجة
الى التكرار هنا) فعند ذلك صدقت هذه الطائفة محمدا عليه
الصلاة والسلام في دعواه الرسالة من عند الله تعالى مقرين
بوجوده سبحانه مصدقين برسله وكتبه والبعث وجميع ما جاء به
وامنوا بذلك ايمانا ثابتا عن بيان كاف وتوضيح شاف فاصبحوا من
اكرم اشياعه عليه السلام واثبت اتباعه والله على كل شيء
قدير

هذا وقد كان يوجد من كل طائفة من الطوائف المتقدمة اناس لهم
رأسة في قومهم اما رأسة دينية واما رأسة امارة وسياسة ولهم نفوذ
كلمة وسطوة على القلوب فلا يعصى لهم امر ولا يرد لهم رأي هم

المتبوعون في الاقوال والافعال وسائر قوعهم لهم اتباع وهم المسامحون
اذا سطوا على الاموال والاعراض والدماء لكان رؤسهم وعرة
عصبيتهم فعندما ادعى محمد عليه الصلاة والسلام الرسالة من عند
الله تعالى وجرى ما جرى له مع الطوائف المتقدمة وآخر الامر
صدقوا دعواه بما ثبت لديهم من الدلائل على صدقه قام في نفوس
اولئك الروساء المذكورين صدق دعواه ايضا وجزموا بذلك اكمل
الجزم لوضوح دلائله ولكن حب الرئاسة وما لهم من التميز بين
اقوامهم حال بينهم وبين الاذعان والخضوع له عليه الصلاة والسلام
والاقرار بتصديته وذلك انه خطر لهم انهم اذا اتبعوه وخضعوا له
سلبوا تلك الرئاسة وحرموا ذلك التميز ولزمهم ان يكونوا اتباعا بعد
ما كانوا متبوعين وتجري عليهم احكام شريعته لا يميزون عن سواهم
في شيء كما هو شأن تلك الشريعة من التسوية بين جميع اتباعها
وانهم لا يناون شيئا من اموال قومهم التي تدخل تحت تصرفه عليه
السلام الا اذا عملوا عملا يعود على اتباعه بالنفع وان من يسطو
منهم على احد في مال او عرض او دم لا يسامح بمنقال ذرة الا ان
يعفو صاحب الحق فكتهموا ما قام في نفوسهم من صدقه عليه السلام
واخذوا يفتكرون في امر يعاكس شأنه ويفرق عنه اتباعه فرأوا ان
الاقرب في بلوغ ذلك المأرب ان يلقوا الشبه على الطوائف الذين

اتبعوه ليوقعوا في دوسهم لتأت غارا رهين الدلائل التي
استدل بها ارائك الطوائف بتطريق الاعتدال بها وايراد
التاويلات حتى تعود في طهرهم غار بتيبية بقرين سم عبيد
ان هذه الدلائل التي اعتمدتم عليها في تدبير محمد عليه السلام
ما هي الا دلائل ظلية ولا ياتكم ان تتركوا عنكم المألوفة
وما كان عليه اباؤكم من المعتقدات وما تليدود من الاديان التي
جاءت بها الرسل المتقدمون لمجرد دلائل ظلية والطرف لا يتمد
عليه في مثل هذا الحال فرتبوا في افكارهم تلك الشبه الواهية
والاحتمالات الباطلة

وجاءوا للطائفة التي صدقت محمدا عليه السلام حينما تحدى
بالقران وقال انه يستعبر الفصحاء والبغاة بسورة منه وهم كانوا من
اهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن المعارضة وصدفوا بسبب ذلك
دعواه بالرسالة فقالوا لهم يحتمل ان محمدا عليه السلام قد حصل
له درجة من الفصاحة والبلاغة لم توجد في احد منكم فعجزتم عن
معارضته وكثيرا ما يوجد بين اهل كل صناعة من يبلغ الدرجة
القصوى فيها حتى يقر له سائر اهلها بانه رئيسهم وهم عاجزون عن
شق غباره فاجابهم تلك الطائفة بان صناعة النصاحة والبلاغة
وان كان اساسها استعداد صاحبها في اصل فطرته ولكن لا بد لكانها

وبلوغها فيه درجة سامية من ممارسة وتدرج في طرقها من نحو
قول الاشعار وروايتها وسأناة الخطب ودراستها ومحاورة الفصحاء
ومغالبة البلغاء حتى تقوى فيه ملكتها ويصيح من زورتها حسب
التمداد الذي فطر عليه وايضا ما بلغت درجتها من السمو فلا بد
لها من نظير من نوعها ومثال من صنفها ولو كان دونها في درجات
وَنَرى محمدا عليه السلام وان كان في اصل فطرته مستعدا
لتلك الصناعة ولكننا لم نجد من اول نشأته الى ان بلغ الاربعين
سنة من عمره التي هي سن التحصيل والممارسة قد مارس تلك
الصناعة ممارسة تستلزم له بلوغ تلك الدرجة ولم يكن في تلك المدة
له معاناة في الاشعار لا قولاً ولا رواية وكذلك الخطب والرسائل لم
يكن له فيها عناية ولم نجد في تلك المدة ايضاً مولعا بمحاورة الفصحاء
ومغالبة البلغاء وهويين اظهر بالايحفي علينا حاله وكيف يخفى ومن
يعاني تلك الصناعة يشتهر بيننا كالشمس في رابعة النهار لانها من
اعظم مفاخرنا فعند ما بلغ سن الاربعين وادعى الرسالة وتحدثنا
بالقرآن ما راعنا الا ما وجدناه في قرآنه من تلك الفصاحة البارة
والبلاغة الصاعدة اللتين رُمينا عندهما بالعجز واصبنا بالوهن وايضا
قد انفرد ذلك القران في منهجه الذي سلكه في الفصاحة والبلاغة
بما لا نجد له نظيراً فلا هو من الاشعار ولا الارجيز ولا من نوع

المخاطب والرسائل ولا له مثال يحمدي عليه
الغربة فعلى من مارس محمد عليه السلام
بها في قرآنه وهي لم تتهد بين الرب اجمع
ويبلغ فيها هذه الدرجة التي لا تلحق ما هذه
بل عادة كل مخترع ان يعذر عنه اختراعه
حتى يبلغ الغاية التي تمكن فيه واما ان المخترع
القصوى التي لا تستطاع وليس بعدها منزل
المخترعين من البشر ولا يعد ان يقال
حسب الاستقراء الا ان يكون الاختراع طه
محمد عليه السلام لتلك الصناعة في الماضي
الدرجة التي لا تلحق وانفراد قرآنه في ذلك
الغاية في الفصاحة والملاحة حتى عجزنا عن
الاحتمال الذي جوزتموه واردم ادخال الش
لا نزال مصدقين محمدا عليه السلام في دعوا
ونقول ان ذلك القرآن ليس الا تيان به في
منزل من عند الله تعالى كما ادعاه محمد عا
فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين
السلام بسبب انهم وجدوا القرآن الذي

الصفات الفاضلة التي لا يمكن اجتماعها في كلام الا ان يكون من
عند الله تعالى والى الطائفة الذين صدقوه بسبب انتظام حال
شريعته عليه السلام واحتوائها على كل فضيلة وتكفلها بانتظام حال
متبعيةها فقالوا لهاتين الطائفتين قد بلغنا ان محمدا قبل دعواه الرسالة
قد سافر الى بلاد الروم في تجارة مرتين وبلغنا انه اجتمع هناك
بعض رهبانهم (بجيرا الراهب الذي عند ما راه مع تجار قریش في
طريق الشام تفرس به انه نبي اخر الزمان كما هو منقول في السير
النبوية) فاعله نقل هذا القرآن المشتمل على الفضائل عمن ذكر
وتعلم منه تلك الشريعة وجاء بالاده وادعى الرسالة وعضد دعواه
بذلك القرآن وتلك الشريعة ولعدم وجود احد في بلاده من اهل
المعرفة الذين يمكنهم معارضته بالاثبات بمثل ما جاء به توهمتم ان ما
جاء به حصل له من جانب الله تعالى دون صنيع البشر فاجابهم الطائفتان
المذكورتان بان مثل ذلك القرآن المحتوي على تلك الصفات
الفاضلة التي مر شرحها في استدلالنا وبيان ان اكبر العلماء والحكماء
والسياسيين يعجزون عن جمعها في مثل ذلك الكتاب وان مثل
تلك الشريعة المشتملة على ما تقدم شرحه ايضا في استدلالنا من
العقائد الحقة والاخلاق الحسنة والعبادات المبنية على الحكم والاسرار
الباهرة والاحكام التي تنكفل بانتظام احوال الانام وغير ذلك

مما سبق ان استيفاء عدده يحتاج الى ٢
جواز تعامه من الغير لاحتاج الى زمان
السنين ولو كان المعلم من اربع الحكماء
ومحمد عليه السلام انما غاب عن بلده
عاشه بين اظهرنا مع تجار قریش الذين
للتجارة اياما معدودة هي مدة الذهاب
الروم وقضاء مصالح التجارة وهذه مد
عليه السلام بابا واحدا من ابواب شريه
منا يعلم صعوبة التعلم واحتياجه الى الزه
جاء به محمد عليه السلام للكتاب
والاحتياج الى الزمان المديد بمكان ف
امي لا يقرأ ولا يكتب فكيف يجيز العقل
وقصر زمان غيبته عن بلده واميته عا
يدعيها لنفسه ويذكر في القرآن الذي
انه النبي الامي ويذكر فيه ايضا في ال
هو من عند الله تعالى ليس بتعلم من البد
تلمن قبله من كتاب ولا تخطه بيمنه
هي اي تلك الامية ثابتة عندنا بلاريه

بين اظهرنا ولم نعلم انه عانى صنعة القراءة والكتابة ولا رآه احد منا
او نقل اليها انه خط سطر او احدا يوما من الايام ولو انه كان يعرف تلك
الصنعة بين قومه الذين لا يوجد منهم من يعرفها الا الافراد القلائل
لما خفي علينا حاله في تلك المدة ولو قصد اخفاءها وكيف يتقصده
ولا داعي يدعو اليه بل الداعي يدعو الى اظهار حاله لما فيه من الصفة
الكاملة بين تلك الامة الالهية والعقل لا يصدق ان هذا الرجل من
قبل تعلم تلك الصنعة صمم على انه يتعلمها ويخفي حاله ثم يستعين بها على
تعليم ذلك القرآن وتلك الشريعة من بعض رهبان الروم ثم يدعي
الرسالة من اين ضمن لنفسه تمام ذلك ثم لا اخفاء حاله في تعليم
تلك الصنعة وتم له تعلم ما جاء به وادعى تلك الدعوى لا يقول
بذلك الا كل مكابر او منقاد للاوهام وبعد ذلك كله فان العقل
لا يصدق بوجود معلم قد حوى جميع تلك المعارف التي اشتمل عليها
القرآن وتلك الشريعة واحاط باطراف تلك العوارف لا في بلاد
الروم ولا في غيرها وقد ظهر لنا بسند مختلطنا للروم ان ما جاء به
محمد عليه السلام لا يوجد عند علمائهم اجمعين فضلا عن وجوده
عند بعضهم بل رايناهم بعد المخالطة والاطلاع على ما جاء به محمد
عليه السلام يعجبون من حسن انتظام الشريعة ويقتبسون منها ما
يوافق سياسة بلادهم فكيف يكون ذلك عند علمائهم ولا يشيعونه

بينهم ويبقى خفيا حتى يظهره محمد عليه السلام فيقتبسون
منه ما يقتبسون على انه يوجد في جوار كثر مما يخالط دين
الروم في العقائد والاعمال والاخلاق ويذم ذلك منهم غاية الذم
فكيف يمنع القتل ان بعض رهبان الروم علم محمدا ذلك وادعى
دعاه اليه على انه ارغض النظر عن جميع الموانع المتقدمة التي
تمنع من تعلم محمد عليه السلام ما جاء به من بعض رهبان الروم
فانه يوجد مانع اخر قوي يمنع من ذلك بانه وان محمدا عليه
السلام ما جاء بالقرآن والشرعة دفعة واحدة واظهر ذلك للناس
في اول دعواه بل جاء بذلك متفرقا متبعا من اول دعواه الرسالة
الى ان تم دينه وانتشر بين الطوائف الذين اتبعوه والاعم الذين
صدقوه فكان يأتي بالاية والايتين والسيرة والسورتين من قرانه
على حسب الحوادث التي تحدث بينه وبين خصامه او فيما بين
اتباعه مشتملا ذلك على ما يقتضيه الحال من استدلال او دفع
شبهة او جواب سؤال او غير ذلك وكذلك احكام الشريعة كان
يبلغها للناس شيئا بعد شيء على حسب المصالح والحوادث والمشاكل
والسؤالات فيأتي في مقابلة كل شيء من ذلك بطبق المرغوب
والمخلص انه كان يأتي في مقابلة كل حادث يحدث معه في مدة
دعواه بما يناسبه ويوافقه من القرآن والشرعة وهذه الكيفية معلومة

بالضرورة لنا ولمن نقل لهم خبره وسيرته بالتواتر الصحيح وحينئذ
يقال ما الذي اعلم بعض رهبان الروم بجميع الحوادث المستقبلية
التي سوف تقع وتتفق لمحمد عليه السلام بينه وبين اخصامه او
اتباعه فسلمه لكن منها ما يناسبه من القرآن ومن الشريعة فمرف
جواب كل سوال سوف يرد عليه ودفع كل شبهة وحكم كل
حادثة يتفق حدوثها في مدته ودواور دكل شيء من ذلك ما
يجب له في وقته مسددا مقنعا للافكار وانا نرى من تلك الحوادث
ما لا يخطر في بال احد انه سوف يقع او يتفق وقوعه الى اخر الدهر
ومن يطلع على جميع ما حدث من الحوادث في مدة دعواه عليه
السلام يعلم ان احاطة بعض رهبان الروم الذي تزعمونه بجميع ما
سوف يحدث في تلك المدة واستحضار ما يلزم له هو من المحال البتة
لا يقول به الا كل عنيد وان قلتم انه يوجد في اتباع محمد عليه
السلام رجل (قيل هو سلمان الفارسي رضي الله عنه وقيل غيره)
هو من امة شهيرة بالمعارف ونظامات الممالك فما المانع من ان محمدا
عليه السلام يتعلم من ذلك الرجل احكام ما يرد عليه من الحوادث
واجوبة ما يلقي عليه من المسائل ودفع ما يعارض به من الشبهة
وغير ذلك كل شيء ياخذ به عنه في وقته فكما ورد عليه امر من
ذلك لجا الى ذلك الرجل وساله عنه فيعلمه ما يقتضيه الحال قلنا

ان توهم هذا الامر من السخافة بكان اولاً لا ينبغي ان امر التعلم
لا يتأتى في جاسة واحدة ولا في جلسات قليلة ولا يتم في الخفية
بل التعليم انما يتم اذا اختلف المتعلم الى المعلم ازمة متطابقة ومردداً
متباعدة واو كان الامر كذلك لا تتعبر بين الامرين ان محمداً عليه
السلام يتعلم العلوم من فلان والحال ايس كذلك وتالياً او كان
ذلك الرجل معلماً لمحمد عليه السلام جميع تلك العلوم التي وجدت
في قرانه وشريعته لكان في غاية الفضل والتعظيم يشار اليه بالبنان
والحال ان ذلك الرجل الذي تزعمونه ليس بهذه الدرجة السامية
بل هو من المشاهير بالمدرة بين الناس ويوجد كثير من اتباع
محمد عليه السلام يفوقونه في الاحاطة باحكام الشريعة بدرجات
وهو نفسه يكتب منهم ومن دونهم ويتعلم ما يحتاج اليه ويخضع
لديهم خضوع التعلم له عام ولا يصدق العقل ان يقتدر على اخفاء
حاله بهذه الدرجة وتأثراً لو كان هو المسمى لمحمد عليه السلام لا ضطر
محمد الى تقديمه في المرتبة والمقام بين تلاميذه على جميعهم وارام يقره
محمد في تلك المنزلة لما صبر هو على ذلك فمن نراه بين اتباع
محمد دون كثير منهم في الرتبة وسورض بذلك غير متذكر منه
ورابعاً انا قد خالطنا فيما بدامة ذلك الرجل فلم نجد عندها جميع
ما جاء به محمد عليه السلام من العلوم والاحكام والشرعية الجامعة

لكل خير وكثير منها لم يوجد عندهم منه عين ولا اثر بل وجدناهم
يقتبسون من شريعته ما يرونه مناسبا لسياسة بلادهم فمن اين جاء
ذلك الرجل جميع تلك المعارف وامته محرومة منها فكل ذلك
يبطل هذه الاحتمالات التي اوردتموها علينا ايها المشككون وياقيها
في حيز الاهمال فنحن لا نزال مصدقين بدعوى محمد عليه الصلاة
والسلام بدون شك ولا ريب

فمال اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق
محمد عليه السلام باقرار اهل الفصاحة والبلاغة بالعجز عن معارضة
قرآنه وبشهادة اهل المعرفة في فضائل الكلام باشتغال القرآن على
الصفات الفاضلة التي يعجز عن جمعها في مثله كل احد من البشر
ويعجز بعض اهل الفصاحة والبلاغة عن معارضة قرآنه ايضا بدليل
عدم التعرض لما بل انحازوا الى محاربه التي سببت قتل انفسهم
وسبي ذراريهم وتخريب ديارهم وجلاءهم عن اوطانهم فتركوا الطريق
السهل وهو المعارضة لو تمكنهم وسلكوا سبيل المحاربة التي هي
اصعب السبل فقالوا لهم وما يدريكم ان الطائفتين اللتين احداها
اقرت بالعجز عن المعارضة والاخرى اقرت باشتغال القرآن على
الفضائل التي لا تلحق واتبعوا جميعا محمدا (عليه السلام) كان ذلك
منهم لغرض من الاغراض وغاية يبلغوها في ذلك الاتباع فافقروا

بذلك الاقرار واترايثبات الشهادۃ ليكون ذلك حجة لهم على من
ياومهم واما الطائفة الذين تركوا المعارضة وانحازوا الى المعارضة التي
سببت لهم تلك الاضرار فربما يكون محمد عليه السلام هو الذي
ابتداهم بالمحاربة وبسبب استعمار ذل الحرب لم تبق لهم فرصة للمعارضة
ولم يمكنهم محمد (عليه السلام) من ذلك وبهذا السبب تركوا الطريق
السهل وسلكوا السبيل الصعب فهم قد الجؤا لذلك الجاء فاجابهم
هذه الطائفة بان قواكم في حق الطائفتين الاوليين انه يحتمل ان
يكون ما حصل منهم من الاقرار والشهادة ولا تباع لغرض من
الاغراض وغاية يناوئها في ذلك فهو قول مسر بل بالمجازفة ومجرد
عن كل روية لانه لا يفتنى ان صعب شيء على العقل مفارقة
دينه الذي يرجو فيه النجاة في الدنيا والاخرة واصعب شيء بعد
ذلك عليه مفارقة عوائده التي من عديها وثاقها عن اسلامه حتى
ان البعض وان استشعر برداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها
وتحكم عليه نفسه بما لازمتها وعلى هذا قلنا قل لا يذرف دينه الا اذا
تيقن النجاة في دين سواه ولا يهجر عوائده لاسيما الميراث الا لسبب
قوي قاهر فها تان الطائفتان تراهم قد فرقوا دينهم الذي يرجون به
نجاتهم وعوائدهم التي مرنوا عليها وصبروا يذمون جميع ذلك استد
الذم واقروا بالعجز عن المعارضة وشهدوا بفضل القرآن تجرد اطلاقهم

عليه بدون ادنى خوف من جانب محمد عليه السلام ! اللهم من
العصبية القوية بدون احتياج الى اموال في يده بل قبل ان تقوم
له عصبية وان يحصل في يده شي من الاموال وبدون سبب من
الاسباب الممجئة لذلك يعلم ذلك من استقصاء حالهم وحاله والاطلاع
على كيفية اتباعهم له فلولا انهم جزموا بالعجز عن المعارضة وباحتواء
القرآن على تلك الفضائل التي يعجز عن جمعها البشر لما اقرروا
وشهدوا بذلك ولما كان منهم ذلك الاتباع الذي فارقوا به دينهم
الذي يعتقدون به بنجاتهم وكابدوا مشقة هجر عوائدهم وهم عملاء
فطناء آمنون واسا قولكم في حق الفصحاء الباقاء الذي ظهر عجزهم
عن المعارضة بتركهم اياما وساوكم سبيل المحاربة التي جاءتهم
بالاضرار انه ربما ابتدأهم محمد عليه السلام بالمحاربة ولم يجدوا فرصة
للمعارضة ولم يمكنهم محمد منها فنقول لو كان ما حصل بينهم وبين
محمد عليه السلام من دعوته لهم وامتناعهم قد حدث في واقعة
واحدة وفي مدة وجيزة لربما كان العقل يصدق بذلك الاحتمال
الذي قاتم به ولكن الحال ليس كذلك فانهم ما تحاربوا معه عليه
السلام حتى تحداهم بالقرآن مرارا ونادى على رؤس الاشهاد
بعجز البشر عن معارضته ومضى على ذلك مدة من الزمان ليست
بقليلة وهو في قسم كبير من اوله لم يكن عليه السلام ذا اتباع يصلح

عددهم للمحاربة ثم بعد ما استمرت الحرب بينه وبين هذه
الطائفة لم ينزل متحديا بذلك ويدعوهم الى ارضة كما وجد
فرصة لما وقد كان يحصل بينه وبينهم حذر كثيرة ويجتمع هو
واصحابه معهم في اوقاتها فكان يكثرهم في اتنا تلك الحذر والفرص
ان ياتوا بالمعارضة او امكتهم ويوصلوا اليه ما يبارض به
وينشروه بين احياء العرب ولا يعدمون نصيرا ولكن لم يبالوا
ذلك لاني اول دعواه ولا في وقت الحرب رلا في زمن السلم
وما التجؤا الى فصاحتهم وبلاغتهم الا في هجاء وشجاء اتباعه واما
المعارضة فما تفوهوا في جانبها بينت شدة ولو حصل منهم تبى منها
لما خفي عاينا ولكانت نقائه الرواة الى المشرق والمغرب فهذه
الاحتمالات التي اردتم تشكيكها باطلة زائفة لا يجوزها الا
كل عديم التدقيق غبي عن حقيقة احوال اولئك الطوائف مع
محمد عليه الصلاة والسلام فحقن نرفض جميع تلك الاحتمالات
الواهية ولا نزال مقرين بمصدقين بدعوى محمد عليه السلام
معتمدين على دليلنا المتقدم بدون ارتياب

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين صدقوا دعوى محمد
عليه السلام لما شاهدوه من خوارق العادات ومخالفة النواميس
الطبيعية التي ظهرت على يديه فقالوا لهم يحتمل ان جميع ما اظهره

محمد (عليه السلام) من الخوارق كان من نوع السحر فسر اعينكم حتى
تخيّلتم وقوع ذلك فاجابتم تلك الطائفة بان حالة محمد عليه السلام
ليست حالة ساحر فانه يامر بالخير وينهي عن الشر والذي يعهد من
السحرة انهم اشرار شهوانيون ياتون باعمال السحر لنوال ما ربههم
الخسيسة ومحمد عليه السلام لا يظهر شيئاً من الاعمال الخارقة
للعادات لاجل غرض خسيس ولا ياتي بذلك الا ليقنع العقول
باتباع ما جاء به من الشريعة التي تحتوي على مكارم الاخلاق وتامر
بالتخلي عن الشرور والتحلي بالخيرات فياته حالة الرسل الذين تقدموه
من كمال الصفات وسلوك سبيل الاستقامة وهداية الخلق الى الحق
والسير في منهج النجاح وهو مؤيد دعواه بمثل ما ايدوا دعواهم من
خرق النواميس الكونية التي لا يقدر على خرقها الا الله تعالى وذلك
يكون كالتصديق منه تعالى لدعوى ذلك الرسول كانه تعالى يقول
صدق عبيدي فيما يبلغ عني وخرقي للناميس الكونية على يديه
هو تصديقي له في دعواه (وقد تقدم توضيح ذلك باوفى بيان
فارجع اليه ان شئت) على ان بعض تلك الخوارق التي ظهرت
على يدي محمد عليه السلام لا يصدق العقل ان للسحرة قدرة عايتها
وذلك كان شقاق القمر الذي شاهده الحاضر والبادي وانه كما راه
الحاضرون عند محمد عليه السلام الذين طلبوه منه فقد شاهده

واخبروا به المسافرين الواردون من امكنة كثيرة تساوي افقهم
مع افق الحاضرين فذهب ن محمد عليهما السلام ليعبر عين الحاضرين
عنده حتى شاهدوا ان القمر قد انشق فها في قدرته ان يسحر
اولئك المسافرين الذين كان كل فريق منهم في مكان من البادية
لا يقول بذلك الا كل مكابر او جاهل بقدر قدرة السحرة في
اعمالهم على اننا بعد ما صدقنا محمدا عليه السلام بسبب تلك
الخوارق واظلمنا على شريعتهم اتم لاطلاع وخلاصة شد المخاطة
ودققنا النظر في احواله عليه السلام لم نجد شيئا شره الا كل
استقامة وكل ما يؤل على العاقل بها بحسب الخير ودفع الضر
كشراح الرسل المتقدمين في اصل الاستقامة فذة عليها باستيفاء
ابواب الكمال است ولم نجد فيه عليه السلام ما ينكره العقل اريوتاب
فيه الفكر وليس شأنه شأن السحرة ولا حاله حال الختالين على
تحصيل حظام الدنيا ونوال شهواتها بل دأبه هداية الناس الى منهج
الاستقامة واداء شكر المولى تعالى وفضلة الارحام واطعام الطعام
للمساكين والايام مع شفقة منه على اتباعه كشفقة الوالد الحنون
لا طمع له في اموالهم ولا ميل فيه الى ملذاتهم بل هو يتفضل عليهم
بالاحسان شان الرسل قبله عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام
فعلى جميع ما قدمنا لم يبق لنا ريب في صدق دعواه وهذا

التشكيك، منكم ذاهب ادراج الرياح وساقط في نظر كل منصف
فمن لا يزال مصدقين محمدا عليه السلام في دعواه مؤمنين بكل
ما جاء به من عند الله تعالى والله ولي التوفيق

فانهطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين استدلوا على صدق
محمد عليه السلام بسبب ان العلامات التي وردت في الكتب
المنسوبة للرسول المتقدمين التي تكون في رسول يرسله الله تعالى
بعدهم قد انطبقت عايه فقالوا لهم وما ادراكم ان تلك العلامات
قد انطبقت على رسول قد مضى قبل ان قام محمد (عايه السلام)
بدعواه فاجابهم تلك الطائفة باننا قد بحثنا في تاريخ احوال الرسل
الذين تقدموا محمد عايه السلام وجاءوا بعد ورود تلك العلامات
في تلك الكتب فلم نجد واحدا منهم قد انطبقت عليه جميع تلك
العلامات ولو كان واحد منهم كذلك لما خلا ذكره من جميع
تواريخ الرسل ولكانت اخباره تنقل الينا ولو في بعض الاقاصيص
لان مثله لا يندرس ذكره هذا الا نراس نعم قد وجد من وجدت
فيه بعض تلك العلامات ولكن لم يوجد من توفرت فيه باجمعها
وقد اوضحنا هذا في تقرير امتدلالنا (فليراجع هناك) فقالوا لهم وما
ادراكم انه قد ياتي في الزمن المستقبل رسول من طرف الله تعالى
تنطبق عليه جميع تلك العلامات ويكون هو المراد في تلك الكتب

وانطبق العلامات الان على محمد (عليه السلام) اكان بطريق
الصدفة والاتفاق وان كان مجرد تلك العلامات وتفرها في تخصصين
بعيدا جدا ولكن العقل لا يحيله فاجبتهم تلك العلامات باننا نعتقد
ان الله تعالى الذي ينسب اليه ارسال اولئك الرسل الذين جاؤا
بتلك الكتب وايضاؤها اليهم هو عليم حكيم فلا بد ان يعلم كل
مستقبل ياتي فاذا كان يعلم انه سوف ياتي محمد عليه السلام
ويدعي الرسالة وتنطبق عليه جميع تلك العلامات والحال انه غير
مراد وانما المراد من ياتي بعده فلا بد بمقتضى حكمته سبحانه انه
كان ينبهنا على ذلك ولو بعبارة واحدة بان يقول في تلك الكتب
انه ياتي واحد يدعي الرسالة وتنطبق عليه جميع تلك العلامات
التي تذكر في كتب رسله ولكنه غير المراد لي وانما المراد من ياتي
بعده وحيث لم يرد منه سبحانه شي من ذلك فوجب ان يكون محمد
عليه السلام هو المراد قطعاً واحتمال وجود العلامات في تخصصين الذي
قلتم ان العقل لا يحيله قد تميز بهذا التقرير انه محال لانه يقتضي
اما جهل الله تعالى في حوادث المستقبل او اجراء اعماله سبحانه على
خلاف الحكمة ووقوع التليس منه تعالى على عباده وكل ذلك محال فما
ادى اليه يكون محالاً فاذا وجود تلك العلامات في شخصين لا يجيزه
العقل فمحمد عليه السلام الذي وجدت فيه باجمعها هو المراد البتة وقد

شرحنا ذلك في تقرير استدلالنا باكمل بيان (فليراجع هناك) فنحن
لأنزال مصدقين بدعوى محمد عليه السلام بلاشك ولا ريب
فإن أولئك المشككون إلى الطائفة الذين استدلوا على صدق
محمد عليه السلام بأنه لو لم يكن صادقاً في دعواه لما اتفق على
تصديقه أولئك الطوائف العقلاء بعد ما كانوا مخالفين له أشد
المخالفة ومكذبين أشد التكذيب ومتعصبين لعقائدهم وعوائدهم ولما
توفرت لهم تلك الأدلة لكن قد اتفقوا وتوفرت لهم تلك الأدلة
فيكون صادقاً فقالوا لهم يحتمل أن يكون كل دليل من أدلة أولئك
الطوائف دليلاً ظنياً لا يفيدهم اليقين وإذا كان الحال كذلك فمجموع
الأدلة يكون ظنياً إذ ليس حقيقة المجموع إلا تلك الأفراد فكيف
يعتمد على ذلك في الاعتقاد ومفارقة الدين ويحتمل أن محمداً
بقوة حجته وحده خاطره التي فطر عليها قد صور لكل طائفة من
تلك الطوائف دليلاً ظنياً وحلاًه بحجة اليقين فأجابهم تلك
الطائفة بأن كل طائفة من تلك الطوائف استدلة بتلك الأدلة
إذا تأمل العاقل في شأنهم من أنهم عقلاء متعصبون لما هم عليه من
العقائد والعادات لا يصدق عقله بأنهم يعتمدون في مفارقة دينهم
وعوائدهم على دليل ظني ويتساهلون في تحرير دلائلهم واعتماد
اليقين فيه لأن أقدامهم على ما أقدموا عليه ليس أمراً طفيفاً حتى

بهماء التحقيق والتدقيق فيه فالذي يمتنع به العقل السليم ان كل
طائفة منهم لم تعتمد في اتباعها محمدا عليه السلام الا على دلائل
يقيني بنيد الجزم وعلى فرض ان هذا التقرير لا يفيد القطع بان
كل دليل من تلك الادلة هو يقيني فانه قد تلتك الادلة على نتيجة
واحدة وهي صدق محمد عليه السلام بما يفيد صحة دعواه ويكون
ذلك دايلا لنا مستقلا يوجب لنا الجزم بذلك وقولكم اذا كان كل
دليل على حدثه ظنيا فمجموع الادلة بكون كذا كذا اذ ليس
المجموع الا تلك الافراد و قول ممنوع لانه وان يكن المجموع
ليس الا الافراد ولكن حكم كل فرد غير حكم المجموع في المحسوسات
والمعقولات كما لا يخفى (قد مر بسط الكلام في هذا المقام في
الرد على المؤلن لادلة الطوائف الذين صدقوا الرجل المرسل من
عند الملك ويزاد هنا على ذلك بعض البيان) الا ترون ان
الحبل الثخين هو مجموع خيوط كل منها على حدثه يستقل بقطعه
الولد الصغير واما مجموع تلك الخيوط وهو الحبل فيعجز عن قطعه
اقوى الرجال وكذلك الحال فيما لو خرج جماعة كثيرون من
مجمع حضروا فيه خطيبا خطب بينهم واخبر كل واحد منهم ان
الخطيب في اثناء خطبته سقط عن منبر الخطبة وتبع راسه فخير
كل واحد منهم على حدثه وان كان ظنيا يحتمل انه كذب ولكن

مجموع اخبارهم تفيد اليقين وبجمل العقل ان هؤلاء الجماعة
الكثيرين قد تواطؤوا على الكذب وهم ينتهون في الافكار
جامع بينهم على اختلاف ذلك الخبر وكذلك اذا قال جماعة ان
الامير قد حضر من سفره الى البلدة فاحدهم قال لاني رايت اليوم
ثيابه قد حضرت مع بعض خدامه والاخر قال لاني رايت حذامه الخاصة
بخدمته قد حضروا والاخر قال لاني رايت ولده العزيز الذي من عادته
ان له ينارته لاسفرا ولا حضرا قد حضر والاخر قال لاني سمعت
اصوات المرافع قد ضربت فسالته عن ذلك بعض المرافعين فقال
لي ان الابرقد حضر والاخر قال لاني رايت ارباب الوظائف
في الحكومة مسرعين لالملاقاته والسلام عليه عند خروجه من
السفينة وهم اخبروني بذلك والاخر قال كذا والاخر قال كذا
وكل منهم اتى بدليل اذا نظر اليه بحمد ذاته يكون ظنيا فان العقل
لا ينظر الى كل دليل على حدته بل يتبر بمجموع تلك الادلة
ويقول ان اتفاقها لا يكون بطريق الصدفة ويحزم بسببها بحضور
الامير البتة فقد ظهر ان الافراد من الادلة وان كان كل منها ظنيا
ولكن مجموعها قد صار يقينا بالاجتماع يفيد الجزم واما قولكم بجتسلي
ان محمدا عليه السلام بقوة حجته وحده خاطره التي فطر عليها قد
صور لكل طائفة دليلا ظنيا وحلاه بحجية اليقين فهذا كلام من لم

يعرف حقيقة الادلة التي اعتمد عليها انوارك انوارك فان اكثرها
لم يحصل بضع من محمد عليه السلام فكيف يقال انه هو الذي
صوره وحلله تاملوا كيف يمكن لمحمد عليه السلام ان يحدث في
الفصحاء والبلغاء العجز عن معارضة قرأه اذ لم يكن نفس القرآن
معجزا (وقد مررد الشبه الواردة على هذا في اول الكلام مع
الماديين فليراجع هناك) هب ان محمدا ازم نفسه بالعلامات
المذكورة في الكتب المنسوبة للرسال المتقدمين التي هي من نوع
الاخلاق والافعال الاختيارية على زعم انه اطلع على تلك الكتب
مثل انه يحب البر ويغض الاثم ويحكم بالعدل ويحارب ونحو ذلك
فهل يمكنه ان يحدث في نفسه العلامات الجسدية مثل ان علامة
ملكه بين كتفيه وكونه قويا وهل يمكنه ان يحدث العلامات التي
ليست اختيارية بل هي من قبيل الحظوظ في العالم مثل كون
الشعب تحته وكون الهدايا ترد اليه من الملوك وكون الاغنياء تنقاد
له وان البرية ترفع حذيتها بذكره وهي الديار التي يسكنها قيثار
وكونه الحجر الذي رفضه البناءون وصار راس الراوية وانه اعطى
سلطانا على الامم وان الحبشة تجشوه وان ملوك اليمن تاتيه بالقرايين
وهذه الامم تخضع له وتدين له بالطاعة وكونه يعطي من ذهب سبا
وهو واتباعه مثل الزرع الكثير على وجه الارض وان سلطانه يكثر

يوما فيوما وانه بعد ظهوره تكسرت الاصنام والقيت الى الارض
وان الطيور تاكل لحم الملوك الذين يحاربونه وان اتباعه يتودون
الملوك ويسوقونهم بالسلاسل والاغلال وان الله اغار بهم شعب
اسرائيل اغارهم واغضبهم بشعب جاهل (قد مر تطبيق هذه
العلامات في كلام الطائفة الذين استدلوا بها فايراجع هناك) فقد
ثبت بما قرونه ان كل احتمال اوردمود لتشكيكنا هو غير جائز
لا يصدق العقل السليم الخالي عن التعصب فنحن لانزال مصدقين
دعوي محمد عليه السلام بدون ارتياب

فانعطف اولئك المشككون الى الطائفة الذين كانوا ماديين
طبيين ثم صدقوا محمدا واتبعوه بما شرح لهم العالم الحمدي وابانه
من الدلائل التي تدل على بطلان مذهبهم في انكاره العالم والوحي
وتدل على صحة دين محمد عليه السلام وموافقته للعقل واحكامه
اليقينية مع دفع الشبه التي كانت عقابا في سبيل تصديتهم فرأى
اولئك المشككون بعد اطلاعهم على ما جرى بين هذه الطائفة
وبين ذلك العالم الحمدي من المذاكرات والمباحثات ان كل
شبهة يرجون بها ادخال الشك على هذه الطائفة قد دفعها ذلك
العالم في مباحثاته واظهر بطلانها فسقط في ايديهم وقالوا لم يبق لنا
مع هذه الطائفة الا اننا نشككم في كلام هذا العالم الذي كان

سبب اقتناعهم في اتباع محمد عليه السلام فقالوا لهم لعل
كان قومي الخجة كثر الاطلاع منضاه في اساليب
في سحر عقولكم سحر ياءه حتى خيل كما طاعتنا ما يحال
من مذهبه كوحدة دين محمد عليه السلام كان عاين ان
لا تتركوا اعتقادكم المبني على عاينكم طوالة
ذلك العالم ومباحثته فاحببهم تلك الطائفة با : قوم اصحاب
نا باع طويل في المناظرات وقطعة تمة في تلقاء من يناظرنا
ان ذلك العالم المحمدي واعظم منه كثير يقدر على تمويه
لينا واقناع عقولنا بغير الصواب وكل من غر فيه واتنع
اقبل سلك فيه سبيل البيان العقلي الراصم وجري في ذلك
في صريح العقل فابت لنا اولا حدوث مادة العلم بدليل
في عى اكتشافات في حقائق الكائنات ثم اقام انا الدليل
وب وجود آله محدث للعالم ووجوب اتصفه بالصفات
عليها اثاره في هذه الاكوان ودفع عنا شبهات كانت مانعة
لتصديقنا بحود ذلك الآله وصرب لنا الاشلة على ذلك
بان وايقت عقولنا للاستدلال على وجود ذلك الآله سبحانه
صفاته وفور حكمته بما ذكرنا به من تفاصيل الكائنات
المنطوية في مباحثنا المدونة في كتب علومنا على اهل

تبيان ثم وفق لنا بين ما ورد في شريعة محمد عليه السلام
وبين ما جاء في علومنا بما ظاهره المخالفة لما حتى زال نفورنا عما
ورد في تلك الشريعة ثم ابان لنا الاصرار التي تنشأ في العالم البشري
من الاعتماد على اعتقاداتنا لاسيما من انكار البعث للاسان ثم
بعد ذلك تأملنا في الادلة التي اعتمدها الطوائف الذين اتبعوا
محمدًا عليه السلام وصدقوه بسببها فظهر لنا انها صحيحة دالة على
صدقه يقينية الدلالة لاسيما مجموعها الذي لا يحتمل توفره بوجه
الصدفة والاتفاق فعند ذلك ظهر لنا الحق وليس بعد الحق الا
الضلال ونحن دائما بن الام نطنطن باسا احرار الافكار نذعن
للحق اينما كان فكيف بعد ذلك كله تكابر ونخالف الصواب ولا
سيما مكابرة تعود عاينا بالشقاء الابدي وخسارة انفسنا فلم يسعنا
بعد ذلك الا تصديق محمد عليه السلام وانباؤه فصدقناه واتبعناه
باكل ايمان واحكم ايقان فايرادكم هذا التشكيك في كلام ذلك
العالم المحمدي لا يجديكم نفعا فكفرنا عنا بسلام ومنذ ذلك رجع
اولئك المشككون عن اولئك الطوائف صفر الايدي بخفي حنين
والله لا يصلح عمل المفسدين

هذا وقد كانت طائفة من اولئك الجماهير الذين قام بينهم محمد
عليه السلام بدعواه خامدة الافكار جامدة في تعصبها جمود الاحجار

فعند ما سمعوا بدعوى محمد عليه السلام وشاهدوا الطوائف
الذين اتبعوه رأوا بسوء اختيارهم ان ياتوا بالتمسب الاعمى
لمعتقداتهم وعاداتهم ويكذبوا دعواه عليه السلام بدون اسناد
الى شي سري قولهم انا وجدنا ابا-نا على هذه الاعتقادات والعادات
فلا نترك شيئا منها لدعوى محمد (عليه السلام) وكف نترك شيئا
من ذلك وقد مضى عليه اسلافنا وعملنا سنين عديدة فاصروا
على هذا الجمود البارد والافكر الخامد فمروا القوم قد بقوا في
ضلالهم مع اتباع خطة دنية وخلة ربية لم يتبعوا الصواب ولم يناضلوا
عن مختارهم مناضلة ذوي الالاباب فسقطوا في هوي الخسران
وانحطوا في دركات الهوان والله سبحانه وتعالى لا يعذرهم في ذلك
العناد ولا بد ان ينتقم منهم في يوم لنناد وان قيل ان هؤلاء القوم كما
ذكرت عنهم افكارهم خامدة فاعل ذلك يكون له عند الله تعالى
عذرا فيقولون ياربنا لم يكن عندنا من افكر عند ما ادعى محمد
عليه السلام الرسالة ما يوصلنا الى استيضاح دعواه فلذلك بقينا
مصرين على تكذيبه قلت ان خمود افكارهم ليس انقص في
اصل خلقهم وضعف فطري في عقولهم وجباتهم ينزل بهم الى درجة
المجانين او الحيوانات العجم حتى يعذروا عند الله تعالى في جمودهم
على تكذيب دعوى محمد عليه السلام وعدم استيضاحهم لها

ويسقط بذلك عنهم التكليف الالهي الذي كلف الله تعالى عباده
على السنة رساله عليهم السلام ل ذلك الخمود فيهم قد نشأ من
انغماسهم في الشهوات والتفاتهم الى اللذات وانها كهم في تحصيل
رغائهم الدنوية وباي غاياتهم الدنية فاستثقلوا لاجل ذلك سائر
سائر الاستبصار وركنوا الى الذلة والصغار والدليل على ذلك اننا
نراهم في تحصيل رغائبهم ومجادلة اخصامهم في مقام عدم اصحاب
افكار وانظار واستدلالات ذات اخطار يدققون النظر لبلوغ
الوطر و يعملون الفكر في تحصيل الابرفاي مانع منهم من الاستبصار
في دعوى محمد عاينه السلام بعد ما سمعوا بها اهو الا لبطر وهوى
النفس والاخلاق الى هذه الدنيا الفانية فهم يستحقون من الله تعالى
الانتقام يوم الزحام على قانون العدل لا يظلمون فتيلا) وهكذا ترى
كثيرا من المنهكين في اللذات وتحصيل الرغائب الفانية
يهيئون انفسهم من تصحيح عقائدهم وتعلم عباداتهم ووعاياتهم واذا
قيل لهم ان الشريعة تكافكم بتعلم ذلك يقولون ان عقولنا لا تطيق
فهمه ولا تستطيع علمه ومن اين لنا افكار تبلغ هذه الانظار وانت
تراهم في تحصيل رغائبهم الدنوية ومخاصمة اخصامهم في ادنى امنية
فلاسفة مدققين وحكماء مدققين فاروجها عقولهم التي وهبها الله
تعالى لهم الى تعلم ذلك القدر الذي فرضه الله تعالى عليهم لوجدوا

ففيها قبولاً لله تعالى واستعداداً للتفهم ولكن استوائهم اكمل رزاقها
في السروات السهي لتحقيق حنك المدي في حين لا تـ رينون
ظواهره بالاباس رباطهم بالمطهر وعادتهم من عن المعارف
المتنهم بذلك غير معذورين في سطر التمرية المهدية وسور
يسمان عما كانوا به من العلم في يوم سبب رستقون هناك
على تفريطهم انواع العقاب

هذا ان يزول محمد عليه الصلاة والسلام من الشرف بدين
اصروا على الكبر والتم عناد وجبالا وخدالا يقيم لهم برادين
على سدى دعواه ويورد لهم المراءى رشت تربد كل سكن
ويرشدهم الى منهج الحق ومعالم اصدت وهفت به مدة من قيامه
بدعوى الرسالة وهو لم يوم الابر عظمتهم البهتة ومباداتهم بالتي
هي احسن اكن لما ظهر وتبرهن للعقول السليمة والا بظار القويمة ان
اولك القوم لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع سيم الموعظة ولا يثر
لديهم الارشاد بل هم فضلا عن غيلاهم وعشمة لانفسهم بعدم
قبول الدين الحق وساوك سبيل الاستقامة لا يفترون عن اذاه
عليه السلام واذا اتباعه كما اسنحت لهم الفرصة ينصبون لهم المكائد
ويقومون في سبيل دينهم المعاصر ويخترعون لهم بدائع الاضرار
ويعاملونهم معاملة الاشرار اذن الله تعالى له عند ذلك بجواد اوائك

للداء والاغرار البلداء استبدالاً للترتيب
ي، والفساد وقطع جرثومة العباد وقد يسمح
خيار ويقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من
تعالى ذلك الجهاد على حدود تبقى للرفق
ل منالا وذلك ان يدعي المخالفون للدين اولاً
سلام وتوحيد الملك العلام والتصديق بجمع
ة والسلام فان قبلوا فيها ونعمت ويكونون
ان لم يقبلوا فان كانوا من مشركي العرب
مدى بلغتهم ولبس له شبهة كتاب او مشرع
صنام او نيران او نحو ذلك فحكمهم القتل (كما
ب الشريعة الموسوية في حق الامم السبعة وهم
هم كما في سفر الاستثناء وفي حق المرتد والذابح
ادتها) وان كانوا من غير مشركي العرب يدعون
ية والاطاعة فان قبلوا صارت دماؤهم كدماء
لهم واعراضهم كاعراضهم لا يسامح احد بشي من
في لا تجوز غيبتهم او شتمهم او اذيتهم بادنى مكدر
سلمين برجه شرعي من نحو التاديب مثلاً
زية والاطاعة فيجاربون وتباح دماؤهم واموالهم

المسلمين واسترقاقهم كما كان مثل ذلك في الشريعة الموسوية في
حق الامم غير السبعة ولذلك حدود لا يجوز تمديه فلا يقتل صغير
ولا امرأة ولا من يتخلى لما اتخذه عبادة الا ان يكون احد هؤلاء له
نكاح في المسلمين ولو بعطء الراي في تدبير الحروب وقد كان
بعض من اتبعوا محمد عليه السلام من اهل الشرائع المتقدمة انكروا
امر الجهاد في اول الامر لما فيه من ازهاق الانفس وسلب الاموال
واسترقاق البشر ولكن بعدما حكموا الانصاف وقابلوا بين شريعة
محمد عليه السلام وبين الشرائع المتقدمة لم يجدوا في الشريعة
المحمدية ما يعاب عليها من ثلاث الامور ويتذعن الذي يهتد في
الشرائع بل وجدوا فيها تخفيفات قد خلت عنها الشرائع المتقدمة
فان الشريعة المحمدية مع حكمها بقتل مشركي العرب اذا لم يؤمنوا
قد حرمت قتل صغارهم ونساءهم بخلاف الشريعة الموسوية في
حق الحيثيين وبقية الامم السبعة المذكورين في سفر الاستثناء فانها
حكمت بقتل كل ذي حياة منهم ذكورهم واناثهم واطفالهم وذكر
هناك ان هؤلاء الامم اكثر من بني اسرائيل عددا فسمح الله تعالى
بهم لسلامة بني اسرائيل المؤمنين وشدد في اهلاكهم تشديدا بليغا
فقال في سفر العدد فاييدوا كل سكان تلك الارض ثم انتم ان لم
تبيدوا سكان الارض فالذين يبقون منهم يكونون لكم كاو تاد في

اعينكم ورماح في اجنابكم ويسفون عليكم في الارض التي
تسكنونها وما كنت عزمت ان افعله بهم سافعله بكم واما حكم
التشريعة الموسوية في حق غير الاحم السبعة فهو حكم الشريعة المحمدية
بان يدعي المخالفون اولا الى الصلح فان رضوا به وقبلوا الاطاعة
بالايمان او اداء الجزية فيها وان لم يرضوا يحاربوا فاذا حصل الظفر
عليهم يقتل الذكور منهم ويسبي نساؤهم واطفالهم وينهب دوابهم
واموالهم وتقسم على المجاهدين كما في السفر المذكور (الماء يور في
الكتب الاسلامية ان الغنائم ما كانت تحمل للام السابقة بل كان
يجب عليهم حرقها فليتأمل) ثم ان يوشع عليه السلام بعد موت
موسى عليه السلام جرى على الاحكام المندرجة في التوراة فقتل
المليونات الكثيرة كما يوخذ من كتابه من الباب الاول الى الباب
الحادي عشر وقد صرح في الباب الثاني عشر من كتابه انه قتل
احدا وثلاثين سلطانا من سلاطين الكفار وتسلب بنو اسرائيل
على ممالكهم ويوخذ من سفر صموئيل ان داود عليه السلام كان
يخرب كل الارض وما كان يقي رجلا ولا امرأة من اهل جاسور
وجزر وعالق وينهب دوابهم وامتعهم وفي السفر المذكور ان
المويين صاروا عبيدا لداود يودون اليه الخراج وانه ضرب هدر
عازار واخذ منه الف وسبعماية فارس ومن رجاله عشرين الفا

وخرب من ارام اثنين وعشرين فمائه تال من السريين
سبعائة دركب راربعين الف فرس وانه اخذ الشعب الذين كانوا
في قرية واية اخذهم ونشرهم بالناشورود سه بموارج حديد وقطعهم
بالسكاكين وكذلك صنع بجميع قرى بني عاون ويوحنا من سفر
الملوك الاول ان ايليا عليه السلام ذبح اربعة وخمسين رجلا من
الذين يدعون انهم انبياء بعل ثم ان داود قد اعد اعماله من
الحسنات ومن جملة جهاداته اذ قال في الزبور الثالث عشر
ويجازيني الرب مثل بري ومثل طهارة يدي بكافئي لاني حفظت
طرق الرب ولم اكفر بالهي لان جميع احكامه قد احي وعمله لم
ابعه عني واكون معه بلا عيب لانه حفظني من اثم وقد شهد
الله تعالى ان جهاداته وسائر افعاله الحسنة كنت مقبولة عنده تعالى
حيث قال في سفر الملوك الاول هكذا داود عبدي الذي حفظ
وصاياي وتبعني من كل قلبه وعمل بما حسن امامي وقد شهد
بولص لاولئك الانبياء بان اعمالهم في الجهاد للكفار كانت من
جنس البر لا من جنس الاثم وكان منشوة اقاوة لايمان ونيل
مواعد الرحمن لا قساوة القلب والظلم وان كان افعال بعضهم في
صورة اشد انواع الظلم سيما قتل الصغار غير المتدسين بذنب اذ
قال في الرسالة العبرانية هكذا وماذا اقول ايضا لاني يعوزني الوقت

مدعون وباراق وشمسون ويفتاح ودار صموئيل
الايمان قهروا ممالك صهروا برا نالوا مواء يدسوا
اقوة النار نبوا من حد السيف تقوا من ضعف
لحرب هزموا جيوش غرباء وان قال قائل متجري
كانت لاجل سلطنته ومملكته قلنا هذا التول
قتله اولئك البشر لاسيما النساء والاطفال لا يخلو
سما الله تعالى وعلا لاله او بهوضا عند الله تعالى
كان الاول فقد ثبت ان الجهاد مشروع من الله
المتقدمة وان كان الثاني لزم والحياذ بالله تعالى
له تعالى في حقه التي مر نقلها عن سفر الملوك
ي حتى نفسه وكذب شهادة بولس في حقه وهذا
من يعتقد تلك الكتب التي تقدم نقل هذه
م ان يكون دماء الوف من المعصومين وغير
ذمتهم ودم البري الواحد يكفي للهلاك فكيف
لاخرية وبالاختصار اذا لم يكن لنا دليل على
عند الله تعالى وقتل المخالف لشرائع الله تعالى الا
سلام يقتل الدجال وعسكره عند نزوله كما هو
ب الثاني من الرسالة الثانية الى اهل نسا لونيقي

والباب التاسع من المتههدات كان ذلك دليلا كونها وإذا نظرنا
إلى عادة الله تعالى النازل المحتر الذي لا ترصت إليه بالظلم بل
كل أعماله بادل وحكمة وجسا ان من عدده سبحانه ان يفيض الكفر
ويجازي عايد في الاخرة يقيما وكذا يفيض المصمين رقد يعاقب
الكنار والعصاة في الدنيا ايضا فيعاقب الكفرة بالاغراق عموما
كما في عهد نوح عليه السلام فلم ينج حيئا من اهل السفينة
والاخرات خمر وسا كما اغرق فرعون وجنوده لاهلاكه مناجاة
كما اهلك اكبر اولاد كل انسان وبنيته من اهل مصر في ليلة
خروج بني اسرائيل من مصر كما في سفر الخروج وتارة بهطار
الكهريت والنار وقلب المدن كما في عهد اوط عليه السلام فانه
اهلك اهل سادوم وعامورة ونواحيه بذلك وتارة بالاحراض كما
اهلك الاسدوديين بالبواسير كما في سفر صموئيل الاول وتارة
بارسال الملك كما فعل بعسكر الاشوريين اذ قتل منه الملك سيف
ليلة واحدة مائة وخمسة وثمانين الفا كما في سفر الملوك الثاني وكذا
يعاقب العصاة ايضا تارة بالخسف والنار كما اهلك قورح ودathan
وايبرم وغيرهم لا خالفوا موسى عليه السلام فانفلقت الارض
وابتلعت قورح ودathan وايبرم ونساءهم واولادهم وانثقالهم ثم خرجت
نار فاكلت ماتين وخمسين رجلا كما في سفر العدد وتارة بالاهلاك

مفاجأة كما اهلك اربعة عشر الفا وسبعماية لما خالف يسرائيل
في غده الاك قورح وغيره ولو لم يقم هارون عليه السلام بين الموتى
والأحياء ولم يستغفر للقوم لهلك الكل بنصب الرب في هذا اليوم
كما يؤخذ من السفر المذكور وكما اهلك خمسين الفا وبعين رجلا
من اهل بيت شمس على انهم راوا تابوت الله تعالى كما يؤخذ من
سفر صموئيل الاول وتارة بارسال الحيات المؤذية كما ان بني
اسرائيل لما خالفوا موسى عليه السلام مرة اخرى ارسل عليهم
الحيات المؤذية فجملت ثلثهم فمات منهم كثير كما يؤخذ من
سفر العدد فقال اولئك القوم بعد ما تاملوا في جميع ما تقدم من
احكام الشرايع المتقدمة في الجهاد واعمال الانبياء في الكفار وعادة
الله تعالى مع الكفار والعصاة ان محمدا عليه السلام ما دام رسولا
بشريعة من عند الله تعالى وثبت ذلك بالادلة القاطعة فاي شيء
يهاب عليه في مشروعية الجهاد في شريعته وفي قتله لن يخالفونه
ونهب اموالهم واسترقاقهم لاسيما وقد وجدنا الجهاد فيها اخف من
الجهاد في الشرائع السابقة فشريعته لم تخالف تلك الشرائع ولم تكن
خدا لعادة الله تعالى مع المخالف لشرائع انبيائه بالكفر او بالمصيان
فعلى كل من يصدق بالوحي ويؤمن بتنزيل الشرائع من عند
الله تعالى على الانبياء ان لا يلقى بالا لهذه الشبهة والطعن في

الشرعة المحمدية من خصل حسن و ترواحمة استبعادها انما من لم
يومن وجود الله العالم ولا تنزل شرع انما يقدم له اولا
الاستدلال على وجود الله تعالى كنهه ما ثبت وحي انما تقدم
ذلك مع مدح طرة انما بين ان في مدان قدم عاياه الحجة ويلتزم تصديق
بالشرع ويبقى بمنزلة المليون المصدقين بها فنامه استحسان ما شرعه
الله تعالى فيها وعند ذلك يرد ان شرعة محمد عليه السلام لم
تخالف الشرائع المتقدمة في مدان الجلال انما استقامت على
تخفيفات فيه لم تكن في تلك الشرائع كما تقدم بيانه

ثم ان طائفة اخرى بعد ما شاع دين محمد عليه السلام وشرع
الجهاد فيه توهموا ان هذا الدين ما قام وانتشر الا بالسيف واذا
كان الحال كذلك فهذا تي يرفع في النفس ريبا وتكاد ويجعل
الانسان مجالا ان يقول ان هؤلاء الاتباع لمحمد عليه السلام قد
اجبروا على الدخول في دينه اجبارا خوفا من القتل واكن تلك
الطائفة التزمت الانصاف واستغفرت عن اول نشأة دين محمد
عليه السلام فتحقق عندها بعد النقص والتدقيق ومراجعة تاريخ
اول تلك النشأة ان محمدا عليه السلام اول ما قام بدعوى
الرسالة كان وحيدا فريد ليس صاحب سلطان ولا متكنا بصبية
عشيرة قادرة بل انه عند قيامه بتلك الدعوى بين جماهير الامم

فضلا عن ان عشيرته ليست ذات سطوة على بقية الامم ونيس عندها
كفاية لمقاومتها فهي كانت اول من كذبه في دعواه وعاداه الله
المعاداة وتسلطت عليه اشرارها بالاذى وتسفيه الراي ولكن هو عليه
السلام لم يزل مقبلا على دعواه صابرا على اذى من اذاه يدعو
الخلق الى الحق ويقيم لهم البراهين ويظهر لهم محاسن دينه ويوضح
لهم منائب ما هم عليه حتى وضح الحق لمن اراد الله تعالى هدايته
فاخذت المقول السليمة ثقبل دينه وتستحسن شريعته ويتبعه
الافراد والجماعات وهو حينئذ لم يور باراقة قطرة من دم احد
ويتلو قرانه المتضمن قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد
من الغي) وقوله تعالى في خطاب من اتبعه (يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وقوله تعالى (ومن كفر
فعليه كفره) وامثال ذلك من الايات وقد تبعه في زمن التزامه
هذه الطريقة وقبل مشروعية الجهاد الجم الغفير كما يعلم من مراجعة
تاريخ سيرته واسلم ابوذر وانيس اخوه واحما رضى الله تعالى عنهم
في اول ذلك العصر فلما رجعوا الى قبيلتهم اسلم نصف قبيلة غنار
بدعوة ابي ذر رضى الله تعالى عنه وفي السنة السابعة من بعثته
قبل ان يهاجر الى المدينة ويشرع الجهاد هاجر من اتباعه من مكة الى
الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة لما كانوا يجدون من اذى

المشركين وقد بقي في مكة ابن ابي لهب من المشركين وقد اسلم بمحو
عشرين رجلا من نصارى نجد ان يكذبوا بالاسلام الا انهم لم يزلوا
السنة لاثرة من جهنة واسم الطفيل بن عمرو الدوسي قبل
الهجرة وكان يتربنا مطاعا في قومه واسم ابرهه راسه بسعوى عدو
رجع الى قومه وقد اسلم قبل الهجرة قبيلة بني الاثيل في المدينة
المخزومة في يوم واحد ببركة وعظ منسوب بن عمرو رضي الله تعالى
عنه فباقي منها رجل ولا امرأة الا اسلم غير عمرو بن قيس فمتاخر
اسلامه وبعد اسلامه كان مصعب رضي الله عنه يدعو الناس
الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الا صار الالفها رجال وساء
مسلمون الا ما كان من سكان عوالي المدينة اي قراها من جهة
نجد ولما هاجر محمد عليه السلام الى المدينة اسلم بريدة الاسامي
مع سبعين رجلا من قومه في طريق المدينة طائعين وقد اسلم
النجاشي ملك الحبشة قبل الهجرة ايضا ووفد قبل الهجرة ابو هند
وتميم ونعيم واربعة اخرون من الشاء واسلموا وهكذا اسلم اخرون
واسلام ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهما من متاهير اتباعه عليه
السلام قبل الهجرة امر مشهور (كما يعلم جميع ما ذكر من كتب
سيرته عليه السلام الصحيحة فليرجع اليها) فبالنامل المنصف نجد
ان دين محمد عليه السلام قد شاع قبل هجرته من مكة الى المدينة

وقبل مشروعية الجهاد فيها وقبالة العقول السليمة واستحسنته
الطبائع الصحيحة ولا خوف هالك ولا تهيب عاين التهمة بان
دينه قام بالسيف وشريته شاعت بالاجبار لا يقول بذلك منصف
ومن نظر الى ما كان يحدث في بقية مدته عليه السلام وبعدها
من دخول الناس في دينه افواجا افواجا حتى الى هذا الزمان
بدون ادنى خوف بل مع الخوف من الدخول من اذية اعداء دينه
انهمت من محيلته هذه التهمة الاله اذا كان منصفاً حراً الفكر نعم
! توفرت كثرة اتباعه عليه السلام وظهر ان الموعظة وقوة البرهان
ليس لهما تاثير مع من بقي من المخالفين ومن مداومة المماثلة للعالمين بالرفق
والتؤدة يزيد طغيانهم ويشوش امر الدين على اتباعه ويجبرؤهم
عليهم بالاذي فلذلك شرع في دينه الجهاد على ما فيه من الحدود
العادلة التي تشكل بدفع اذى المؤذنين ولا تبلغ حد القسوة
ويكتفي من لم يتبع الدين المعمرى ان يخضع لسلطانه ويدفع من
ماله ما يكون عوناً لاهل الدين في قيام دولته ودفع ضرورات اهله
الدنوية وهو ايضا يكون في مقابلة حماية اهله لاولئك الدافعين
الخاضعين لسلطان الدين وامرهم في الآخرة مفوض لرب العالمين
او يوضع على من لم يتبع حكم الرق ليكون دافعاً لشوكة اذاهم وعونا
لاهل الدين في قضاء مصالحهم في دار الدنيا وقد كن بعض من

اتباع الشرائع السابقة نفروا من جواز الاسترقاق وسترعيتهم في
الدين الحمدي نظرا لما ينشأ عنه من دخول الرقيق تحت الحجر
ولا سيما وقد شاهدوا الرقيق في بعض الممالك يكابد انواع
الظلم (كما كان جاريا من زمن ايسر بيميني اوربا والى الان في بعض
ممالك امريكا) فيضرب الرقيق فيها ويهان ويذوق الجوع والعري
ويقيد كالبهايم ويحمل من مشاق الخدمة ما لا يطيق ويهدد كانه
ليس من النوع الانساني لاسيما اذا كان سودا لارث ولا يعد
تحريره من مشوبات الدين ولا يجر الا في اادر الاحوال وحالته
هناك انفس من حالة ادفى الحيوانات فظن هؤلاء القوم ان الدين
الحمدي يسمح الاسترقاق مع اباحة تلك الفظائع ومعاملة الرقيق بها
وسهوا ايضا عن مشروعية الاسترقاق في الشرائع السابقة ولكنهم
عادوا فدققوا النظر في كيفية مشروعيته في الدين الحمدي وما
شتمت عليه تلك الكيفية من اعانة اهل ذاك الدين على ضرورات
ديانهم وما فيها من كف اذى اعدائهم بوضع الرق عليهم وكسر شوكتهم به
استخدام مخالفهم مع وصايا كثيرة تحفظ راحة الرقيق وتنكفل
لساواة معيشته لمعيشة سيده وبذلك يحصل تهذيبه وتقدمه ان
كان وحشيا والشرعية الحمدية تنهي اشد لنهي عن اجراء ادفى
ني من الفظائم التي تجريها بعض الامم مع الرقيق وتوعد عليها

بالعقاب الاخروي ومع ذلك ترغيب في تحرير مجصول الشواب
الجزيل فيه، وشرعت بسائل نقضي كثرة التحرير وشيوعه وتقصير
مدة الاسترقاق وجعلت للرقيق وصلة بينه وبين سيده ولو بعد
التحرير كوصلة الذئب لا فرق في ذلك بين الابيض والاسود
ووجدوا ان اهل هذا الدين نظرا لما وجدوه من ترغيب الشريعة
بالاحسان الى الرقيق قد سلكوا طرائق عديدة ترجع عليه بالبر
والاحسان وكثيرا ما تخوله نعمة لا يمكنه نوالها لولا دخوله تحت الرق
ثم لاحظوا نصوص الشرائع المتقدمة فوجدوا ان الرق مشروع
فيها مصرح به في الكتب المنسوبة اليها فمضوا ذلك رجحوا عن
اعتراضهم على مشروعية الاسترقاق في الدين المحمدي وقالوا مادام
ان اهل هذا الدين يعلمون بالبراهين القاطعة عندهم انهم على دين
مشروع من عند الله تعالى ودينهم اباح لهم استرقاق مخالفينهم
لنفسهم بخدمة ولكسر شوكة اذاهم عنهم وقد شرط عليهم شروطا
تتكفل براحة ارقائهم ومساواتهم لهم في المعيشة وفتح لهم ابوابا مرغوبة
في تحريرهم وتقصير مدة استرقاقهم وتنج عن ذلك تهذيب كثير من
الارقاء وتحسين معيشتهم وايصال احسانات اليهم ما كانوا ينافونها
لولا الاسترقاق وحجر على اسيادهم ظلمهم واذاهم ووجد في
الشرائع المتقدمة مشروعية الاسترقاق فهو ليس امرا مبتدعا فلا

شي يعاب على الدين المحمدي وأهل في الاسترقاق الجنة
أما الوسايا التي تنزل راحة الرقيق و تنكفيل مساواة مبعثته بميشة
سيده فهي في الشريعة المحمدية كثرة جدا ولتقتصر على ما يأتي
منها قال الله تعالى في القرآن الكريم (واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وم
ما كنت إيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) فقد أمر الله
تعالى الوصية بالماليك مع الأمر بإخلاص العبادة لله تعالى التي هي
أساس الإيمان ومع الإحسان للوالدين اللذين نعمتهما على الإنسان
بعد نعمة الرحمن ومع الإحسان إلى من تقتضي الشفقة والمرحمة
والإنسانية الإحسان إليهم وطالب الإحسان لله إليك يشل كل
إحسان ممكن ورفع كل اذى يناقض الإحسان وقد يؤخذ شرح
ذلك من قول الرسول عليه الصلاة والسلام (عبيدكم اخوانكم
جعلهم الله تحت أيديكم اطعموهم ما تاكلون ولبسوهم ما تلبسون
ولا تعذبوا عباد الله) وقال عليه السلام في التحذير من احتقار
الارقاء والتجاشي عن الكبرياء (ولا يقل احدكم عبدي واقل
فتاي وفتاتي وغلامي) وقد كان من آخر كلامه عليه الصلاة
والسلام من الدنيا قوله (الصلاة وما ملكت إيمانكم) فليتأمل

المنصف قرنه عايه السلام بين الوصية بالصلاة التي هي عماد
الدين الحمدي وفيها ترة عيئه من الدنيا كما قال (وجعلت ترة عيبي
في الصلاة) وبين الوصية بما تله ايمان اتباعه وكون ذلك الكلام
كان من امر كلامه لاصحابه فان ذلك كفاية في الدلالة على
استكمال الوصية بالارقاء لا يحتاج منها الى زيادة بيان في ذلك
والنهي عن اذى الارقاء شهير في نصوص الشريعة الاسلامية حتى
ورد انه عليه السلام احتق عبد رجل قد ثل به حيث يجهله مع
جاريتيه وجعل ولاءه لله وارسله وارصى به المسلمين وجعلت به
ذلك نفقته في بيت مال المسلمين واعتق خايفه (عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه) بجارية رجل اتسدها في مقل حار فاحرق عجزها
واوجعه ضربا ولم ثال ذلك كثير والوعيد على اذى الرقيق في يوم
الحشر شهير

واما الترغيب في تحرير الرقيق فنصوصه الشرعية اكثر من ان
تذكر فتعصر وانه تعصر ايضا على ما يأتي كان من عياله عايه السلام
والسلام انه يمض على عتق الرقاب وفي نصوص شريفة من اعق
نسمة اعق الله بكل عضوا منها عضوا منه من النار حتى كان
الرجل يستحب ان يعتق الرجل لكمال اعضائه والمرأة تعتق المرأة
لكمال اعضائها (كذا في عقود الجواهر المنيفة عن حماد عن ابراهيم

ال وهذا حكما (حكم المرفوع) في سنة خمس مائة سنة
لله كمال عضوهم - عدا من عفا عنهم - سنة خمس مائة
روي في نه مرقلة تلى (انت رتبة) في سنة خمس مائة
عليه الصلاة والسلام - الامام فقير - ول - في سنة خمس مائة
جنة (قال عتق خمسة راقب) في سنة خمس مائة
احد قال (اعتق خمسة من تهرده) في سنة خمس مائة
فيها (كنا في رازي) في سنة خمس مائة
بيان ان شريعة الله - سنة خمس مائة
لتحرير وتيسر - ولتصير مدة - راقب في سنة خمس مائة
كثرة الجيات في - سنة خمس مائة
والحنث في اليمين وفكا بعض - يحضر على - سنة خمس مائة
تظاهرة ان اصاب من زوجته لا يجوز له - سنة خمس مائة
ياون - ايطالب به لكثرة عتق رقبة ثم - سنة خمس مائة
عليه بالثواب لاحظت حال من لم يسمع بهذه - سنة خمس مائة
فشرعت المكاتبه وهي ان يتفق السيد مع رقيقه على ان يملك ذنبا اليه
كذا من المال صار حرا فعند ذلك يملك الرقيق حريته اسمي على
تحصيل المال فاذا ادى المشروط عليه صار حرا وشرعت عتق
على جعل بان يقول السيد لرقيقه انت حر على ألف درهم

ذنب من مدحت ركب عايه، داءه وتمرط مائه ولا حطت حال
 ركب من - امة رقيه وملت حياته، فسرعت ابرار التدار
 و ان يمتد يد من عن شرمه، ان يقول له امة من يد
 اي يد ستد مع بعد زجهتار تملق له ورهنا ربه رسا
 اباد - ر مد حر رترعت، اجد وصلة بالحق وراست ان
 من امكن للزمن ما لا يفتق له شيء مما هو من درعي لا تق
 راثن اربعة ربه، فبه وكن رجا عند رعبتهم لي منفعة
 رهبنه من مضرة تسع ربه، بل الخير الذي ربه ربه
 من يد ماع ربه رترعت راتق مسي لا تق له
 عند مصره حد منين ما عيب اوربا عند اردتهم الزم ربه
 عمل او كفها من عمل يتركون عليها ما رعب عليهم الاتيان
 ربه ربه ربه ربه رترعت ضم الخلف بالحق عسى ان
 ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه
 يجد ان ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه
 من تلك ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه
 وتصير له لا تروى ثم جيب ر اشريعة الحمدية جعلت للسبد
 ملك رقية ارفقة فذ جعلت له ملك بضعها وابتاحت له التسري
 رباح صاع ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه

اختلاط نسب ذريتها في اذن كان زوجة محترقة نسب اولادها
خلاف لما يحصل في زنا ثم من جملة المراجعة التي جعلتها في
مقابلة اباحة بضعها لسيدها ومن جملة الوسائط الموصلة اليها ان
حكمت للرقية التي تلد من سيدها وان سقطت مستبين الخلق بانها
تصير مستولدة اي انه عند ذلك يحظر على سيده ان يزوجها
ورمها وامثال ذلك من التصرف وبعد وقت تصير حرة سرفة
فالأمل في هذا الحكم يهتد به الشريعة المتعدية من مراعاة الرقية
والنظر في شؤون من وسائط تكثير الثمر في نكاحه الشرعية
وفيه صلة رحم ودفع الوحشة بين الارحام ما شرعته تلك الشريعة
من ان من ملك ذارحم يهرم ما منه يعتق عليه ومن مراعاة الرقعة
والشفقة الراقية ان الشريعة كرهت التفرقة بين الام وولدها
الصغير بنحو بيعه لآخر او بينه وبين ابيه او بين كبير وصغير
بينهما محرمية او بين صغيرين كذلك والمفحش ان هذه الشريعة
العادلة ما تركت شيئا من مرغبات العتق واقصير مدة الاسترقاق
وموجبات الرحمة للرقيق الاحشت عليه وفتحت له ابواب فبا التامل
المصادق في سياستها في الاسترقاق فبهداها انما شرعته على قدر
الضرورة وقدرت الضرورة بقدرها بما سوب تكسره به شوكة مخيفها
وتنفع اتباعها وتحفظ على الرقيق راحته وتمنع عنه الاضرار

مر الامكان الحرج

تيق وخدمة بينه وبين سيده فانها
قيق ومن احكام ذلك الولاء انه
الدية توزع تلك الدية على مولاه
بذلك من مراعاة لسان ذلك
ل ان المسلمين يعتبرون الرقيق
شر كلام كالا لا تعتبره شر يعتبرهم
ماماه بما يدفع شره ولا يحرمه
لغة الحبر عليه

ان جوده من ترغيبها في الاحسان
مع عايله بالبر والاحسان وكثيرا ما
مت الرق فذلك ظاهرا بما شاهد
على ارقائهم وعتقاتهم والوصية
تلك المبرات اغنى من ذرية
ت سيده بل كثير من الاسياد
ه اعز من ولده او يزوجه بنته
او سلطانا (كما في ملوك مصر
لدى معلومة عند الجميع) وما

بلغ كثير من المتقاه من مراتب النجاة والمجاهدين في سبيل الله
والافتقار إلى مرتبة الاجتهاد والبرهان من غير ان يربح
الامام الجليل في الفقه الذي كان استحيته تمنى زيارته وتبذره
ويجاسه بجانبه اهر كاتف رائف بينه وبين الارقاء من خمسة
التي ما كانوا يخالونها لولا دخولهم تحت رقبيل كراي بقرن سيف
بلادهم الوحشية على حاتم الحثريه ابعاد ذلك كراهية ان
الشريعة المنسية تعذر لارتقاء دون مرتبة الباطن ولا تسلية من عذرت
الا نسان نعرف بالله من الاغتراء

وان قيل اننا نجد بعض اهل الاسلام يسمون الارقاء بالعبادة
القاسية قيل انهم قد يرجعون من الخدمة الذين لا يتسكون حكم
الشريعة المعادلة للراحمة من يمل ولادهم بعبادة لا حرفة شريفة
ولا انتمائها للرحمة وهؤلاء من الندرة يمكن ان يقل عند من طارئة
القساة ان هموم المساهين يعاملون ولادهم بتلك النظافة وتكون
النتيجة انه على السالمين ان لا يستوائوا ولادهم لتقية خرافية
ناشئة عن دلائل هذيان من المعلوم عند كل مدقق ان لا يحكم
لاتبنى الاعلى الفعل لعام الشائع لاعلى النقيض النادر من القسوة
التي نسمع عنها انها موجودة في بعض الممالك المتقدمة تجري على
الخدمة والارقاء بما نقشع منه الجلود شائعة بين اولئك المتدنيين

لأنه زعمون لمصر من رحمة البشر كانت جود تيزنا السجين
لي رتابة من عدمهم اذقة من بنائب شريعتهم انكان
استقبح الاسترقاق في شريعة الحمدية وجه ظاهر ولكن
الك لم يكن البتة يعلم ذلك من لاستقراء الاستقصاء ومراجعة
رأي الأمة الإسلامية ومن يتنكر خلاف ذلك من دون افهامه
لبرهان بل الجرح الحاد صواب الغايات السيئة والاعتماد على
خبر غرابة ثمانية رجل فيقول المصلين بشريةتهم بالتهمة
به دالة والظنية ان الله اياها الى من الافتراء والابتداع
الكذب الخبيث شر من الانسان

اما كون الرقب شرية في الترائع السابقة على شريعة محمد
عليه السلام وتصرها في كتيب المذسوبة اليها في كفي في بيانه
افني كذا ومن يستترة اني تدل على اتخاذ المخالفين عبيدا
من ذلهم في كذا الاستثناء واذا نذرت من قرية لتقاتلها
بعهد الان جميع نجات رفقت لك الاسباب كل الشعب
لذي به بخسر وكوارث الك عبيدا يطعونك الجزية ويؤخذ من
غير العدد ان موسى عليه السلام لما ارسل اثني عشر الف رجل
برقة هل مديان فتمردوا عليهم وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة
لوكرم وسبوا نسائهم واولادهم ومواسمهم كلها واحرقوا القرى

والله ساكر المداين . ثم رجع غضبا من عيا .
يقال لم سبيتم الله ثم ارتدتم كذا .
تبرأوا الابكار هذا كذا .
وحدة وسنة .
اسما وسين .
على جواز قتل الاميد في كذا .
التبديت .
وكن المراين .
السادس .
لماين هم عية .
بفاري على اسم .
هم لانهم استردوا .
هم مؤمنون ومحبوبون علم وعظ .
تقرير الاسترقاق في الشريعة .
طاعة اسياهم .
في تلك الشريعة .
مهد من الشرائع بان ياتي بما هو مقوت عند الله تعالى .
نه ان اطاعة ساداتهم واجبة عليهم وان كانوا غير مؤمنين حيث

مرتب محكم رسم الـ سـ هـ
نـ غير مباح يـ الـ شـ رـ
بـ ارام ارقا بم براحتهم واكثرية
نـ بـ و ان الـ تيطس بي الـ اصـ احـ
نـ تهم ويرضوهم بي كـ سيـ
تـ بـ كل الـ الـ الـ
نـ الـ و هذا النص قريب
بـ فاهر مضموم هو له في كل شـ
نـ الـ الـ الـ الـ الـ
نـ عبده ان يزنني كـ في التـ رـ
نـ يطبع مـ في دـ لـ
نـ مـ الـ الحق نـ على العبد ان
نـ لا بـ بـ و يهد بـ الـ
نـ و جـ بـ بـ الـ
نـ هو مفصل في تـ التـ رـ
نـ لـ من نـ رـ بـ في
نـ خـ مـ في غير هذا
نـ العيسوية و في رـ بـ

الاولى في الاصحاح الثاني ايها الذين آمنوا كنوا كمن كنتم
 للسادات ايسر اما الذين المترففين فانهم انشدوا انهم كانوا
 النص وان لم يذكر البيد بل ذكر الخدام ولكن قرينة النص في
 تعين ان المراد بالخدم البيد وفيه قد جمل الاطاعة وجبة حتى
 للمنفاء وان لم تعتبر هذه القرينة عندنا فيمكن في ثبوت المنظار
 النصان السابقان في اظهار الاثبات لقوله المحترمين من الشريعة
 المحمدية بلا تترافق ما تقدم شرعه من الحكمة في رويته في خدم
 الشريعة ومن حديده وتطبعته التي تحتفظ رخصه رقيب بل قد
 تجلب له النعمة وتقصير عليه مدة الاسترقاق انما اراد هذه المصروف
 التي في الشريعة النوسرية وشرعة العيسرية التي تدل على شروعية
 الاسترقاق وتقريره في هاتين الشريعتين قلوا الاعتراض على شريعة
 المحمدية في هذا الامر فهو حكم عادل مرتكب فيه الخلف المضربين
 وهو القاعدة المعقولة وصراعي غيبه جانب الشفقة والرحمة والالتفات
 على قدر الامكان فيه ومقدرة فيه الضرورة بقدره فكل منصف
 ومصدق بالوحي والشرائع لا وجه له في الاعتراض بهذا هذا
 البيان

هذا واما سلب اموال الاعداء ووضع الخراج عليهم فيقول فيه نظير
 ما قيل في الاسترقاق اعتراضا وجواب فلا حاجة للتطويل بل قد

في سنة الاسترقاق والجهاد من الصحيح ونصوص الشرائع
المتقدمة من هذه من عن صدي للكلام فيه استقلالاً يظهر ذلك
بما نأمل الصادق والدولي لتوفيق

ثم بعد استروعية الجهاد في الشريعة المحمدية وشروع محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم في محاربة مخالفيه ومما سلمتهم به شرعه الله تعالى في
ذات كان يقتل بعضهم دفناً لادتهم وحماية لاتباعه ونصرة لدينه
لان ذلك كله لا يتم الا بتدبير ويسترق بعضهم ويضع على البعض
الاخر اخراج ويجعله صاحب ذمة وورد بحيث يكون له ما
امس ان وعده ما عليه من واجب حمايته ومراعاة حقوقه وتحريم ذمته
في نفس وارض وامن ويشترط عليه الخضوع لاحكام من
شريعته كفي في لسلامة من تعديه واقترائه على حقوق سواء
ويذكره ما يمين من لالتيان بطاقوس ما يستقدمه على وجه يحفظ
ابية الدين محمدية ولا يفسد افكار اتباعه ويفوض امره لله تعالى
في يوم نبش والنشور ويجري كلاً من الاسترقاق ووضع الخراج
على صورة متقدمة عندما يجد ان ذلك كاف في دفع اذى المسترقين
والموضوع عليهم مع عود النفع في ذلك على اتباعه وقد كان حاله صلى
الله تعالى وسلم في محاربتة لاعدائه سجالات فتارة ينتصر عليهم وتارة لا
وذلك سنة الله تعالى في رساله ولكن آخر الامر كان النصر لا يتم الا له

والعاقبة المتقين استحق استولى على بلاد كثيرة وسفقت دماء
عديدة واثار الله دبره على الدين كله ولا راد له
لم يكن بالسيف في الحسبة والبرهان استحق استولى على
ثم ان البعض من اعداء دينه اتقوا بالعدوان والقتال
يتربص بهم النرص ريراساهم بالحجج حريص على هلاكهم
اتباعه بان لا يملوا دعوتهم الى دينه من التلويح بحججهم في
معاملتهم كلما وجدوا ذلك ودينه من ان لا يتركوا
يوم القيامة

ثم ان البعض من الاعداء اثاروا الخضرع ثمينه في السلا
والانخراط في سلك اتباعه بانصاره وهم بخبرون تكذيبه والحدس
لم على ذلك اما الخوف واما الطمع في فتنه الله عن يديه والدي
اتباعه من الغنائم فكان صلى الله تعالى عليه وسلم في اول الامر
يعدم في جملة اتباعه مع علمه بحقيقة حاله وسوء حريته ولا
يفضح سرايرهم ولا يبيع اضرارهم خشية تاعة الاعداء ان محمدا
عليه السلام يكذب اتباعه في تصديقتهم ويرتب في انخراطهم
ويقتلهم لاغراض سيئة وهو امر يوجب التنفير ويشني عزم المقبلين
لا سيما والدين في اول نشأته ولكن باقويت شوكة الشريعة وكثرت
انصارها وسطع نورها وظهرت معالمه لاصحابه عاينه الاسلام بعض

النه جنة رخا من التسنن ولم يتك الى اسات الباطلة بمبال
التي الى الله تعالى وسيا له انفيحة اولئك المنافقين وتقريرهم
ونكبتهم وتسير تباعه المناسيب منهم وهم بعد ذلك انقسموا
فرتين به خهم بالخال اهل الدين واطاع على حقيقة تلك الشريعة
الاشرة ا دولة وسماي بينها وبين ما كانوا عليه من الاعتقادات
التي كانت في تلك الساعات الماضية فحدثت فيهم رعدة وعاد موثنا
الذي كان من ذلك ما أصبح من خير الاشباع وكابر الانصار والله
الذي في الدنيا الى سوا ال بيل ربه من بني على انفاقه متجرحا الغصص
في تلك الزمان التي كانت في تلك الساعات الماضية في تلك
التي في اليم وقد سئل الى الله تعالى عليه وسلم لهذا القسم علامة
هي من ان تكتبه ودليل الحوان وهي انه اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا اوفى خان . قال الله تعالى الحماية والسلامة في
الدين والعبادة والامر

هذا وقد خرج من الدنيا وسلم من الدنيا راخنا الرقيق
الارلا بادن في الدنيا على يد الدين (بجزاه الله تعالى عنا
الذين البار بما هو عليه ابا انزله من القرآن الكريم وما اوتاه اليه
من مديرة التوهم وقد سئل عليه سبجانه بملك المنة العظمى والكرام
الكبرى فانزل على رسوله اكمل قوله تعالى جل من قائل في يوم

كان لنا العيد الاكبر اليوم اكملت لكم دينكم وتتمت عليكم نعمتي
رضيت لكم الاسلام ديناً فيا لذلك من نعمة كمالها ومنه فضيلة
له سبحانه وتعالى الحمد والشكر كما هو اهل والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقد كان نزول هذه الآية
لكريمة نعيًا لنفسه عليه الصلاة والسلام كي يبرز ذلك صديقه
الاكبر عليه الرضوان عندما سمعها فبكى رضي الله تعالى عنه لانه
وضع له بنور بصيرته والمؤمن ينظر بنور الله تعالى في رساله عليه
الصلاة والسلام ووجوده اشريف في الدنيا لحكمة تبليغ الدين
فما دام ان الدين قد كمل فابقي بعد ذلك الانتقال رسوله عليه
السلام من دار الفناء الى دار البقاء التي هي دار القرار فخرج صلى
الله عليه وسلم من الدنيا راضي مرضيا وهديا معروفا سوي مبالغا
جميع ما جاء به من عند الله تعالى ناصحا للامة تركا لله على المحبة
لبيضاء التي ليلها كنهارها مودعا في قلوبهم محبة لا تبلى وودادا
لا يفنى مقديا عندهم بالارواح محمودا مشكورا مثني عليه بكل لسان
ثناء مبرور افجزاه الله تعالى عن الامة احسن الجزاء واعطاه الوسيلة
والدرجة العالية الرفيعة في دار البقاء وعليه من مولاه سبحانه
اشرف الصلوات واذكى التحيات وعلى آله اكرام انوار الهدى
واصحابه العظام مصاييم الدحي ما تعاقب الملوان وكر الجديان

الام امين

واذا قد انتهى بنا الكلام الى هنا وبلغنا الله تعالى على قدر الامكان
في بيان حقيقة رتبة الملة الاسلامية المنى فانجعل نهاية الكلام
خاتمة ونبيها وبالله سبحانه وتعالى اتوفيق

اما الخاتمة فهي ان يعلم حقا ان الدين المحمدي بعقائده التي هي
الاصول وحكامه التي هي الفروع مأخوذ من القرآن الشريف
والاحاديث النبوية التي ثبتت عن سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام لم يشذ شيء من تلك الاصول او الفروع عن هذين
المأخذين كرتين ربما المتكفلان به البتة بدليل الآية المصراحة
بكان الدين المحمدي في حياته عليه الصلاة والسلام ولكن
العقائد وان كانت تدخل تحت عدد يمكن الالفاظ ان تعبر عنه
صراحة او قريبا من الصراحة ولكن الفروع لو اريد افادتها
بالالفاظ صراحة او قريبا منها لاحتاجت الى الفاظ تستغرق
المجلدات وذهبك انها تتجدد بتعدد الحوادث الزمانية فالقران
الشريف والاحاديث الكريمة قد سرحا بالكفاية من العقائد وكثير
من الفروع وجاء بقواعد وضوابط تتضمن الجم الغفير منها او
تشير او ترمز الى كثير من ذلك حتى يصح ان يقال ان كل ما
يحتاج اليه في الدين المحمدي هو مضمن في القران والاحاديث

أما صراحة وأما رمزاً وإشارة وحيث أن فهم ذلك جميعه لا يمكن أكل
غورد من أفراد الأمة فقد شرع الله تعالى طريقين آخرين للاخذ بالحكم
من دينك الأصاين العظيمين ربه طاهر العمر الإمامة في عالمين
الطريقين اجماع الأمة المحمدية أي أهل السنة كونه من
جعل اجماعهم معصوماً عن الخطأ لانهم لا يخطئون لأنهم امر
فهموه من نصرة القرآن والاحاديث وان لم يصرحوا بتأخيرهم
وثانيها اجتهاد من فقه الله تعالى في الدين واعطاه اذهم لاحكام
القرآن العظيم واحاديث الرسول الكريم فاجزأ الله تعالى الاجتهاد
لن هو اهله واعطى هذا المنصب لمن بان في الإمامة فضله فخذت
الاحكام تستنبط من دينك المأخذين بهذين طريقين حتى
اكتفت الأمة من التصريح باحكام دينها ووجدت ما يازمها في
عبادتها ومعاملاتها وآدابها وحدودها وقد بحث علماء الأمة المحمدية
عن الصفات التي يازم وجودها في الشخص حتى يبلغ درجة
الاجتهاد واستنباط الاحكام من القرآن والاحاديث فوجدوا
ان ذلك ينحصر في اسياتى الاول ان يحوى ذلك الشخص علم
لقرآن الشريف بان يعرفه بهانيه غة وشريعة غة فبان يعرف
معاني المفردات والمركبات في خواصها في الافادة فينتقل الى علم
لغة الذي يعلم به المعاني التي وضعت لها مفردات اللغة العربية

التي انزل القرآن بها وعلم الصرف الذي يعرف به احوال ابنية
المفردات العربية وصيغها وعلم النحو الذي يعرف به احوال المفردات
العربية عند تركيبها وما لها عند ذلك من الاعراب والبناء
والدلالة على المعاني التي تحدث بالتركيب وعلم المعاني الذي يعرف
به احوال الكلام العربي التي يطابق بها مقتضى الحال وعلم البيان
الذي يعرف به تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة سواء علم تلك
العلوم بالتعلم او كان يعلمها بالسليقة كما كان لمجتهدى الصحابة رضي
الله تعالى عنهم واما شريعة فبان يعلم المعاني المؤثرة في الاحكام
مثلا يعرف في قوله تعالى (او جاء احد منكم من الغائط) ان البراد
بالغائط الحدث وان علة الحكم خروج النجاسة من بدن
الانسان الحي ويعلم اقسام القرآن التي تذكر في اصول الفقه من
الخاص والعام والمشارك والمجمل والمفسر والمحكم والمطلق والمقيد
والصرح والكناية والظاهر والنص والخفي والمشكل والمتشابه
والدال بعبارة والدال بشارته والدال باقتضائه والدال بدلالته
والمفهوم المعبر وما يقتضيه الامر والذهي وغير ذلك مما هو مذكور
في علم الاصول الذي هو من اعظم العلوم الدينية و بان يعلم ان
هذا خاص وذاك عام وهذا ناسخ وذاك منسوخ الى غير ذلك وهذا
الاخير يتوقف على معرفة تواريخ نزول النصوص بان هذا سابق

وذلك مسبوق وهذه الأمور مغايرة لمعرفة إماماني ثم المعتبر هو العلم
بمواقع ما ذكر بحيث يتمكن من الرجوع إليه عند لطالب للحكم لا
الحفظ عن ظهر القلب والمراد بالقرآن قدر ما يتعلق بمعرفة الأحكام
الثاني علم السنة قدر ما يتعلق بالأحكام بن يعرف متن لأحاديث
أي يعرف معانيها لغة وشرعية كما مر في القرآن ويعرف أقسامها من
الخاص والعام وغيرها مما مر نظيره في القرآن أيضا ويعرف مستنداتها
وهو طريق وصولها اليها من تواتر أو شذرة أو إحداد ويندرج في
ذلك معرفة أحوال الرواة الذين روى هذا الحديث من كثرهم
معدلين أو مجروحين وهذا علم واسع يحتاج إلى اطلاع تريخي
صحيح ولكن عند طول الزمان بين المجتهد وبين زمنه عليه الصلاة
والسلام وصيرورة معرفة أحوال الرواة عسيرة جدا يكفي تعديل
وتجريح الائمة الموثوق بهم في علم الحديث الثالث معرفة وجوه
القياس أي الطريق الذي يتوصل به المجتهد إلى استنباط الأحكام
فيعرف شرائط تلك الوجوه وأحكامها وأقسامها والمقبول منها والمردود
كما مبين في كتب الأصول الرابع أن يعرف المجمع عليه من علماء
الدين الذين يعتبر أجماعهم لئلا يخالف أجماعهم في اجتهاده ومن
المعلوم أنه يشترط إيمان المجتهد وعدالته ولا حاجة إلى بسط الكلام
في هذا لأنه ظاهر فإذا اكملت تلك الشروط في شخص جاز له أن

بما ينط الاحكام الشرعية من القرآن والسنة وجازا غيره ممن
يس من اهل الاجتهاد ان يقلده ويعمل بما استنبط ثم المعتمد عند
علماء السنة ان الحق واحد عند الله تعالى والمجتهد ان اصاب الحق
عد ان استفرغ وسعه في استظهاره فله اجران وان اخطأ فهو
مذور وما جور باجر الكد والتعب اذ ليس عليه الا بذل وسعه
قد عمل فلم ينل الحق لخفاء دليله نعم ان كان الدليل الموصل الى
اصواب بينا فخطأ المجتهد لتقصير منه وترك مبالغة في الاجتهاد
انه يعاقب وما نقل عن بعض السلف من طعن بعضهم ببعض في
سائلهم الاجتهادية كان مبنيا على ان طريق الصواب بين في رعم
اطاعن وكل هذا في الاجتهاد في المسائل الفرعية لان المطلوب فيها
مصيل غابة الظن واما الاجتهاد في الاصول والعقائد فالمخطئ فيها يعاقب
ويخلال او يكفر لان المطلوب فيها اليقين الحاصل بالادلة القطعية
الصحيح ان القادر على الاستدلال ولو بدليل اجمالي اذا قلد
نيره بعقيدة يكون عاصيا بترك الاستدلال ولو كان ذلك الغير
لامام ابا حنيفة النعمان فمن هنا ترى العجب العجيب ممن يقطع
كلام الفلكي او الجيولوجي الفلاني من دون دليل يقيني ويكون
لك الكلام مصادما لعقيدة اسلامية او لظاهر نص شرعي متواتر
موذ بالله من الجهل الفاضح نعم اذا ثبت قول ذلك القائل المصادم

بالدليل القاطع فعائنا 'توفيق' بالتأويل كما مر اكن ما تقدم في
الكلام على الاجتهاد فهو في الاجتهاد المطلق وهو ماخوذ من
التنقيح وحواشيه مع بعض توصيحات زدتها عليه واما الاجتهاد
المقيد اي في مسألة مخصوصة فليس الكلام فيه او من هذا المقام يعلم
سبب اختلاف المذاهب بين المسلمين فتجد أن ساهنهم اتباع الامام أبي
حنيفة النعمان بن ثابت وانا ساهنهم اتباع الامام مالك بن أنس وانا ساهنهم اتباع
الامام محمد بن ادريس الشافعي وانا ساهنهم اتباع الامام احمد بن حنبل
رضي الله تعالى عنهم وارضاهم فن كلام من هؤلاء المذكورين قد
بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق واستنبط الاحكام من نصوص الشريعة
المحمدية القرآنية والاحاديث النبوية حسب اداه ليه اجتهاده
واوصله اليه كالعلم واستعداده مع لسير في المنهج القوي والتحري
التمام فاتباع هؤلاء الائمة يقلدونهم في العمل بما استنبطوه وفهموه من
الشريعة وهم ناجون عند الله تعالى في ذلك تقليد حيث ان الله
تعالى قد اذن المجتهدين ان يجهدوا واذن المقلدين ان يقلدوا فقال
تعالى في القرآن الكريم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
والمجتهدون هم اهل الذكر والمعرفة في دين الله تعالى ثم اذا سئل
كل مقلد عن قلد غير امامه يقول هو ناج عند الله تعالى لانه
قلد مجتهدا مستكمل شروط الاجتهاد وقد كان في صدر الاسلام

جملة من المجتهدين غير هؤلاء الاربعة الذين تقدم ذكرهم رضي الله
عالي عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولكن لم تنوفر لهم
تباع تنقل اقوالهم بالتواتر او بطريق صحة موثوق به فلذلك درست
مذاهبهم واما هؤلاء الاربعة فقد وفق الله تعالى لهم اتباعا من
اعلاء الاعلام نقاوا اقوالهم الى هذا العصر بالتواتر او بطريق موثوق
بحفظها ودونها في الكتب وتلقوها عن بعضهم بالمشافهة والتدريس
حيلا بعد جيل فلذلك بقت مذاهبهم ذات اتباع الى الان وكل
ريق من هؤلاء الاتباع لا يطعن في الفريق الاخر ولا يضلله ولا
نسقه ويسوغ لكل شخص ان يقلد اماما من اولئك الائمة ثم بعد
نايده يجوز له ان يترك تقليده ويقلد اماما اخر منهم ولا يعد ذلك
معيبا عليه في دينه اذا كان ذلك الانتقال لغرض شرعي صحيح
كذلك واضح مما يشاهده كل مطلع على احوال المسامين اتباع
ولاء الائمة اذ يرى انهم يتناحون فيما بينهم فياخذ الحنفي شافعية
ومالكية او حنبلية او بالعكس ومسأجدهم واحدة وخليفتهم واحد
يضاون مع بعضهم ولا شي بينهم يشعربادني بغضاء او طعن قاذح
يرى الحنفي يصير شافعي او بالعكس غاية الامرات كل متبع
راعي مذهب امامه الذي اتبعه ويجري في العمل عليه وهو لا ينكر
الى سواه جريه على العمل بمقتضى مذهب من تلك المذاهب غير

مذهب امامه فهذه حالة المسلمين في مذاهبيهم لاربعة الشائبة
بينهم وهي الحال التي تنطبق على اصول شريعتهم فليعلم ذلك من
لم يعلمه ثم اذا نظر الى الشروط التي تقدم اشتراطها لنوال الشخص
مرتبة الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية نجد انها لا يزال
توفرها في اناس ممكنة عقلا الى الان وبعد الان ولكن من عصر
اربعية من الهجرة النبوية على صاحبها ازكى نصلاة والسلام قال
بعض العلماء الاعلام كما ينقل عن علمه الخنفية ان باب الاجتهاد
قد اسد من ذلك التاريخ وربما يتخيل لبعض الناس ان هذا الحكم
من اولئك العلماء غير موافق للصواب اذ يقال ، دام توفر شروط
الاجتهاد التي تقدم ذكرها لا يستحيل عقلا وجوده في شخص الى
الان وبعد الان فما المانع ان يوجد مجتهد بعد ذلك العصر حتى
الان لكن اذا دقق النظر يظهر ان ما قاله اولئك الاعلام هو
موافق للصواب وعين الحكمة وهو ناشئ عن دقة انظارهم ومعرفتهم
في احوال الزمان وتقلباته وادمرار الله تعالى في شؤون هذه الامة
المحمدية وبيان ذلك ان هؤلاء العلماء القائلين بانسداد باب
الاجتهاد من عصر الاربعية نظروا في شؤون القرون الثلاثة وهم
قرن الصحابة والتابعين وتابع التابعين فوجدوا ان الله تعالى قد وفقهم
الى الانكباب على تحصيل علوم الشريعة والحرص على مواد

الاجتهاد واستنباط الاحكام من القرآن الكريم وتفسيره المنقولة
عن الرسل عليه الصلاة والسلام والاحاديث النبوية واثار
الصحابة وفتاويهم وامثال ذلك مما اهل علماء تلك القرون ان
يبلغ كثير منهم درجة الاجتهاد في الدين لاسيما وعصرهم قريب
من عصر الرسول عليه السلام او عصر من راه او راى من راه وقد
ظهرت عناية الله تعالى بتأهيل اهل تلك العصور لذلك حيث
قد تم فيها جميع ما يحتاج اليه في امر الدين فجمع القرآن وحفظ
وحصن من طوارق التبديل والتغيير وجمعت احاديث الرسول
عليه الصلاة والسلام ودونت وضرب في تحصيلها بطون الابل
من اقصى البلاد وانصب المجتهدون من علماء الامة على استنباط
الاحكام من دينك الاصليين العيظمين حتى افرغوا الجهد في
ذلك ولم يبق من احتياجات الامة في احكام دينها الا النادر
النذر الذي لا يتفق وقوع حادثته الا في اجيال وتم امر الدين على
احسن منوال واقوم مناج كل ذلك كان في القرون الثلاثة فلم
يبق لمن بعدهم وظيفة التدوين تلك الاحكام ونشرها وتبليغها
للامة وقد ظهر من هنالك فتور المهم عن ذلك الانصباب في
تحصيل علوم الدين ولم يزل ذلك الفتور بازدياد حتى بلغ الغاية
في الازمنة المتاخرة لا ينكر ذلك من له ادنى اطلاع على تاريخ هذه

الامة الاسلامية فحق نرى اكبر علاني يزم ار
العلوم التي تقدم اشتراطها في المجتهد فوجوده
فمن هو الذي نراه منهم محيط في هذه الاره ن
معرفة معاية اللغوية والشرعية وبالعلوم
كالنحو والصرف والمعاني والبيان وباقسامه
الخاص والعام الى اخر ما حروبتعين كن واحد
الاخر وبناءه ومنسوخه ووجود القياس وب
وبعلوم الاحاديث النبوية متا وسندا كما لقا
شروط المجتهد ومن ادعى استيفاه ذلك كله ف
كل من يدعي بما لبس فيه كذبه شواهد الام
من يعلم ان مثل ابي يوسف ومحمد وزفر وا
حنيفة رضي الله تعالى عنهم اجمعين لم يدعوا حرا
ينجل ان يدعي هو تلك المرتبة وهو من اهل هذ
قيل ان هذا الزمان قد توفرت فيه كتب تفسير
وشروحها وكتب اسباب النزول والتاريخ والمند
هو الركن الاعظم لمرتبة الاجتهاد فما المانع ان ي
الازمان تلك العلوم التي تقدم اشتراطها ويعتمد
التي تقدم ذكرها وهي متكفلة بالركن الاعظم

ذلك فالذي يتراءى ان الاجتهاد في هذا الزمان اسهل حصولا من
الاجتهاد في صدر الاسلام قبل ان تدون تلك الكتب قامت نعم قد
وجد جميع ذلك ولكن في السطور لا في الصدور وان لم يشترط
للمجتهد ان يحوى جميع ذلك في صدره ولكن لا بد ان يعلم
مرجع كل شيء من ذلك بحيث لا يخفى عليه مرجع حكم عند
احتياجه الى مراجعته ووجود شخص بهذه الصفة في هذه الزمان
هو ايضا غير حاصل اذا رجع الى الانصاف فمن الذي في هذا
ازمان مستعد لاستنباط كل حكم باستيفائه تلك الشروط وقدرته
على مراجعة مرجع كل حكم من تلك الكتب بحيث يصل بذلك
الى معرفة كل آية ناسخة وآية منسوخة وكل حديث ناسخ او منسوخ
آية او حديث ومعرفة مراتب الاحاديث من النواتر والشهرة
والاحاد ومعرفة المجمع عليه الى اخر ما مر وبالجملة ان تشييد
ابراهيمين على صحة قول من قال بسد باب الاجتهاد من عصر
الاربعية يطول شرحه وبجناح اتى تأليف مخصوص ولكني انقل
ما ما وجدت من كلام العلامة ابن الحاج في المدخل مما يوضح
هذا المقام ويقتنع به كل منصف مبرزه عن العناد وقد اخلصته
عض الاختصار لدفع التشويش من التطويل قال رحمه الله تعالى
يارضاه في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم (خير القرون

في ثم الذين ياونهم ثم الذين يلوهم) الحديث هذا الكلام منه عليه
صلاة والسلام في القرون المذكورة يعني في غالب الخلق منهم ما ذكر
الافقد كان منهم قوم لا يقتدي بهم وانما عني اهل العلم ثم قال وانظر
في حكمة الشارع صلوات الله تعالى عليه وسلامه وكيف خص هذه
قرون بالفضيلة دون غيرهم وان كان غيرهم من القرون في كثير منهم
بركة والخير ولكن اختصت هذه القرون بمزية لا يوازنهم فيها غيرهم
هي ان الله تعالى خصهم لاقامة دينه واعلاء كلمته فالقرن الاول خصهم
له تعالى بخصوصية لا سبيل لاحد ان يلحق غبار احدهم بفضلا عن علمه
من الله تعالى قد خصهم برؤية نبيه عليه الصلاة والسلام ومشاهدته
نزول القرآن عليه غضا طريا وبحفظهم آي القرآن الذي كان ينزل
بوما نجوما فاهلهم لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد فجمعوه ويسروه
ن بعدهم وحفظوا احاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام في صدورهم
اثبتوها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة وقد
كان مالك رحمه الله تعالى اذا شك في الحديث تركه البتة فلا
يحدث به وهو ايسر من قرنهم بل من القرن الثاني فما بالك بهم وهم
لخيار ووصفهم في الحفظ والضبط لا يمكن الا حاطة به ولا يصل
يه احد فجزاهم الله تعالى عن امة نبيه خير القاد اخلصوا الله تعالى
للدعوة وذبوا عن دينه بالحجة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

من كان منكم متأسياً فليتأس باصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقابها تكافوا وقومها هديا واحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا فضلهم واتبعوهم في اثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم اه فلما مضوا لسبيلهم طاهرين عقبهم التابعون لهم رضي الله تعالى عنهم فجمعوا ما كان من الاحاديث متفرقا وبقي احداهم يرحل في طلب الحديث الواحد وفي المسئلة الواحدة الشهر والشهرين وضبطوا احرا الشريعة اتم ضبطا وتلقوا الاحكام والتفسير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مثل علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يقول سلوني ما دمت بين اظهركم وقال عليه الصلاة والسلام في ابن عباس ترجمان القرآن فمن لقي مثل هؤلاء كيف يكون علمه وكيف يكون حاله وعمله فحصل للقرن الثاني نصيب وافرا ايضا في اقامة هذا الدين ورؤية من رأى بعيني رأاه صاحب الشريعة صلوات الله تعالى عليه وسلامه فلذلك كانوا خيرا من الذين بعدهم ثم عقبهم التابعون لهم وهم تابعوا التابعين رضي الله تعالى عنهم فيهم حدث الفقهاء المقلدون المرجوع اليهم في النوازل الكاشفون الكروب فوجدوا

القرآن والحمد لله تعالى مجموعا ميسرا ووجدهم الاحاديث قد
ضبطت واحرزت فجمعوا ما كان متفرقا وتفقروا في تفرات
والاحاديث على مقتضى قواعد الشريعة واستخرجوا فوائد القرآن
والاحاديث واستنبطوا منها فوائد واحكاما وينبوا على مقتضى
المنقول والمعقول ودونوا الدواوين ويسروا على الناس وينبرا
المشكلات باستخراج الفروع من الاصول ورد الفرع الى اصله
وينبوا الاصل من فرعه فانظم الحال واستقر من الدين لامة محمد
عليه الصلاة والسلام بسببهم الخير العظيم فحصلت لهم في اقامة
هذا الدين خصوصية ايضا بلقائهم من رأى من رأى صاحب
العصمة صلوات الله تعالى عليه وسلامه ومع ذلك لم يبقوا لمن
بعدهم شيئا يحتاج ان يقوم به كل من اتى بعدهم انما هو مقلد لهم
في الغالب وتابع لهم فان ظهر لهم فقه غير فقههم او فائدة غير فائدتهم
فمردود كل ذلك عليه اعني بذلك ان يزيد في حكم من الاحكام
التي تقررت او ينقص منها فذلك مردود بالاجماع واما ما استخرجه
من بعدهم من الفوائد غير المتعلقة بالاحكام فمقبول لقوله عليه
الصلاة والسلام في القرآن (لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد)
(يعني التكرار) فعجائب القرآن والحديث لا تنقضي الى يوم القيامة
كل قرن لا بد له ان ياخذ منه فوائد جمة خصه الله تعالى بها وضمها

اليه لتكون بركة هذه الامة مستمرة الى قيام الساعة قال عليه
الصلاة والسلام (امتي مثل المطر لا يدري ايه انفع اوله او اخره)
او كما قال عليه الصلاة والسلام يعني في البركة والخير والدعوة الى
الى الله تعالى وتبيين الاحكام لانهم يحدثون حكما من الاحكام
اللهم الا ما ينذر وقوعه مما لم يقع في زمان من تقدم ذكرهم
لا بالفعل ولا بالقول ولا بالبيان فيجب اذ ذاك ان ينظر الحكم فيه
على مقتضى قواعدهم في الاحكام الثابتة عنهم المبينة الصريحة
فاذا كان ذلك على مقتضى اصولهم قبلناه فلما مضوا تسبيلهم
طاهرين ثم اتى من جاء بعدهم فلم يجد في هذا الدين وظيفة يقوم بها
ويختص بها بل وجد الامر على اكمل الحالات فلم يبق له الا ان
يحفظ ما دونوه واستنبطوه واستخرجوه وافادوه فاختصت اقامة
هذا الدين بالقرون المذكورة في الحديث ليس الا فلاجل ذلك
كانوا خيرا ممن اتى بعدهم ولا يحصل لمن ياتي بعد هذه القرون
المشهود لهم بالخير خيرا لا باتباع من شهد له صاحب العصمة صلوات
الله تعالى عليه وسلامه بالخير فبقي كل من ياتي بعدهم في ميزانهم
ومن بعض حسناتهم فبان ما قاله عليه الصلاة والسلام خير القرون
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم انتهى كلام ابن الحاج
في كتاب المدخل ومن يتامل كلام هذا الخبر الجليل وينظر

اليه بعين الانصاف يظهر له صحة القول المنقول عن علماء الخنفيه
ان باب الاجتهاد قد سد من عصر الاربعية ويغتم سر ذلك وحكمته
الالهية والحمد لله تعالى على تصريح هؤلاء الاعلام بهذا القول
المؤيد باوحي بيان وعلى توفيق سلاطين آل عثمان وفق الله تعالى
دولتهم الى ما فيه رضى الرحمن الى انفاذ هذا القول بين رعيتهم
المؤمنين والا لكنت ترى في هذه الازمان نتي قل فيها الورع
وكثرت فيها الدعاوي الباطلة كثيرا من المتشبهين على الله تعالى
المغرورين بانفسهم بسبب حصولهم على بعض من مود الاجتهاد
وهو اقل من القليل وغير كاف ابتلوا في درجته يدعون هذا المنصب
الجليل ويتبعهم بعض الاغرار ويحدثون في الدين ما يسمونه احكاما
وما هو الا بدع وضلالات تخالف ما كان عليه سلف الصالح
رضوان الله تعالى عليهم الذين استوفوا امر الدين على اتم ما يرام
وكنت ترى كل برهة من الزمان يتغير الحال في الدين كما تتغير
لسياسات بحسب مقتضيات الزمان (والدين الاسلامي قد جعله
الله تعالى ثابت الاحكام الى يوم الحشر والقيام) فكان الامر يصل
الى حالة تضلل فيها الامة عما كان عليه نبيها عليه الصلاة والسلام
 واصحابه الكرام عليهم من الله تعالى الرضوان ونعوذ بالله من ذلك
فجزى الله تعالى العلماء الاعلام خير الجزاء فيما ابدوه من البيان

وادام الله سبحانه وتعالى الدولة العلية العثمانية موفقة لحماية هذا
الدين من اعدائه المضامين اللهم امين

هذا واني قد سمعت عن بعض القاصرين المتطاولين على منصب
العلماء المحققين انهم يقولون ان الاولى لنا الاخذ بما يصرح به القرآن
الشريف ليس الا يعنون انهم لا ياخذون بما جات به الاحاديث
النبوية وهذا الراي فاسد باطل في نظر علماء هذه الامة الاعلام
لانا معشر الامة المحمدية كما اننا مأمورون في نص القرآن والاحاديث
التي ثبتت عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالتمسك بما يرد في
القرآن الشريف كذلك مأمورون بالتمسك بما يرد في الاحاديث
الكريمة الثابت ورودها عنه عليه الصلاة والسلام وقد انعقد
الاجماع على ذلك والايات الدالة على التمسك بالسنة المطهرة
والاتباع للرسول عليه الصلاة والسلام في اقواله وافعاله كثيرة جداً
وان لم يكن من ذلك الا قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شي
فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون
الذين يتبعون النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في النورا
والانجيل يا امرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل

معه اولئك هم المفلحون) وقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى) الآية لكان كافي في بيان وجوب الاخذ بقوله عليه الصلاة والسلام وهل لنا كل فهم نقرآن الامن مدينه الكريمة وقد صرح هو عليه الصلاة والسلام في ثبت نقله عنه ابن ابينا الاخذ بما جاء به من الاحاديث وان الاقتصار على قرآن شريف يستلزم اننا نكون قاصرين في احكام الدين ولا نصل الى فهم جميعها من القرآن فقط فمن الاحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام في ذلك ما جاء في ابي داود عن العرياض ابن سارية رضي الله تعالى عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بايعة ذرفت فيها العيون ووجلّت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأنّ هذه الموعظة موعظة مودع فما تعهد اليها قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم محدثات الادور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في ناروه في ابي داود وترمذي عن المقداد رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاواني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعن

١ كناية عن المغرور الغافل المنهمك بشهواته فتقييده بالشعب اشارة
الى انه الحامل الي هذا القول المردود وفيه تنبيه ان الشعب سبب
الخماقة والغفلة ولهذا لم يشبع صلى الله تعالى عليه وسلم على ما في
الشفاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها لم يمتلي جوف
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قط (على اريكمته يقول عليكم بهذا
القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام
فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله الحديث وما في ابي داود
عن العرباض ابن سارية رضي الله تعالى عنه قام فينا رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فقال يحسب احدكم تكثرا على اريكمته يظن ان
الله تعالى لم يحرم شيئا الا ما في هذا القرآن الا وافي قد امرت ووعظت
ونبهت عن اشياء انها مثل القرآن او اكثر وان الله تعالى لم يحل
لكم ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب الا باذن ولا ضرب نسائهم ولا
اكل ثمرهم اذا اعطوكم الذي عليهم وكثير من الاحاديث الثابتة
عنه عليه الصلاة والسلام تفيد ذلك يطول بنا الشرح ان استوفينا
نقاها وفي نقلناه كفاية فان كان شبهة هؤلاء القاصرين في هذا الحكم
الباطل والراي الفاسد من الزام الامة بالاعتصار على ما يفهم من
القرآن وترك ما يفهم من الاحاديث هي ان الاحاديث المنسوبة
الى الرسول عليه الصلاة والسلام يوجد بينها الضعيف الذي لم

يثبت وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم تبوة معتبرا لأخذ
الاحكام ويوجد بينها الموضوع اي الذي هو مكذوب عن النبي
عليه الصلاة والسلام وهذا امر على زعمهم يرفع الثقة بالاحاديث
قلنا لم ان هذه سببة ساقطة اذ من المعلوم ان علماء الدين المحمدي
الاعلام اهل التحقيق والتدقيق الموثوق بهم في رواية الاحاديث
ومعرفة تراجم رواها لم يدعوا شيئا منها الا يبنوا منزلتها من الثبوت
عن الرسول عليه الصلاة والسلام واحاطوا بعفتها واسمها
واحوال رواتها على اتم وجه واكمل تبيين حتى لفردوا ذلك فذا
مخصوصا يسمى فن مصطلح الحديث فانما فيه الكتب والرسائل
ونظموا الاراجيز والقصائد وكذلك فهاوا في تراجم رودة الاحاديث
فافردوا لذلك فنا ايضا يسمى فن التعديل والتجريح ثم بعد ذلك
نبهوا على منزلة كل حديث يذكر في كتب السنة وعلى حكمه في
الاعتماد عليه في الاحكام ام لا وبالجملة يبنوا الاحاديث المتواترة
والمشهورة التي يعتمد عليها في الاعتقادات الاسلامية وفي الاحكام
الشرعية والاحاديث الاحادية الصحيحة والحسنة التي يعتمد عليها
في الاحكام والاحاديث الضعيفة التي لا يعتمد عليها في شيء مما
تقدم ولكن قد يؤخذ بها في فضائل الاعمال اعني انها اذا كانت
واردة في فضل عمل لاشي في الشريعة يمنع منه فلا مانع من

العمل بها والاحاديث الموضوعة التي لا يعتمد عليها في شي من
جميع ذلك بل يجب على تاليها ان يبين وضعها وانها مكذوبة عن
الرسول عليه الصلاة والسلام ولا يؤخذ بها البتة والكتب المؤلفة
في استيفاء هذه البيانات وتمييز منزلة كل حديث هي منتشرة بين
علماء الامة حتى لا يخفى عليهم شيء من حقائقها فاي ضرر بعد
ذلك في الاعتماد على الاحاديث النبوية كما يعتمد على القرآن كل
منها على قدر منزلته من الثبوت هذه اخبار الناس واحاديثهم
يوجد بينها الصادق والكاذب أيسوغ لنا ان نقول لا يجوز لنا ان
نصدق خبرا ونعتمد عليه لوجود الاخبار الكاذبة بين اخبار الناس
كلا والله لا يقول بذلك الاكل جاهل بل الصواب ان نقول
اننا نبحث عن الاخبار الكاذبة حتى نعرفها ونردها ولا نعتمد عليها
ونبحث عن الاخبار الصالحة حتى نعرفها وناخذ بها ونعتمد عليه
وهكذا فعل علماء الامة بالاحاديث المنسوبة الى الرسول عليها
الصلاة والسلام بحثوا ودققوا عنها حتى وقفوا على ما صح نقله عنه عليه
الصلاة والسلام فثبتوا على ثبوته واعتمدوه ووقفوا على ما كان بخلافه
فثبتوا على قيمته فانزلوه منزلته من عدم الاعتماد عليه في الاحكام او
رفضه أئمة وان قال هؤلاء القاصرون من اين اننا الوقوف على منازل
الاحاديث ومعرفة ما يعتمد منها وما لا يعتمد قلنا فاذن انتم من قسم

العامّة فان علماء الدين يعرفون ذلك ولا يخفى عليهم شي منه فعليكم
ان لا تتجروا بمثل هذه اجراء ورجعوا في دينكم الى اهل الذكر
والمعرفة الذين يعرفون ذلك حق العرفان وان كان شبهة هؤلاء
القاصرين انه يوجد في الاحاديث المنقولة عن رسول عليه صلاة
والسلام ما ظاهره المخالفة لقانون لعقل وما قام عليه دليل عقلي
القاطع والاكتشافات التي اكتشفها فنون هذا الزمان والمخلص من
ذلك على زعمهم الاقتصار على القرآن واهل جميع الاحاديث النبوية
فاقول وهذه شبهة او هن من بيت العنكبوت وتشبه به يدل على
تمام قصور فهمهم في حقيقة الدين محمدى المكين وذلك ان
القاعدة في الشريعة المحمدية كما تقدم بيانه في هذه رسالة نقلا
عن علماء الاسلام الاعلام انه يجب علينا معشر المسلمين الاحذ
بظواهر القرآن والحديث الثابت عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما لم يقم دليل عقلي قاطع يناه في ظاهر شي من ذلك فان قام
دليل كذلك يناه في ظاهر آية او حديث فعليه ان يؤل ذلك
الظاهر ونرده الى معنى محتمل وان كان بعيد يحصل به التوفيق
بين ذلك النص وبين ذلك الدليل العقلي لقاطع ومن تتبع القرآن
وجميع الاحاديث النبوية الثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام
لا يجد شيئا من ذلك يخالف ظاهره الدليل العقلي القاطع الا ويمكن

تاويل ظاهره والتوفيق بينه وبين ذلك الدليل واما النصوص
التي لاتقبل التاويل ومعانيها متعينة فلاشي منها يخالف الدليل العقلي
القاطع ولا يمكن ان يقام دليل عقلي على مخالفتها البتة ومن يزعم
خلاف هذا فعليه البيان فهو لاء القاصرون كان من الصواب لهم
انهم عوضا عن قولهم بترك الاخذ بالاحاديث النبوية لهذه الشبهة
ان يسالوا علماء الامة عن تطبيق كل حديث منها قد وجدوا
ظاهره مخالفا لدليل عقلي قاطع وهم يبينون لهم التوفيق على اقوم
طريق ويظهر لهم عند ذلك ان الدين الاسلامي لاشي من نصوصه
مخالف للعقل في الحقيقة ونفس الامر وانما يتخيل المخالفة ظاهرا في
بعض نصوصه اما لقصور الفهم او لقلّة العلم او ان النص ورد على
ما يظهر فيه من المخالفة لحكمة من الله تعالى اما لابتلاء العلماء
وامتحانهم في فهم نصوص شريعتهم واجتهادهم في تحري الحق
والوصول الى الصواب واما لغير ذلك واني شارح في تليف كتاب
اذكر فيه ما يوفقني الله تعالى اليه من النصوص القرآنية والاحاديث
النبوية مما ظاهره مخالفة الدليل العقلي والاكتشافات الجديدة المقطوع
بها واطبق كلا من ذلك على قانون العقل بتاويل مناسب جريا
على تلك القاعدة المتقدمة اسال الله سبحانه وتعالى ان يتفضل علي
ويوفقني لاتمامه خدمة لهذا الدين هداانا الله تعالى جميعا الى ما فيه

الحق وثبت قلوبنا على الايمان ولستند على اصدق موفقة ما فيه
رضاه ومسرة مصطفىاه وختم لنا بختمه نعمة بوجه سيد محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب السيادة الماهية
واما التنبيه فاني ارجو ممن يطلع على هذه الرسالة ان لا يبادر
بالانتقاد لما يتبادر فيه فهمه اني مخجل في قبلي ان يستوفى فهم المقدم
الذي اكون اخذاني تقريره بل ينظر الى سابق ولاحق وإلى المتصد
الذي الفت لاجله الرسالة والكيفية التي رتب عليها ثم يعكم بتبشير
له من الحق فاني لم ادع السلامة من الخط ما دمت من جملة
البشر غير المعصومين وقد ابى الله العصمة لغير كتابه وكلام
رسوله عليه الصلاة والسلام غاية ما اقول اني تحررت الصواب
بقدر جهدي وطاقتي فما كان حقا فبتوفيق الله تعالى اليه هديت
وبركة رسوله المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كنت من
بعض خدمة شريعته المطهرة وما كان خطأ فهو من قصور فهمي
وقلة علمي وضعف فكري وارجو الله تعالى ان لا يؤخذني زلي ومن
رام ان ينتقد فله الاختيار ولكن عليه ان يقدم على ذلك بنية خاصة
فان تألفي ما هو الا خدمة للدين الاسلامي فلينظر المنتقد الذي
هو من اهل هذا الدين ماذا يرضي الله ورسوله وليفعل ثم اني في
هذه الرسالة وان خضت في بعض المواضع الفلسفية فليس قصدي

من ذلك التفلسف في الدين بل ذلك لا قناع عقول المتفلسفين
وابيان ان الدين الاسلامي لا يكاف اتباعه الا بالعقائد الحقّة
المنطبقة على قانن العقل الصحيح وبالأحكام التي ترجع عليهم
بالخير عاجلا وآجلا هؤلاء علماء الكلام خاضوا ما خاضوا مع
الفلاسفة من شرح المباحث الفلسفية لبلوغ تلك الغاية فليست
في ذلك سالكاً طريقاً لم تسلكه علماء الأمة الإسلامية ومن يعلم
شيوع فنون الفلسفة الجديدة وكتبها بين اهل هذا العصر لاسيما
منهم غير المتكئين في معرفة حقيقة الدين الاسلامي يستحسن
سلوك هذا الطريق المتعاضد على العقائد الإسلامية من شوائب
تلك الفلسفة الجديدة التي اشتملت على مكتشفات لم تكن في
عصر المتقدمين من علماء الأمة الذين لم يتركوا شيئاً من المحافظة
على العقائد من شوائب الفلسفة القديمة ثم انى في بعض المواضع
رخي العنان للخصم واجعل له الخيار في الاعتماد على بعض اقوال
علماء هذه الأمة غير جمهورهم وما كان ذلك منى الا لتسهيل الطريق
عليه وتيسير الدخول في الدين لان دخوله فيه ولو على قول ذلك
ابعض من العلماء الاسلاميين يجعله في عداد اهل الملة المحمدية
ولا يجرمه صفة الايمان فيكون سبباً لنجاته مما عليه من المخالفة المهاكمة
هذا الامام الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتابه تهافت الفلاسفة

يكتفي بالزامهم بالحجة وأوعى قول بعض أهل الاعتزال أن
المعتزلة لم يخرجوا عن كونهم من عدد مساكين كلامهم من
الاسلام كما في المواقف وآلم الحجة على معتد هذا حق سبحانه
وتعالى قد أذن لرسوله عليه الصلاة والسلام في قرآن محيد
يخاطب الكفار بقوله وإن أواياكم على هدى أو في ضلال مبين
وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ليس تارك في هو عليه وقد هو
اسلوب خطابي لجلب الخصم إلى الدخول في باب حثه والتمسغه
إلى الحجة فتلي عليه فيهم فتقنعه بالحق وبذلك يتبدل الاعتقاد
وأما اعتقادي في الدين الاسلامي الذي لقي الله تعالى عليه رساله
سبحانه وتعالى ان يحسن خاتمي به فهو في اعتقد بجميع ما جاء به
سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام اعتقادا بجزءه على وفق
ما يعتقده السلف الصالح من الصحابة والتابعين ثم بحسن ضيق
مذهب أهل السنة والجماعة وأني على مذهبهم في التفويض في
اعتقاد النصوص الشرعية فاعتقد ان كل نص جاء منها هو حق
لا يخالف العقل الصحيح ولا يستلزم محالا وأؤمن به على ما أراد الله
تعالى منه وأفوض علم تعيين معنى التشابه إليه تعالى ولكنني عند
الانتصاب لمحاكمة المعارضين على شيء من تلك النصوص أو
المعتقدين منها خلاف ما تفيده أصول الدين أجرى على طريقة

الخالف رضى الله تعالى عنهم من التاويل للنصوص التي يخالف
ظاهرها العقل بما يحصل به التوفيق بينها وبين العقل كما تقدم
من القاعدات وذلك لافناع الخصم واحتجابه به يمكن له فهم النص
بهذا التاويل وترك المخالفة المهلكة وحقيقة الاعتقاد هو ان النص ذو
معنى صحيح طبق العقل الصحيح وتعين معناه مفوض الى
عالمه تعالى كما تقدم هذا مذهبي الذي التزمه واختاره فليُنزل
عليه كلامي في كل مقام والله ولي التوفيق ثم اني في هذه الرسالة
قد التزمت في تحريرها طريقة تناسب افهام العوام على قدر
الامكان حتى اني كنت اكرر بعض عبارات واصع الظاهر موضع
المنحصر اذ ابعد مرجعه او دخل في نوع خفاء واستعمل بعض
الفاظ عامية او غير ذلك مما تخلو عنه تآليف العلماء المتأنفين في
التأليف كل ذلك مني لتسهيل الفهم وتوضيح المقام لعل الله تعالى
ينفع بهذه الرسالة بعض اخواني في الدين واخواني في الطين واني
اتضرع الى الله سبحانه وتعالى بانكماري وضعفي وعجزتي واتوسل
اليه بصاحب الشريعة المطهرة والملة المنورة سيدنا ومولانا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتقبل عملي وينفع به عبادي وان يخلص
نيتي لوجهه الكريم وان يوفق وينصر ويؤيد دولة مولانا امير
المؤمنين وخليفة رب العالمين ويحرسه بعين عنايته وحرز وقايته

انه مفيض الخير والجلود امين وقد وفقني الله تعالى لاتمام هذه
الرسالة صبيحة نهار الجمعة المبارك قبيل طلوع شمس من يوم عيد
الفطر السعيد الذي جعله الله تعالى ترويحاً لعباده المؤمنين بعد
ادائهم فريضة لصيام وابتهاجاً بدخول شهر الحج المبارك من كل
عام سنة الف وثلاثمائة وست من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة واتم التسليم وعلى جميع اخوانه من الانبياء والمرسلين
وعلى ال كبر وصحبه اجمعين والحمد لله الذي نعمته تتدلى على الخلق
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم



صورة ما كتبه مولانا علامة الزمان والحائز قصب السبق في
ميادين العرفان المحقق الفاضل والمدقق الكامل الجامع بين المنقول
والمعقول والمشييد اركان الفروع والاصول سيدنا الاكرم رافعي
زاده السيد الشيخ عبد الغني افندي الفاروقي الطراباسي بعد ان
قرأ هذه الرسالة بكل تدقيق اطل الله تعالى عمره وحفظ على
مدى الايام للمسلمين قدره اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العظيم السلطان البهر الحجة
والبرهان الذي جعل العلماء عمدة الدين وسرج اليقين وهداة العباد
لسا الشاد واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اه آله

شهدت الكائنات بان لا خالق سواه ونطقت ذرات الوجود بانه
المبدع لما فطره وسواه واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله
وصفيه وخليله المنزل عليه كتاب مجيد لا يأتیه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله تعالى عليه وسلم
وشرف وكرم وعظم وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه وعلى جميع
العلماء العاملين والائمة العادلين الذين قاموا بنصرة دينه المتين
وشرعه المبين وانتدبوا لرد شبه الملحدين وكشف ترهات المبطلين
بالبراهين الساطعة والحجج الصادقة اما بعد فقد طالعت هذا
الكتاب المستطاب المتحلي بالحكمة وفضل الخطاب تاليف العلامة
الفانل والمرشد الكامل الحسين النسيب والبارع الارب نابغة
الزمان ونادرة العصر مولانا السيد الشيخ حسين افندي الجسر
نجل الولي الكبير والعلم الشهير صاحب الكرامات الخارقة
والارشادات الصادقة التي سارت في الآفاق سير الامثال الاستاذ
السيد الشيخ محمد الجسر الملقب بابي الاحوال فاذا هو كتاب
جميل ومؤلف جليل متكفل ببيان محاسن الشريعة المحمدية وحقية
الملة الحنيفية الاسلامية ومتعهد برد اباطيل الماديين وكشف شبه
الطبيين بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة حتى اضحت خرافات
الضلال واضحة البطلان سافلة البرهان فله دره من هام اقوت

له بالسبق علماء العصر مع حجاب المعاصرة واعترفت له بالتقدم
في حسن المحاضرة والمناظرة وشكرت صنيعه بتقدم به عندهم من
فرض الكفاية في نصرة الحق ورد شبه الغواية فجزاه الله تعالى عن
الامة المحمدية جزاء راجحاً ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل
صالحاً وانا نرجو من حضرة مولانا امير المؤمنين وكافل جهدي الملة
والدين ان يامر بنشر هذا الكتاب في جميع البلاد الاسلاميه ويحتم
تدريسه في كافة المدارس الساطانية لردم شرع في هذا الزمان
من هذيان الطبيعيين وخرافات الماديين حتى حسرت كتبهم
الضالالية تنشر بين الانام وتنداولها السنة المارقين واكف الطغام
كما يجب على كل من نما اليه كلامهم وعلمت في ذهنه مكابراتهم
وخصامهم ان يستصحب هذا الكتاب في محاوراته وينظر به في
عامه اوقاته حفظاً لعقيدته الصحيحة من تلك الخزعبلات وقمعا
وردعا لاهل الغواية والضلالات والحمد لله اولاً واخراً وبطناً
وظاهراً وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حرره الفقير عبد الغني الرافي الفاروقي الحنفي

- المفتي بطرابلس الشام سابقاً غفر الله

تعالى له ولوالديه

والمسلمين

صورة ما كتبه حضرة مولانا العلامة والخبر البحر الفهامة فخر المدرسين
أكرام وقدوة المحققين الفخام شافعي زمانه وعين أعيان أقرانه
سيدنا الهمام الاوحد نشابة زاده السيد الشيخ محمود افندي مدرس
لجامع الكبير المنصوري في طرابلس الشام ادام الله تعالى وجوده
الانام اللهم امين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لحمد لله الذي اوجد جميع الكائنات بقدرته واتقن سائر
المصنوعات بحكمته والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد
الايت البينات والبراهين الواضحات وعلى اله واصحابه اولى
لفصاحة والبلاغة والعنايات اما بعد فقد طالعت بالتام هذه
ارسالة العديمة المثال المنيعة المثال الموضوعية للرد على اهل الزيغ
والضلال فاذا هي غاية من تحرير المعاني وترصيف المباني كيف لا
يمؤلفاً علامة الزمن وناظورة الاقران والمرجوع اليه في كل
قت وأن جسر زاده السيد الشيخ حسين افندي حفظه الله

المعيد المبدي ولا بدع في ذلك اذ هو نتيجة من سائر كراماته
في المشارق والمغرب وطارت اشرارته بين الابرار والاقرب
الله على التحقيق وحامل اواء اهل اصدق والتصديق قطب المعنى
وبهجة الدهر العارف بالله تعالى سيدي الشيخ محمد الجسر امد
الله بامداداته ونفعنا به في الدنيا والاخرة وما فاته في شأن هذا
المؤلف الفاضل هو المشهور عند اولى الفضائل والله در القائل
حيث قال

حلف الزمان ليا تين بمثله حنشت بينك يزمن فكفر

فلا زال مظهرها لما خفي من الحقائق وفتحها اغلق من لدقائق
والله يحفظه مدى الزمان ويجري على يديه نفع لكل فص ودان
بجاه سيد ولد عدنان عليه من الله كل تحية وامان

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى يقول جميع الناس آمين

كتبة الفقير اليه عز شانه

السيد محمود نشابه الشافعي

الازهري خادم العلم

الشريف عفي

عنه

سورة ما كتبه مولانا العلامة الفاضل والجهيد الكامل نعمان هذا
نعمان وقدوة المدرسين الاعيان صاحب التحقيق والتدقيق
لكاشف المشكلات عن كل دقيق سيدنا الاكرم عبد الرؤف
ده السيد الشيخ عبد الله افندي الصفدي الطرابلسي ادام الله
جوده الانام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام امين

بسم الله الرحمن الرحيم

لحمد لله الذي شهدت الكائنات بانه الواجب الوجود المتصف
بكل الصفات الحكيم الذي اوجد الكائنات بنظام بديع واودعها
في الحكم التي بهرت العقول ما فيه على عظيم قدرته اظهر دلالات
شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله عضد الدين بالعلماء
اعلام وجعلهم مصابيح يهتدى بهم في دياجي الخيرة والظلام
شهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي انزل عليه كتابا
غرس افصح الفصحاء وابلق البلغاء عن معارضة اقصر سورة من
وره الكريمة وعجزت اساطين العلماء عن ادراك ما انطوى عليه من
لكم والاسرار العظيمة صلى الله تعالى عليه وعلى آله واصحابه

الذين هم لشريعته خير اتباع وانصرة دينه
طالعت هذا الكتاب تأليف علامة اندلس
الزمان وفريد الاوان مولانا الحسين بن
افندي الجسر نجل الولي الكبير والعبد المش
المشهوره والاشارات الصادقة والاعمال
الافاق خصوصا بين كمل الرجال الاست
الجسر الملقب بابي الاحوال فاذا هو من
المصنفات اثبت فيه بالبراهين والدلائل
ومحاسن الشريعة المحمدية والتزم فيه رد
شبه الطبيعيين ووفي بما التزمه اتم توفية به
تلك الشبه والا باطيل واضحة لبطالات
البرهان قلله من امام حاز قصبات المسب
وهام قام بفرض الكفاية عن اخوانه في
الماديين والطبيين باقوى الدلائل فجزه
خير الجزاء ونرحو من حضرة مولانا مير
الملة المحمدية ان ياعرب نشر هذا الكتاب في
ويحتم تدريسه في كافة المدارس الساطانية
المسلمين من التغير وعلى كل من نقلت اليه

في ذهبه ان يستحب هذا الكتاب وينظر فيه في معظم اوقاته
حفظنا لعقيدته الصحيحة من تلك الترهات وقمعا لاهل الزوايه
والضلالت والحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما دامت الارض والسموات
كتبه الفقير عبد الله عبد الرؤف
الصفدي غفر الله له
وللمسلمين



وما قاله جناب الارب اللبيب الفاضل والحبيب النسيب الكامل
حائز قصب السبق في مضمار النظم والنثرو عين اعيان الاكارم في
بيادين المكارم والفخر شوال زاده السيد محمود افندي الاكرم ادام
الله تعالى بقاءه بالنعم اللهم امين

بسم الله الرحمن الرحيم

لحمد لله مكن الاكوان مدبر الخلائق بعطف وحنان خالق
جميع الموجودات مع اختلافهم في الاشكال والالوان وهو غني

عن ان يساعد في مطلق شي او يعان لانه يرفي ككلمات سواء
خلاف لمن تاد من فرط الجبالة في نية ان الالة يرقن تتدبا من
الحيرة الاله والهيمن فاصبح وهو لا يدري ان يعين من تتدبا
ياخذ في الحركة والسرين وذل عن نظريت مرسل بمعرفة من
رفع السد بقدرته بلا عمد ولا اركان وبسط الارض وهدا بحر
واجري الانهار والنجار وانهم على اجساد من خلقه منصرمة
نوع الانسان بجلال نعمه التي لا يحصى شكره من ربه نعمته
الاسلام ولايمان فشاكره على ذلك الذي لا فناء له
باللسان والجنان اذعان بواجب وحدانيته في كل وقت وانت
لا آله الا هو آله تنزه عن ان تحيط بكنهه لانه من ويحيويه ما كان
او يمر عليه زمان سبحانه وتعنى عما يصنفه اهل البغي والتغيب
من القول الزور والبهتان وعما يعتقدونه من المذنبين باعتقادهم
البدئية البطالان نعوذ بقدرته المنيعه من تتلاعب في الادين
ونعتصم بسطوته القاهرة من هوى النفس الناقية في العذب طون
والهوان مستغِيثين بفخر الكائنات سيد ولد عدنان عبده ورسوله
النبي الامي محمد عين الاعين وقرة جواهر الاعين الذي انزل
عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فاعجز به
البلغاء والفصحاء من جميع قبائل العرب ان صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى

آله واصحابه شمس العرفان الذين استنارت بانوار هديهم الاكوان
واعنز بهم عماد الدين المنصان المؤسسة على اقوم شريعة بيضاء منا
القواعد والاركان باقوى اساس واحكم بنيان فلم يغيروا ولم يبدلوا فيها
وزناهم الا وزان بل اقاموا الوزن بالقسط ولم يخسروا الميزان حتى انا
الى الآن ثم يزل ما كان على ما كان وكفى بهذا عنوانا على رضى
الملك الديان الذي خص من شاء بما شاء من فيض فضله الهتان
كالهام الاوحد الماشار اليه بالبنان الذي هو من قاب قوسي
السعادة دان من يغبط منا فرقه الفرقدان ويحسد نور كمال طاعتنا
النيران المحفوف من العناية الصمدانية باعوان ومن السعادة الربانية
باخذان صاحب الاطلاع المعجب والاستحضار المعجز سيدنا السيد
حسين الجسر الافخم متع الله الانام بعوائد علومه الواسعة المد
والميدان وحلى بفوائد فنونه البديعة الافتنان احياد الطلاب ه
كر الملوان وتعاقب الجديدان امين

اما بعد فاني لما اطلقت لجواد عيى العنان وسرحت طرف طرفي
في مذاهب هذه الرسالة التي هي اشبه من المنشور بمنظوم حب
الجهان وشاهدت بهجة محاسنها بارزة للعيان وجدتها جنة عرفار
وسيفاً قطعاً لالسنة اهل الزيف والطغيان وشهاباً ثاقباً رجمت به
شياطين الانس والجان تنتعش بفهم معانيها الا بدان وترتاح لمبانيه

روح كل انسان ويزداد المؤمن بمصنعتها
كيف لا ومولفها ذلك الجسر المنتصب بين
الموصل نجره بالوقوف على حقيقة الادين و
فوق بحر ين ياتقيان يخرج منها الملوء والمرج
الحسناء بحسبان فهو لقمان هذا الزمان ونعمان
كما ان عمرو بن سنان لو كان في زمنه رو
وكذلك سحبان لو انه في هذا العصر لانه د
في اللسان قلله دره من بايع فينان وتير عذبة
ملان وملاذ اذا استعين به اعان ونصر دين
القاطعة والبرهان اذا شئت اهل الشبه حرة
تعالى على وجود مثل هذا الامام الذي هو من
الخصم والامعان في اعان ونشكره ونستجديه
كريم حنان مجواد مذن ولما وضع واستبان صبح
الرسالة المسماة بالحميدية في حقيقة وحقيقة
والله المستعان وعليه الاعتماد والتكylan

دين النبي محمد العدنانى في كل آ
دين له رب قديم حافظ . يحيى حماد
دين قويم النهج فيه اخوانه النبي يزدا اية

بادلة ان شئت بها عقلية
 من حيث كل منها كالشمس في
 اعظم به دينا قويا واضحا
 لو لم يكن حقا ودنيا قويا
 ما زال كالشمس المنيرة مشرقا
 يا سعدنا فيه غدا ونجاحنا
 تعسا لمن ونحت له طرق الهدى
 يكفيه في يوم الجزا حرمانه
 ما ثم يأسف غيره كالا وفي
 هذا وكم من جاهل قد ضل عن
 ان الرسالة هذه حقا اتت
 هي محض ارشاد وصرف دلالة
 وهي الشفاء لقلب كل موحده
 ولكم شفت قلنا بلطف علاجها المعداد
 للاعراض عن لقمان
 شقت حرارة كل غمر شاني
 منظومة كقلائد العقيان
 ركننا لدين الواحد الديان
 بعلو همته على كيوان
 الله منشئها حسين من سما

او شئت بها عقلية
 نفع المحجة واضح التبيان
 ومؤيدا في معجز القرآن
 ما قام في سلطانه لآن
 بسناه يستحو غيب الطغيان
 ونجاتنا فيه من النيران
 فطغي ولم ينفك ذا نكران
 واياه بالخزي والخذلان
 اخراه ليس سواء ذا خسران
 نهج الهدى بوساوس الشيطان
 يبينها للحق كالفرقان
 وهداية لحقيقة الايمان
 من علة الاشرار الكفران
 للاعراض عن لقمان
 شقت حرارة كل غمر شاني
 منظومة كقلائد العقيان
 ركننا لدين الواحد الديان
 بعلو همته على كيوان

علامة الدنيا وبهجة اهايا
 وهو الجليل القدر والمولى الذي
 ذو منطق تزيي فرائد فضله
 ما مثله بين الافاضل جويذ
 فهو ابن سيدنا في الاحوال من
 شمس الشريعة والحقيقة جسر اعمال الله في السر والبرهان
 مشغوف قلبه ثم في ربه
 وشهاب افق من نواياه من غد
 هو قطب دائرة الكمال محمد
 رب الكرامات نتي قامت على
 اعظم بها اسنى كرامات لقد
 جلت فلا تحصى منقبه بحسب من ولم تنحصر بنطق لسان
 اني لمن اجل التبرك فيه قد
 من بعض ما نروي عنه قوله
 فوجود ذال الفضائل كن كرامة
 هذا ومن يغني الوقوف على نقا
 ويرى العجائب فليراجع نزهة ال
 لا زال ذا القطب العلم مدى المدا
 هيملاذ هن فخره مرقان
 ترفا تشد له يورى بمنان
 اللوؤ البغوت والمرجان
 يدي معانيه بحسن يون
 من ربه نال ابني بسمة من
 مستغرق روح به بكران
 منها مكينة في عز مكان
 غوث المروءة مجا بوهان
 تسم نخشى بوف وحب روحه اني
 سارت به تركبنا في جلاله ان
 اوردت منها بعض بياني
 سرني ببني واضح برهان
 ايضا لوالده الجليل الشان
 اخبر هذا العرف الرباني
 فكر لكتاب تفائق بينان
 عليه سحائب الرضوان

والله يرضى عنه ما لاسح الصبا
 وحزى حسين الجسر عناداً
 اذ قد اتى رسالة تاريخها
 مع حسن اسلوب جديد قد اتى
 ادى بها في الدين اوفى خدمة
 دامت عليه من الميمن نعمة
 ما شنف الاسماع جره فضله
 او ما انجلى غيم الضلال عن الهدى
 انى باختصار اقول في حق هذه الرسالة المشرقة مصابيح الادلة
 ن نتائج افق قضاياها المسامة ولا اشراق الغزالة انها في الحقيقة
 موهرة لا تقوم باثمان ودرة امست السبع الدراري بها ثمان اذ مؤلفها
 كريم النجار فرع سلالة النبي المختار جمع بها فاوعى وشكر الله منه
 لسعى فاسان حال هذا العصر شاهد لها باذعان ومناطق باعلان
 ن ليس في الامكان ابدع مما كان فنسأل الله تعالى نيل الامان
 التفضل بخاتمة الايمان امين
 من قلم الحقير
 محمود الشهبال

ند عرضت هذه الرسالة في اول مبصرة طبرستان على نذر مولانا
احب الفضيلة والافضل وهدى نذر كمال شريف ودرس بن
ندوة المفتين مولانا، انعام مفتي الاسلام في ولاية يمرت ذن
نفر البسام في خوري زاده سيد لتشيخ عبد الباسط فتدي
ام الله تعالى وجوده المسكين اللهم مين فتفضل بتقريبه
ني فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

لما لمن سيد معالم الدين واسما به حجج وبرهين ورسول رسوله
نكرم لهداية الخلق ليساكنوا بانواره لمقدسة فخرج خلق منهم من
في بقلبه المنهج المبين واخر تعبد حتى انه ليقين الله صل وسلم
هذا الرسول الصادق الذي صدع به قلوب كل جاهل ومنافق
صح حجة ووضح دجة التي ليها كبرها في علانيتهم واسرارها
على آله واصحابه الذين حفظوا قرآنه ونقلوا حكمه وتبينه وعلى
ابعين الذين خدموا الدين ودفعوا عنه شبهات نصايين ووسوس
سدين وارجيف الملحدين اما بعد فاني سرحت الطرف في

رياض هذه الرسالة التي غدت لقمر الشريعة هالة المسماة بالرسالة
الحميدية في حقيقه الديانة الاسلامية وحقية الشريعة الحميدية
تأليف صديقنا العالم العلامة والفاضل الفهامة الشيخ حسين
افندي الجسر ابن استاذنا وشيخنا يتيمة الدهر فتربعت النفس
بدست ربيعه علانية وجنت كل لذيذ من قطوفه الدانية

سفر جليل به للطالبين هدى في بابه قداتي من احسن الكتب
لنا احاديثه تروى معنعة عن الحسين باسناد لخبر نبي
فهو كتاب لم ينسج في نصرة الدين الحمدي على منواله ولم تات
المتقدمون بتمثال امثاله لا عن تهاون منهم او تقصير وهل ينبئك
مثل خبير فانهم جزاهم الله خيرا قد خدموا الدين بما هو اهم ونفعة
للخلق اعم فكم سردوا المباحث الطويلة ودونوا الفوائد الجلية ام
الان فقد كملت الهمم وغدت من سقط المتاع عزائم الامم فلانرى
الا ناصرا ابغيته تابعا لنفسه وشهوته غريقا في بحر جهله متبرجا تبرز
الجاهلية بفعله وقد حدث بعد الامور امور وظهرت مخبات كانت
تحت الستور وكثير منها ما هو اوهام او اضغاث احلام يغتر به
كل قاصر العقل واهن اليقين ساقط الفضل فاقتضى الحال درا
للك الشبهات والمحافظة على عقائد البعض من غوائل التخيلات

فوفق الله تعالى . . . حسب هذا نكتب و . . . لا سبب في هذا
نتائج بعض اسرار الدين الالهي لمتمين بقول الشارح التتالي
للمؤمنين وغير المؤمنين . . . سبب تيسر فهمه معيه كفتح البصر
مع رد الشبه وادمية و . . . تطبيق بين المنقول والمعقول بدلائل كافية
ملتزما فيه عدم التعرض لمذهب او دين ساكن ، بل انصف سبيل
المُرشدِين فجأت غرائده و . . . رفية تزدان به الاندية عصرية وانه
الواسطة الكبرى لحفظ عقائد البنين من شبهات الشكوك وقد
حاز القبول لدى الحكومة السنية لما به من فوائد جلية ونظار
لاعتبار هذا الكتاب عند الاجلاء لاختيار سيكون على قدرته في
المدارس الاسلامية المدار حيث انه حوى البحوث العقائدية والمسائل
النقلية فان المدارس بظل ساطعة امير المؤمنين مفتحة ابوابها
للطالبين حفظ الله ساطعانه ونصر اعوانه فقد تيسر معناه المدرس
واسدى اليها النفائس فمؤلف هذا كتاب هو من العلماء ما بين
وضعه لخدمة الدولة والدين فيجب عليه معشر المسلمين ان يكون
هذا الكتاب ديدن المعلمين وامي و . . . وطيد بحضرات و . . . لاهور
اصحاب الدين ان يجعلوه دستور لتعلم في المدارس كل حين لما فيه
من رد جماح العقل عن التهور في وهاد الجهل ولما به من حفظ
عقائد الانام في جميع ممالك الاسلام ادامها الله تعالى رافلة بحال

الامان تحت ظل الدولة العلية العثمانية على ممر الزمان وفق الله
الجميع لاصلاح الحال ولادراك غاية الكمال

لنهي المدي والحق وافت رسالة حميدية تأليف شهم مكرم
لقد نسبت واليمن وافق وضعها لسلطاننا عبد الحميد المعظم

كتبه بقلمه وقالة بفمه الفقير اليه سبحانه عزشانه

عبد الباسط بن علي فاخوري

مفتي بيروت

—o—

ثم عرضت على انظار بعض ساداتنا علماء دمشق الشام الافاضل
فتكرموا بتقاريظ كانت فرائد عقد هذه الرسالة تفخر بها في محافل
الافتخار وتزهو بجلاها في سائر الامصار فمما قاله حضرة مولانا فخر
العلماء الاعلام وقدوة الفضلاء الكرام علامة الزمان وفيهامة الاوان
والمشار اليه بالبنان والمرجع لكل قاص ودان سيدنا المرحوم المبرور
عطار زاده السيد الشيخ محمد سليم افندي اسكنه الله تعالى بمحبوحة
جنانه واظله بظلال رضوانه وعوض الله المسلمين بمصابه خير عوض
اللهم امين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لمن وفق من شاء من خلاصة عباده
الغبراء وافاض على قلوبهم من لمعارف ربه
ما قهرتوا به اهل الضيعة الذين هم كتبه وسنة
من وفقهم للعمل بما علموا حتى ورثوا علم ما علموا
سيد الانبياء وصلاة وسلاما على اول قبيل الله
المقدس من حضرة نبي فكن اول من شئ
اذ ذاك عرش ولا كرسي ولا ارض ولا سماء
نجوم الهدى وائمة الاهتداء وعلى التابعين لهم
وبعد فاني قد تأملت في هذا المكتوب الخ
العجب العجائب الذي انه العالم لفاضل والجليل
الوارث للمجيد عن والده الماجد وليس على
العالم في واحد حضرة السيد حسين نجل الحجة
صاحب الاحوال والكرامات المرحوم السيد

بالجسر قدس سره فوجدته قد حوى درر الفوائد والفرائد جمع فيه
من السيرة النبوية اصحها واوفها ومن الادلة والبراهين على بطلان
عقائد اهل الطبيعة والضلال اعلاها واقواها فلقد اجاد فيه وافاد
ووفي بالمقصود والمراد فجزاه الله على صنيعه احسن الجزاء ومتع الله
المسلمين بحياته بجاه سيد الانبياء والحمد لله في البدأ والختام
والصلاة على سيد الانام امين

كتبه الفقير اليه سبحانه

محمد سليم العطار

عفي عنه

وما قاله فخر العلماء والمدرسين الكرام وعمدة الفضلاء والمحققين
الفخام العلامة الفاضل والفهامة الكامل العامل ذو الفضل والارشاد
وقدوة السالكين في سبيل السداد الجمام الاكرم عطار زاده
السيد الشيخ بكري افندي الافخم ادام الله تعالى هديه وارشاده
للمسلمين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لمن له الخبجة الباقية والبرهين الساطعة الدامغة التي وهو
القادر الخالق بال نقدف بالحق على لبطان نيده معه فذا من الحق
والصلاة والسلام على أول موجود على الاطلاق سيد محمد
المختص لما حسن الاخلاق من جملة مولا حجة كبرى نبي
العالم وفضله على الملائكة الكرام وسائر بني آدم تأيد بهجت
الباهرة لتكون حجة على النفوس الالوية تكفرة وعن كمال الهداية
الكرام واصحبه لشدات العظام ما بعد فن الله تعالى جت
عظمته وعات حكمته قد اقم لحراسة دينه لقويم وشراخه مستقيم
من ارباب البصائر وانكر من يدافع عنه في كل آن وعصر
ويذب عنه بسيف الشريعة والقهر من تعرض له بسوء من اهل
الضلال والكفر ولما نزلت بين الناس في هذه الايام اقوام من اهل
الوساوس والالوهام يقنون باسم الطبيعة ويميلون عن منهج الشريعة
قد اتخذوا الهوى مركبا والفساد مطلبا فخزاهم الله تعالى واغواهم
وعن طريق الحق والرشاد اعماهم وفق الله تعالى لادخال حجبهم
الباطلة وبراهينهم العاطلة من اولي البصر والبصيرة ومن ارباب

القلوب الخيرة بدر فلك التحقيق في ليالي المشكلات وسراج
اهل التدقيق في كشف ظلم المعضلات العالم الثريد العامل والمدقق
الاريب الكامل جامع فضائل الاوائل والاواخر ووارث العلم
عن اسلافه البهور الزواجر مولانا السيد حسين افندي
بن مولانا العالم العلامة والعارف الكامل الفهامة ذي الكرامات
المشهوره والاخلاق الحسنة الماثورة من اعترف بفضلته كمل
الرجال الشيخ محمد الجسر ابي الاحوال فألف هذه الرسالة
الكافية الرافية وهي لما في صدور المنصفين شافية وقد اثبت فيها
بالبراهين القطعية حقية الملة الخيفية المحمدية وابطل شبه اهل
الطبيعة والاهواء فجزاه الله عن المسلمين احسن الجزاء ومتعنا
والمسلمين بطول حياته مجاه من ايده الله تعالى بآياته والحمد لله
في البدء والختم والصلاة والسلام على سيد الرسل الكرام وعليهم
اجمعين آمين يارب العالمين

قاله الفقير الى رحمة ربه الغفار

بكري بن حامد العطار

الشافعي القادري

عفي عنها

بما قاله فخر العالم - الافاضل ومقدرة الفضلاء لامثال علامة
بوحده والعلم الشهير المفرد عين عين رفيع من ربه عز وجل
عقبة مولانا الاكرم عطاء زاده اسيد شيخنا عمر مندي الانج
ام الله تعالى بقاء الحسين الماهدين

بسم الله الرحمن الرحيم

بجانه انه المحمود باسائه يامن تفردت بلا فعل فكان لا فعل
سواء ويامن تعانيت عن السوء ومن السوء وليس لا مظهره
بجلاه صل وسلم على الرحمة للعالمين من انقذ من فضالة
يدنا محمد من ختمت به النبوة والرسالة وآله وصحبه وبعد
في قد سرحت نظري في ريض هذا الكتاب المشتعل على
كل معنى مستطاب فوجدته في نفس الامر ونواقع قد كشف
ن وجود العضلات ابرقع وعلمت حقا انه فتح مبين
نه عن العمل بيقين ولا عجب فانه شيء جاد على صله فلا
وال عن حده ورسمه فله در مؤلفه من كلام احبي به ذكر
الافه العارفين الاعلام فشكر الله العظيم مسعه وادام نفعه نعيم
نفظه وابقاه فكم رد اهل الغواية على الاعقاب وكم ارشد آل

الهداية لما فيه صلاحهم ونعم الآل والاصحاب اللهم كما هديت به
نزدك توفيقا وكما منحتهم فادفعنا هدى وتحققا واحشرنا جميعا تحت
لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى كافة الانبياء اجمعين امين
كتبه الحقيقير
عمر العطار



وما قاله العالم الفاضل والمرشد الكامل السالك بمريديه سبل النجاة
والمروى ظمأ الطالبين من زلال عين الحياة مولانا الاجل الامجد
خاني زاده السيد الشيخ محمد افندي الخالدي الاكرم اطال الله
تعالى بقاءه وادام نفع المسلمين بهداه امين

بسم الله الرحيم الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده وعلى
آله وصحبه وتابعيه وحزبه إماما بعد فقد تصفحت هذا الكتاب الذي
حوي كل معنى مستطاب الذي افه اخونا العالم الفاضل الارب
الليبي الكامل الشيخ حسين نجل المرحوم المشهور بالولاية والفضل

والعلم والعمل الشيخ محمد الجبر قلدس روحه بنور سرية من
اهالي طرابلس اشهد زاده الله توفيقه وذكركم به وروحانياتكم
قد حوى كثير من الفوائد وهدم كثير من التوراة مع غاية
البيان والتحقيق نفع الله به ووفق لاقوم طريقتي وجزه على قصده
فانه غير مخاف وعده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم
النبيين والمرسلين ومشيد هذا الدين الى يوم الدين

كتبه فقير اليه

محمد الخاني

الخاني

—o—o—o—

رحمنا قاله العالم الفاضل والجيد الكامل صاحب المنظم راق وناشر
لفائق حائز قصب النسب في مضمير البيان وناشر فيه في محافل
لبلاغة البنان عطار زاده السيد الشيخ ابراهيم فندي محمود ادام
الله تعالى وجوده للانام امين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن تفرد بالايجاد ونور قلوب اوليائه بصحيح الاعتقاد وصلاة

وسلاما على افضل العباد سيدنا محمد الهادي الى سبيل الرشاد
 الماحي بواضح برادين شريعته سنسطة اهل الزيغ والعناد وعلى آله
 واصحابه واتباعه واحبابه السراة الهداة الطاهرين الامجاد اما بعد
 فاني لما سرحت جواد النظر واطلقت عنان الفكري في اديان هذا
 السفر المبتكر المعتبر الفيتة قد جمع من ساطع ادلة هذه الشريعة
 ريقا ياتيها القاطعة المنيع ما ازاح به شبه الملحدين ودحض باطيل
 المعاندين المتوردين فإله در مؤلفه ما اتقنه وما ابهاه واحسنه كيف
 لا وهو قد ورث المجد كبرا عن كابر واضمحت معارفه به تفاخر
 وتكاثر عنيت به الحسيب الذسيب العلامة الفهامة الاديب
 لاريب الهام المنضال السيد حسين افندي نجل مولانا المرحوم
 شيخ اهل الكمال الشيخ محمد افندي الشهير بالجسر والمكنى بابي
 لاحوال فحقيق ان ينشد ويقال

سمي البسط قد ايشا كتبا فيا بشري لمقتبس سناه
 وذا من فضل آثار الحميد آله العرش بلغه مناه
 بعون الله لما تم ارج به زاه لقاصده غناه

سنة ١٣٠٦

تعنا الله والمسلمين بطول حياته واعاد الله علينا وعليهم من طيب

نجاته وبركاته والصلوة والسلام على خاتمة الأنبياء
وأصحابه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
كتبه مقبرتي محمد عثمان
أبراهيم بن محمود عطار
عني عمه

وما قاله العالم المفضل والعلامة المهمة مؤدعي ذو كمال حاز
قصبتي السبق في مضر المتور والمنطوي ونور المدح المعلى
من المعارف والعلوم الحبيب أنسب لأكرم منير زده أسيد
الشيخ محمد عارف أفندي الحسيني حنيفة مولاه وبقة دمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدرنا للإسلام وجعل لنا نوراً ننتهي به في
غياهب الخلال فنقذنا من الغرق في أبحر المهلك واللاتم ووسع
لنا سبيل الهدى في الآلام فمن اهتدى إليه ربح لقبول وفقر
بالفوز والاعتصام ومن ضل عنه خسر ولم يفقر به بنجاح ونيل المرام
سر ومن يتنفي غير الإسلام دين فلان يقبل منه وهو في الآخرة من

الخاسرين قول الملك العلام احمده وهو ولي الحمد واشكره بلا حصر
ولا حد ان خصا بمن هو لارسل امام ولجميع الانبياء بدء وختم
سيدنا محمد اذ طال بالغام المخصوص بالشفاعة العظمى يوم الزحام
المنزل عليه ان الدين عند الله الاسلام القائل ان الله تعالى عند
كل بدعة كيد بها الاسلام واهله ووليا صالحا يذب عنه ويتكلم
بملاداته وناهيك به من مقام عليه افضل صلاة واتم سلام وعلى
آله السادة الطهر الكرام الذين هم امان للامة من جهد البلاء
والانتقام وصحابته القادة الغر الاعلام الالهي اسسوا لنا قواعد الاتحكام
وشيدوا الدين بالقنا والصمام وجمعوا الكلمة على عبادة للمولى
ذي الجلال والاكرام واحمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكسر
الاصنام وهدموا اركان الكفر بعد الاحكام وبددوا جيوش الكفرة
المتام وقتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ولم يهابوا من
بطل ولا عرام والتابعين لهم المقتفين اثرهم ابد الابد ودوام الدوام
امين اما بعد فلما كانت حكمة الله الباهرة وارادته القاهرة
اقتضت ان يكون البشر انواعا وشعوبا وقبائل ومشارب وطبعا وكان
اللازم لذلك شرع دين لهم ليعبدوا به ربهم ولا يظلموا بعضهم ارسل
لهم رسلا ايماء معصومين وانزل عليهم شرائع بابلاغها مأمورين
وكانت تلك الشرائع بحسب ما يناسب الزمان ويوافق مشرب

كل اهل اوان فلهذا كان يجمع قبيح النسخ وتبديل الايتين خيبر
او بالمشيل وما كان ظاهرا رده ... في ... من جمع
لعالم امة واحدة تدعي لعبادته عز وجل رس نبيه محمد صاحب
العلامة من رده ته اكافة خالق امة بتبريته التي هي خير
الشرائع واعدا كما ان مته خير لاهم وافضاه ورس اليه واسطة
جبريل الامين قرآنه اربي المبين في عجز به البغاء وكما به نفسه
وجعله اساءة لك لشدة والدين فمن من دفته عذبة وكفر به
من ادركته لغواية من الضالين ومرد ان يثنى في لارض يكون
له امره فتكون كلمة الله هي لغاية وكما ان من كفر به
السفلى وبقية فرقة حمولة من الله تنكر وجود لاه وتعد لتدين
بالدين منافق العقل المتين واخرى تقول لبعث وتزعم انه لا اصل
وتنفي النسخ الثابت بالنقل والعقل وانكرت رسالة نبيه خذتم رسالين
صلاة الله وسلامه عليهم والهم اجمعين ونسبت الى ما جاء به من
الدين بعض اشياء كذبا موضوعا وزورا مصنوعا وزعموا بيقين
وتسترت شرذمة بدعواهم الاسلام وزعمت على هذه اركانه
بالقاء بعض شكوك فيه واوهم قراها تنكر من شريعة بعض اشياء
لم تظهر حكمتها لعقلا القاصر مدعية انها ليست من احيان الدين
وما هو الا كفر ظاهر او تخلف لها حكما لم يقصده الشارع مخالفة

راده والواقع فرارا من التسليم ان يكون في الدين شي لم تظهر له
حكمة وهذا من ضعف الايمان في القلب وتعاقب الظلمة فمعد
ذلك نهض المولى العالم النحرير الشهم المفضل العلامة الشير
اثاقب النكر الشيخ حسين افندي نجل المرحوم العارف بالله تعالى
لشيخ محمد الجسر الذي اختاره الله من الازل للذب عن هذا
الدين الصحيح الاجل مستمدا بروحانية جده الرسول متوسلا به
ي بافغ المامول

مام له في كل فضل فضيلة بليخ اذا ما قام في الناس يتخطب
بوه ابو الاحوال كم من كرامة له شهر الاعداء فيها ولطنبوا
تفرغ للتكلم بعلاماته حسبما رزله النبي صلى الله تعالى عليه وآله
سلم ببعض مقالاته ونصر الدين لله فاعانه الله وتولاه وايده
عضده وهداه الى ما اراده وقصده لانه

مام انصر الدين شمر ساعدا لذا حمدت افعاله وما اثره
من ينصر الله ابتغاء لوجهه فلا ريب ان الله بالنص ناصره
الف هذا الكتاب الذي هو غاية في هذا الباب فبما كما اراد
افيا بالمراد يغبطه على مثله الاديب ويحارفي وصفه الارب
هذا التأليف نقد اضحى اظهار الحق نتيجته
واذا حققت به تلقى احقاق الحق حقيقته

وقد جاء رسالة الحميدية في حذيفة أمير لا لابلابة رحمة
 الشريعة الحميدية وخر جلد من ينسب أن مولانا من
 اغازي عبد الحميد من ذوي الحركة رحمة رحمة رحمة
 كل انسان في هذه الدنيا خير جبر رحمة رحمة رحمة رحمة
 والدين ورفع بن جبر رحمة رحمة رحمة رحمة رحمة
 وآله اشرف صاوات وازكى تبليات رحمة رحمة رحمة رحمة
 معك ختام
 لمخير حسني الشافعي رحمة رحمة

عنني عنه

— ٢٥٥٤ —

وما قاله الارب الميب ولاديب نجيب و الحبيب المنسب
 ذو النظم المطرب والنثر المعجب لفصل كمال خبير
 زاده السيد الشيخ محمد علي فندمي الكيلاني ادام الله تعالى
 توفيقه امين

هذي عروس بدت بالحفظ تركية كانه في بديع الحسن حورية
 ام ذا رشيق قوام راق مبسمه اذا يد بخجل السرور دينيه
 ام ذا مؤلف رازي الزمان حسين الجسرفيه لآلى نعل محويه
 به براهين ايات مبينة جات تذب عن غوا الجنيبيه

فيآله من كتاب ابرزته لنا افكار جبر عن التحقيق مرويه
 منه لاهل الضلال المحدثين انت ادلة لآخي الانصاف درضيه
 وممنه القى عصا برهانه بطلت عقائد لهم بالآوهم مبنيه
 فسأل الله فضله قدرا وفضل له طلاسما من كنوز العلم مخفيه
 الله انخاص في قول وفي عمل بشري له انما الاعمال بالنيه
 لآلال يهدي الورى من بجره دروا ماغردت فوق غصن البان قمره
 والطبع لما انتهى قانا نورخ فيه راق طبع الرسالة الحميده
 ٩٥ ٣٠١ ٨١ ٧٢٢

خويدم العلم الشريف محمد

علي ظبيان الكيلاني

عفي عنه

يلوأنف الرسالة الحميده رسالة صغيرة في تعدد الزوجات وحجاب
 لنساء والاطلاق الحقناها هنا تكميا للفائدة وهي هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه اجمعين اما
 عد فيقهل الفقير الى الله تعالى حسين الجسر الطرابلسي ان من
 لمساءمة الأمة مسألة تعدد الزدحات وحجاب النساء والطلاة

واني اطاعت في هذه الاثناء على كتاب في المهجين لبعض الكتبة
غير المسامين تعرض فيه المسألتين اللتين حيث قال بخصوص
الاولى في جميع الممالك ان المذكور اكثر من الازدواج بقايل رتبة
كان حكمة الامنية في ذلك لنظر الى زيادة نقص المذكور لاسباب
الموت مما يتأتى من مشاق السفر واطوار البحر والحرب الى غير
ذلك ويظهر من النسبة ايضا ان الحكمة الالهية لم تجوز اكثر من
زوجة واحدة للرجل فيكون تعدد الزوجات امرا مخالفا لما وضع في
الطبيعة اه وفي ذلك التعريض باخذ الرجل زوجات فوق لواحدة
كما هو حكم شريعتنا المطهرة و بان ذلك خلاف النظام الطبيعي
وقال بخصوص الثانية في ذلك الكتاب فليس من العدل ولا الحق
ان تحتقر الانثى او تظلم اربى مل تعليمها او يحجر عليها في البيت كما
يحجر على الاسير والمسجون لسوء الظن فيها مع ان الرجل اقرب
منها الى الاثم ذلك من عوائد الخشونة الى اخر ما قال وفيه
التعريض بحكم شريعتنا العادلة بالمحجب على النساء ولا قمة داخل
البيوت فاحيينا ان نبين الحق في ذلك على مقتضى القانون
العقلي لما ان المؤلف المذكور لا تقنعه الاحكام الشرعية اذ ليس
هو من اهلها فجرينا في سبيل البيان على ما فيه مقنع لكل عاقل
فنقول ان المؤلف المذكور حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وبيان

ذلك بعد تسليم تقارب عدد الذكور من عدد الاناث لا يخفى ان
الحكمة الالهية اقتضت توالد النوع الانساني بين الرجل والمرأة
وتكثير افراده وبقائها الى ما شاء الله تعالى والا لثبت نقبض ذلك
وكان واجبا علينا السعي بتقليل التوالد واعدام اليشر بوسائل شتى
والواقع خلافه وذلك التوالد يكون بتلقيح الرجل وبزور المرأة ومعلوم
ان الرجل تدوم فيه اهلية التلقيح ولو بلغ من العمر مائة سنة وبلوغه
ذلك ممكن موجود ليس بالنادر حتى قال بعضهم ان الانسان خلق
لان يعيش المائة اذا لم يعاجله الموت واما المرأة فحيث ان جنينها
للجنين ووضعها وارضاعه تجهد قوتها ولا تطيق ذلك كله الا في حالة
بلوغ جسمها قوته اقتضت الحكمة الالهية ان يكون استعدادها
للتوليد من سن احتلامها الى سنة الخمسين من عمرها (على ما
قيل او خمس وخمسين على رأي اخرين) ومن هناك حيث
تأخذ قوتها الطبيعية بالتأخر قد منع عنها الباري تعالى امر
الحمل بقطع دم حيضها الذي منه غذاء الجنين وحررها تلك
الزور لطيفها واحسانا فتكون مدة استعدادها للتوليد مقدار خمس
وثلاثين سنة لان في الغالب تبلغ الحلم في الخامسة عشرة واذا تقرر
هذا فنقول ان المرأة في مدة استعدادها للتوليد اذا اقترنت بالرجل
في اي زمن كان من عمره بعد بلوغه الحلم تجدد فيه استعدادا للتلقيح

لا يقصر عنه الا لغرض غير طبيعي واما الرجل فاذا اقترن بها بعد
باوغها الحلم واقتصر عليها فكثيرا ما تعطل عليه مدة من عمره
لا يجدد فيها ازواجه نتاجا وبيان ذلك انه لو فرض اقترانه من اول
سن احتلامها فيمكن توأدها الى سن ايس المرأة وهو احدى سنين
عاشا سنين سنة عطلت عليه المرأة عشر سنين وان عاشا سبعين سنة
عاشا عشرين الى ان يقال ان عاشا مائة عطلت عليه خمسين وكذا
يقال ان كان مثالا في العمر واقترن بها عند سن ايس الداع من
الدواعي واذا تخالف معها في العمر فعلى فرض انها اكبر منه سنة فانما
انها تعطل عليه ايضا حتى لو فرض انها اقترن بها وهو ابن خمسين سنة وهي
بنت خمس عشرة وعاشا المائة لعطلت عليه خمس عشرة واما لو فرض
انها اكبر منه فهناك ضرره العظيم ويتفاوت حينئذ زمن التعطيل
بفرض سنه وسنها واكثر ما يتصور ذلك انه لو اقترن بها وعمره
خمس عشرة سنة وهي قبيل سن الايس لداع من الدواعي فلو
ولدت منه ولدا وايس لتعطل عليه خمس وثلاثون سنة على
فرض ان يعيش المائة فلو لم يكن غير ذلك التفاوت سببا داعيا
لاباحة اقتران الرجل باكثر من امرأة لكان كافيا لانه تبين ان
الرجل لا يعطل على المرأة يوما واحدا من ايام استعدادها للتواليد
وهي قد تعطل عليه كثيرا من الاعوام فباباحة اقترانه باكثر من

واحدة صار يمكنه مداركة ما كان يحتمل ان يعطل عليه ثم نقول
من المعلوم ان الرجل نظرا لما منحه الله تعالى من القوة على الكسب
ومعاناة شوائده دون المرأة جعل هو المعيل لها والقائم بامر نفقتها
وجعات وظيفتها بمقابلة ذلك قياما بدير منزله وتربية اولادها
هذا امر كالطبيعي للبشر ومخالفته من البعض جرى على خلاف النظام
الالهي والمالوف في الطباع ومن المعلوم ايضا ان الفقراء والقاصرين
عن القيام باعباء النفقة على الزوجة اكثر من الاغنياء القادرين
على ذلك في اكثر الممالك وان كان في بعضها يوجد ما يقارب
لمساواة في لغنى فالمملكة التي هي من القسم الاول لاشك ان الكثير
من رجالها الفقراء يمتنعون عن الزواج حذرا من اعباء النفقة على
المرأة بل الشريعة العادلة تحظر عليهم ذلك اذا علموا من انفسهم انهم
يظلمون المرأة بعجزهم عن نفقتها وعند بعض الائمة يحق للحاكم ان
يفرق بين الزوجين اذا عجز الزوج عن النفقة دفعا للظلم الذي
تُدبره لعقول وفي هذه الازمان نرى زيادة عدد اولئك الرجال
العجزيين الضمام من يذهبون للجندية فان هؤلاء يمتنعون عن
الزواج خوفا من ترك ذمائمهم في مدة التجند بلا معيل فاذا كان
الاقتراح لا يباح للرجل الا بامرأة واحدة بقيت النساء اللاتي في
مقابلة لرجال الممتنعين عن الاقتران معطلات عن التوالد فتبطل

لحكمة في تكثير النوع الانساني وبقاء نوره ولكن اذا ابيح للرجل ان
تخذ اكثر من امرأة امكن الرجل المقتدرين على النسقة ان
مقترنوا باكثر من واحدة من تلك النساء اللاتي على شرف التباطيل
حينئذ لا يضيع استعداد تلك المسكينات ولا يختل النظام الالهي
بدون ذلك تمضي اعمار تلك البائسات ولم يستفد منهن نوع الانساني
رة تذكر واما القسم الثاني من الممالك اعني التي يتقارب مساواة
هلمها في الغنى يمكن فيها ان يقترن كل رجل بامرأة ولا يتعطل من
سائها أحد ولا يمكن الرجل ان يقترن باكثر من واحدة لانه اذا
للب ذلك لم يجده لان الحساب قد تسدد وان قال قائل ان هذا
لتفصيل يقضي ان يباح الاقتران باكثر من واحدة لاهل القسم
اول من الممالك دون الثاني قلنا من المعلوم ان الممالك لا تدوم
الى حال واحد من الفقر والغنى بل يتعقب على كل مملكة
لحالان على من الزمان ولا يمكن ضبط ذلك وتحديد اوقاته وعلى
رض ذلك الضبط والتحديد فاذا كان الحكم كما قال ذلك القائل يؤول
لامرالى الاختلاف دائما وتبديل الحكم الى ضده كل مدة من
زمان وربما آل الامر الى الحكم بأباحة الكثير من الزوجات في
منة وحظره في التي بعدها او بالعكس اذ من الممكن ان تكون
ملكة غنية وتصبح فقيرة بسنة واحدة وبالعكس ولاحكام الإلهية

لا تكون بهذه المثابة ولا تفتح مثل هذه الابواب للتبديل والتغيير
المرجوب ذلك تلاعب اهل الاغراض والشهوات فتتج ما تقدم
ان اباحة تعدد الزوجات هو الامر الموافق لما وضع في الطبيعة والعقل
اساسا خلافا لما قاله ذلك المؤلف هذا وما حصر اباحة تعدد الزوجات
في اربع فلم يتعرض له ذلك المؤلف واكن نذكر حكمته على سبيل
الاستطراد فنقول ان له حكمة شرعية ليس هنا محل لذكرها لان
المؤلف المذكور ليس من اهل شريعتنا حتى تقنع افكاره الحكم
الشرعية وله حكمة عقلية على انفس ما يالفه ويقنع به وبيانها انا
قدمنا ان الرجل الماهر عن النفقة يمتنع عن الزواج والرجل القادر
عليه يقدم عليه ولا شك ان اسباب الكسب اربعة الامارة والتجارة
والحناعة والزراعة فكأن الباري تعالى اباح بمقابلة كل سبب زوجة
فاذا توفرت هذه الاسباب جميعها للرجل امكنه اخذ اربع نسوة
واذا فقد منه سبب اقتصر على الثلاث وهكذا حتى اذا فقدت
الاسباب الاربعة ترك الزواج واحاله للاغنياء واذا وجد معه احد
هذه الاسباب متوفرا بحيث يقوم مقام سبب اخر او اكثر امكنه
الجري في الاقتران على قدر سعته واذا احطت خبرة بما تقدم وبما
هنا انقذح لك سر اباحة التثري باكثر من اربع من النساء
المسترقبات لان هولاء النساء ليس في المملكة التي جلبن اليها

جال في مقابلاتهم فإذا كانت الرجل فقراء لا تتدرون على
تلاكن ولم يبع الاستكش منهن للاغنياء الصنعين عطالات عن
توليد فاباحة التعداد منهن للاغنياء هو عين الحكمة وهذا
كافي للمتأمل البصير واما ذكره المؤلف مذكور في كتابه بهيمة
لسالة الثانية وهي امر حجاب المرأة فمقول فيه ان حجاب المرأة
تنضيه العقل السليم وتستحسنه الانسانية والنظام الاهلي والديني
طبيعي وحيث ان قد منا ان المكاف بامر النفقة هو رجل وما
رأة فلا تكاف الا بتدير المنزل وتربية الاولاد بحسب ما توفر
المستحسن في العقول ولا شك ان اختلاط الرجال بالنساء
كون فيه بواعث عديدة لارتكاب الفحشاء تتوفر لداعي من
طرفين ومن المعلوم ان النظر يزيد ذلك الامر القبيح الذي
حرمة الشرائع وقبحته العقول لما فيه من اختلاط الانساب
ضعف التناصر وقبحه لا يحد ونهيك ان الله تعالى اهلك
ما كثيرة من اجل ارتكابه فانه موس المنع من كثرة وقوعه
ومنع الاختلاط بين لرجل ونساء وذلك لا يكون الا بازوم
يد القريقين للبيوت واذا نظرنا بدرجات وجدانهم لما كانوا به من
معي على النفقة خارج المنزل لا يمكنهم زواجها ونساء نظرا
كليفهن بتدير المنزل صار لزومهن للمنازل موافقا لما كلفن به

فما قامت بهن داخبا تكون هي عين الحكمة وإن قيل ان في اقامتهن
ضررا عاين قلنا قد فرض ذلك الضرر فالضرر الحاصل من
لاختلاط اعظم واشد وارتكاب اخف الضررين هو الامر المعقول
لسترور ولذلك حكمت الشريعة عليهن بالحجاب وهذا الحكم
موفق لمصلتهن التي كلفن بها ولمصلحة النوع الانساني وهي حفظ
الانساب على ان النساء اللاتي ينشأن من طفولتهن معجبات لا يظهر
ضررهن من اثر وذاك للعادة التي يألفنها ولا يخفى ان العادة تعد
لا تساند لقبول ما يعجز عنه بدونها وقد قال ذلك المؤلف في
نفس كتابه المذكور بما معناه ان الانسان يمكنه التعود ولو على
الامور السامة بحيث انه يتناول منها مقدارا لو تناوله غير المعتاد
لاضر به جرافتمن ترى النساء المعتادات على الحجاب يتفاخرن به
ويعددنه من اعظم اسباب الصيانة ويعبرن النساء المتبرجات
اللاتي لا يتعبرن فيه وياسبهن القحة وعدم الصون وما ذلك الا
لانهن امن الحجاب ووجدنه خيرا لهن من التبذل فاذا اقرر هذا
ظاهر ان الحكم على النساء بالحجاب لا يحذف بحقوقهن ولا يعد ظالما
ولا خشونة مخالف لما قاله ذاك المؤلف المجازف الذي لا دراية له
بسرار الشريعة العادلة واما ما قاله من تحقير النساء وظلمهن واهمال
تعليمهن فهذا امر تمنعه شريعتنا الغراء وتامر بمخالفته وارتكابه يعد

مخالفة لأحكامها المقدسة فذكر ذلك في كتابه لا بأس
لنا معه فيه وأما مسألة طلاق فتد باخذ لأن
بتأليف كتاب مسميه 'الطلاق' وأظهر منه أن مراد
التي في مذهبه إباحة الطلاق ولا يدري بماذا
الآن ما يبرهن أن إباحة الطلاق صر مرفق لله
للنظام الإلهي والترتيب الطبيعي بحيث لا يحد
فنقول تقدم لك في صدر هذه الرسالة أن الحكمة
تتأمل النوع الإنساني وكثرة تولده وأن الرجاء
من سن احتلامه أغية أجله وأبداً للمرأة فهي من
احتلامها السن إياساً وذلك مقدار خمس وثلاثين
الزوجان ولم يحصل بينهم تولد وذلك كثير بحيث
يكون المانع من جهة الزوج أو من جهة المرأة
كان الطلاق ممنوعاً بمضيان عمرها بلا وجود
المستعد منها على فرض وجوده وقد تكون مد
مصورة بخمس وثمانين سنة وأما إذا كان الطلاق
الزوج بعد فراغ صبره أن يطلق المرأة ويقترن
الاقتران بغيره فالمستعد منها حيث لا يقوز بالنسل
شيء وغير المستعد يستريح باله بظهور حقيقة حاله

ستعدا للنسل ولكن آتي تناسلها غير متوافقتين فاذا تفارقا
ثلاثتهما بالاقتران باخر ان ينتج نسلا ولا يحرم ثمرة استعداده
هنا لما كنا بصدد قبله من جواز الاقتران باكثر من امرأة
اذا اراد الرجل ان يتربص باصر طلاق امرأته التي لم تحمل
بلاظهار محل المانع من الحمل ان يقترن بغيرها فان ظهر السبب
اها على عصمته ان تاء ولم ينس الفضل بينه وبينها اذ
طالما على ما يظهر وان ظهر ان السبب المانع منه فهو مخير
ولا نقول بمقتضى الناموس المقرر سابقا كان يجب عليه
حينئذ لتقترن بغيره لان استعدادها غير متيقن بل مشكوك
از عدمه منها ايضا ولا تبني الاحكام على الشك ثم انه قد
سبب آخر لا باحة الطلاق مهم جدا وهو حدوث النفرة
وجين لاسباب شتى من نحو المرض المزمن وحدث تشويه
وتعطيل آلة التناسل وخيانة المرأة لزوجها في حفظ نسبه
لا يمكنه اظهارها واثباتها للحاكم فان كان الطلاق محظورا
في حياتهم وذاقوا في عمرها الامرين وانفتحت في اعينها ابواب
والذهاب الى الفحشاء واما اذا كان الطلاق مباحا يؤمان
نرج والخلاص من الضيق والصون عن ارتكاب الفحشاء
من الديانة وبقي هنا ان يقال انما جعل الطلاق بيد الزوج

ولم يجعل بيد المرأة انه قد ثبت ان رجل ثبت عقلا منه وهي
سريعة القلب في النكران من هذا امر عقلا منه وقوله ان
ان الرجل هو المكلف به حقيقة على رقة حدث له نوح
نقوم منها يرجع عنده احتياطه فخره بقوة ثبت عقلا وحشية سريع
ما انفق عليه وذاع به ادراج ربح فبذلك يرجع عن حالاته واختيار
فرائدها واما هي فنظر الى انها خاية من دينك لا من يفرغ
انها من ادنى سبب من تنفور تسبح بحلقه وترجع فرقه وتستند
اهلا بهل وجيرا. بيجرون فذلك تقتضت حكمة لاهية ان يكون
الطلاق بيد الزوج لا بيد المرأة وذلك عين حكمة فزوج
العقل لا يقدم عليه لا عند غيرة لا سطره وحين يكون به منرج
واما اقدام بعض الخمة عليه وجود دنى سبب فيه يكون خلاف
الامر شرعي ونظام عقلي وهو مكروه شرعا كما هو عليه
الائمة الاعلام وبهذا قدر كفاية لاهل لائى ف وعظم كلامه
بذكرتي من احوان الامر المحمدية في هذه لازمه ان هو يؤيد
قرانه وذلك ان تلك الامر آخذة يستحسن من تجميع شره منده
بعضها التزوج بشنتين ولكن سوء حفظ ثمانية وحفظ ولاده
حيث لم تعدا زوجة شرعية ومنعدهم ولاد شرعيين فحيث تعري
ما يقوله هنا هذا الموقف المتعصب للنساء وبعض المالك بحيث

الطلاق كما قد شاع وذاع في الجرائد فالحمد لله الذي جعل شريعته
تستحسن احكامها العقول وتتبع نظامها المعقول فتأمل من حضرة
ذلك المؤلف وامثاله ان لا يتعرضوا في كتبهم لما يمس حاسيات
جيرانهم بل يسرحون بما هو علمهم ويمرحون والا فليعلموا ان
الشريعة المقدسة مبنية احكامها على حكم الهية ونظامات عقلية
لا تخاف اراؤهم الضعيفة ولها رجال يدافعون عنها الى يوم الدين
والحمد لله رب العالمين